

Bibliotheca Alexandrina

010578





Handwritten text, possibly a signature or date, located in the center of the page. The text is faint and difficult to decipher.

سيرة  
السُّلْطَانِ جَلالِ الدِّينِ مَنكُوبِ  
لمحمد بن أحمد السنوي

الهيئة العامة لأمانة المكتبة الأسكندرية
رقم التوثيق 955.02
رقم التسجيل C 17

955.02

955.02

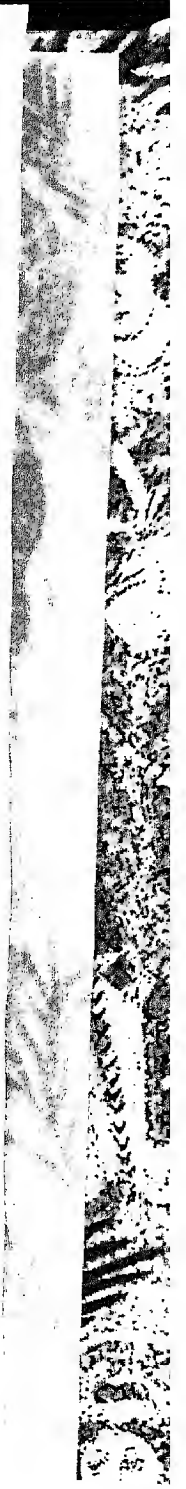
س

نشر وتحقيق

حافظ أحمد حمدي

مقدم الطبع والنشر

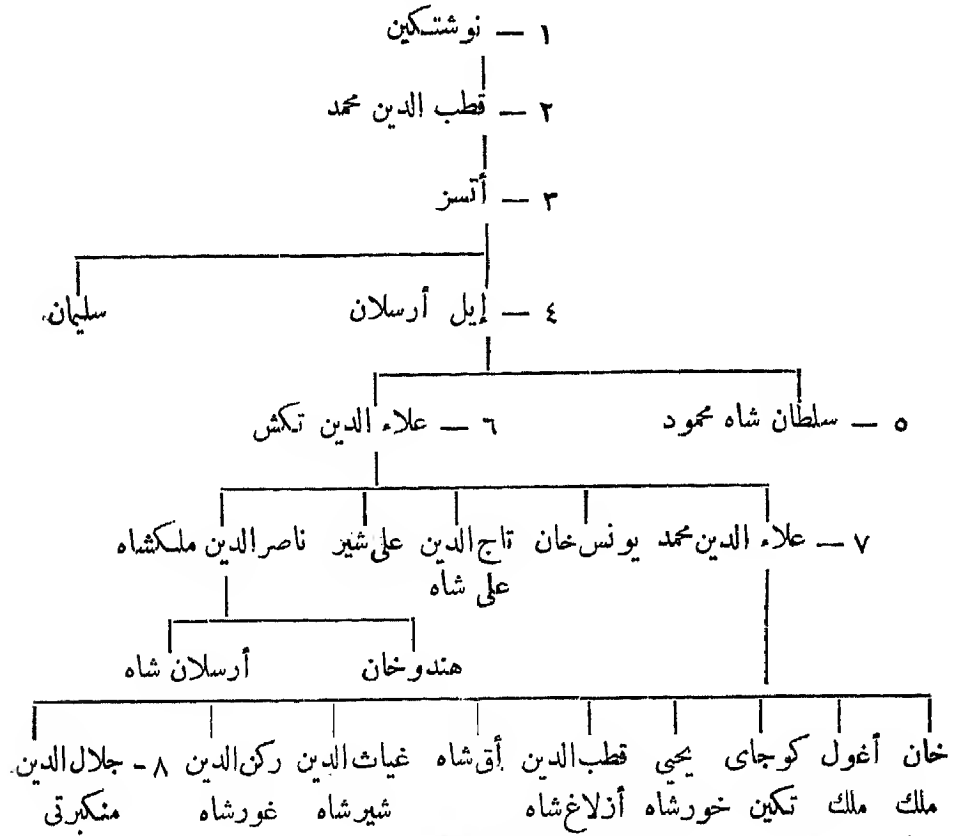
دار الفكر العربي



مقدمه

مقدمه

## شاهات خوارزم



قتلوا على ايدي المغول

- ۱ - نوشتکين : ۴۷۰ - ۵۴۹۰ = ۱۰۷۷ - ۱۰۹۶ م
- ۲ - قطب الدين محمد : ۴۹۰ - ۵۵۲۱ = ۱۰۹۶ - ۱۱۲۷ م
- ۳ - آنسز : ۵۲۱ - ۵۵۵۱ = ۱۲۲۷ - ۱۱۵۶ م
- ۴ - ايل ارسلان : ۵۵۱ - ۵۵۶۸ = ۱۱۵۶ - ۱۱۷۲ م
- ۵ - سلطان شاه محمود : عزل سنة ۵۵۶۸ = ۱۱۷۲ م  
وتوفى سنة ۵۵۸۹ = ۱۱۹۳ م
- ۶ - علاء الدين تكش : ۵۶۸ - ۵۵۹۶ = ۱۱۷۲ - ۱۱۹۹ م
- ۷ - علاء الدين محمد : ۵۹۶ - ۵۶۱۷ = ۱۱۹۹ - ۱۲۱۹ م
- ۸ - جلال الدين منكبرتي : ۶۱۷ - ۵۶۲۸ = ۱۲۱۹ - ۱۲۳۱ م



## مقدمة

انبثق فجر القرن السابع الهجرى ، الثالث عشر الميلادى ، والشرق الإسلامى يستعد لاستقبال تلك الجيوش المغولية الجرارة التى اندفعت نحو اندفاعاً من شمال آسيا الشرقى . وثلا الغزو المغولى الأول بقيادة جنكيزخان غزوات أخرى فى فترات متقاربة ومتباعدة كان لها أثرها القريب والبعيد من النواحي السياسية والاقتصادية والدينية والثقافية . وكان الغزو المغولى الأول عنيفاً ، فقد كان سرياً أيضاً ، وكان المغول مدفوعين بحماس المحاربين الواثقين من إحكام تنظيم جيوشهم ، كما كانوا مدفوعين بالرغبة فى الانتقام من ولاية الأمر فى البلاد الإسلامية ، وفى الدولة الخوارزمية على وجه الخصوص . وإذا كنا نشك فى أن المغول فى أيام جنكيزخان كانوا يتطلعون إلى تكوين مجد سياسى فى البلاد الإسلامية بعدد أن يتوج النصر جبينهم ، فالأمر الذى لا شك فيه مطلقاً أنهم كانوا يسعون إلى كسب مآدى يأتهم من البلاد الإسلامية يعوضون به ما كانوا يعانونه من فقر فى وطنهم الأول . ولم يكن من المؤكد أن يفتصر المغول على المسلمين لمجرد الرغبة فى الانتصار أو لمجرد تنظيم جيوشهم وإحكام تدريب رجالهم ، ولم يكن من المؤكد أيضاً أن يغتم المغول ماغنموه من كسب مآدى فى البلاد الإسلامية لمجرد الرغبة فى الحصول على هذا الكسب ، ولكن من المؤكد أنهم انتصروا على المسلمين وأحرزوا ما أحرزوه من نصر لما كان يقابل حماس المغول ، من ضعف ووهن وتردد بين صفوف المسلمين ، الساسة منهم والمحاربين ، ولما كان يقابل قوة الجيوش المغولية التى أحكم تنظيمها وتجهيزها من ضعف ظاهر بين الجيوش الإسلامية التى كانت خليطاً من قوى لاتجانس بينها . ولم يكن من

المؤكد كذلك أن ينتصر المغول على المسلمين وأن يحرزوا ما أحرزوه من نصر لولا ما كان يعانيه الشرق الإسلامي في ذلك الوقت من انحلال سياسي واضطراب اقتصادي وفوضى اجتماعية .

نشأت الدولة العباسية كما هو معروف نشأة فارسية، إذ انحرف العباسيون عن العنصر العربي إلى العنصر الفارسي، ومن ثم أخذ هذا العنصر يتغلغل تدريجياً في كل ناحية من نواحي الحياة في الدولة حتى تمكن من أن يجمع بيده مقاليد الأمور في عهد الرشيد<sup>(١)</sup> حين استبدت أسرة البرامكة بكل شيء . ولما رأى الرشيد نفسه مدى ما وصل إليه البرامكة من نفوذ وسلطان، انحرف فجأة عن هذه الأسرة فنكل بها كما هو معروف . على أن الخلفاء العباسيين بدلاً من أن يعودوا إلى العنصر العربي، سلموا مقاليد الأمور في دولتهم إلى العنصر التركي، فأخذ هذا العنصر بدوره يمكن لنفسه حتى تفاقم أمره في عهد الخليفة المعتصم<sup>(٢)</sup> الذي ألقى بهؤلاء الأتراك في ميدان السياسة، ولما تفاقم أمرهم في بغداد في عهد المعتصم نفسه، بنى لهم مدينة سامرا سنة ٢٢١هـ (٨٣٦م) وأسكنهم فيها<sup>(٣)</sup> .

ولما استفحل أمر الأتراك في الدولة العباسية، استعان الخلفاء عليهم بالبويهيين الذين استولوا على بغداد سنة ٣٣٤هـ (٩٤٥م)، وكان الخلفاء في ذلك كمن استجار من الرمضاء بالنار. ولا شك أن من يتتبع تاريخ العباسيين في أيام البويهيين يجده عبارة عن سلسلة من المنازعات المستمرة إلا أن نتائجها كانت واحدة، وهي الفوز للبويهيين والذلة للخلفاء . وكان البويهيون يضعون في كرسی الخلافة من يأنسون فيه الضعف ويخلعون عن كرسی الخلافة من يحاول الخروج على طاعتهم، ولم يكتف البويهيون بعزل الخلفاء، بل كانوا يتعقبون المعزولين منهم بالقتل والتعذيب والتشريد .

- (١) الرشيد، أبو جعفر هارون بن المهدي : ١٧٠/١٩٣ هـ (٧٨٦/٨٠٩ م) .
- (٢) المعتصم بالله، أبو اسحق محمد بن الرشيد : ٢١٨/٢٢٧ هـ (٨٣٣/٨٤٢ م) .
- (٣) ابن طباطبا : الفخرى في الآداب السلطانية، ص ٢٠٥ — ٢٠٦ .

ولم يكن حال الخلفاء العباسيين في العصر السلاجوقي (١) أحسن مما كان في عصر البويهيين . فإذا كان البويهيون قد استبدوا بالسلطة وغلوا أيدي الخلفاء ، فإن هذه السلطة قد انتقلت برمتها إلى أيدي السلاجقة الذين فعلوا بالخلفاء ما فعله الأتراك والبويهيون بهم من قبل . وليس أدل على ضعف الخلفاء في هذا العصر من أنهم كانوا يعيشون من وراء ما تدره عليهم إقطاعاتهم المقررة (٢) ، ولم يبق لهم من نفوذ سوى ذكر اسمهم في الخطبة ونقشه على السكة . وقد أثر عن الخليفة المسترشد (٣) أنه قال : فوَضنا أمورنا إلى آل سلاجوق ، فبغوا علينا ، فطال عليهم الأمد ، فقسست قلوبهم ، وكثير منهم فاسقون (٤) . ونلاحظ أيضا أن الخلفاء العباسيين كانوا في عهد السلاجقة وفي عهد كل من الأتراك والبويهيين من قبلهم قد احتجوا في قصورهم عن الناس ، كما ركنوا إلى حياة الدعة ، وليس هناك من شك في أن احتجاج الملوك عن رعيتهم لمن أقوى الأدلة على ضعفهم .

وليس معنى ما تقدم أن الخلفاء العباسيين في العصر السلاجوقي قد ركنوا إلى الذلة والاستكانة ، فالحقيقة أنهم أخذوا منذ أيام الخليفة المسترشد يشورون لسكراتهم منتهزين فرصة ما آل إليه السلاجقة من ضعف وحاولوا جاهدين استعادة سلطانهم . وعلى هذا النحو استمر الخلفاء العباسيون في صراعهم مع السلاجقة حتى زال سلطانهم من العراق سنة ٥٩٠ هـ (١١٩٣ م) بعد مقتل آخر سلاطينهم .

\* \* \*

(١) دخل السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧ هـ (١٠٥٥ م) في عهد طغرل بك بن ميكائيل ، وكان آخر سلاطين السلاجقة في العراق هو طغرل بك بن أرسلان شاه الذي قتل سنة ٥٩٠ هـ (١٠٩٣ م) . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ٥٠ ، وانظر أيضا ص ٤٩ حاشية ٣ .  
(٢) ابن الأثير : تاريخ الدولة الأتابكية — ملوك الموصل ، ص ٩١ — ٩٢ .  
(٣) المسترشد بالله ، أبو منصور الفضل بن المستظهر : ٥٢٩/٥١٢ هـ (١١٣٥/١١١٨ م) .  
(٤) النظامي الروضى السمرقندي : جهار مقاله ، ترجمة الأستاذين عبد الوهاب عزام ويحيى الخشاب ، ص ٣١ .

وتعتبر الفترة الواقعية بين دخول السلاجقة بغداد حتى وفاة السلطان ملكشاه<sup>(١)</sup> فترة تماسك وتساند بين أقاليم الشرق الإسلامي ، إذ استطاع السلاجقة أن يوحّدوا بلاداً وأقاليم لم تكن بالأمس غير أجزاء متناثرة متعادلة ، بصرف النظر عن مركز الخلافة العباسية نفسها ، كما عمد السلاجقة منذ حطوا رحالهم في بغداد إلى أن يشجعوا نهمهم من التوسع في الفتح ، وقد استطاع طغرلبك أن يمد نفوذه على بلاد الجزيرة وأرمينية ، واستطاع خلفه أب أرسلان أن يزيد من هذا النفوذ فامتدت أملاك الدولة السلجوقية إلى بحر مرمرية ، وأخيراً تمكن ملكشاه من أن يخضع سوريا وجورجيا في الغرب وبخارى وسمرقند في الشرق . وهكذا نرى أنه إذا كان للسلاجقة أهمية في التاريخ الإسلامي فهي أنهم تمكنوا من توحيد كلمة المسلمين في أقاليم الشرق الإسلامي ، واستطاعوا بذلك أن يدفعوا البيزنطيين إلى الوراء ، كما أوجدوا جماعة من المحاربين المسلمين كانوا موضع خشية الصليبيين<sup>(٢)</sup> .

على أن هذه القوة الإسلامية المتمازجة ، سرعان ما بدأت في الانهيار بعد وفاة ملكشاه آخر سلطان قوى من سلاطينهم لأسباب متعددة ، فإذا تركنا جانباً الكلام عن الصراع الذي نشب بين أبناء ملكشاه وأحفاده من جانب وبين الخلفاء العباسيين من جانب آخر ، وإذا تركنا جانباً الكلام عن الصراع بين السكتلتين الإسلامية والمسيحية ، إذا تركنا الكلام عن ذلك كله نجد أن هناك عوامل أخرى انبثقت من جوف الدولة وأخذت تعمل على إضعاف القوة السلجوقية نفسها وأهمها ذلك الصراع العنيف الذي قام بين أمراء السلاجقة ، كما نجد طائفة الاسماعيلية<sup>(٣)</sup> التي كان رائدها تكوين صرح قوى على أشلاء القوى الإسلامية المتداعية ، وأخيراً

(١) من سنة ٤٤٧/٤٨٥ هـ (١٠٥٥/١٠٩٢ م) .

(٢) Browne ; A Lit. Hist. of Persia, vol. ii, p. 165

(٣) انظر ص ٥١ حاشية ١ .

نجد كيف أن اتساع النزعة إلى الاستقلال بين دول الأتابكة كان من أهم عوامل ذلك انتفكك<sup>(١)</sup>.

أورث ملكشاه أبناءه دولة موطدة الأركان، كما أورث الشرق الإسلامي أبناءه تغلب على نفوسهم روح الطمع بدلا من أن تسودهم روح التساند والاتحاد، فأعمتهم المصلحة الشخصية وانشقوا على أنفسهم، وقادهم هذا كله إلى حروب وفتن داخلية صرفتهم عن النظر في مصالح تلك الدولة التي استلزمت الكثير من الجهد في تكوينها. فانشق أبناء ملكشاه على أنفسهم في كل من فارس والعراق، وأخذ كل يسعى إلى جمع السلطة في يده، كما برز تنش من بلاد الشام يسعى إلى مد نفوذه إلى ما خلفه أخوه ملكشاه من ملك، وهكذا استمر ذلك الصراع بين أبناء البيت السلجوقي وأدى هذا إلى تفكك القوى الإسلامية وانحلالها، مما ساعد على نجاح القوى الخارجية الطامعة في اغتصاب ما تستطيع اغتصابه.

أما العامل الثاني الذي أودى بكيان الدولة السلجوقية فيرجع كما قلنا إلى طائفة الاسماعيلية. فقد أخذ الفاطميون يروجون للذهب الشيعي في بلاد المشرق منذ أن استتب لهم الأمر في مصر، وكانوا يهدفون من وراء ذلك إلى إضعاف الخلافة العباسية إذا لم يتمكنوا من القضاء عليها. ثم حدث أن انقسم أنصار هذه الدعوة منذ أيام الخليفة المستنصر الفاطمي<sup>(٢)</sup>، وتشيع فريق لابنه نزار، وتشيع فريق آخر لابنه المستعلي، واتخذت الفرقة الأولى من بلاد المشرق مهادا بزعامة الحسن بن الصباح، أما الفرقة الثانية فقد ظل أتباعها في مصر.

وقد استطاع الحسن بن الصباح<sup>(٣)</sup> أن ينتهز فرصة ذلك الشقاق والانحلال الحادث في جوف الشرق الإسلامي ليقوى بمذهبه، ولا يخفى

(١) انظر ص ٥٢ حاشية •

(٢) المستنصر، أبو تميم معد: ٤٢٧/٤٨٧ • (١٠٣٥/١٠٩٤ م).

(٣) ٤٨٣/٥١٨ • (١٠٩٠/١١٢٤ م).

أن السياسة المرسومة لنجاح هذه الطائفة كانت تهدف إلى تقويتها على حساب الانقسام الذي حدث في قلب الدولة سواء أكان ذلك الانقسام دينياً أم عنصرياً . وكانت النتيجة أن أضاف الحسن بن الصباح إلى عوامل اضمحلال الشرق الإسلامي عاملاً جديداً يفوق العوامل التي تحدثنا عنها قوة وعنفاً . ويعتبر السلطان ألب أرسلان (١) السلجوقي مسئولاً إلى حد كبير عن نجاح هذه الدعوة ، إذ أنه تسبب في حجب أخبارهم عن الدولة بعد أن ألغى نظام البريد الذي كان سائداً في الدولة الإسلامية ، فلم يتمكن السلاجقة من استقصاء الأخبار في دولتهم . وكان لمدارس الدعوة الشيعية في القاهرة أكبر الأثر في نجاح الدعوة بفضل ما كانت ترسله من دعاة إلى بلاد فارس ، كما كان اضطهاد العباسيين لهم والتنكيل بمن يقع في يدهم من هؤلاء سبباً في تماسك هذه الفئة وتكاتفها ، شأنها في ذلك شأن كل أقلية مضطهدة . وقد اتخذ الحسن بن الصباح من قلعة الموت مركزاً لدعوته ، ومنها أخذ يرسل دعاة إلى سائر أقاليم الشرق الإسلامي ، كما عمل على الاستيلاء على كثير من القلاع في قوهستان وخوزستان وغيرهما ، مستعملاً اللين تارة والعنف تارة أخرى ، وفضلاً عن ذلك فقد أكثر من بناء القلاع الحصينة فوق الجبال وأصبح يهدد البلاد الإسلامية في غرب آسيا (٢) .

والأمر الذي لا شك فيه أن الحسن بن الصباح كان يهدف إلى إسقاط الخلافة العباسية بطرق القتل والإرهاب وسفك الدماء في كل ناحية من نواحي الشرق الإسلامي مستعيناً في ذلك بجماعة الفدائيين الذين اختارهم من الشبان المتحمسين (٣) ، والذين كانوا لا يترددون في التضحية بأرواحهم في

(١) أرسلان لفظ تركي معناه أسد .

(٢) Bretschneider : Mediæval Researches, vol . i, p. 116

(٣) قسم الحسن بن الصباح أتباعه إلى سبع درجات رئيسية : داعي الدعوة ، كبار الدعاة ، الدعاة ، الرفاق ، اللاصقون ، الفدائيون ، المستجيبون . وكان لكل فئة من هؤلاء مهمتها الخاصة ، كما كان الحسن بن الصباح يعتمد في نجاح دعوته على طبقة الفدائيين . انظر كتابنا : الفرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي ، ص ٧٢ — ٧٤ . وانظر أيضاً Sykes : A History of Persia, p. 55

سبيل الاستجابة إلى ما يؤمرون به ، فنجحوا في أن يوقعوا الرعب في قلوب السكان الآمنين . وقد مهر الفدائيون في فن التخفي واستخدام السلاح ، كما مهروا في اللغات الأجنبية . وكانوا يقتلون المسلمين أيام الجمع في المساجد ، كما كانوا يقتلون الأمراء المسيحيين في الكنائس علناً (١) . ولعله من المهم أن نذكر في هذا المقام أن شر طائفة الإسماعيلية لم يستفحل تماماً إلا بعد وفاة السلطان ملكشاه ، إذ اتهم زعماء الإسماعيلية فرصة ذلك الشقاق الذي دب في جوف الدولة بين أفراد الأسرة السلاجقية ، ثم ذلك الصراع الذي قام بين السلاجقة وبين الخلافة العباسية وأخذوا يعملون لأنفسهم على حساب هؤلاء جميعاً ، ووصل الأمر بالسلاجقة إلى أنهم كانوا يوعزون إلى الإسماعيلية بقتل الخلفاء العباسيين (٢) .

أما ثالث العوامل التي أدت إلى انحلال الدولة السلاجقية وبالتالي إلى ضعف الشرق الإسلامي فكان نظام الأتابكة . فقد أكثر السلاجقة من الأتراك في بلاطهم ، وأسندوا إليهم الوظائف الرئيسية في قصورهم ، فإذا أظهر أحدهم كفاءة خاصة أو صفة ممتازة وصل إلى أعلى المراتب في الجيش وفي البلاط ، أو عهد إليه بحكم إقليم من أقاليم الدولة . وكان السلاجقة كما ذكرت في موضع آخر (٣) يعهدون في تربية أبنائهم إلى المقربين إليهم من الأتراك ، فإذا عين السلطان أحد أبنائه على مدينة من المدن ، ذهب معه هذا التركي ليكون عوناً له في حكم الإقليم الذي أسند إليه .

(١) أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين ، ص ٥٢ . (طبعة R. H. O. C.) وانظر أيضاً Browne: Op. cit., vol.ii, p. 209 .

(٢) ديب الخلاف بين الخليفة المسترشد والسلطان مسعود ، أوعز الأخير إلى الإسماعيلية بقتل الخليفة فقتلوه سنة ٥٢٩ هـ ( ١١٣٤ م ) ، ومثلوا به بأن قطعوا أنفه وأذنيه . ولما حاول الخليفة الراشد أن يثار لقتل أبيه فتلوه أيضاً سنة ٥٣٢ هـ ( ١١٣٧ م ) . انظر الديار بكرى : تاريخ الخميس ، ج ٢ ص ٣٦٢ . وانظر أيضاً ابن الأثير : تاريخ الدولة الأتابكية ، ص ٩٨ . (٣) انظر ص ٥٢ حاشية ٥ .

ولم يكن هناك من خوف على الدولة السلجوقية خاصة والشرق الإسلامي عامة من نظام الأتابكة، ما دام سلاطين السلاجقة من القوة بحيث يستطيعون فرض سيطرتهم ونفوذهم على من تسول له نفسه التفكير في الاستقلال، وما دام في الدولة جيش قوى تسيطر عليه قوة واحدة، ولكن الخوف كل الخوف أن يضعف سلاطين السلاجقة فتضعف دولتهم وينفرد كل حاكم من هؤلاء بحكم ما تحت يده. وعلى هذا الأساس فقد كان طبيعياً أن يستقل الأتابكة بالحكم بعد وفاة السلطان ملكشاه، كما كان طبيعياً أن يتسابق كل إلى توسيع رقعة البلاد التي تحت يده على حساب جاره، ولذلك قام الصراع بين هؤلاء الحكام، في الوقت الذي قام فيه الصراع بين أفراد البيت السلجوقي، وأصبحت أقاليم الشرق الإسلامي على هذا الأساس مفككة الأوصال (١) لا تأتمر بإمرة حاكم واحد، كما كان طبيعياً أن ينتهز النهازون من أعداء الدولة في الخارج هذه الفرصة ليعملوا على اقتطاع ما يستطيعون اقتطاعه من أملاك الدولة الإسلامية.

\*\*\*

كانت الأقاليم الشمالية الشرقية من القارة الآسيوية منذ عصور التاريخ الأولى المنبع الذي انبثقت منه الهجرات القبلية المتعددة إلى أقاليم آسيا المختلفة. وقد زحرت هذه الجهات من القارة الآسيوية بالقبائل الرحل التي كانت دائماً التنقل من مكان إلى آخر حسب ما تلميه عليها ظروفها الاقتصادية بوجه خاص. وعلى الرغم من تعدد القبائل المتنقلة في هذه الجهات، فإن كل قبيلة من القبائل كانت تتكوّن وحدة قائمة بذاتها أساسها وحدة الجنس

(١) الأتابكيات التي ظهرت على مسرح الشرق الإسلامي هي: دمشق، حلب، الجزيرة، الموصل، سنجان، لابل، ديار بكر، أرمينية، أذربيجان، فارس، لورستان، كرمان. انظر كتابنا الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي، ص ٩١ - ١١٤.

وانظر أيضاً كتابي Zambaur: Manuel de Généalogie et de Chronologie. Lane - Poole: The Mohammadan Dynasties.



واللغة (١). وكانت قبائل المغول التي نشأت في الهضبة المعروفة بهضبة منغوليا شمال صحراء جوبي من أهم وأبرز هذه القبائل. على أن هذه القبائل جميعها كانت في جملتها تعيش عيشة بربرية بحتة، وتتوق إلى تعرف كنه الحضارات المجاورة لها، ولا سيما حضارة الصين في الجنوب، ولذلك كانت البلاد الصينية هدفا لغاراتهم بين وقت وآخر، ولم يكن لهم من هدف واضح سوى سلب ما يمكن سلبه من خيرات تلك البلاد. ومن الثابت أن سور الصين القديم كان قد بناه أهل الجنوب دفعا لغارات القبائل الشمالية المتبربرة (٢).

وكانت القبائل المغولية في مستهل القرن السابع الهجري والثالث عشر الميلادي، تعيش في الأقاليم الواقعة بين بحيرة بيكال في الغرب وجبال كينجان على حدود منشوريا في الشرق، وكان انحلالها السياسي واضطرابها الاجتماعي ينذران بضرورة ظهور زعيم قوى يستطيع أن يخضع هذه القبائل جميعها إلى سلطانه. وكان هذا الزعيم هو توجين الذي استطاع بدهائه أن يجمع شمل القبائل المغولية المتفرقة، وأن ينصب نفسه خاقاناً (٣) عليها سنة ٦٠٣ هـ (١٢٠٦ م)، ثم أبدل اسمه باسم جنكيزخان، واختار مدينة قره قورم حاضرة للملكة.

وبعد أن اعتلى جنكيزخان عرش المغول، رسم لنفسه سياسة واضحة تهدف إلى التوسع في الأقاليم الجنوبية بقصد اقتطاع ما يمكن اقتطاعه من البلاد الصينية، والتوسع في الأقاليم الغربية بقصد تعقب بعض القبائل المغولية التي فرت من وجهه وأبت الرضوخ لسلطانه. وبينما هو يستعد لتوسيع ملكه، أخضع شعبه لدستور اجتماعي متين البنيان ودستور حربي لا يقل

Grenard : Gengis—Khan , p. 8 (١)

Little : The Far East, p. 184 (٢)

(٣) انظر مدلول لفظ خاقان في ص ٣٨ حاشية ٤ .

عنه متانة وقوة . وقد نظم هذا كله القانون المعروف باليساق<sup>(١)</sup> . ومع أن قانون اليساق مختصر وبسيط إلا أنه مبني على الحزم والصرامة . وبعد أن اطمأن جنكيزخان إلى استقرار الأمر في داخل دولته ، سار إلى البلاد الشمالية من بلاد الصين وتمسك من إخضاعها ، كما اتجه إلى الانتقام من أعدائه الذين فروا من وجهه تجاه الغرب ، ومن ثم اصطدم بالقوى الإسلامية ولا سيما الدولة الخوارزمية التي كانت قد وصلت إلى أقصى اتساع لها في عهد علاء الدين محمد خوارزم شاه . وقد تمسك جنكيزخان من تخريب أقاليم هذه الدولة والتنكيل بسطانها وجيوشها وسكانها في مسدة لآتزيد على أربع سنوات ، إذ بلغ حدودها سنة ٦١٦ هـ (١٢١٩ م) وشرع في العودة إلى منغوليا سنة ٦٢٠ هـ (١٢٢٣ م) .

وكان غزو جنكيزخان للشرق الإسلامي عنيفاً كل العنف ، فقد خرب بجيوشه كل مصادفه في البلاد التي وطئتها أقدامه ، ونكل بالمسلمين وتفنن في تعذيبهم بشق الوسائل والأساليب حتى كان الغزو والمغولي موضع حديث المؤرخين المسلمين ، المعاصرين منهم وغير المعاصرين ، كما تم كتاباتهم عما كان يعانيه المسلمون في ذلك الوقت من آلام . وقد صور ابن الأثير حال المسلمين في ذلك الوقت أدق تصوير ، وكاد يقلع ، من جسامسة الخطب ، عن السكتابة في هذا الموضوع<sup>(٢)</sup> .

(١) من أهم أحكام اليساق قتل الزاني ، وقتل التاجر الذي يخسر في بضاعته بعد المرة الثالثة ، وقتل من يأوى أسرى الحرب دون إذن ، ومن يقصر في معاونة زميله أثناء الحرب ، كما نص هذا القانون أيضا على احترام الفقراء والعلماء ورجال الدين على اختلاف أديانهم ، وساوى بين جميع أفراد الشعب ، وحرم عليهم منح الألقاب ، كما نظم الجيش والبريد ... الخ انظر المقرئى : الخطط ، ج ٢ ص ٢٢٠ — ٢٣١ .

(٢) عبر ابن الأثير عن حوادث الغزو المغولى بقوله : لقد بقيت عدة سنين معرضا عن ذكر هذه الحادثة استعظاما لها ، كارها لذكرها ، فأنا أقدم رجلا وأؤخر أخرى ، فن الذى يسهل عليه أن يكتب نعى الاسلام والمسلمين ، ومن الذى يهون عليه ذكر ذلك ، فيا ليت أئى لم تلدن وياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا . إلا أنى حثنى جماعة من الأصدقاء على تسطيرها وأنا متوقف ، ثم رأيت أن ترك ذلك لا يجدى نفعا ... هذا الفعل يتضمن ذكر الحادثة العظمى =

ولم تخل كتابات السيوطي عن الغزو المغولي من التعليق بعبارة لا تفتقر في معانيها عن تلك التي قصدها ابن الأثير<sup>(١)</sup>. كذلك لم تخل كتابات المؤرخين والكتاب الأوربيين الذين عالجوا موضوع الغزو المغولي من التعليق على حوادث الغزو، ففري سيكس Sykes<sup>(٢)</sup> يرجع حب المغول للتخريب إلى طبيعتهم البدائية، بحيث أنهم كانوا إذا احتكوا ببلد من البلدان المتحضرة يندفعون إلى تدمير ما يجدونه فيه من مظاهر الحضارة والمدنية بسبب خوفهم منها، ومن ذلك أنهم عندما احتكوا ببلاد الصين ولمسوا طرفاً من حضارتها، هاجموا وأحرقوا مدنها وقراها ونكلوا بالرجال والنساء والأطفال، بحيث لم يتركوا وراءهم بعد انتهاء فترة الغزو إلا بلدانا مخربة مكتظة بجثث القتلى، وما حدث في بلاد الصين حدث أيضاً في المدن الإسلامية. كذلك نرى الكاتب هارولد لام Harold Lamb<sup>(٣)</sup> يشبه قوة المغول البدائية بالريح العاصفة والزلازل العالمي، إذ استطاعوا أن يصلوا إلى حدود آسيا الشرقية والغربية، وأن يعبروا السفوح الوعرة بعقل لا يفترق عن عقل الحيوان الذي لا يكتثرت لتعذيب البشر، أشده لكل جديد براق والذي يندفع اندفاع الأطفال الذين لا يدركون معنى المسؤولية.

بهذه الروح البربرية الغاشمة، سار جنكيزخان لغزو البلاد الإسلامية

= والمصيبة الكبرى . . . فلو قال قائل إن العالم مذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم إلى الآن لم يبتلوا بمثلمها لكان صادقا، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها . . . وهؤلاء لم يبقوا على أحد، بل قتلوا النساء والرجال والأطفال وشقوا بطون الحوامل، وقتلوا الأجنة، فإننا لله وإنا لله راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، لهذه الحادثة استطار بشرها وعم ضررها، وسارت في البلاد كالسحاب استدبرته الريح. انظر ابن الأثير: السكامل، ج ١٢ ص ١٦٤ - ١٦٥.

(١) قال السيوطي عن غزو جنكيزخان للشرق الإسلامي ما يلي: هو حديث يأكل الأحاديث، وخبر يطوى الأخبار، وتاريخ ينسى التواريخ، ونازلة تصغر كل نازلة، وفادحة تطبق الأرض وتملؤها ما بين الطول والعرض. انظر السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٣١٠.

(٢) Sykes: Op. cit., pp. 55-56.

(٣) Harold Lamb: The Crusades, p. 337.

سنة ٦١٦ هـ (١٢١٩ م) ومن الخطأ أن نعتقد أنه صار إلى هذه البلاد على غير خطة رسمها لنفسه ، بل الواقع أن خططه ونظمه الحربية كانت من الأمور التي تسترعى نظر الباحثين . فقد أجهز أولا على كل بلاد ماوراءالنهر ثم وزع أمر الاستيلاء على أقاليم الدولة الخوارزمية المختلفة بين أبنائه وقواده . فبينما توجه جيش إلى إقليم خوارزم ، توجه جيش آخر إلى خراسان ، وتوجهت فرقة ثالثة إلى أقاليم العراق العجمي وأذربيجان وجورجيا ، وفي الوقت نفسه كان جنكيزخان يتم إذلال المدن الواقعة في أعلى نهرى سيحون وجيحون ويمهد للاستيلاء على إقليم غزنة .

ركز جنكيزخان جهوده في بادىء الأمر في الاستيلاء على إقليم ماوراءالنهر ورأى أن يأتي على هذا الإقليم دفعة واحدة ، فانقض عليه من جهات أربع ، وخصص لكل جهة فرقة معينة عهد بقيادتها إلى أبنائه وقواده أو اشترك فيها بنفسه<sup>(١)</sup> . وهكذا تمكن جنكيزخان من الإجهاز على إقليم ماوراءالنهر برمته دفعة واحدة وهو الإقليم الذي اتخذ الخوارزميون مركزاً للدفاع عن دولتهم وركزوا فيه كل جيوشهم وجهودهم ، وبسقوطه لم يعد هناك حائل بين المغول وبين الاستيلاء على الأقاليم الباقية من الدولة الخوارزمية .

وبينما كان المغول يكتمسحون إقليم ماوراءالنهر كان علاء الدين محمد خوارزم شاه قد صمم على الابتعاد عن مسرح الحرب والسياسة معا بعد

(١) كانت أولى هذه الفرق تحت قيادة ابنه جغتاي Tchagatai وأجتاي Ogotai وقد توجهت إلى مدينة أترار مفتاح إقليم ماوراءالنهر . أما الفرقة الثانية فكانت تحت قيادة ابنه الأكبر جوجى Djoutchi وتوجهت إلى مدينة جند على نهر سيحون . أما الفرقة الثالثة فقد توجهت إلى مدينتى بنسكت وخجندة وهما من أهم المنافذ الواقعة على نهر سيحون أيضا . وقد سار جنكيزخان نفسه ومعه ابنه تولوى Toulou إلى مدينتى بخارى وسمرقند أهم وأكبر مدن ماوراءالنهر .

انظر خريطة الدولة الخوارزمية في أقصى ، اتساعها ، وراجع كتاب D'ohsson : Histoire Des Mongols, t. I, pp. 217 - 219.

أن تسرب اليأس إلى نفسه وعول على الفرار من وجه المغول إلى الأقاليم الغربية من الدولة الخوارزمية ، ولم يشأ جنسكينخان أن يترك السلطان الخوارزمي الهارب وشأنه ، فأرسل في إثره فرقتين تتكون كل منهما من ألف مغولي ويقودهما اثنتان من أمهر قواده<sup>(١)</sup> ، أخذتا يطاردان السلطان الخوارزمي وهو ينتقل من بلد إلى آخر حتى وصل آخر الأمر إلى إقليم مازندران في جنوبي بحر قزوين ، ثم التجأ إلى إحدى جزره ، ولم يستطع المغول أن يلحقوا به . وأخيراً مات السلطان الخوارزمي في هذه الجزيرة بعد شهر من وصوله إليها ، أي سنة ٦١٧ هـ ( ١٢٢٠ / ١٢٢١ م ) . وكان المغول في هذه الفترة يستولون على كل ما يصل إلى أيديهم في أقاليم مازندران والعراق العجمي ويعملون النهب والتخريب والقتل والسبي في كل مكان يحلون فيه<sup>(٢)</sup> ، كما عملوا بعد ذلك على الاستيلاء على أذربيجان وأران وجورجيا وخرابو مدنها ، وحملوا ما يستطيعون حمله من خيراتها ، وعبروا المنطقة الواقعة بين بحر قزوين والبحر الأسود إلى بلاد القفجاق وروسيا وأوصلوا الرعب إلى قلب أوربا<sup>(٣)</sup> .

وقد اتبع المغول طريقة عنيفة في الإجهاز على كل المدن الخوارزمية الأخرى سواء أكان ذلك في إقليم خوارزم نفسه الذي استولوا على حاضرتة خوارزم بقيادة جوجي وجفتاي وأجتاي من أبناء جنسكينخان ، أم في خراسان الذي استولوا على أمهات مدنه وهي مرو ونيسابور وهراة وغيرها بقيادة تولوي بن جنسكينخان أيضاً ، أم في المدن الواقعة في أعالي نهر جيحون وإقليم غزنة الذي قاد فيه جنسكينخان الجيوش المغولية بنفسه<sup>(٤)</sup> ، ولسنا هنا في معرض سرد حوادث استيلاء المغول على هذه المدن

(١) هاشي Tchébé وسوبوتاي Souboutai

(٢) ابن الأثير : السكامل ، ج ١٢ ص ١٧٠ و 288 ، Bretschneider: Op. cit., vol. i, p. 288

(٣) D'ohsson : Op. cit., t. i, pp. 331 - 334

(٤) راجع كتابنا : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ١٣٦ - ١٦٤ .

الخوارزمية ، ولكن من المهم أن نذكر أن المغول اتبعوا سياسة واحدة نحو هذه المدن جميعاً ، وسياسة واحدة نحو سكانها أجمعين ، وترى هذه السياسة إلى تخريب هذه المدن تماماً وتركها أطلالاً لا تجد من يبكيها . وأما سكانها فكان المغول لا يبقون منهم إلا على أصحاب الحرف والمهن ممن يلبسون فيهم بعض النفع ، سواء في الاستيلاء على مدن إسلامية جديدة أم في استخدامهم في مآرب أخرى في بلادهم الأصلية في شرق آسيا . وكانت خاتمة انتصارات جنكيزخان في إقليم غزنة حيث حول جلال الدين منكبرتي<sup>(١)</sup> على مقاومة المغول والثأر لأبيه . وعلى الرغم مما كان يسود إقليم غزنة من فتن وفتن وفتن بسبب تباين سكانها المختلفي الأجناس وتنازع القواد الخوارزميين فيما بينهم وكثرة الطامعين في حكم هذا الإقليم ، على الرغم من ذلك كله فقد استطاع جلال الدين منكبرتي أن يجمع جيشاً كبيراً سار به عام ٦١٨ هـ ( ١٢٢١ م ) لملاقاة المغول في سهول بيروان في الشمال الشرقي من مدينة غزنة حيث تمكن جلال الدين من أن ينتصر على المغول انتصاراً مؤقتاً ، إذ سرعان ما انقسم الجيش الخوارزمي على نفسه ، ووجد جلال الدين أنه لم يعد في استطاعته أن يواجه جنكيزخان الذي صمم على الانتقام من الخوارزميين ، لذلك رأى أن ينسحب إلى السهل الواقع غرب نهر السند وفي غز مه أن يعبر هذا النهر إلى بلاد الهند لعله يجد هناك ملجأً أميناً يدفع عنه خطر المغول . وقبل أن يتمكن جلال الدين من تنفيذ خطته ، استطاع جنكيزخان أن يوقع به هزيمة منكرة . على أنه تمكن من النتيجة

(١) كتب بعض المستشرقين هذا الاسم خطأ « منكبرتي » ومن هؤلاء هاسر بورجستال Hammer Purgstall ، وادوارد براون Edward Browne . أما لفظ « منكبرتي » فنعناه به السماء أو مبعوث السماء Heaven sent . انظر Vambery : History of Bokhara , p. 134, note 2 . ولعل هذا الخطأ الذي وقع فيه بعض المستشرقين يرجع ، كما يفهم مما قاله هوداس في مقدمة الطبعة الفرنسية ، إلى أن هذا الاسم كان مكتوباً « منكبرتي » في النسخة الخطية المحفوظة بالمكتبة الأهلية بباريس والتي رجح إليها هوداس . بل من المحتمل أن يكون هذا قد ورد في النسخة الخطية الأصلية غير منقوطة على الإطلاق .

بنفسه إلى بلاد الهند حيث تجمع حوله أربعة آلاف جندي خوارزمي من استطاعوا النجاة إلى بلاد الهند .

\* \* \*

كان هدف الخوارزميين الأول بعد أن عبروا نهر السند إلى بلاد الهند أن يبحثوا لهم عن مأوى أمين يلجئون إليه بعد تلك الحرب التي عانوا ما عانوه من أهوالها ، وقد عاشوا فترة من الوقت مستعنين بما استطاعوا أن ينهبوه من البلاد التي حطوا رحالهم فيها . وكان جلال الدين منكبرتي في هذه الفترة أيضا دائم التنقل من مدينة إلى أخرى ، وكثيراً ما كان يظهر بمظهر الكسير الدليل من هول ما أصاب دولته عامة ، وأصابه هو خاصة بعد موقعة السند .

أما عن المغول في هذه الفترة فكانوا يعيشون فساداً في إقليم غزنة وينعمون بشمرة انتصاراتهم ، متعمدين أن يذيقوا من بقى من الخوارزميين صنوفاً مختلفة من العذاب . وأخيراً بعد أن اطمأن جنكيزخان إلى أنه قد وضع يده على أقاليم الدولة الخوارزمية جميعها ، وشرّد وقتل أفراد الأسرة الخوارزمية أجمعين ، بعد ذلك كله شرع في العودة إلى منغوليا في ربيع عام ٦٢٠ هـ (١٢٢٣ م) .

وما أن رحل جنكيزخان إلى بلاده ، وابتعد الخطر المغولي عن أقاليم الشرق الإسلامي ، حتى عبر جلال الدين منكبرتي إلى الضفة الغربية من نهر السند سنة ٦٢٢ هـ (١٢٢٥ م) في طريقه إلى بلاده ، مغذاً السير إلى الأقاليم الغربية من الدولة الخوارزمية ، مخترقاً ذلك الإقليم الساحلي المجذب في جنوب الدولة الخوارزمية ، ذلك الطريق الذي سلكه الاسكندر الأكبر من قبل ، وكان من نتيجة ذلك أن فقد عدداً كبيراً من رجاله الذين ماتوا من شدة الجوع والعطش وبسبب انتشار الأمراض بينهم (١) .

D'ohsson : Op. cit., t. iii, p. 5 (١)

وقد استطاع جلال الدين بعد أن وصل إلى بلاده أن ينتزع السلطة من أخيه غياث الدين ، الذي اتمز فرصة فرار جلال الدين إلى بلاد الهند وأخذ يعمل لنفسه ، كما استطاع جلال الدين أن يبسط نفوذه على أقاليم خوارزم وغزنة وكرمان وفارس وخراسان ومازندران وغيرها ، ثم ركز جهوده بعد ذلك في توسيع نفوذه على حساب القوى المتعددة القائمة في ذلك الوقت ، وفي أن ينتقم من أعدائه القدامى الذين لم يناصروا أباه إبان الغزو المغولي ، وكانت الخلافة العباسية في طليعة من اتجه إليهم ، وإن كان الحظ لم يحالفه عندما حاول الاستيلاء على أملاكها سنة ٦٢٢ هـ (١٢٢٥ م) (١) ، ثم ساد السلام بين جلال الدين وبين الخلافة في عهد الخليفة المستنصر العباسي (٢) ، وذلك بعد أن قبل جلال الدين ما عرضه عليه الخليفة عام ٦٢٦ هـ (١٢٢٩ م) من عدم الاعتماد على الأمراء المسلمين من المقربين إليه ومنهم أمير الموصل وإربل . وإقامة الخطبة له على منابر سائر بلاد الدولة الخوارزمية .

وثمة ناحية أخرى اتجه إليها جلال الدين بعد أن تربع على عرش أبيه ألا وهي توسيع نفوذه على حساب القوى في شمال الدولة الخوارزمية ، ومن أهمها أذربيجان وجورجيا . وقد اتجه فعلاً لتحقيق هذا الهدف سنة ٦٢٢ هـ (١٢٢٥ م) . وكانت الحالة الداخلية في أذربيجان خير معوان للخوارزميين على السيطرة على هذا الإقليم . فإذا تركنا جانباً ما كان يعانيه هذا الإقليم من فوضى واضطراب ، نجد أن الأتابك أوزبك بن بهلوان حاكم هذا الإقليم كان رجلاً مسناً ، منصرفاً إلى مجالس اللهو ، تاركاً مقاليد الأمور في دولته إلى زوجته لتصرف ما تستطيع تصريفه منها على قدر استطاعتها . وقد أدى هذا وغيره إلى سرعة سيطرة جلال الدين على إقليم أذربيجان بعد استيلائه على مدينة تبريز (٣) .

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ١٩٥ .

(٢) ٦٢٣/٦٤٠ هـ (١٢٢٦/١٢٤٣ م) .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ١٩٨ — ١٩٩ .



وبعد أن أتم جلال الدين إخضاع أذربيجان توجه إلى الإجهاز على جورجيا ، وقد صمم منذ البداية على الإجهاز على هذا الاقليم والثأر من أهله الذين كان أكثرهم من المسيحيين ، وذلك عن طريق التخريب والقتل والسبي ، نظر آ لما لاقاه المسلمون من التعذيب والتشريد ، منتهزين فرصة تلك المحن التي حلت بالشرق الاسلامي إبان الغزو المغولي . وقد تمكن جلال الدين فعلا من الانتصار على جيش جورجيا الذي كان أكثره من الجنود المرتزقة ، كما تمكن من الاستيلاء على مدينة تفليس حاضرة هذا الاقليم في الثامن من ربيع الأول سنة ٦١٣ هـ ( ٩ مارس سنة ١٢٢٦ م ) ، وقد ترك جلال الدين لجنوده العنان بعد أن استولى على هذه المدينة ، فأصبحت مرتعا للسلب والنهب ، كما أصبح سكانها هدفاً للقتل والتشريد ، ولم يعف من هذا وذاك إلا من اعتنق الاسلام ، وبذلك طبع الاقليم بالطابع الاسلامي إلى حين . (١) .

وهناك ناحية أخرى اتجهت إليها سياسة جلال الدين بعد أن تربع على عرش الدولة الخوارزمية ألا وهي طائفة الاسماعيلية ، فقد أثارت هذه الطائفة كثير آ من المتاعب والصعاب في وجه الدولة الخوارزمية ، وكانت دون شك شوكة في ظهر سلاطينهم . وإذا كانت هذه الطائفة قد أخذت تعيث في البلاد فسادآ ، منتهزة فرصة تلك الفوضى التي حلت بأقاليم الشرق الاسلامي عقب الغزو المغولي ، فإنها بدأت تنكش في قلاعها بعد عودة جلال الدين من الهند ، بل أخذت تتقرب إليه منذ سنة ٦٢٤ هـ ( ١٢٢٧ م ) بعد أن وجه ضربة حاسمة إلى قلاعها في خراسان وغيرها (٢) على أنه لم يكن من المعقول أن تعتمد طائفة الاسماعيلية إلى الاستكانة نهائياً

Defremery : Fragments de Geographes et d'Historiens Arabes et (١)  
Persans Inédits, pp. 486 — 487 . ( J.A., Nov.— Déc., 1849 )

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ٢١٧ .

بل الواقع أنها أخذت تعمل جاهدة على أن تولب أعداء الخوارزميين عليهم،  
ومن الثابت أن المغول كانوا في مقدمة من استمحلهم قادة الاسماعيلية على  
إعادة غزو هذه الدولة (١) .

وكانت أول حرب مغولية منظمة وجهها المغول إلى أقاليم الدولة  
الخوارزمية في عهد جلال الدين منكبرتي ، تلك التي حدثت في عهد أجتاي  
Ogotai بن جنكيزخان (٢) سنة ٦٢٨ هـ (١٢٣١ م) حينما وجه هذا الخاقان  
جيشاً كبيراً إلى الدولة الخوارزمية يتكون من ثلاثين ألف مقاتل أسسند  
قيادته إلى اثنين من أشهر قواده (٣) . ولم يهتم المغول في هذه الفترة بشيء  
سوى مطاردة جلال الدين محاولين القبض عليه ، حتى إذا ماتم لهم ذلك  
اطمأنوا إلى إخضاع دولته في سهولة ويسر ، ولذلك نجد تنقلات المغول  
في البلاد الإسلامية مقيدة تماماً بتنقلات جلال الدين ، وأخيراً استطاع  
المغول أن يوقعوا الهزيمة بالسلطان الخوارزمي الهارب بالقرب من مدينة  
آمد في أعالي نهر دجلة ، وقتلوا عدداً كبيراً من رجاله وأسروا عدداً آخر ،  
أما الذين لم يقتلوا ولم يؤسروا ، فقد تفرقوا في البلاد الإسلامية . وقد لجأ  
جلال الدين نفسه إلى جبال كردستان حيث قتله أحد الأكراد في منتصف

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ٢٣٠ .

(٢) أجتاي : ٦٢٦/٦٣٩ هـ (١٢٢٩/١٢٤١ م) .

(٣) انظر ص ٣٣٥ ، حاشية ١ . ومما هو جدير بالذكر أن هذه الحرب لم تكن أول  
حرب شنها المغول على أقاليم الدولة الخوارزمية منذ وفاة جنكيزخان ، بل الواقع أن المغول  
كانوا يوجهون من وقت لآخر جماعات منهم تخرج إلى البلاد الإسلامية في حرب أشبه  
ما تكون بحرب العصابات . ففي سنة ٦٢٤ هـ (١٢٢٧ م) وهي السنة التي توفي  
فيها جنكيزخان ، توغلت بعض فصائلهم في البلاد الإسلامية حتى أصبحت على مقربة من مدينة  
الري ، ولم تكن هذه الجماعة على شيء من القوة أو النظام فتمكن جلال الدين من القضاء  
عليها . وفي العام التالي توجهت قوة مغولية أخرى إلى البلاد الإسلامية ووصلت حتى مدينة  
اصفهان . وعلى الرغم من أن المغول استطاعوا في هذه المرة أن يوقعوا الهزيمة بالسلطان الخوارزمي  
فإنهم عادوا مسرعين إلى بلاد ما وراء النهر . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ٢١٧ .

وانظر أيضاً D'ohsson : Op. cit. , t. iii, p. 27

شوال سنة ٥٦٢٨ (١٥ أغسطس سنة ١٢٣١ م). وهكذا كانت خاتمة آخر سلطان خوارزمي ، وهكذا أيضاً وضع المغول أيديهم على أقاليم الدولة الخوارزمية ، ولم يعد هناك من حائل يحول بينهم وبين غزو بغداد .

\* \* \*

عالج تاريخ الغزو المغولي للبلاد الإسلامية عدد غير قليل من المؤرخين المسلمين وغير المسلمين ، منهم المعاصر ، ومنهم من كتب عن هذه الحقبة التاريخية بعد فوات حوادث الغزو وبفترات طويلة أو قصيرة ، ولكل أهميته ، ولكل قيمته التاريخية ، وإن اختلفت وجهات نظر بعضهم عن البعض الآخر تبعاً لاختلاف أجناسهم وميولهم السياسية والدينية . كتب عن المغول والخوارزميين مؤرخون صينيون ، وكتب عنهم مؤرخون من الفرس ، وكتب عنهم مؤرخون من الترك ، وكتب عنهم كذلك مؤرخون من العرب . فمن الصينيين الذين تصدوا لتاريخ المغول في الفترة التي نتحدث

« بي لوشو تساي » Ye-lü Ch'ü ts'ai وزير جنكيزخان ورفيقه في حملته على غرب آسيا ، فقد دوّن كتاباً وصف فيه البلاد التي اخترقتها الجيوش المغولية وصفاً أقل ما يقال عنه لأنه وصف شاهد عيان<sup>(١)</sup> . ومن الكتاب الصينيين كذلك شانج شون Ch'ang Ch'un ذلك الأسقف الذي صحب جنكيزخان في بلاد الشرق الإسلامي ، وقد دوّن أحد تلاميذه الذين كانوا في رفقته مذكرات عن هذه الرحلة ، يرجح أنه هو الذي أوعز بكتابتها<sup>(٢)</sup> . والمهم أن هذه المذكرات قد احتوت وصفاً للبلاد والمسند التي مر بها في رحلته قبل الغزو المغولي وبعده .

(١) يعرف الكتاب الذي خلفه بي لوشو تساي باسم « سي يو لو Si Yu Lu » أي . Account of a Journey to the West  
(٢) تعرف هذه المذكرات باسم « سي يو كي Si Yu Ki » أي Travels to the West of K'iu Ch'ang Ch'un . وأما تلميذه الذي كتبها فيسمى « لي شي شانج Li Chi Ch'ang »

ومن أبرز المؤرخين الذين كتبوا بالفارسية عن حوادث الغزو المغولي ،  
 علاء الدين عطا ملك الجويني ، وفضل الله رشيد الدين . أما الجويني (١)  
 فكان سليل أسرة فارسية عريقة ، استعان المغول بها في حكم فارس بعد  
 غزوات جنكيزخان . وفضلا عن ذلك فقد كان موضعاً لشقة هولاء ،  
 فولاه حكم العراق العربي ، وظل في هذا المنصب طيلة عهده وعهد ابنه  
 أباقا خان . والجويني الذي يؤرخ للمغول في كتابه « جهانگشا » منذ أثاروا  
 على البلاد الإسلامية حتى عصر منكوخان يعتبر حجة فيما كتب ، ولن تكون  
 هناك كتابة أحق بالاعتبار ، والحذر في نفس الوقت ، من تلك التي يكتبها  
 رجل يعيش في كنف من يؤرخ لهم . أما فضل الله رشيد الدين (٢) فقد عاش  
 في فارس وخدم أسرة إيلخانات ووزر لكل من غازان وأولجايتو . ويسد  
 كتابه « جامع التواريخ » ما نقص من كتاب الجويني .

وهناك مرجع آخر من المراجع التي عالجت تاريخ المغول ترجع أهميته  
 إلى أن مؤلفه من سلالة خانان المغول أنفسهم ، ألا وهو كتاب « شجرة  
 تركي » ، كتبه باللغة الجغتائية أبو الغازي بهادرخان أمير خيوة وأحد أحفاد  
 جوجي بن جنكيزخان . ويؤرخ هذا الكتاب للأتراك والمغول منذ نشأتهم  
 حتى القرن الحادي عشر الهجري ، السابع عشر الميلادي ، (٣) . ولنا في حاجة  
 إلى تبيان أهمية هذا الكتاب من وجهة النظر التاريخية البحتة ، وخاصة وأن  
 مؤلفه يؤرخ لقومه وعشيرته . وعلى الرغم مما يذكره مؤلف الكتاب من أن

(١) توفي الجويني سنة ٦٨١ هـ (١٢٨٣ م) ، على أن كتابه المعروف باسم جهانگشا  
 ينتهي عند سنة ٦٥٥ هـ (١٢٥٨ م) . وقد أتم هذا الكتاب عبد الله بن فضل الله المعروف  
 بوصف الحضرة ، فتكلم عن تاريخ المغول حتى سنة ٧٢٨ هـ (١٣٢٧ م) .

(٢) ولد رشيد الدين في مدينة همدان سنة ٦٤٥ هـ (١٢٤٧ م) وقتل بأسر من أبي سعيد  
 إيلخان المغول في فارس سنة ٧١٧ هـ (١٣١٨ م) . وقد كتب عن تاريخ المغول حتى وفاة غازان .

(٣) نقل هذا الكتاب إلى الفرنسية M. Varenne de Mondesse وسماه باسم Histoire

هدفه لم يكن تمجيد أسلافه ، إلا أن الباحث يجب أن يقف موقف الحذر مما كتب .

وهناك فريق رابع من المؤرخين هو فريق المؤرخين المسلمين الذين عاصروا حوادث الغزو ، وقد دون هؤلاء ما وقع تحت حسيبهم وبصرهم ، وما أحس به المسلمون من آلام في ذلك الوقت وفي مقدمة هؤلاء جميعاً اثنان ، ابن الأثير والنسوى . أما ابن الأثير فقد عاصر حوادث الغزو المغولى الأول بقيادة جنكيز خان الذى بدأت حوادثه سنة ٦١٦هـ (١٢١٩ م) ، واستمرت حتى سنة ٦٢٠هـ (١٢٢٣ م) ، فأرخ في كتابه «الكامل في التاريخ» للمسلمين في هذه الفترة والفترة التى تلتها حتى سنة ٦٢٨هـ (١٢٣٠ م)<sup>(١)</sup> . وليس هناك من شك في أن ابن الأثير ، رغم اختلافه بعض الشيء مع ما كتبه النسوى ، يعتبر حجة فيما دون عن حوادث الغزو .

أما النسوى مؤلف كتاب «سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى» الذى تقدم له ، فيتضح مما كتبه عن نفسه أنه ولد ونشأ بقلعة خرنندز<sup>(٢)</sup> ، وهى قلعة من قلاع خراسان المنبثقة وعلى مقربة من مدينة «نسا» التى انتسب إليها محمد النسوى<sup>(٣)</sup> . ويتضح مما كتبه عن نفسه أيضاً أنه التحق بخدمة جلال الدين منكبرتى بعد أن عاد إلى بلاده من منفاه في بلاد الهند ، فعهد إليه فيما عهد بوظيفة كاتب الإنشاء فتقلدها كارهاً في بادىء الأمر ، ثم تعلق بها بعد أن عم عليه نفعها وصار يقاوم ، على حد تعبيره ، من يزاومه عليها<sup>(٤)</sup> . ولعل أخطر المناصب التى تولاها كان منصب الوزارة في مدينة «نسا» ، وقد شرط عليه السلطان عندما قلده هذه الوظيفة أن يبقى إلى جانبه وأن

(١) ينتهى كتاب ابن الأثير عند سرد حوادث سنة ٦٢٨ هـ ، أى إلى ما قبل وفاته بسنتين .

(٢) انظر ص ٧٩ ، وانظر الحاشية ١ بوجه خاص .

(٣) انظر ص ٣٣ حاشية ٣ .

(٤) انظر ص ١٩٤ — ١٩٥ . والراجع أن النسوى قد تقلد هذه الوظيفة سنة ٦٢٢ هـ

(١٢٢٥ م) .

ينيب عنه فيها أحد ثقاته (١) . وليس هناك من شك في أن ذلك إن دل على شيء فإنما يدل على مبلغ ما كان يتمتع به النسوى من ثقة لدى جلال الدين . ومن الأمور الهامة التي تستحق التسجيل عند سرد حياة النسوى أنه كان رسول هذا السلطان في كثير من سفاراته إلى حكام المسلمين ، ومن أبرزها تلك التي بُعثت فيها إلى دعاة الاسماعيلية في ألموت بوجه خاص (٢) .

من هذا كله يتضح لنا كيف أن النسوى كان ملازماً لجلال الدين منكبركى ، قضى معه الشطر الأكبر من حكمه ، واستمر ملازماً له حتى آخر أيامه ، وكان موضعاً لثقتهم ، يشاوره في كل أمر ، ويعهد إليه بكل ما هو خطير من أمور دولته . ولنا بعد ذلك كله أن نحكم على أهمية ما كتبه النسوى عن حياة ذلك السلطان الذى أرخ له ، ومن حيث تعرف مجريات الحوادث التاريخية وأخذها عن مصادرها الأولى . وإذا كان الحذر لا بد أن يكون رائدنا ، كما سبق القول ، إذا ما اعتمدنا على مرجع لمؤلف معاصر عاش في كنف من أرخ لهم ، فإن هذا الحذر لا بد أن يقل إذا ما علمنا أن النسوى قد كتب هذا الكتاب الذى أرخ فيه لجلال الدين منكبركى بعد وفاة هذا السلطان بعشر سنين ، مما يجعلنا نظمن إلى أنه لم يكن تحت تأثير معين وهو يكتب عنه ، وإن كان هذا لا ينفى أن كتاباته تحمل في طياتها ، وبطريقة غير شعورية ، كل معاني الولاء لذلك السلطان الذى أظله برعايته طيلة فترة حكمه على وجه التقريب .

نستطيع أن نخرج من قراءة هذا الكتاب الذى نحن بصدده أن مؤلفه لم يكن من الكتاب البارزين في عصره رغم أنه تولى كتابة الإنشاء في عهد جلال الدين . ولم يكن النسوى يقصد أن يتواضع حقاً عندما كتبنا نجده يعترف على نفسه بأنه ليس من مؤرخي العصر البارزين أو من كتابه

(١) انظر ص ٢٥١ — ٢٥٢ .

(٢) انظر ص ٣٣٦ — ٣٣٨ ، ص ٣٣٩ — ٣٤٤ .

المبرزين<sup>(١)</sup> ، فالأمر الذي لاشك فيه أن أسلوبه في الكتابة متواضع حقاً ، تغلب عليه الصنعة ، ويغلب عليه التصنع أيضاً ، واستبدت بالنسوى طريقة الإكثار من المحسنات البديعية والصور البيانية ، وصار يهتم برصف الألفاظ جرياً وراء سجع متكلف متعمد ، وبطريقة طمست معها معالم الحقائق التاريخية في كثير من الأحيان . وإذا آمنا بما يسميه علماء النفس بمركب النقص ، فلا بد أن نعترف أن مركب النقص هذا بالنسبة إلى النسوى واضح ظاهر ، إذ يتضح مما كتبه عن نفسه ومما يفهم من سياق كلامه أنه كان يجيد اللغتين التركية والفارسية<sup>(٢)</sup> ، أما اللغة العربية فكانت قدرته فيها تلي قدرته في هاتين اللغتين دون شك ، ومن أجل هذا كان النسوى يتكلف في الكتابة بحثاً عن المحسنات البديعية والبيانية ، وبحثاً عن الأمثال العريضة والآيات القرآنية ليقحمها في كتاباته إقحاماً ، فيسد بذلك كله وبطريقة غير شعورية ما يحس به من نقص في أصول اللغة العربية ، على أن ذلك لم يقده إلا إلى طبع أسلوبه بطابع الغموض ، كما أن ذلك لم يعفه من الوقوع في أخطاء لغوية ونحوية في كثير من الأحيان .

ونلاحظ أن النسوى لم يقتصر في كتابه هذا الذي نحن بصددده على سرد تاريخ حياة السلطان جلال الدين منكبرتي ، بل استهل كتابه بسرد حوادث المغول في وطنهم الأول ، وتتبعهم إلى أن حطوا رحلهم على حدود الشرق الاسلامي ، ثم تكلم عن الدولة الخوارزمية في عهد علاء الدين محمد خوارزم شاه<sup>(٣)</sup> وعن صراعه مع القوى المغولية إلى أن انتهى الأمر بسقوطه وسقوط دولته ، ثم بدأ النسوى يفصل الحديث فيما يتفق وهدفه الأساسي ألا وهو الكلام عن الدولة الخوارزمية في عهد آخر سلاطينها جلال الدين منكبرتي . ولم يشأ النسوى أن يتعمق في سرد حوادث الغزو

(١) انظر ص ٣٧ ، ص ١٩٤ - ١٩٥ .

(٢) انظر ص ٣٦٨ .

(٣) ٦١٧/٥٩٦ هـ (١٢١٩/١١٩٩ م) .

المغولى للشرق الاسلامى ، إذ اعتقد أن ذلك ما هو إلا تكرار لحوادث القتل والنحرىب<sup>(١)</sup> ، ولذا فإن ما كتبه عن حوادث الغزو لا يغنى عما كتبه ابن الأثير فى هذا الميدان ، بل يعتبر ما كتبه النسوى وما كتبه ابن الأثير يكمل أحدهما الآخر . وثمة ملاحظة أخرى على كتاب النسوى هو أنه لم يتبع الطريق الذى كان يتبعه المؤرخون المسلمون المعاصرون من حيث سرد الحوادث التاريخية وتدوينها حسب ترتيبها الزمنى ، بل نجده يعمد إلى معالجة الموضوعات التى اهتم بالكتابة عنها دون أن يتقيد بترتيبها ترتيباً زمنياً ، وبذلك اختلفت كتاباته اختلافاً بيناً واضحاً من حيث الطريقة التى اتبعها والنهج الذى انتهجه ، مع الطريقة التى اتبعها والنهج الذى سار عليه ابن الأثير ، الذى عاصر فترة الغزو المغولى .

\* \* \*

نشر المستشرق هوداس O. Houdas ، وكان أستاذاً بمدرسة اللغات الشرقية بباريس ، كتاب « سيرة السلطان جلال الدين منكبرى » سنة ١٨٩١ عن نسخة خطية محفوظة بالمكتبة الأهلية بباريس . وكانما أراد هوداس أن يعم النفع من وراء هذا الكتاب بين من يجولون اللغة العربية فترجمه إلى اللغة الفرنسية سنة ١٨٩٥ . ولقد قرأت ما نشره هذا المستشرق باللغة العربية وما نقله إلى اللغة الفرنسية ، قراءة الباحث المدقق ، بقدر ما أوتيت من قدرة متواضعة فى البحث والتدقيق . وكنت كلما قرأت النص العربى بوجه خاص ، آمنت بأن هذا الكتاب لا بد أن يعاد نشره وتحقيقه ، حتى يعم النفع إذا ما قصده منتفع جديد . وما كنت أظن وأنا أقرأ كتاب النسوى ، كما نشره هوداس ، وألمس ما فيه من نقص أنى سأل إلى نفسى محاولة لإتمام ما بدأه هذا المستشرق ، وأخيراً اخترت نفسى لهذا العمل ، وشجعتنى على ذلك ما قرأت وما كتبت فى تاريخ الدولة الخوارزمية بوجه خاص وفى

(١) انظر ص ١١٦ .



تاريخ الشرق الاسلامي وتاريخ المغول بوجه عام ، واستعنت بما قرأت وما كتبت في إخراج هذا الكتاب على الصورة التي نراها . ولم يكن في استطاعتي لسوء الحظ أن أرجع إلى النسخة الخطية التي نقل عنها هوداس ، ولعلني إذا كنت قد وفقت إلى ذلك ، لخرج هذا الكتاب في صورة أرتضيها لنفسى . على أن بعض ذوى العلم والفضل وعن سبقوني إلى النشر وكان لهم قصب السبق في هذا الميدان ، زينوا لي طريق إعادة نشر هذا الكتاب بالرجوع إلى الطبعة الفرنسية دون انتظار لأصل خطي قد لا أوفق في الوصول إليه . لم يكن النسوى كما ذكرت من المتفقيين في أصول اللغة العربية أو من كتابها البارزين ، ولم يكن المستشرق هوداس ، كما رأيت من نشره لكتاب النسوى ، من المتفقيين في اللغة العربية كذلك أو من العارفين لأصولها ، ولنا بعد ذلك أن نتصور ما عانيته من جهد في تفسير ما غمض في هذا الكتاب ، نتيجة لعدم تمكن مؤلف الكتاب أو ناشره ، أو نتيجة لعدم تمكن كليهما معاً من أصول لغة الضاد .

ويلاحظ أن النسوى لم يفسر كثيراً من معاني المصطلحات التي لها أهمية تاريخية خاصة كأسماء الوظائف والدواوين ، وشاغلي هذه الوظائف والقائمين على هذه الدواوين ، وأسماء آلات الحرب وغير ذلك مما كان معروفاً في العصر الاسلامي وغير معروف إلا للخاصة في عصرنا هذا ، ولم يهتم المستشرق هوداس وهو ينشر هذا الكتاب أن يعرف بهذا كله تخميصاً للفائدة ، كما لم يهتم هذا المستشرق بالتعليق على الحوادث أو تحقيق أسماء الأعلام ، كما فاته أن يعرف بالعصر الذي يدور حوله هذا الكتاب ، وكان على أن أقوم بذلك كله .

ومن المهم أن أذكر في هذا المقام أن هوداس قد فاته الكثير ، عن غير قصد طبعا ، وهو يعد هذا الكتاب للنشر . وأول ما يلاحظ عليه أنه لم يهتم في كثير من الأحيان بتحقيق أسماء الأعلام ، وكثيراً ما كان ينقلها

عن النسخة الخطية في صور مختلفة مع انها كلها لاسم واحد ، ومن الغريب أن هذا الخطأ الذي لمسناه في الطبعة العربية قد انتقل أيضا إلى الترجمة الفرنسية ، مما يدل دلالة واضحة على أن هوداس لم يعتن بتحقيق هذه الأسماء ، كما يدل على أنه كان ينسى ما يقرأ ويكتب ، وقد نوهت بذلك في مواضع شتى (١) . ومن المشاهد كذلك أن قراءة الأسماء قراءات متعددة عن الأصل الخطي ، لم يقتصر على أسماء الأعلام ، بل تعداه إلى أسماء الوظائف ، فقد نقل بعضها في صور مختلفة ، واختلفت الترجمة الفرنسية تبعاً لذلك (٢) .

وقد لمست بينما كنت أقرأ الترجمة الفرنسية أن هوداس قد ترجم كثيراً من الأمثال العربية والأسماء التي لها معان خاصة في التاريخ الاسلامي ، ترجمة خاطئة نتيجة لعدم فهمها أو فهم المقصود منها . ولم يكن من هدفنا أن نتعرض لنقد الترجمة الفرنسية نفسها ، ومع ذلك فقد رأيت أن أمثل لما جاء فيها من أخطاء دون أن أحصيها ، لعل في ذلك بعض الفائدة لمن تحدته نفسه بإعادة النظر في أمر هذه الترجمة . (٣)

(١) انظر على سبيل المثال لا الحصر من ١٠٩ حاشية ١ ، من ١١٣ حاشية ٢ ، من ١١٦ حاشية ١ ، من ٢٣٠ حاشية ٢ ، من ٢٥٥ حاشية ١ ، من ٢٧٧ حاشية ٥ ، من ٣٢١ حاشية ١ ، من ٣٧٧ حاشية ٥ . وهناك أمثلة أخرى آثرت أن أشير إليها في هوامش الكشف .

(٢) انظر من ١٨٤ حاشية ٧ ، من ٣٦١ حاشية ٢ ، من ٣٦٤ حاشية ٣ .

(٣) قرأ هوداس عبارة « تركت موضع رحلي مظلماً » قراءة خاطئة عن النسخة الخطية نتيجة عدم فهم المعنى ، فقرأها في أكثر من موضع « تركت موضع رحلي مظلماً » وانتقل هذا الخطأ إلى الترجمة الفرنسية . انظر من ٣٢٣ حاشية ٤ ، من ٣٣٧ حاشية ٣ ، وراجع الترجمة الفرنسية من ٣٣٥ ، من ٣٥٢ . وترجم كلمة الجنويات باللفظ الفرنسي Arcs أى الأقواس وهذا يخالف معناها الحقيقي وهو قطع الحديد ذات الشعب وتطرح حول المعسكرات أو أمام الخيل لعرقلتها . انظر من ٣٠٣ حاشية ٢ ، وراجع من ٣٠٨ من الترجمة الفرنسية . وهناك أيضاً أخطاء مماثلة وقع فيها هوداس نتيجة لعدم فهم كثير من الأمثال والألفاظ يضيق هذا المقام عن سردها ، وقد تكلمنا عنها في موضعها . انظر من ١٧٥ حاشية ٤ ، من ٢١٠ حاشية ٣ ، من ٢٦٩ حاشية ٢ . . . الخ الخ .

ومن المشاهد أن هوداس قد ترجم كتاب النسوى إلى اللغة الفرنسية بعد سنوات أربع من نشره باللغة العربية ، ومن المشاهد بل من المؤكد أيضاً أنه أدرك وهو يترجم النص العربى بعض ما احتوى عليه هذا النص من أخطاء ، لذلك ذيل الترجمة الفرنسية بجدول يشتمل على ما أراد أن يصوبه من هذه الأخطاء . وقد راجعت ذلك الجدول أيضاً وخرجت بعد مراجعته بأمر ثلاثة : أولها أن هوداس قد صحح بعض الأخطاء فعلاً ، وثانيها أنه حاول تصحيح ألفاظ خاطئة فلم يستطع أن يصل إلى اللفظ الصحيح وكان من نتيجة ذلك أنه استبدل ألفاظاً خاطئة بألفاظ أخرى خاطئة لاتستقيم مع المعنى (١) . أما الأمر الثالث فهو أن هوداس أبدل بعض الألفاظ التي كانت في الأصل صحيحة بألفاظ أخرى خاطئة ، ولم يدرك أن الألفاظ الأولى كان لاغبار عليها ومستقيمة مع المعنى (٢) .

وقد سبق أن ذكرت أن النسوى كان يستشهد في كتاباته بكثير من الآيات القرآنية ، وكثير من أمثال العرب وشعرهم ، ويحق لى أن أضيف هنا أن هوداس كان وهو يقرأ الأصل الخطى ، لا يهتم في كثير من الأحيان بتحقيق ما استشهد به النسوى من آيات قرآنية وأمثال وأشعار ، ولذا جاء بعضها محرفاً عن الحقيقة ، بل ومن المشاهد أن هوداس لم يميز بين الشعر وبين النثر في بعض الأحيان فنقل كلاماً منشوراً في صورة شعر ، ونقل شعراً في صورة نثر . (٣)

أما بعد ، فلعل بعد هذا التقديم لكتاب النسوى في صورته الجديدة ، وبعد التعليق على الحوادث التاريخية التي تناولها الكتاب ، ولعل بعد شرح

(١) انظر ص ٣٧ حاشية ٣ ، ص ٤٣ حاشية ٧ ، ص ١٢٣ حاشية ٧ ، ص ١٢٥ حاشية

٧ ، ص ١٧٣ حاشية ٣ ، ص ٢٣٤ حاشية ٢ ، ص ٢٩٥ حاشية ١٠٠١ الخ الخ .

(٢) انظر ص ١٣٠ حاشية ٨ ، ص ١٧٧ حاشية ٤ ، ص ١٩١ حاشية ٤ ، ص ٢٦٤

حاشية ٥ ، ص ٢٨٥ حاشية ٤ ، ص ٣٣٤ حاشية ٦ ... الخ الخ .

(٣) انظر ص ٣٥ حاشية ٢ ، ص ٧١ حاشية ٤ ، ص ١٨٩ حاشية ١ ، ص ٢٠٢

حاشية ٢ .

ما صادفت من ألفاظ لها أهميتها الخاصة في التاريخ الإسلامى ، ومن تحقيق  
وتعريف بأسماء المدن والأعلام ، وبعدهما أشرت إلى ما صادفت من نقص  
فى طبعة هوداس ، لعل بعد ذلك كله أكون قد وفقت إلى إتمام ما نقص  
من الطبعة السابقة ، ولن أدعى بأنى وصلت إلى كل ما يجب أن يصل إليه  
باحث مدقق ، بل أرجو أن يجد غيرى فى هذه الطبعة من أوجه النقص  
ما يحفز به إلى إتمامه ، فما هدفنا إلا خدمة العلم وطالبيه ، والوصول إلى الحقيقة  
أياً كان مبعثها ، والله ولى التوفيق .

القاهرة : أول مارس سنة ١٩٥٣

مافظ احمد محمدى

سيرة

السلطان جلال الدين منكبرتي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ رَبِّ يَسِّرْ وَأَعِنِ بِرَحْمَتِكَ

الحمد لله الذي برأ البرية وقدر لهم آماداً ، وذراً الذرية وقرر لهم معاداً ، لم يشتهه عليه تسكين المكونات آحاداً ، ولا إيجاد الموجودات جملة وفرداً ، تلفح ملكه بالكبرياء وما عداه عوارى ملك لا يعتره الفتور ، ولا تغيره الدهور ، ولا تنقص من عمره (١) السنين والشهور . فسبحانه من صانع أوحد عظيم ، خالق العالم وعُدته الكاف والنون ، إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون . ثم الصلاة والسلام على الهادي من الصلالة ، والمستقل بأعيان الرسالة ، محمد صلى الله عليه وعلى آله المنتخبين ، وأصحابه الغر المنتجبين ، مصابيح الدجينة ، وأعلام الكتاب والسنة ، صلاة تضاهي فتيت المسك ، وتباهي في البقاء فنا نيك .

يقول الفقير إلى رحمة ربه ، المارتوى (٢) من ذنوب دينه ، المتجاذب في نسكباء النسكية ، المتقاذف بين أيدي الغربة ، محمد بن أحمد بن علي بن محمد المشنبي النسوي (٣) أصلح الله شأنه ، وصانعه عما شأنه : إتي لما وقفت على مألوف من تواريخ الأمم الماضية ، وسير القرون الخالية ، واتساق أخبارها من لدن انتشار ولد آدم أبي البشر ، عليه الصلاة والتحية ، إلى زماننا هذا ،

(١) في الأصل : عن عمره . (٢) في الأصل : المارتوى .

(٣) ينتسب محمد النسوي إلى مدينة « نسا » أو « نساء » ، إحدى مدن خراسان . وقده ذكر ياقوت أن سبب تسمية هذه المدينة بهذا الاسم يرجع إلى أن المساهين عندما غزوا خراسان ووثجروا إلى هذه المدينة ، هرب منها رجالها بحيث أنهم لما دخلوها لم يجدوا فيها سوى النساء فأبوا أن يقانلوهن وتركوا المدينة دون قتال ، وسميت المدينة بهذا الاسم . وجاء في كتاب الأنساب للسعدي ص ٥٥٩ ، أن هذه المدينة سميت بهذا الاسم لأن النساء هن اللاتي كن يحاربن المساهين دون الرجال . والنسبة الصحيحة إلى هذه المدينة نسائي ونسوي . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٨ ص ٢٨٢ . وينسب إلى هذه المدينة الإمام أحمد النسائي صاحب السنن . انظر القافقندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٣٩٢ .

سوى مصادف فترة رأيت قصارى كل مؤرخ تكرير ما ذكره المتقدم عليه بالزمان ، معيداً ذلك بيسير من الزيادة والنقصان ، إلى أن يسوق الحديث إلى زمانه وحوادث أوانه ، فيوردها شافية كافية ، ومن وراء الإشباع والإفحام آتية ، وشتان ما بين الحثيث والحسب ، وأين العيان من اقتفاء الأثر ؟

ورأيت الكامل من تأليف علي بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير ، يتضمن من أحاديث الأمم عموماً ، وغرائب أخبار العجم خصوصاً ، ما شذ عن غيره ، وأنصف لعمرى في تسميته كاملاً ما ألف ، ولم أستبعد ظفريه بشيء من تواريخهم المؤلفة بلغتهم ، وإلا فما الأمر مما يؤخذ بالقياس ، والذي أودعه تأليفه منها أكثر من أن تتلقف من أفواه الناس . ولما أفضت بي المطالعة إلى ما تضمنته من أخبار السلطان الأعظم علاء الدنيا والدين أبي الفتح محمد بن تمشكش بن إبل أرسلان<sup>(١)</sup> بن آنسز<sup>(٢)</sup> ابن محمد بن نوشتكين<sup>(٣)</sup> ، متبعمها بذبذبة من تصارييف الدهر وتغاير الزمان بولده السعيد الشهيد جلال الدين منكبركتي ، سقى الله ثراهما ، وجعل الجنة مشواهما ، ووجدته لم يفته من معظمت الأمور جليل ، ولم يتجاوز الصحة

(١) إبل لفظ تركي معناه ولاية ، وأرسلان لفظ تركي معناه أسد .

وهناك أيضاً لفظ « إبلخان » ومعناه الخان التابع ، أي حاكم لإحدى الولايات في الدولة Provincial Khan ، ويتبع الخان الأعظم أو الخانان الذي يحكم الدولة بأسرها . انظر Stanley Lane-Poole : The Mohammadan Dynasties, p. 217. وقد أطلق هذا اللقب على هولاءكو عند ما أسند إليه حكم فارس ، ثم ألصق بحكام المغول في فارس من سسلالة هولاءكو ، وأطلق اسم دولة إبلخانان على البلاد التي حكموها . انظر المقرئزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ قسم ٢ ص ٤٤١ حاشية ١ .

(٢) آنسز ، كلمة تركية معناها من لا اسم له . ( آت : اسم ، سيز : أداة التجريد ) . وقد جرت العادة عند الترك أن من يموت بنوه صغاراً يسمى واحداً منهم بهذا الاسم حتى يعيش ولا يملك . انظر النظامي العروضي السمرقندي : چهار مقاله ، ص ١٠٩ ، ترجمة الأستاذين عبد الوهاب عزام وبجي الحشاب .

(٣) كان نوشتكين ، التركي الأصل ، وهو الذي تنتسب إليه الدولة الخوارزمية ، يشغل وظيفة الساقى في بلاط ملكشاه ، ثم درج في سلك الوظائف في أيامه . انظر :

Curtin : The Mongols' History, p. 98.

Howorth : History of the Mongols, part i, p. 7.



إلا قليل ، قلت : لله در مقيم بديار الشام ، دعته همته إلى ضبط ما حدث من الوقائع بأعلى بلاد الصين ، وأعماق ديار الهند .

وحيث كان الغرض الأهم من إثبات الآثار وأخلاق الأخبار ، وإفادة التجربة والاعتبار ، فتقلبات الأيام بجلال الدين من إهباط وإصعاد ، وإطفاء شعلة نار وإيقاد ، يوما نفاذ حد ، وإيراء زند ، وآخر صرع خد ، وسقوط جد ، بينما تمسكه ، إذ تكاد تمسكه ، وحال تعليه ، إذ رأيت تبتليه ، لبلغ في إفادة الغرض ، إذ في تصاريف أحوال الزمان به عجائب لم توجد أخواتها في أساطير الأولين ، أريد بها التطويل والتهويل ، والتعجيب والتخريب ، وحسبك منها أربع عشرة وقعة مذكورة مشهورة في إحدى عشرة سنة ، لفظته فيها بلاد الترك إلى أقاصى الهند ، وأقاصى الهند إلى أواسط الروم ، من مليك مطاع ، وطريد مرتاع . وهما نداء بمنزل<sup>(١)</sup> منها ما شاهدته ، أو سمعت من شاهده ، معرضاً عن غيرها صفحا ، وطاويا دون ماسواها كشفا .

ولو لم تزدي لسكنة<sup>٢</sup> أجمية تخجلني فيما أقول وأكتب

ففي ميدان الإطالة متسع وفي قوس المقالة متنوع<sup>(٢)</sup>

وقد وجدت مكان القول ذاسعة فإن وجدت لسانا قائلا فقل

وقد كانت طائفة من أفاضل الشرق من لهم حظ في الصناعة ، وتوجهه في طرق البلاغة ، اعتنوا بتأليف أخبارهم ، وتخليد مساعيمهم وآثارهم من حيث نشأت نبعثهم ، وتفرعت دوحهم ، إلى أن بلغ من أمر السلطان الأعظم محمد بن تكش<sup>(٣)</sup> وعظم شأنه أنه جمع — إلى ما أورثه أبوه من خراسان وخوازم — ملك العراق ومازندران ، وضم إلى هذه الواسطة كرمان

(١) في الأصل : ها أنا ملى . (٢) نثر أورده هوداس في صورة شعر .

(٣) حكم محمد بن تكش ، الذى يلقب بعلاء الدين ، من سنة ٥٩٦ / ٦١٧ هـ (١١٩٩ / ١٢١٩ م) . وقد بلغت الدولة الخوارزمية أقصى اتساعها في عهده ، كما أنه شهد أول صراع بين القوى الإسلامية وبين المغول .

ومكران وكيش وسجستان وبلاد الغور و غزنة و باميان<sup>(١)</sup> إلى ما يليها من الهند بأغوارها وأنجادها<sup>(٢)</sup> ، والسيوف مهمة في أعمادها ، والعواقب معطلة عن نجادها . وملكها بالهبة عفواً صفواً ، وسهواً زهواً ، وملك على الخطايبية<sup>(٣)</sup> وغيرهم من ملوك الترك و قروم<sup>(٤)</sup> ماوراءالنهر ، بعد إخافتهم<sup>(٥)</sup> واستئصال شأفتهم ، وإلجاء المقلتين منهم إلى أقاصى الصين ، ما يقارب أربعائة مدينة ، ملكا عز على غيره مثاله ، وتطفلت على حاشيته<sup>(٦)</sup> له<sup>(٦)</sup> ، وخطب له على منابر فارس وأران وأذربيجان إلى ما يلي دربند<sup>(٧)</sup>

(١) باميان : بلدة بين بلخ و هراة و غزنة ، وبها قلعة حصينة . وقد خرج من هذه المدينة جماعة من أهل العلم ، منهم أبو بكر محمد بن علي بن أحمد الباميانى ، وهو من المحدثين الثقة . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ص ٤٩ .

(٢) انظر خريطة الدولة الخوارزمية في أقصى اتساعها .

(٣) الخطايبية ، نسبة إلى قبائل الخطا الذين أسسوا دولة لهم في إقليم التركستان في مستهل القرن السادس الهجرى ( الثانى عشر الميلادى ) على يد « بن لوتاشى » Ye-liū Ta-shi . وكان قيام هذه الدولة على الحدود الشرقية للأقاليم الاسلامية ، من الأمور التي سببت كثيرا من المتاعب للمسلمين ، إذ وضع قادة هذه الدولة نصب أعينهم أن يوسعوا أملاكهم على حساب البلاد الاسلامية ، فاشتبكوا مع المسلمين في صراع طويل . ومما هو جدير بالذكر في هذا المقام أن المغول أضافوا لفظ « قره » Kara إلى اسم الخطا فأصبحوا يسمون « قره خطا » Kara Khitai . ولفظ قره أو قرا ، لفظ مغولى أو تركى معناه أسود . أما سبب وصفهم بلون السواد فقير معروف ، ولعل ذلك يرجع إلى عداوتهم وكرهيتهم لهم . انظر :

Bretschneider : Medieval Researches From Eastern Asiatic Sources, vol. i, p. 208 & seq.

وانظر أيضا ما كتبناه عن دولة الخطا وعلاقتها بالقوى الإسلامية المعاصرة في كتابنا : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٤٦ — ٦٦ .

(٤) القروم جمع قرم وهو السيد العظيم في قومه .

(٥) فى الأصل : إضافتهم ،

(٦) ليس هناك من شك فى أن هذه العبارة تتضمن الكثير من المبالغة ، ومأحسب إلا أن النسوى قد قصد أن يكيل المديح لمن أراد أن يؤرخ لهم ، وهنا تتجلى خطورة اعتماد الباحث على مرجع معاصر يؤرخ لقوم عاش فى كنفهم .

(٧) دربند : كلمة فارسية معناها فى الأصل سنبلة من حديد ، يقفل بها باب الدكان ، ويقال لها دروند أيضا ، وتستعمل هذه الكلمة كذلك بمعنى المضائق والطرق ، انظر المقرئى : السلوك ، ج ١ قسم ١ ص ٢٤٨ حاشية ٣ ، ودائرة المعارف الإسلامية مادة Derbend .

شروان سنة كعبسته اللاتابكين سعد بن زنكي صاحب فارس<sup>(١)</sup> ، وأزبك ابن محمد صاحب أذربيجان بهمدان<sup>(٢)</sup> ، وأسره سعد وإفلات الآخر منه بخديعة<sup>(٣)</sup> الذقن ، بعد إسلام أكابر أصحابه مثل فمسرة الدين محمد بن بيشتكين ووزيره ريبب الدين أبي القاسم بن علي المعروف بدندان ، ومنته على سعد بالإطلاق ، وعلى أزبك بترك التعرض والإرهاق . على أن يخطبا له بيلادهما ، ويحملا إلى الخزانة السلطانية كل سنة أتاوة معلومة<sup>(٤)</sup> فتواصلت له فتوح الأقاليم ، اتساق الأنابيد لاهلة بينهما ولا فرجة ، ولا تلوم ولا عرجة . غير أن الطامة الكبرى من حادثة التاتار هجمت فطمعت على المؤلف وتأليفه ، في قرضه وقضيه ، ولفه ولفيفه ، حتى تعينت لما تصديت تعيين فروض الكفاية على من لجأ به الموج إلى الساحل ، وقد شمل الفرق عامة رفقائه ، فابتلى بتكاليف حياته ، وتصاريف بقائه . وإلا فما كنت أتصدى لما لست من رجاله ، مع قرينة قريحة<sup>(٥)</sup> وفكرة علمية ، ومن جاة من بضاعة الكتابة قليلة . وعند الخوض في ذلك لا بد من تقديم مقدمة في شرح منشأ التاتار ، ومبدأ خروجهم ، وبالله التوفيق .

(١) حكم سعد بن زنكي أتاك فارس من سنة ٦٢٣٥/٩٩ هـ (١٢٠٢/١٢٢٥ م) . وقد ذكر زامبور Zambaur في كتابه ص ٢٣٢ ، أن سعدا بن زنكي توفي سنة ٦٢٨ هـ (١٢٣٠ م) وهو في ذلك يخالف ستانلي لينبول في كتابه The M. Dynasties, p. 173 الذي ذكر أنه توفي سنة ٦٢٣ هـ . وإن السنة التي توفي فيها سعد كانت موضع اختلاف المؤرخين ، فذهب رشيد الدين والوصاف وصاحب روضة الصفا وحبیب السیر إلى أن وفاته كانت سنة ٦٢٣ هـ . ويذهب صاحب تاريخ كزنده إلى أن وفاته كانت سنة ٦٢٨ هـ . على أن الحقائق التاريخية الثابتة لا تؤيد الرأي الأخير ، بل ويستدل بما كتبه ابن الأثير أن وفاة سعد بن زنكي قد حدثت قبل سنة ٦٢٨ هـ . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١٣ ص ٢٢٠ .

(٢) يلقب أوزبك ( أزبك ) بن محمد صاحب أذربيجان بمظفر الدين ، وقد حكم من سنة ٦٢٢/٦٠٧ هـ (١٢١٠/١٢٢٥ م) .

(٣) قرأ هوداس Houdas هذه الكلمة في النسخة الخطية ، « بخديعة » ، ثم صححها في الترجمة الفرنسية « بخديعة » ، والحقيقة أن المقصود لاهذا ولا ذلك ، وإنما الراجح أن الأصل المقصود هو كلمة « بخديعة » ، أي أن أوزبك بن محمد صاحب أذربيجان استطاع أن يفلت من الأسر بعد أن خدع علاء الدين محمد خوارزم شاه وغير من ملاحمه بأن أطلق لحيته .

(٤) انظر حوادث الحرب بين علاء الدين محمد خوارزم شاه وبين كل من أتاك فارس وأذربيجان في كتاب ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ١٤٥ — ١٤٦ .

(٥) قريحة الأولى بمعنى الذهن ، والثانية بمعنى مقروحة .

## ذكر التاتار الملاعين ومبدأ أمرهم ومنشئهم (١)

حدثني غير واحد من يعتبر قولهم أن مُللك الصين ملك متسع ، دوره مسيرة سمة أشهر ، وقد قيل إنه يحويه سور واحد لم ينقطع إلا عند الجبال المنهيحة (٢) ، والأناهار الوسيعة . وقد انقسم من قديم الزمان ستة أجزاء ، كل جزء (٣) منها مسيرة شهر يتولى أمره خان ، أي ملك بلغتهم ، نيابة عن خانهم الأعظم (٤) .

وكان خانهم السكبير الذي عاصر السلطان محمد (٥) ، ألتون خان (٦) ،

(١) في الأصل : منشئهم .

(٢) يرجع السبب في بناء سور الصين العظيم ، في العصور الأولى من التاريخ ، إلى رغبة الصينيين في دفع غارات القبائل المتبربرة القاطنة في الأقاليم الشمالية الشرقية من القارة الآسيوية ، والتي كانت تغير بكثرة على هذه البلاد طمعا في كسب مادي يفتقرون إليه في بلادهم الأصلية . انظر Little : The Far East, p. 184 .

(٣) في الأصل : جزؤ .

(٤) لقب « خان » ، لقب أطلقه المغول على رؤسائهم الذين يتولون جزءا من الامبراطورية المغولية ، وهو يختلف عن لقب « خاقان » ، الذي أطلقوه على الرئيس الأعلى لدولتهم ومعناه الخان الأعظم . وقد استعمل المغول لقب « خان » أيضا بمعنى « خاقان » ، وربما كان ذلك من باب الرغبة في الاختصار . ومما هو جدير بالذكر في هذا المقام ، أن الفرق بين « خان » و « خاقان » ، يشبه الفرق بين كلمتي « سلطان » و « ملك » ، فالسلطان هو الملك الأعظم كالسلطان صلاح الدين الأيوبي ، أما ملك فهو أحد ولاة السلطان من أبناء بيته ، كالملك العادل حينما كان صاحب دمشق من قبل أخيه صلاح الدين الأيوبي . وقد وجد هذا الفرق أيضا عند الفرس ، فإن لقب « شاهنشاه » ومعناه ملك الملوك يتميز عن لقب « شاه » فقط وهو الملك الصغير . انظر المقرئزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ قسم ٢ ص ٣٠٧ حاشية ٤ .

(٥) حكم السلطان محمد خوارزم شاه من سنة ٥٩٦/٦١٧ هـ (١١٩٩/١٢١٩ م) .

(٦) ألتون ، كلمة تركية معناها ذهب . وألتون خان ، لقب كان يطلقه المغول على حكام إمبراطورية كين الصينية التي أسستها قبائل Nü-chi ، وكانت تسكن في الأصل بالقرب من نهر آموور وتدفع الضرائب للخطا ، ثم تمردت على الخطا في مستهل القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) واستطاع زعيمها A-gu-da أن ينادى بنفسه إمبراطورا سنة ٥٠٩ هـ

توارثها كابرأ عن كابر، بل كافرأ عن كافر. ومن عادتهم الإقامة بطمغاج<sup>(١)</sup> — وهي واسطة الصين — ونواحيها طول صيفهم، متتقلين من مصيف إلى مصيف، مرتحلين من ريف إلى ريف، حتى إذا أقبل الشتاء بوجهه الكالح يعبرون ماء كذك<sup>(٢)</sup> مما يلي قشمبر إلى مشات<sup>(٣)</sup> ساحلية طيبة الأغوار والأنجاد، لم يخلق مثلها في البلاد، فيعول إذ ذاك في حراسة ما خلفه الملك على الخانات الستة المقيمين بأرض الصين. وكان في زمرتهم عصر المذكور شخص يسمى دوشى خان، وقد تزوج بعممة جنكيزخان<sup>(٤)</sup> اللعين، وقبيلة اللعين هي المعروفة بالترجى، سكان البرارى، ومشتاهم موضع يسمى أرغون<sup>(٥)</sup>، وهم المشهورون من طوائف الترك بالشر والغدر، لم تر ملوك

= (١١١٥ م) وأن يؤسس لنفسه إمبراطورية أطلق عليها الاسم الصينى «كين» ومعناه أيضا ذهب. وقد حكمت أسرة كين فى منشوريا ومنغوليا وشمال الصين أكثر من قرن، ثم سقطت هذه الأسرة على يد المغول سنة ٦٣٢ هـ (١٢٣٤ م).

انظر. Bretschneider : Op. cit., vol. i, p. 224, note 574. وراجع أيضا تاريخ أسرة

كين فى كتابى Fitzgerald : China, A Short Cultural History  
Douglas : The story of Nations, China.

(١) كانت عاصمة إمبراطورية كين تسمى ين كنج Yen-King، وليس طمغاج كما يقول النسوى. ويحتمل أن تكون كلمة طمغاج وطفغاج تحريف لكلمة من اللهجة التركية الشرقية «تفج» ومعناها «المعظم» أو «المشهور». وفى هذه الحالة يكون معنى لقب طمغاج خان هو «الخان المعظم» وليس «خان طمغاج». وإن الاعتقاد السائد فى وجود إقليم باسم طمغاج ناشئ عن فهم خاطئ وقياس غير صحيح على لقب خوارزم شاه وما يماثله، وهذا اللقب الذى يقصد به شاه خوارزم. انظر النظمى العروضى السمرقندى : چهار مقاله، ترجمة الأستاذين عبد الوهاب عزام ويحيى الحشاش، ص ٩٧.

(٢) المقصود هنا نهر الكنج، أعظم أنهار الهند.

(٣) فى الأصل : مشاتى.

(٤) اللقب الصحيح لهذا الاسم هو ما يتفق مع الكتابة الفارسية والتركية «چنگيزخان». ومما هو جدير بالذكر هنا أن جنكيزخان قد ولد سنة ٥٤٩/٥٥٠ هـ (١١٥٤/١١٥٥ م)، وانتخب خاقانا على المغول سنة ٦٠٣ هـ (١٢٠٦ م)، وتوفى سنة ٦٢٤ هـ (١٢٢٧ م).

انظر. Zambaur : Manuel de Généalogie et de Chronologie, p. 242.

(٥) الرجوع أن هذا المسكان يقع بين الجبال الواقعة فى جنوب بحيرة بيكال. انظر خريطة

«آسيا الوسطى» فى كتاب، Bretschneider : Op. cit., vol. i,

الصين إرخاء عنانهم لطغيانهم. فاتفق أن دوشى خان المزوج بعممة جنكز خان السفاك توفى وألتون خان غائب، وقد حضرها جنكز خان زائرًا ومعزياً، فبعثت إلى كشلو خان وجنكز خان - وهو بالراء المعجمة - وهما المتوليان أمر ما يتأخّر أعمال المتوفى من الجهتين، تنهى إليهما زوجها، معاملة إياهما أن المتوفى لم يخلف ولداً، وأن ابن أخيها جنكز خان، إن أقيم مقامه، يحدو حدو المتوفى في معاضدتهما، واتباع إرادتهما، فاستصوبوا (١) رأيها فيما رأت، وأشاروا عليها بتقليده الأمر، وسد الثلثة الحادثة بموت دوشى خان، ضامنين لها تمشية الحال عند عود ألتون خان إلى دار قراره ومغرس أوليائه وأنصاره. فتولى جنكز خان ما كان يليه دوشى خان، وانضم إليه في أيسر مدة من أشرار عشيرته وشرار أسرته رجوم الفتن لانتخبو نارها، ولا تبنو (٢) على حال غرارها. فلما عاد ألتون خان إلى مدينته المعروفة بطمغاج، أخذ الحجاب على عادتهم يعرضون كل يوم عدة قضايا بما حدث مدة غيبته، إلى أن قدمت تقاديم جنكز خان استشماط غضبها، وقضى من تقديمها إياه عجباً، وأمر بقطع أذنان خيل التقدمة وطردها، وخرج الحجاب له شاتمين، ولمن تقدمه من الخائنين لائمين، وبالغوا في الوعيد حتى رأى جنكز خان وصاحباه الختف غير بعيد، والهلك أقرب من جبل (٣) الوريد، فبرزوا إذ ذاك أيديهم عن الطاعة، وخالفوا بأجمعهم كلمة الجماعة (٤).

(١) في الأصل : فاستصوبوا .

(٢) كذا في الأصل .

(٣) في الأصل : جبل .

(٤) انظر ما كتبناه عن الصراع القبلى فى شمال شرق آسيا بوجه عام ، وعن حياة المغول الأولى أيام جنكيزخان بوجه خاص فى كتابنا : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ١٠٨ - ١١٤ . ويلاحظ أن جنكيزخان لم يتخذ لنفسه هذا الاسم ، ومعناه أعظم الحكام The Greatest of Rulers ، إلا بعد أن نجح فى ترعم القبائل المغولية فى شرق آسيا ، وبعد أن انتخب خاقانا عليها سنة ٦٠٣ هـ (١٢٠٦ م) ، أما قبل ذلك فقد كان اسمه تموچين .

ذكر ما آل إليه أمر جنكزخان وصاحبيه بعد الاستيحاء

ولما فارقوا صاحبهم مستوحشين، تحالفوا على التعاضد، وتعاضدوا على التحالف، فابذروا صفحة الخلاف، وأبرزوا الشر من الغلاف، واستظهر جنكزخان بن انضوى إليه من عشيرته، فراسلهم ألتون خان في استردادهم إلى الطاعة مبيداً ومعيداً، يخاطب في رسالاته بالأعذار إنذاراً وبالوعد وعيداً، فلم يزد دعائه إلا نفاراً<sup>(١)</sup>، فكان كلما دعاهم جعلوا أصابعهم في آذانهم، واستغشوا ثيابهم، وأصروا واستكبروا استكباراً<sup>(٢)</sup>. فحين أيس من صلاحهم، فزع إلى الاحتشاد، ومال إلى الاستحشاد والاستعداد<sup>(٣)</sup>، والتقاهم فكسروه أقبح كسرة، وقتلوا من جرجا خطاي وسائر قبائل الترك من عسكره مقلة عظيمة، وفاتهم ألتون خان بنفسه ونفائات السيوف من عسكره إلى ما وراء كنيك وأخلى<sup>(٤)</sup> لهم البلاد، فتمكنوا منها وتملكوها، وانضوى إليهم من أوشاب الترك وأوشابها كل طامع في مال، وطامح إلى منال. وأخذ أمر ألتون خان يتضاعف ضعفاً وتخطئاً، وتزايد وهنا وتزلزلا، إلى أن راسلهم مهادياً ومسالماً، قانعا بما تحت يده من الملك الحقيق، ومجتزياً بالقليل عن الكثير، فأجابوه إلى ما سأل، واستمر الأمر بين أولئك على قاعدة المشاركة إلى أن مات جنكزخان<sup>(٥)</sup>، وتفرد الآخرا بملك يشتركان فيه شركة العنان. فلما أمتا جانب ألتون خان ساقا إلى

(١) أي نفورا .

(٢) اقتباساً عن سورة نوح ، آية ٧ .

(٣) المراد هنا حشد الجيوش والاستعداد للقتال .

(٤) في الأصل : أخلا .

(٥) في طبعة هوداس : ألتون خان ، وبذلك غير هوداس في النسخة الخطية التي ذكر فيها هذا الاسم ، جنكيزخان . وقد ظن أنه صيغ خطأ وقع فيه المؤلف أو الناسخ ، والواقع أنه يستدل من سياق الكلام أن النسخة الخطية كانت صائبة .

بلاساغون<sup>(١)</sup> فلما ملكها وملكها من البلاد ما تاخها ودا ناها ، وانفق إذ ذلك موت  
كشالوخان وقيام ابنه ، وقد لقب بكشالوخان مقامه ، فاستضعف جنكزخان  
جانبه لصغره وحدائة سنه ، وأخل بالقواعد المقررة بينه وبين أبيه من  
النزول على رتبة التماثل واقتسام<sup>(٢)</sup> فوائد الملك على حكم التناصف والتعادل  
وجرت بينهما في ذلك مراسلات ومعاتبات أفضى آخرها للاستيحاء .  
فلما جد مزاح الكلام ، واشتد لفح النخصام ، فارقه كشالوخان .

---

(١) تكتب هذه المدينة في الراجح العربية ، بلاساغون . انظر ابن الاثير : الكامل ،  
ج ١١ ص ٣٧ ، ج ١٢ ص ١٢١ . وهذه المدينة من أمهات مدن إقليم التركستان ، وقد  
اتخذها ييلوتاشي Ye-liü Ta-shi ، مؤسس دولة الخطا في إقليم التركستان ، حاضرة للملكة  
فترة من الزمن ، وذلك قبل أن ينتقل إلى مدينة كاشغر . انظر Skrine & Ross : The Heart  
of Asia, p. 138.

(٢) في الأصل : أقسام .



## ذكر ما آل إليه أمر كشلو خان بعد مفارقتة جنكز خان

وامتدت الوجيف بكشلو خان ، بعد مفارقتة جنكز خان ، إلى حدود قبالق<sup>(١)</sup> وألماتق<sup>(٢)</sup> ، فصالحه صاحبها بمدوخان بن أرسلان خان ، على أن تكون<sup>(٣)</sup> الأيدي واحدة ، والقلوب على وجوه المصالح متساعدة . وانفق وصوله إليها إفلات خان الخانية ، كورخان<sup>(٤)</sup> ملك الخطائية<sup>(٥)</sup> ، من وقعة جرت بينه وبين السلطان<sup>(٦)</sup> ، وهى آخر الوقائع بينهما ، واتقيا الرخص به إلى حدود كاشغر ، فأخذ بمدوخان يزبن لسكشلو خان قصد كاشغر والاستيلاء على كورخان بها ، ويقول له : إنك إن ظفرت به وأجلسته على سرير الملك ، لم يخالفك أحد من ملوك الترك . تسويلا بكواذب الظنون ، وجوالب المنون ، ولم يعلم أنها دولة قد تبتت<sup>(٧)</sup> أيامها ، وحان أن ينوح عليها أصدائها وهامها .

(١) قبالق Kayalik ، إحدى مدن إقليم التركستان ، وكانت من المدن التي تضمها دولة الخطا ، انظر الخريطة في كتاب Howorth : Op. cit., part i.

(٢) ألماتق Almalik أو A-li-ma-li كما ذكرت في المراجع الصينية ، إحدى مدن تركستان وكانت في وقت من الأوقات من أمهات مدن دولة الخطا . وترجع أهميتها إلى أنها كانت تقع على الطريق بين منغوليا وفارس ، ولذا ورد ذكرها في كتابات معظم الرحالة الذين عبروا القارة الآسيوية في العصور الوسطى . انظر :

Bretschneider : Op. cit., vol. ii, pp. 33—39.

(٣) في الأصل : يكون .

(٤) گورخان ، لقب آخذة ملوك دولة الخطا لأنفسهم ، ومعناه خان خانان أى ملك الملوك أو سلطان السلاطين . انظر Skrine & Ross : Op. cit., p 137 وابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ١٢١ .

(٥) يجدر بنا أن نذكر في هذا المقام أن Ye-lü Ta-shi ، مؤسس دولة الخطا في إقليم التركستان قد اختار الديانة البوذية لتكون دين الدولة الرسمي ، وربما يرجع ذلك إلى متاخة هذه البلاد لبلاد الهند . ورغم ذلك فقد انتشرت الديانة المسيحية هناك إلى حد ما بفضل جهودات المبشرين . D'ohsson : Histoire des Mongols, tom. i, p. 165 .

(٦) هو علاء الدين محمد خوارزم شاه .

(٧) نقلها هوداس عن النسخة الخطية « ثبت » ، ثم عدلها في الطبعة الفرنسية إلى تمتت ، وصحتها كتبتت أى انقطعت .

وكان كشلوخان يستبعد ذلك ، لما عنده من عظم محله ، وخفاة أمره ، وبعد صيته ، وجلالة قدره . فلم يزل ينفث في خيله وغازيه ، إلى أن أجاب إلى مادعاه إليه ، فنهض من قيالتي وكبساه بحدود كاشغر ، واقتنصاه وأجلساه على سرير الملك . وكان كشلوخان يقف بين يديه عند الإذن العام موقف الحجاب ، فيشاوره في دقيق الأمور وجليها ، ولم يعمل بما يأمره إلا في قليله . ولما بلغ السلطان أسره كورخان واستيلاؤه على ما حوته يده من نفائس الجواهر والأعلاق ، التي جمعت على مر الدهور من الآفاق ، أرسل إليه يقول : إن خان الخانية قد تخلص من حبائلي بعد أن تركته خطفة لكل ناهب ، وخلسة لكل سالب . فهلا حدثتك نفسك بقصده ، إذ كان في عز سلطانه ، ومناعة شاناه ، والآن قد أجليته عن دياره وأمصاره ، وعرضت على السيف عامة أعوانه وأنصاره . وقد كان يرغب في المهادنة على أن يزوجني ابنته طوغاج خاتون<sup>(١)</sup> ، تزف إليّ بما تحويه خزائنه من الجواهر الثمينة والأعلاق النفيسة ، على أن أتركه في أخريات بلاده بما لفظنه السيوف من حشاشة نفس ، أحيان أصبح كسيراً ، يؤخذ أسيراً ؟ فإن أردت السلامة في نفسك وذويك ، فشأنك أن تسيره إلى بيئته وخزائنه ، وأمواله وأشياعه ، وإلا فقد جئتكم بما لا يغنيكم منه إلا حد الحسام ، وثبات المقام .

فأجابه كشلوخان عن هذه الرسالة جواب خاشع متدال ، وبعث إليه بالطاف تعمر ذوائب الأوصاف ، من طرف تلك الأطراف ، واستعفى من تسليم كورخان متشفعاً ، إذ كان كورخان يتضرع إليه مستهفياً ويقول : إن هذا السلطان وأباه كانا يجملان إلى الأناوة ، ويبدلان لي الطاعة . وقد نصرتهما<sup>(٢)</sup> على عدة أعداء لهم<sup>(٣)</sup> ، وقد علم المنجد والغاير ، والمقيم والساير ، ما كانا عليه من الخدمة . وحين ساعدته الأيام حتى رام من مناطقتي ما لايرام ، رضيت معه بالمسالمة على أن أزوجه ابنتي وهي أعز خالق الله

(١) خاتون : لفظ تركي معناه سيدة ، ويستعمل في الغالب في معاني التبجيل والاحترام .

(٢) في الأصل : نصرتهم . (٣) في الأصل : لهم .

عندي ، مقرونة بسائر ما ذكره من الشروط ، تفادياً<sup>(١)</sup> عن الهلك ، ونزولا  
 عن الملك ، إذ رأيت أن لانيجاة<sup>(٢)</sup> ، ولا رجاء ، ولا إبقاء ، ولا بقاء . فلم يجبني  
 إلى ذلك ، وأبى إلا أن يطلبني بمشاشة ماسكها الرعب ، واستولى عليها الذعر ،  
 وليس يطلبني الآن ملحا إلا للهلاك ، ويسومني من الإذلال ما الموت دونه .  
 فرق له قلب كشاو خان ، وخشى أنه لو سلمه إليه يبقى عليه سببة عند  
 الترك لا يرحض<sup>(٣)</sup> مضرها ، ولا يدفع عن وجهه قترها<sup>(٤)</sup> ، فكان يدافعه  
 يوماً إلى يوم ، ووقتاً بعد وقت ، إلى أن حدس السلطان بالمطالبة ، وانجذابه  
 في طول المطاولة . وحكى لي الأمير محمد بن قرا قاسم النسوي ، وكان آخر  
 رسول السلطان إليه في المعنى ، وقد أمره بمخاشنة كشاو خان في الكلام ،  
 ففعل ، فقيده كشلو خان إلى أن من الله عليه بالخلّاص في وقعة كانت بين  
 كشاو خان وسربة من سرايا الساطان . ولما حضر المذكور باب السلطان  
 مفلتاً من ربقة الإسار ، وناجياً عما منى به من مشقة الذل والصغار ، وكان  
 قد بلغ للسلطان صدقه في مقاتله ، ونصحته في أداء رسالته ، فوعده الخير  
 ومناه ، وحكمه في اقتراح ماهواه وتمناه . فاقترح عليه مرسوم رياسة عامة  
 بلاد خراسان ، فأمر له بذلك ومنى الرؤساء منه بداهية دهيام ، وحطّة  
 نكراء . ودخلت سنة ست عشرة وستائة ، وهي التي سمّتها العامة مشوّمه ،  
 ولم يفرغ المذكور من خبائثه لاتساع رقعة خراسان ، ولما ابتدأت المحاسنة  
 بالمخاشنة ، اختار السلطان من عسكره ستمين ألف فارس لقصد كشاو خان  
 وحصده ، واتزاع خان الخانية من يده ، بعد أن وجه إليه عدة سرايا  
 التقوه في عدة دفعات بكاشغر وغيرها كان أكثرها عليه<sup>(٥)</sup> .

(١) في الأصل : اتفادياً . (٢) في الأصل : نجاء .

(٣) في الأصل : لا يرحض . ويرحض أي يفسل ويعجى . ويحتمل أن تكون « لا يرحض »

أي لا يدفع . (٤) القتر : جمع قتره وهي القبار .

(٥) انظر ما جاء عن كشاو خان ونشاطه في إقليم التركستان إلى أن اعتلى عرش دولة

الخطا في كتابنا : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٦٣ - ٦٥ . وراجع أيضاً ما كتب عن هذا

الموضوع في كتاب Bretschneider : Op. cit , vol. i, pp. 230-231.

ذكر هلاك كشلوخان على يد دوشى خان بن جنكيز خان<sup>(١)</sup>

وذلك فى سنة اثنتى عشرة وستمائة

وقد أورده ابن الأثير فى سنة ست عشرة وذلك خطأ

ولما بلغ جنكيز خان استيلاء كشلوخان على ملك كاشغر وبلاساقون وحصول كورخان بيده ، جرد إليه ابنه دوشى خان فى زهاء عشرين ألفاً أو أكثر لتدارك أمره ، وحصد ما نجم من شره . وكان السلطان إذ ذاك قصده من جهته فى ستين ألفاً ، فلما أتى السلطان ماء أرغز وجد النهر جامداً فلم يمكنه العبور ، فأقام بالفرضة ، مرتقباً لميقات الفرصة فى عبوره إلى أن أمكنه ذلك ، فعبر وأخذ فى السير حاثاً ، وعن آثار كشلوخان باحثاً . فبينما هو يسير فى بعض الأيام ، إذ أتته طليعة من طلائمه ، مخبرة بخيل قد أقبلت ، فإذا بدوشى خان وقد ظفر بكشلوخان وقلعه عن أساسه ، وعاد براسه ، وقد أوقع به وبمن معه من الخطايمية ، فتركهم جزراً للسيوف القواطع وطعماً للفسور الخوامع ، ومعه من الغنائم ما ترك الغنم دهماً<sup>(٢)</sup> بسوادها ، فتطارد الشجعان وتجالد الفرسان مسجوبة يومهم ذلك<sup>(٣)</sup> ، وبعث دوشى خان

(١) يقصد النسوى بدوشى خان ، جوجى بن جنكيز خان ، ولا مناس من القول بأن هذا خطأ واضح ، إذ الثابت أن الذى قاد الحملة المغوية ضد كشلوخان كان شيبى نوبين Chépé Noyen وليس جوجى بن جنكيز خان . والمعروف أن أولاد جنكيز خان الذين شاركوا أبهم فى حروب المسلمين كانوا جوجى وأجتاي وجغتاي وتولوى .

ولفظ نوبين No-yen كما ورد فى المرجع الصينى المعروف باسم Yüan shi لقب معناه أمير أو سيد أو قائد . انظر تفسير هذا اللفظ فى Bretschneider : Op. cit., vol. i, p.233, note 592.

Howorth : Op. cit., part iii, p.88 و القلقشندى : صبح الأعشى ج ٤ ص ٤٢٥ .

(٢) فى الأصل : ادحا .

(٣) كان جنكيز خان قد أمر قائده شيبى Chépé بالبحث عن كشلوخان وإحضاره إليه حياً أو ميتاً . وقد استطاع هذا القائد أن يثير الشعور الدينى لسكان التركستان ضد كشلوخان ، وذلك بأن أعلن الحرية الدينية فى كل مكان ، وكان الأهالى وبخاصة المسلمين منهم قد حرموا

إلى السلطان من قال له ، إنه يقبل الأرض ، وينهى أنه لم يتعد إلى هذه الجهة متعدياً طورة ، بل خدمة للسلطان ، وقلعاً لمن نبذته كواذب الآمال ، ودواعى المحال ، إلى أطراف مملكته . وقد كفى السلطان مؤنة النهضة ، وكلفة التجشم لأجله ، فأوقع به وبمن معه من أعداء السلطان ، فقرر ضمهم عن آخرهم ، وسبى<sup>(١)</sup> ذرارهم وأهلهم ، وساق غنائمهم ، وهاهى ذى بأسرها<sup>(٢)</sup> بين يدي السلطان يحكم فيها كيف شاء ، فإن رأى أن ينعم على من باشر القتال ، وإلا فيوجهه إلى من يتسلها ويسوقها إلى مخيمه<sup>(٣)</sup> . وقد ذكر في جملة ما ذكر أن أباه أو صاه بسلك مسلك الأدب إن صادف عسكر أمن العساكر السلطانية في وجهته تلك ، وحذره أن يبدو منه ما يرفع ستر الاحتشام ، ويتأفى مذهب الإعظام . فلم تغن ملاحظته ، ولم تنقص من قوى لجاج السلطان سحيلاً<sup>(٤)</sup> إذ كان معه ضعفاً<sup>(٥)</sup> ما كان مع دوشى خان من الرجال وأرباب الزحف والصيلال . واعتقد أنه لو قذفه ببعض رجومه ، لغادره رمادا تذروه الرياح العواصف وتفتسمه الجوانب<sup>(٦)</sup> والشمال . فأجابه السلطان بأن جنكز خان

== هذه الحرية في عهد كشلوخان ، فثار الأهالى واستقبلوا المغول استقبالا حسنا . انظر Skrine & Ross . Op. cit , p. 157. ، ويذكر فامبرى Vambery أن كشلوخان كان يعتنق الديانة البوذية وأنه أخذ يعمل على نشرها في دولته ، كما يذكر أن كشلوخان كان متزوجاً من سيدة مسيحية وكانت أيضاً تعمل على نشر دينها في هذه البلاد . ويذكر برتشneider Bretschneider أن كشلوخان هو الذى كان يعتنق الديانة المسيحية شأنه في ذلك شأن غالب أفراد قبائل نيمان Naimans وهم أهله وعشيرته ، وأن زوجته ، ابنة كورخان الخطا ، هى التى كانت بوذية الدين وأنها كانت تعمل على نشر الديانة البوذية . ومع أننا نميل إلى الأخذ بالرأى الأخير ، فإننا نخلص من هذا إلى أن المسلمين هم الذين كانوا موضع اضطهاد البوذيين والمسيحيين على السواء . انظر Vambery . History of Bokhara , p. 121 , note , 1. Bretschneider : Op. cit., vol. i , p. 231.

(١) فى الأصل : سبياً . (٢) فى الأصل : هاهى بأسرها .

(٣) يبدو أن هذا قول مبالغ فيه إلى حد كبير ، ويرجع هذا إلى أن النسوى ، وهو الذى عاش فى كنف الخوارزميين وفى ظلمهم ، يريد أن يسبغ عليهم طابعاً خاصاً قوامه إظهارهم بمظهر القوة والبأس . ولذا يجب أن يقف الباحث موقف الحذر من المؤرخ ذى الطابع السياسى المعين أو المذهب الدينى الحاس .

(٤) أى فتيلاً .

(٦) أى الجناائب .

(٥) فى الأصل : ضعفاً .

إن كان أمرك أن لا تقاتلني فالله تعالى قد أمرني أن أقاتلك ، ووعدني على قتالك الحسنى ، فلا فرق عندى بينك وبين كورخان وكشلوخان لا اشتراككم فى الشرك ، فأذن بحرب تتقصد فيها الرماح ، وتتحطم فيها الصفاح .  
 فعلم دوشى خان حينئذ أنه إن لم يصدق القتال كذب أملة و حان أجله ، فلجأ إلى المصاع<sup>(١)</sup> ، ووزع إلى القراع . فلها تقابل<sup>(٢)</sup> الفريقان ، وتقابل الصفان ، حمل بنفسه على ميسرة السلطان فنزقها تزيقا ، وفرقها فى وجوه مهربها تفريقاً ، وكادت الهزيمة تستمر بالسلطان لولا عطفة من ميمنته على ميسرة اللعين ، انتصفت منها فشفت منها غليلا ، واستوفت قليلا ، وبردت غليلا ، فلم يدر منها الغالب والمغلوب ، والسالب والمسلوب ، وتفرق الفريقان يومهم ذلك على ميعاد استئناف الحرب من بكرة غد ، فأشعل<sup>(٣)</sup> الكفرة جنح الليل نيراناً ، مظهرين بأنهم ثابتون ، وعلى نية الحرب باثتون ، وحشوا ظهور الخيل ، تحت ذيول الليل ، فقطعوا مسافة يومين فى تلك الليلة ، وتمكن فى قلب السلطان من الرعب والاعتقاد بفسادهم ما إذا ذكروا فى مجلسه يقول : لم ير كرجالهم إقداماً وثباتاً على مضض الحرب ، وخسيرة بقوانين الطعن والضرب .

ولما عاد السلطان إلى سمرقند ، خلع على أمراء الأصحاب ، وزاد فى إقطاعاتهم ودرجاتهم ، ولقب بوجى بهلوان منهم بقتلغ خان ، وأغل حاجب بأينانج خان ، وجازى كل واحد منهم الخير على إقدامه ، وثبات أقدامه .  
 وحيث أوردنا نبذاً من أحوال السلطان محمد فى شرح مبدأ التاتار ، نسوق باقى أخباره إلى أن نفذ فيه محتوم القضاء<sup>(٤)</sup> وأذنت أيامه بالانقضاء ، ثم نفضى الحديث إلى الغرض المقصود من الأخبار الجسالية إن شاء الله تعالى .

(٢) كذا فى الأصل ، وصححتم التقي .

(٤) فى الأصل : القضا .

(١) المصاع : القتال بالسيوف .

(٣) فى الأصل : فأشعلوا .

## ذكر قصد السلطان بلاد العراق

سنة أربع عشرة وستائة

لما عظم شأن السلطان ، ونخم أمره ، وتجلت له الدنيا في أرفع ملابسها ، وأشرقت شمس دولته من أكرم مطالعها ، واستملمت جريدة ديوان<sup>(١)</sup> الجيش على ما يقارب أربعائة ألف فارس ، سمت همته إلى طلب ما كان لبني<sup>(٢)</sup> سلجوق<sup>(٣)</sup> من الحكم والمملك ببغداد ، وترددت الرسل في ذلك مراراً ، فلم يجب إلى المراد لعلمهم بما بين يديه من الشواغل بما وراء النهر وبلاد الترك ، إذ كان مهتماً قلع منهم طائفة طلعت أخرى لم يسمع بها ، وهو يتربص أثناء ذلك حصول المرام ، إيتام بالوقت إلى مرتقب الرجاء ومقتطف الأمل<sup>(٤)</sup> .

(١) الديوان ، كلمة فارسية معناها سجل أو دفتر ، ثم تطور استعمال هذا اللفظ فأطلق من باب الجاز على السكان الذي تحفظ فيه السجلات الخاصة بأمر الدولة المختلفة . وقد اقتبس عمر بن الخطاب نظام الدواوين في الدولة الإسلامية بعد أن اتسعت الفتوحات في عهده ، وأصبحت الحاجة ماسة إلى ضبط أمور الدولة ، فأنشأ ديوان الجند لكتابة أسماء الجند ، وديوان الخراج لتدوين ما يرد إلى بيت المال من أموال . ثم اتسعت هذه الدواوين وتعددت في عصر الدولتين الأموية والعباسية . انظر كتاب النظم الإسلامية للدكتور حسن إبراهيم حسن بك ، ص ٢١٥ - ٢٢٣ .

(٢) في الأصل : بني .

(٣) يكتب هذا الاسم بطرق مختلفة، فنراه في غالبية المراجع العربية « سلجوق » ، ونراه في بعض المراجع العربية الأخرى « سلجق » ومن هذه المراجع كتاب تاريخ دولة آل سلجوق لعلماد الدين الأصفهاني والذي اختصره الفتح بن علي البنداري ، إذ على الرغم من ذكر حرف « الواو » في عنوان الكتاب فقد حذف هذا الحرف من صفحاته . ويكتب هذا الاسم أيضاً « سلجك » كما جاء في كتاب ديوان لغات الترك لمؤلفه محمود الكاشغري . ويكتب أيضاً « سلجوق » كما وجدته في كثير من المراجع والكتب التركية، وأذكر على سبيل المثال منها كتاب أورته آسيا لبارتولد Barthold ، وكتاب گلشن معارف لمحمد سعيد ، وكتاب عثمانى تاريخي لاجد راسم . (٤) استعان الخليفة الناصر لدين الله العياشي بعلاء الدين تكش خوارزم شاه على عدوه السلجوقي طغرل بك آخر سلاطين السلاجقة في العراق . وقد اشتبك تكش فلما مع طغرل بك في موقعة حربية سنة ٥٩٠ هـ (١١٩٣ م) ، قضى فيها الخوارزميون على آخر سلجوقي في العراق . وفي الوقت الذي ظن فيه العباسيون أنهم تخلصوا من التيار السلجوقي ، نجد الخوارزميين

وحكى القاضي مجير الدين عمر بن سعد الخوارزمي - وكان عند السلطان من ذوى الحظوة والاختصاص ، وقد أرسله إلى بغداد مراراً ، قال : كان آخر رسالاتي إليها مطالبة الديوان بما ذكرناه ، فأبوا ذلك وأنكروا كل الإنكار ، وقالوا : إن اختلاف الدول وتقلب الدهر وتغلب الخارجي على بغداد ، وتسحب الإمام القائم بأمر الله (١) ، رضوان الله عليه ، منها إلى حديثة عانة ، وانتصاره بطغرل بك (٢) بن مكائيل ، والقصة مشهورة ، اقتضت تحكيم بنى سلجوق في بغداد ، وإلا فلايس يحتم أن يكون مع الزمان على أكتاف الخلافة متحكماً يأمر فيها وينهى كيف شاء ، بما سر وسام . ومهما احتجنا إليك في مثل ذلك ، ولا كان ذلك ، أجبناك إلى ما أجبنا أولئك . أوليس فيما أنعم عليه به من الممالك الواسعة الأقاليم ، المتباعدة المتشاسعة ، غنية عن الطمع في دار ملك أمير المؤمنين ، ومشاهد آبائه الراشدين ! قال : وأصحاب (٣) في عوده بالشيخ شهاب الدين الشهروردي (٤) ،

يتوقون إلى أن يرتوا ما كان للسلاجقة في العراق من نفوذ وسلطان ، ومن ثم قاموا يتطلعون إلى الاستيلاء على بغداد نفسها ، وحاول علاء الدين محمد خوارزم شاه فملا تحقيق هذا الهدف . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ٥٠ ، وابن خلدون : العبر ودبوان المبتدأ والخبر ، ج ٥ ص ٩٤ ، والمقرئزي : السلوك ، ج ١ قسم ١ ص ٤٠ .

(١) حكم الخليفة العباسي القائم بأمر الله من سنة ٤٢٢ / ٤٦٧ هـ (١٠٣١/١٠٧٥ م) .  
(٢) يكتب هذا الاسم أحياناً « طغرول » ، انظر كتاب گلشن معارف لمحمد سعيد ج ١ ص ٣٦١ . وقد ذكر لي الأستاذ المستشرق فلاديمير مينورسكي V. Minorsky ، الذي كان من حسن حظي أن اجتمعت به مراراً أثناء زيارته لصر وأفدت من علمه الكثير ، أنه من الجائز أن تدون الأسماء التركية دون كتابة ما فيها من حروف متحركة ، وضرب لي مثلاً بأسماء القبائل الآتية التي يجوز كتابتها بأحد الوضعين الآتين :

تسلغور أو سالغور ، بايسندور أو بايوندور ، أيسغر أو أونور .

(٣) أصحاب الرجل : ضار ذا صاحب .

(٤) ينسب شهاب الدين الشهروردي إلى قرية سُهرورد بإقليم زنجان ، وقد أقام هذا الرجل معظم أيام حياته في بغداد وتمتع بثقة الخليفة الناصر لدين الله العباسي ، كما أنه كان من كبار رجال الصوفية في عصره . وألف في التصوف كتاباً يسمى باسم « عوارف المعارف » ، وقد توفي سنة ٦٣٢ هـ (١٢٣٤ م) . انظر كتاب تاريخ الأدب الفارسي للدكتور رضا زاده شفق ، ص ٣٩٧ .



رحمه الله ، رسولا مدافعا ، وواعظاً وازعاً ، عما كان يلتمسه السلطان ، وتراجعت المراسلات في المعنى وتكررت ، فكانت غير مجدية . وانضاف إلى ذلك استهانتهم بالسبيل الذي كان للسلطان في طريق مكة ، حرسها الله تعالى ، حتى بلغه تقديمهم سبيل صاحب الإسماعيلية<sup>(١)</sup> جلال الدين الحسن<sup>(٢)</sup> على سبيله ، فكان نكاً للقرح ، وما يخ فوق الجرح . وسمعت القاضي المذكور يقول : إن الشيخ شهاب الدين لما دخل على السلطان<sup>(٣)</sup> ، وعنده من حسن الاعتقاد برفيع منزلته ، وعالي قدره وتقدمه فضلاً على مشايخ عصره ، ما أوجب تخصيصه بمزيد الإكرام ، ومزية الاحترام ، تمييزاً له عن سائر الرسل الواردة عليه من الديوان ، فوقف قائماً في صحن الدار ، ثم أذن له بالدخول . فلما استقر المجلس بالشيخ قال رحمه الله : إن من سنة الداعي للدولة القاهرة أن يقدم على أداء الرسالة حديثاً من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم تيمنا وتبركا ، فأذن له السلطان في ذلك ، وجلس على ركبتيه تأدبا عند سماع الحديث ، فذكر الشيخ حديثاً معناه التحذير من أذية آل عباس ، رضى الله عنهم . فلما فرغ الشيخ من رواية الحديث ، قال السلطان : أنا وإن كنت تركيا قليل المعرفة باللغة العربية ، لسكنتني فهمت معنى ما ذكرته من

(١) سميت هذه الطائفة بالإسماعيلية لأن أتباعها يدينون بإمامة اسماعيل بن جعفر الصادق ، واشتهروا أيضاً بالباطنية لأنهم يبتغون خلاف ما يظهرون ، وسما بالملاحدة لأن مذهبهم يقوم على الإلحاد . انظر الفلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١٣ ص ٢٤٥ . وقد عرفوا أيضاً بالحشيشية . انظر ابن ميسر : أخبار مصر ، ج ٢ ص ٦٨ . وأبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ، ص ٥٢ ، ١٩٨ . ( R. H. C. O. tom. v . طبعة ) . وقد سماوا بالحشيشية لما عرف عنهم أو ألصق بهم من استخدامهم مادة الحشيش المخدرة في التضييل بمقول من يدخل في دعوتهم : انظر ما كتبناه عن طائفة الإسماعيلية واستفعال شأنها في أقاليم بلاد المشرق في كتابنا : المشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي ، ص ٦٨ — ٨٨ . وانظر أيضاً كتاب : دولة الزارية أجداد أعا خان ، للدكتور طه أحمد شرف .

(٢) ٦٠٧ / ٦١٨ هـ ( ١٢١٠ / ١٢٢١ م ) .

(٣) قابل السهروردي علاء الدين محمد خوارزم شاه سنة ٦١٤ هـ ( ١٢١٧ م ) بالقرب من مدينة همدان ، وهو في طريقه إلى غزو بغداد .

الحديث ، غير أني ما آذيت أحداً من ولد عباس ولا قصدتهم بسوء ، وقد بلغتني أن في محبس أمير المؤمنين منهم خلقاً مخلصين<sup>(١)</sup> ، يتناسلون بها ويتوالدون ، فلو أعاد الشيخ الحديث بعينه على مسامح أمير المؤمنين كان أولى وأنفع ، وأجدي وأنجح . فقال الشيخ : إن الخليفة إذا بويع في مبدأ خلافته ، بويع على كتاب الله وسنة رسوله واجتهاد أمير المؤمنين ، فإن اقتضى اجتهاده حبس شريعة لإصلاح أمة لا يقدر<sup>(٢)</sup> ذلك في طريقته المنطوق . وظال الكلام في المعنى ، ولست بمعيد ذلك ، إذ السكوت<sup>(٣)</sup> عن أمثاله أقوم قبلاً ، وأهدى سبيلاً<sup>(٤)</sup> .

وعاد شهاب الدين والوحشة قائمة على ساقها ، وانفق عقيب ذلك قتل الإسماعيلية أغلش الأتابكي<sup>(٥)</sup> ، وقد كان ناب عن السلطان بالعراق وركب يلتقي الحجاج منصرفهم من حج بيت الله الحرام ، فقفزوا عليه في زى الحجاج ، وانقطعت حينئذ خطبة السلطان بالعراق ، فركبته إليها إعادتها إلى حالها ، على ما نذكره إن شاء الله .

(١) في الأصل : خلق مخلصون . (٢) في الأصل : لا تقدر . (٣) في الأصل : إذا السكوت . (٤) راجع ما ذكره أبو الحسن في كتابه : المنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج ٦ ص ٢١٩ - ٢٢٠ عن تفصيل المقابلة بين علاء الدين محمد خوارزم شاه وشهاب الدين السهروردي على لسان الأخير . (٥) كان نظام الأتابكة من أهم سميات العصر السلجوقي . ولفظ أتابك معناه « الأمير الوالد » أو أبو الأمير . ويرجع الأصل في ذلك إلى أن سلاطين السلاجقة كانوا يهبون في تربية أبنائهم إلى المقرين إليهم من الأتراك ، الذين ترغروا في كنفهم ، فإذا ما عين سلطان ما ، ابنا من أبنائه على مدينة من المدن ذهب معه هذا التركي (الوالد) ليعاون هذا الأمير في حكم هذه المدينة ، ويسدى إليه ما يراه من النصائح . على أن السلاجقة توسعوا بعد ذلك في معنى هذا الاسم ، بحيث أصبح يمنح كلقب من ألقاب الشرف لسكبار رجال الدولة وقواد الجيوش . وسواء أكان هؤلاء الأتابكة من المرين لأمر السلاجقة أم من قواد جيوش الدولة السلجوقية ، فإنهم كانوا في الواقع أصحاب النفوذ الفعلي في البلاد التي يعهد إليهم بالحكم فيها ، وخاصة بعد أن بدأت الدولة السلجوقية في الانحلال . ويلاحظ أن لفظ أتابك . كـ بـ نـ من مقطعين ، « بك » ومعناه أمير ، و « اتا » ومعناه أب . انظر السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٢٧٩ . وابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ١ ص ٢٤١ . وانظر أيضاً ما كتبناه عن قيام دول الأتابكة في بلاد المشرق في كتابنا : الشرق الاسلامي قبيل الغزو المغولي ، ص ٩١ - ١١٤ .

## ذكر مسير السلطان إلى العراق وما جرى له بها

لما قتل أغلش وكان مقبلاً زسى الخطبة والطاعة للسلطان بالعراق، طمع الأتابكان أربك بن محمد صاحب أران وأذربيجان، وسعد بن زنبكي صاحب فارس فيها. فنهضا إليها من جهتيهما اغتناما لنهزة خلوها عن يحميها، ويقم كبة الدعوة فيها، ولعلمهما ببعده السلطان وغوصه في أعماق بلاد الترك وإشرافه أعاليها، واشتغاله بذوبان الكفرة وسعاليها، فرحل أربك بعد انتشال كبتائه في الاستخدام والاتفاق إلى العراق، فدخل أصفهان على مواطاة من أهلها، وجاء سعد إلى الري فملكها وملك معها قزوین وخوار<sup>(١)</sup> وسمنان<sup>(٢)</sup> وما تاخها ودانها. وتطيرت الأخبار بها إلى السلطان وهو يسمر قند فخر كته همته التي كانت تستسهل<sup>(٣)</sup> الوعر، وتستقرب البعد، لقصدتها وحصدتها، فاختر من نجياد الرجال، وسرعان الأبطال، زهاء مائة ألف فارس وركز<sup>(٤)</sup> معظم عسكره مع أكابر أمرائه، وذوى الصيت من كهرائه، ببلاد ما وراء النهر وثور الترك. فلها وصل إلى قومس<sup>(٥)</sup>، اختار من المستصحبين اختياراً ثانياً، ونهض في اثني عشر ألف فارس<sup>(٦)</sup> خفافار كضا، بادر أفواج الرياح، واقتصر أوقات الإظلام

(١) خوار: مدينة قريبة من الري. ياقوت: معجم البلدان، ج ٣ ص ٤٧٣.

(٢) سمنان: مدينة بين الري ودامغان. ياقوت: معجم البلدان، ج ٥ ص ١٢٩.

(٣) في الأصل: تسهل. (٤) في الأصل: زكر.

(٥) قومس: أحد الأقاليم الواسعة ويقع في سفوح جبال طبرستان. ويشتمل هذا الاقليم على مدن وقرى ومزارع كثيرة، وحاضرته دامغان. ياقوت: معجم البلدان، ج ٧ ص ١٨٥.

(٦) في الأصل: فارسا.

والإصباح ، حتى سبق خبره إلى جبل برزك ، وهي كورة من كور الرى  
محدثة ، وسعد بظاها ، فلم يدر أسار إليه أم ظار . فلما رأى سعد أوائل الخيل  
مشرفة عليه ، ظن أنهم من الأذربكية<sup>(١)</sup> المتنازعين في ملك العراق ، فركب  
بنفسه وعسكره ، وصدق<sup>(٢)</sup> القتال ، وحقق المصاع<sup>(٣)</sup> والهيال ، وتوالت  
عليهم الحملات منه والأطوار متواصلة ، فحين شاهد السلطان جده ، وعان  
وكده<sup>(٤)</sup> ، أمر بنشر الجتر<sup>(٥)</sup> - وكان ملفوفاً - فنشر . فحين تحقق  
أصحاب الأتابك أنه السلطان ، ولتوا على أدبارهم نفوراً ، وكان أمر الله  
قدراً مقدوراً . ونزل سعد فقبل الأرض ، فأخذه بعض من وصل إليه  
فكثفه وأحضره بين يدي السلطان ، فأمر بالاحتياط عليه إلى أن يرى  
فيه رأيه ، وبقي مكبولا ، وعلى بغل الحمل محمولا ، إلى أن وصل السلطان  
إلى همدان ، وقضى بها وطراً من أمر أوزبك على ما سنذكره إن شاء الله  
تعالى ، فكانوا يحضرون الأتابك سعداً والملك نصرة الدين محمد بن بيشتكين  
والصدر ريب الدين أبا القاسم بن علي وزير أوزبك ، وقد أمر عند انقلاط  
أوزبك على ما يجيء شرحه ، كل يوم إلى الميدان بهمدان والسلطان يلعب  
بالأكرة ، فيقامون هناك إذلالاً بهم ، إلى أن أمر بحل وثاقهم ، ومن عليهم  
بإطلاقهم ، على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

(١) نسبة إلى أوزبك بن البهلوان أتابك أذربيجان .

(٢) في الأصل : صدق .

(٣) المصاع : القتال بالسيوف .

(٤) الوكد : القصد .

(٥) الجتر ، يجيم مكسورة قد تبدل شيئاً معجمة : المظلة . وقد كانت في أيام الفاطميين  
والأيوبيين والمماليك في مصر من شعار السلطنة ، وهي عبارة عن قبة من الحرير الأصفر  
الزركش بالذهب في أعلاها طائر من فضة مطلية بالذهب تحمل على رأس السلطان في  
العيدين . انظر الفلقشندی : صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٧ - ٨ .

## ذكر حال الأتابك أزبك وخروجه من أصفهان

وإفلاته من حباله القبض بعد أن قارنها

حدثني الوزير ربيب الدين المذكور ، وكان من أكابر الزمان ، وعن أشاب نواصي الأيام ، في تقلد أشغال الديوان ، وحين ملك جلال الدين <sup>(١)</sup> أذربيجان وأران على صاحبه ، اختار العزلة ، وجعل داره مدرسة ، فسكنها منعكفاً على الطاعة مواظباً على العبادة ، ختمها بالسعادة ، وتكميلاً لأسباب السيادة ، فلما سمع أزبك وهو بأصفهان <sup>(٢)</sup> ما حل بسعد من الأسر ، أخذها بها المقيم المقعد ، وملكه المزعج المكمد ، ورأى الأرض قد ضاقت عليه بما رحبت ، ولم تبق له همة سوى العود إلى دار ملكه ، والخلص عما أشرف عليه من هلكة ، ركب مغنّة السير <sup>(٣)</sup> إلى أن قارب همذان ، معتقداً أن السلطان مقيم بالرى أو صامد حمد أصفهان . فأخبر وهو على مسيرة يوم من همذان أن السلطان بها يرتقب أخبارك ، وقد أذكى العيون عليك في كل مرصد ، وبث طلائعه على كل جهة ومقصد . فعندما سقط في يده <sup>(٤)</sup> ، وفنت في عضده ، لانعكاس تدبيره ، وانكشف العواقب عن ضد ما أحاله من قذاح تقديره . فتحير لا يدرى الرأي في وجه إقباله ، أو في ظهر إدباره . فاستشار إذذاك بصحابه فيما دهاه ، واستقدهح آرامهم فيما عراه ، فأشار بعضهم بالعود إلى أصفهان ، ورأى بعضهم البدار إلى أذربيجان في خوف من العمد وتخليف الأتقال

(١) المقصود هنا جلال الدين منكبترى آخر سلاطين الدولة الخوارزمية .

(٢) تسكتب هذه المدينة أيضاً أصبهان . انظر أبو الحسن : النجوم الزاهرة ، ج ٦

ص ٢٦٩ ، وياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ص ٢٦٩ .

(٣) أى مسرعا . وقد نقلها هوداس عن النسخة الخطية ، معداً للسير .

(٤) سقط في يده : ندم . وسقط في يده : زل وأخطأ وتعبير .

عرضة للتهيب وطعمة للسكتسب . قال : وأنا قد أشرت عليه دون الجماعة  
بالتحصن بقلعة قزوين ، وكانت قريبة ، وهى من أمهات قلاع الأرض  
ومشاهير حصونها التى قال الشاعر فيها :

يطير عقاب الجو فى جنباتها<sup>(١)</sup> وللنسر فى حافتهن مقييل

فلم يشبهها من رواسى الجبال ، ومباني القلال ، إلا قليل ؛ وهى إذ ذاك  
له فقال أربك فى جوابه : ماذا يضر السلطان لو تحصنت بالقلعة أن يأمر  
بعض أمراء العراق بمحاصرته فلم يزل حاطاً عليها محيطاً بها حتى يبلغ المراد ؟

وبالجملة فكانت زبدة محضهم أنه وجه أثقاله وخزائنه ومعظم جيشه مع  
الملك نصره الدين محمد بن بيشتكين صوب تبريز<sup>(٢)</sup> ، طالباً بها خلاصه ؛  
وشاغلاً بها من نوى اقتناصه . واستصحب من خواص أتراكه زهاء<sup>(٣)</sup>  
عن مائتى فارس . فأخذ بهم نحو أذربيجان فى المسالك الوعرة ، والجبال  
الصعبة ، إخفاء للخبر ، وطمساً على الأثر . ووجه الوزير المذكور إلى السلطان  
برسالة يعتذر عن جنائته ، ويرحض<sup>(٤)</sup> عنه دنس العصيان ، وتحيل ما صدر  
منه على وساوس الشيطان . فوقع الأمير دكجك السلاح دار<sup>(٥)</sup> مقطع  
كبودجامة وهى من نواحى مازندران ، على أثقاله ، وعامة رجاله ، ليلا ببعض

(١) فى الأصل : جانباتها . والعقاب : طائر من الجوارح .

(٢) تبريز : حاضرة أذربيجان . ومما يذكر أن هولاء كرمؤسس دولة الإلخانات المغول  
فى فارس اتخذ من هذه المدينة حاضرة للسلطنة فترة من الزمن . وتمتاز هذه المدينة بمبانيها  
الزينة بالقاشانى والجص والسكس . انظر القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٣٥٧ .

(٣) الزهاء بضم الزاى : المقدار .

(٤) يرحض : يفسل .

(٥) كان ديوان الجيش من أهم دواوين الدولة الخوارزمية ، فقيه يدبر كل ما يلزم  
الجيش من أسلحة وذخائر وعتاد وأموال ، ويتبع هذا الديوان « بيت السلاح » الذى تحفظ  
فيه الأسلحة المختلفة ، ويشرف عليه رجل عرف بالسلاح دار ، كما يقوم بالعمل فيه عدد كبير  
من الصناع يشتغلون فى إصلاح الأسلحة . انظر القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الانشا  
ج ٤ ص ١١ - ١٢ .

تلك المرصد ، فزقها ببدأ ، وفرقها طرائق قِدداً<sup>(١)</sup> ، وتتبّع الجفلة إلى نينانج ، وهي كورة من كور أذربيجان على حافة النهر الأبيض ، وأسر الملك نصره الدين محمد بن بيشتكين ، وانضمت حباله الأسر على معظم من صحبه ، فجمعت أكار وأصاغر<sup>(٢)</sup> وتركت العزيز منهم صاعراً . وأما الخزان والأثقال والأعلام والطبلخانة<sup>(٣)</sup> فقد شملها النهب ، وتقاسمها الكسب . وصودف ريبب الدين الوزير في الطريق حين رخصت الأعراض ، وأبيحت الأموال والأعراض ، فسبق في الأسرى إلى الخيم ، ولم يصدق في رسالته ، واعتقد أنه زورها عند اضطراب الحال حيلة للخلاص ، لات حين مناص . فلينظر المتأمل إلى هذه الهمة السلطانية ، أنها سمت من أعالي ما وراء النهر إلى كبس مسكين بالعراق ، فنال منهما ما أراد ، واستوفى عليهما الثأر وزاد ، فأما الملك نصره الدين محمد فقد بقي مأسوراً ، يحضر كل يوم الميدان مهاناً ، مقروراً بالأتانك سعد والوزير ريبب الدين ، إلى أن رجع نصير الدين دولتيار وكان متولياً<sup>(٤)</sup> منصب الطغراء للسلطان وهو من المناصب الجليلة عندهم<sup>(٥)</sup> ، غير أنه دون كتابة الإنشاء<sup>(٦)</sup> في بيت الخوارزمشاهية ، وفوقها عند

(١) طرائق قِدد : أي جماعات متفرقة ، والفرد قِدَّة .

(٢) في الأصل : أكاراً وأصاغراً .

(٣) الطبلخانة : بيت الطبل ، ويشتمل على الطبول والأبواق وتوابها من الآلات .

القلقشندی : صبح الأعشى ، ج ٤ ص ١٣ .

(٤) في الأصل : متولى .

(٥) الطغراء : كلمة مختلف في اشتقاقها ، فيقول البعض لأنها أخذت عن التركية ، ويقول البعض الآخر لأنها أخذت عن الفارسية ، ويقول فريق ثالث لأنها دخلت في التركية نقلاً عن صيغة التأنيث العربية ، طغراء على وزن فعلاء . والطغراء هي الطابع أو التوقيع ، والطغرائي هو الموظف الموكل بالتوقيع . انظر دائرة المعارف الإسلامية مادة Tughra .

(٦) كان ديوان الإنشاء أول ديوان وضع في الإسلام ، إذ كان النبي في حاجة إلى أن يكتب أمراءه وأصحاب سراياه ، كما كان في حاجة إلى الكتابة إلى الملوك المعديدين بغية دعوتهم إلى الإسلام . وكان يقوم بالكتابة في عهد النبي أبو بكر الصديق ، وعلي بن أبي طالب . على أن الكتابة فوضت إلى كاتب مختص في عهد الأمويين ، ومن أشهرهم عبد الحميد الكاتب ، فلما

السلاجقة ، وكان السلطان قد بعثه رسولا إلى الأتابك أربك بعد إفلاته من شبانك ، يأمره بإقامة رسمي الخطبة والسكة باسمه ، في عامة بلاد ممالكة ، وأن يحمل كل سنة إلى الخزانة <sup>(١)</sup> السلطانية أتاوة معينة . فأما الخطبة والسكة فقد لبى <sup>(٢)</sup> دعوة السلطان فيهما سريعا ، وأجاب إليهما جميعا . وخطب للسلطان على منابر أران وأذربيجان إلى ما يلي دربند شروان ، وأظهرت الأفراح ، وعملت البشارات ، ونصير الدين حاضر ، وسير إلى السلطان من الهدايا والألطف ما صار دون بلاده حجابا ، وسد بينها وبين من يعارضها أبوابا . وسلم قلعة قزوین للسلطان خدمة ، واعتذر في أمر الأتاوة بأن السكرج <sup>(٣)</sup> استضعفوا جانبه واستولوا على أطراف بلاده ، وهذه حاله والبلاد بما تشر من الأموال له ، فكيف إذا انقسمت وحمل منها أتاوة ، وزيدت على حملها علاوة . فصدقه السلطان في ذلك وأعفاه <sup>(٤)</sup> منها ووجه إلى السكرج رسولا يحذرهم قصد بلاده ، ويقول <sup>(٥)</sup> إنها صارت كإحدى ممالكة الخاصة . وبحت <sup>(٦)</sup> منابرها بذكر اسمه ، وحليت نقودها بزينة وسمه ،

== جاءت الدولة العباسية كان ديوان الانشاء يضاف تارة إلى الوزارة وتارة يهده إلى كاتب يختص به ، وفي الحالة الأولى أضيف لقب الكتابة إلى الوزارة ، أما في الحالة الثانية فقد عرف هذا بديوان الرسائل ، وكان من يتولاه يسمى صاحب ديوان الرسائل أو متولى ديوان الرسائل ، وربما قيل صاحب ديوان المكاتبات أو متولى ديوان المكاتبات ؛ وقد عرف هذا الديوان في أحيان أخرى بديوان الانشاء ، وفي هذه الحالة لقب من يتولاه بصاحب ديوان الانشاء ، ومن أشهر كتاب العباسيين ووزرائهم ، يحيى بن خالد البرمكي ، وابن المقفع مترجم كتاب كليله ودمنة . انظر القعشندي : صبح الأعشى ، ج ١ ص ٩١ — ١٠٤ ، ج ٣ ص ٤٩٠ — ٤٩٢ ، ج ٥ ص ٤٦٤ — ٤٦٥ . وانظر أيضا القرظي : السلوك ، ج ١ قسم ١ ص ٢٤٥ حاشية ٢ .

(١) أفرد الخوارزميون لأموال الدولة ديوانا خاصا يشرف عليه رجل عرف بالخازن أو الخازندار ، يساعده موظفون مختصون بتسجيل الوارد والمصرف من الأموال . انظر كتابنا : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٨٣ — ٨٤ .  
(٢) في الأصل : لبى .  
(٣) أى أهالى جورجيا .  
(٤) في الأصل : عفاه .  
(٥) في الأصل : يقول .  
(٦) في الأصل : بؤحت ، وربما قصد النسوى بهذا التعريف السير وراء ما يتممه من سجع متكلف .



ولولا عسود السلطان من العراق عاجلاً لأسباب نذكرها (١) لبلغ أذربك  
من السكرج ما أراد بالخطبة السلطانية ، إذ كان السلطان قد نص على خمسين  
ألف فارس من نخب عسكره يغزون السكرج . نعم وعاد رسول السلطان  
من السكرج ومعه رسولهم مصحوباً بالتقاديم ، من طرف ذلك الإقليم ،  
ولم يدرك السلطان إلا بعد عبوره جيحون (٢) .

(١) اضطر علاء الدين محمد خوارزم شاه إلى العودة بجيوشه إلى خراسان كما يستعد لمواجهة  
الخطر المغولي ، إذ أن جنكيزخان كان ينتظر الفرصة الملائمة للانتفاض على الدولة الخوارزمية  
وإبادتها ، فإن الحوادث التاريخية في هذه الأثناء كانت قد قادت المغول إلى متاخمة البلاد الإسلامية  
ولإيجاد علاقة صداقة بين الطرفين تطورت بعد ذلك إلى علاقة عداوة ، وانتهى هذا كله  
باكتساح المغول أقاليم الدولة الخوارزمية .

(٢) أي عبور علاء الدين محمد خوارزم شاه إلى الضفة الشرقية لنهر جيحون لمقاومة  
الغزو المغولي في إقليم ماوراء النهر . فقد ركز جنكيزخان جهوده للاستيلاء على هذا الإقليم  
دفعة واحدة ، وبذلك باغت الخوارزميين في كل جزء من أجزاء هذا الإقليم ، الذي يعتبر مفتاح  
الدولة الخوارزمية كلها .

ومما هو جدير بالذكر أن علاء الدين محمد خوارزم شاه قد انصرف عن مشاكلة في أقاليم  
الدولة المختلفة إلى رسم الخطط لمواجهة الغزو المغولي ، فاهتم منذ حل بإقليم ماوراء النهر بتوزيع  
قواته على المدن المختلفة في هذا الإقليم ، فتفرق الجيش الخوارزمي مما سهل على المغول الاستيلاء  
على المدينة تلو الأخرى ، وانتهى الأمر بفرار علاء الدين محمد إلى الأقاليم الغربية من الدولة  
الخوارزمية . انظر كتابنا : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ١١٧-١٣١ ، ص ٢٠٦-٢٠٨ .

## ذكر ما آل إليه أمر نصره الدين محمد بن بيشتكين

### بعد الأسر

كان نصره الدين محمد المذكور يحضر كل يوم الميدان ، فيوقف والسلطان يلعب بالأكرة<sup>(١)</sup> ، فنظر إليه ذات يوم فإذا بأذنيه حلقتان كبيرتان مجوفتان في غلظ سوارين ، فسأله عن ذلك فقال : إن السلطان ألب أرسلان ابن داود<sup>(٢)</sup> ، لما غزا السكرج ونصره الله تعالى عليهم<sup>(٣)</sup> ، سبق أمرؤهم بجرأيم القسر ، إلى موقف الأسر ، فأنعم عليهم بالإطلاق ، وأمر أن يشتفوا لكل واحد منها بحلقتين يكتب عليهما اسم السلطان ، ففعل . فلما تطاولت المدة ، وذهبت قواعد الدولة ، جعلوا أولئك ربة للطاعة ما خلا جدي ، فإنه أسلم وسلمت بلاده وأعقابه ببركتي الإسلام والوفاء . فرق له قلب السلطان ، ورغب أن يذبح لنفسه مثل تلك الأحدثة ، ويجمع إلى مفاخره حمال تلك الحملة الموروثة ، فخلع عليه للوقت خلعة رسمية ، وأحضره الميدان ، فلعب معه بالأكرة . ولما عزم على العود من العراق خلع عليه أخرى ملوكية أسنى ما يكون من الخنازع وأبهاها ، وأمر بأن يكتب له توقيع بما كان تحت يده من البلاد التي ورثها أباً عن جد ، مثل مدينتي أهر<sup>(٤)</sup>

(١) لعبة الأكرة هي اللعبة المعروفة حالياً باسم البيولو Polo . انظر المقرزي : السلوك ،

ج ١ قسم ٢ ص ٤٤٤ حاشية ١

(٢) هو ثاني سلاطين السلاجقة العظام ، وقد حكم من سنة ٤٥٥ / ٤٦٥ هـ

(٣) ١٠٦٣ / ١٠٧٢ م ) . انظر Lane-Poole : Op. cit., p. 153. وانظر نسب هذا

السلطان أيضاً في كتابنا : الشرق الاسلامي قبيل الغزو المغولي ، ص ١٥٨ .

(٤) حدثت الحرب بين ألب أرسلان وبين السكرج سنة ٤٥٦ هـ ( ١٠٦٤ م ) .

راجع ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ص ١٥ - ١٧ .

(٤) أهر : إحدى مدن أذربيجان وتقع بين أردبيل وتبريز . وقد عرفت هذه المدينة

بكثره خيراتها . ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ٣٧٩ .

ورواي (١) بقلاعهما وأعمالهما ، وسأله عن أقرب المدن إلى بلاده مما تملكه  
أزبك فقال : مدينة سراه (٢) . فأمر بإضافتها إلى ما تحويه يده قديماً مذكورة  
في التوقيع ، وغُيِّرت الحلقتان فكتب عليهما اسم السلطان .  
وعاد نصره الدين بالبشر واليسار ، متخلصاً من ذل الإيسار ، وحيث  
كان التوقيع ذكر فيه مدينة سراه بأعمالها ، وهي من بلاد أزبك ، لم ير إظهاره ،  
فأذخره في خزائنه مكتوماً ، وأودعه فيها مخنوماً ، إلى أن ملك جلال الدين  
تبريز ، منتزعهما من يد أزبك ، حضر بابه بالتوقيع من غير مراسلة ،  
ولا تقديم استخلاف ، فلما وقف جلال الدين على التوقيع العلائق (٣) ، أمر  
بإحياء رسمه ، وإمضاء ما كتب باسمه ، فخص المذكور من سائر أكفائه  
بالتقريب والترحيب ، والبر الرائع والبشر الخصب . وجاء الخيزر بأُسره ،  
ببركات أُسره ، وعسى أن تذكر هو شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً .

(١) وراوى : إحدى المدن الواقعة في جبال أذربيجان بين أردبيل وتبريز ، وبناها وبين  
أمر مسافة قصيرة . ياقوت : معجم البلدان ج ٨ ص ٤١٣ .  
(٢) لعلها سراو ، وهي إحدى مدن أذربيجان وتقع على مسيرة ثلاثة أيام من مدينة  
أردبيل في اتجاه تبريز ، وقد استولى عليها المغول سنة ٦١٧ هـ ( ١٢٢٠ م ) ، وأتوا على  
جميع سكانها . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٨ ص ٥٨ - ٥٩ .  
(٣) نسبة إلى علاء الدين محمد خوارزم شاه .

## ذكر عاقبة الأتابك سعد بن زنكي صاحب فارس

ولما أسر الأتابك سعد ، انتصب مكانه ابنه نصره الدين أبو بكر (١) منصبه ، واستمال قلوب الأمراء بالبذل والإحسان ، وطلاقة اليد وذلاقة اللسان فأذعنوا له بالطاعة ، واتفقت على متابعتة كلمة الجماعة . وحيث علم السلطان أنه لا يفرغ لاستصفاة مملكة فارس ، إذ كان جل همه قصد بغداد ، من عليه بالإطلاق وتسلم منه قلعتي إصطخر وأسكناباد ، وهما مبيتان على شواهدق الجبال ، تدل على حصانتهما شوارذ الأمثال . فسلمهما إلى الموبد الحاجب (٢) وزوَّج الأتابك سعد بامرأة من أهل بيت والدته ترکان خاتون (٣) ، وشرط عليه أن يحمل كل سنة إلى الخزانة السلطانية من بلاده ثلث الخراج ، وعاد الأتابك بالخلع والنشريفات . فلما وصل إلى كرسى ملكه وهو مدينة شیراز ، امتنع عليه ابنه أبو بكر ، وأبى أن يسلم

(١) حكم من سنة ٦٢٣/٦٥٨ هـ ( ١٢٢٥/١٢٥٩ م ) . انظر نسب هذا الأتابك في كتابنا : الفرق الاسلامی قبیل الغزو المغولی ، ص ١٦٨ .

(٢) كانت الحجابة من أهم مميزات السلطنة عند الخوارزميين وخاصة في أواخر أيامهم . إذ كان للخوارزميين حجاب مهمتهم حجب السلطان عن العامة وغلق بابہ دونهم أو فتحه لهم في الأوقات المناسبة ، وليس هناك من شك في أن تمسك الحكام بالحجابة ، كما يرى ابن خلدون ، إن أقوى الأدلة على ضعفهم . انظر كتابنا: الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٧٩ .

(٣) ينتسب ترکان خاتون ، زوجة علاء الدين تكش خوارزم شاه ، إلى قبيلة كانكالي Cankali ، التي كانت تسكن في شمالي إقليم خوارزم ، وقد أنجبت له علاء الدين محمد . وكان لهذه المصاهرة أثر كبير في سياسة الدولة الخوارزمية الداخلية بوجه خاص في عهد علاء الدين محمد ، إذ تزخ عدد كبير من كبار رجال هذه القبيلة إلى أراضي الدولة الخوارزمية ، وتكونت منهم عصبية كبيرة في جوف الدولة أخذت تتحكم بالتدرج في وظائف الدولة ومواردها وتدهض قوة السلطان نفسه .

الملك إليه، وسولت له نفسه مغالبة أبيه، فزين في عينه تمنعه وتأبئيه، إلى أن فتح الباب على غفلة منه حسام الدين تكش باش، أكبر ماليك الأتابك والمقدم في دولته، فلم يردع<sup>(١)</sup> أبابكر إلا دخول أبيه عليه، وكان بيده سيف مجرد، فضرب وجه ابنه ضربة أثرت فيه، وحجز بينهما اختلاط الفريقتين، فأمر الأتابك بالقبض عليه، فقبض وأودع السجن مدة إلى أن انقضت، ورضى عنه وعفوا. وعظم حال حسام الدين عنده، ورقاه إلى درجة الملوكية<sup>(٢)</sup>، إلى أن توفي سعد وقام ابنه أبو بكر مقامه، فشام حسام الدين برق العطب والويل، فامتطى صهوات الخيل، وهرب تحت ذبول الليل، وخلف من الأموال والتحمل ما لا تحمله الظهور، وقد نضده السنون والشهور، ناجيا إلى جلال الدين بحشاشة نفسه<sup>(٣)</sup> كالمحشور من رمسه. فسألكه جلال الدين خلخال<sup>(٤)</sup> بقلاعها وأعمالها حين ملكها على مليون الأتابكي، على ما نذكره، فأقام بها إلى أن قتل بعد خروج التاتار في سنة ثمانى عشرة<sup>(٥)</sup> وستمائة.

(١) في الأصل: يردع.

(٢) أى منحه لقب ملك.

(٣) في الأصل: نفس.

(٤) خلخال: إحدى مدن أذربيجان، وتقع على مسيرة سبعة أيام من قزوین، ويومئذ من أربيل.

(٥) في الأصل: ثمانى عشر.

## ذكر قصد السلطان محمد بغداد وعوده عنها

لما قضى السلطان وطره من استصفاء مملكة العراق وإخلائها (١) من تازعه فيها ، عزم على قصد بغداد ، وسيّر أمامه من العساكر ما غصت به البيداء ، وضائق برحبها عن ضمها الفلا ، وسار وراهم إلى أن علا عقبة سد أباد ، وكان قد قسّم (٢) نواحي بغداد وهو بهمدان أقطاعاً وعملاً ، وكتب بها توقيعات ، فنزل عليه بالعقبة تلج طمت الأباطح والأعلام ، وغطت الخراكي والخيام ، ودام ثلاثة أيام بلياليها . فكان الحال كما وصفه الشاشي القفال :

نثر السحاب من السماء دراهما وكسا الجبال من الحواصل ملبسا  
والريح باردة الهبوب كأنها أنفاس من عشق الحسان وأفلسا  
فعظم إذ ذاك البلاء ، وأعضل الداء ، وصارت الأرض كأنها بياضها  
سوداء ، وشمل الهلاك خلقاً كثيراً من الرجال ، ولم ينج شيء (٣) من الجمال ،  
وتألفت أيدي رجال وأرجل آخرين ، ورجع السلطان عن وجهه ، ذلك  
على خيبة مما هم به ، وبأس مطالبه ، ورد شهاب الدين الشهروردي رسولا  
مستشفعاً ، بالله منذراً ، وعن البغي محذراً . وندم السلطان على ما ارتكبه  
من إزالة الحشمة ، وإضاعة الحق والحرمه الواجبة مراعاتهما على كل ذي  
دين قويم ، وعقل سليم ، ومعتقد بأن ربه أثبت جنة وجحيماً ، وعلم أن  
ذلك البيت (٤) هو الذي يؤيده الله بملائكة سمائه ، وله سر في إدامته وإبقائه ،  
فمن عاند خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين (٥) .

(١) في الأصل : اجلائها .

(٢) في الأصل : اقسام .

(٣) في الأصل : شيئاً

(٤) المقصود هنا بيت بني العباس .

(٥) يقال إن بعض خواص علاء الدين محمد خوارزم شاه قالوا له في هذه المناسبة ، أي بعد أن حلت به الهزيمة : « إن ذلك غضب من الله حيث قصدت بيت الخلافة » . انظر السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٢٩٨ .

## ذكر ما قدم السلطان من أمور يقتضيها الحزم

### والناموس قبل قصده العراق

منها ضرب نوبة ذى القرنين<sup>(١)</sup> ، وقد كان في الأزمنة المتقدمة تضرب له النوب الخمس ، في أوقات الصلوات الخمس ، أسوة بسائر<sup>(٢)</sup> السلاطين ، إلى أن أعلى الله شأنه<sup>(٣)</sup> ، وعظم سلطانه ، فوض عند قصده العراق النوب الخمس إلى أولاده السلاطين يضربونها في الأقاليم التي سماها لهم على أبواب دور السلطنة بها ، وسيجيء تفاصيل تفويضها ماعين باسم كل واحد منهم في موضعه ، واختار لنفسه نوبة ذى القرنين ، وأنها تضرب في وقت طلوع الشمس وغروبها ، فاستعمل لها سبعة وعشرين دبدبة من الذهب ، قد رصعت مضاربا بأنواع الجواهر . وهكذا كل ما تحتاج النوبة إليه<sup>(٤)</sup> من آلاتها ، ونص أول يوم اختيار لضربها على سبعة وعشرين ملكا<sup>(٥)</sup> من أكابر الملوك وأولاد السلاطين ، يضربونها للسمعة ، منهم ابن طغرل بن أرسلان السلجوقي ، وأولاد غياث الدين صاحب الغور وغزنة والهند ، والملك علاء الدين صاحب باميان ، والملك تاج الدين صاحب بلخ ، وولده الملك

(١) لفظ النوبة له معان اصطلاحية مختلفة ، أحدها فرق الجند التي تناوب الوقوف لحراسة شخص السلطان ، وهي خمس نوبات ويكون تغييرها في الظهر والمصر والعشاء ونصف الليل وعند الصباح . والنوبة عند المعين اسم لآلات الطرب إذا أخذت معا ، وربما أطلقت على المطربين بها إذا اجتمعوا ، ويقال لهم النوبة عند الأتراك . هذا ويقال ضربت النوبة بمعنى صدر الأمر للعسكر بالتمهقر . والنوبة أيضا الوقعة الحربية . وخيل النوبة هي التي تربط قرب قصر السلطان ليركب منها حين يريد الركوب ، وتسمى أيضا فرس النوبة . المقرزى : السلوك ، ج ١ قسم ١ ص ٦١ ، حاشية ٢ .

(٢) في الأصل : أسوة سائر . (٣) في الأصل : علائته شأنه .

(٤) في الأصل : إليها . (٥) في الأصل : ملك .

الأعظم صاحب ترمذ ، والملك سنجر صاحب بخارا وأشباه أولئك . وبالجملة أعوزه لتمام سبعة وعشرين ملكاً فكلهم بابن أخيه أربخان ، ووزير الدولة نظام الملك ناصر الدين محمد بن صالح . فهؤلاء هم الذين ضربوا الدباب في اليوم الذي اختير لضربها .

ومنها أنه لما عزم على المسير إلى العراق أراد تنظيف ما وراء النهر عن له لإنكار في الاعتقاد ، ونار تحت الرماد . فسير الملك تاج الدين بلكاخان صاحب أترار<sup>(١)</sup> إلى مدينة نسام ليقيم بها . وبلكاخان هو أول من مال من الخطائية إليه ، وكان ذا جمال يسليخ الليل البهيم نهاراً ، وينسخ الصريم<sup>(٢)</sup> تاللاً وإسفاراً . ولما ملك السلطان ما وراء النهر على الخطائية ، بادر إلى خدمته طائعاً راغباً ، إذ كان يمت إليه بوسيلة لا يرى إخبارها في دين المروءة ، وشرط الحفاظ والفتوة . وذلك أن شهاب الدين الغوري لما قصد خوارزم بعد وفاة السلطان تكش<sup>(٣)</sup> في عدده الدثر<sup>(٤)</sup> ، وعسكره المجرس<sup>(٥)</sup> ، قبل استقامة أمر السلطان ، وما دعت<sup>(٦)</sup> الحيلة في دفعه ، فأقام تاج الدين بنفسه وابن عمه سلطان السلاطين<sup>(٧)</sup> عثمان صاحب سمرقند بعسكرهما ،

(١) تعتبر مدينة أترار مفتاح لإقليم ما وراء النهر ، وتقع على نهر سيحون . وتشتهر هذه المدينة بمجذبتين هامتين في التاريخ ، فقد كان استيلاء المغول عليها سنة ٦١٦ هـ (١٢١٩ م) بداية سقوط أقاليم آسيا الغربية في أيدي المغول . وفي مدينة أترار أيضاً توفي تيمورلنك سنة ٨٠٨ هـ (١٤٠٥ م) ، بينما كان يتأهب لقيادة حرب ضد إمبراطور الصين . وقد ذكرها الملك هيثون Haithon ملك أرمينية الصغرى في مذكراته واعتبرها أعظم مدن التركستان . وذكرها أيضاً يني لوشوتساي Ye-lu Ch'u Ts'ai وزير جنكيزخان وسماها باسم O-ta-la .  
راجع Bretschneider : Op. Cit., vol.ii, pp, 56-58.

(٢) الصريم : الليل .

(٣) توفي تكش سنة ٥٩٦ هـ (١١٩٩ م) ، إثر مرض ألم به ، ودفن في مقبرة خاصة في إحدى المدارس بخوارزم . ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ٧٣ .

(٤) في الاصل : الدثور . والدثر بمعنى الكثير .

(٥) المجر بفتح الميم وسكون الجيم بمعنى الجيش العظيم .

(٦) في الاصل : داعته . (٧) يسمى أيضاً خان خانان .



وجماعة من الخطائية ، فكذبسا شهاب الدين الغورى باندخوذ<sup>(١)</sup> على ما شرحه ابن الأثير فى كتابه المعروف بالكامل ، وأكثر القتل فىمن معه من غزاة أصحابه ، ومطوعة أجناده<sup>(٢)</sup> . فكان تاج الدين يعتقد أن الذى سبق له من الحق يورثه عند ظهور السلطان دوام إقبال ، ومزيد عزة وجلال . فلما وصل إلى السلطان أكرمه وعظمه ، وذكر له من الحق ما كان قدمه ، إلى أن سئح له المسير إلى العراق ، ورأى تخليمة ما وراء النهر عنه ، فسيره إلى نساء ليقيم بها ، وقد قصد بتسييره إلى نساء دون سائر البلاد كونها وبية جداً ، شديدة الحرارة كثيرة الأمراض ، لم تزل الأنفس بها شاكية ، والشواكل باكية<sup>(٣)</sup> . ولم يعش الترك بها إلا أدنى مدة فى أنكد عيشة . وأقام المذكور بها سنة وأكثر ، صابراً للدهر على تصاريفه ، ومدارياً للزمان على شدة تكاليفه ، يزداد على الأيام كرم طباعه ، وتتضاعف فى الجود سعة باعه ، فلم يدخل أحد عليه بسلام إلا حظى منه بالإنعام . وقد وافقه هواؤها وماؤها خرقاً للعادة ، حتى ازداد حسناً بها وبها . وقد شغف قلوب خاصتها وعامتها حباً ، وملاً كلاً منهم<sup>(٤)</sup> من مودته قلباً . وبلغ السلطان ذلك فعلم أنه ما يبلغ غرضه منه عاجلاً إلا برفض حجاب الوفاء ، وأدراع لامة الجفاء ، فسيّر إليه من جزر علاوة أجدعيه<sup>(٥)</sup> وأبكي<sup>(٦)</sup> العيون دماً عليه .

وحكى لى من حضر الفجعة الفاضحة ، قال : كنا جلوساً عند ظهير الدين مسعود بن المنور الشاشى وزير السلطان بنساء ، إذ أتاه آتٍ وأخبر أن

(١) اندخوذ : إحدى مدن خراسان بين بلخ ومرو . ياقوت : معجم البلدان ج ١

س ٣٤٥ .

(٢) راجع الحرب بين علاء الدين محمد خوارزم شاه وبين شهاب الدين الغورى فى كتاب ابن الأثير : الكامل ج ١٢ ص ٧٦-٧٨ و ٨٠-٨٢ . وانظر أيضاً كتابنا : الدولة الخوارزمية والمنقول ، ص ٢٥ - ٢٧ .

(٣) فى الأصل : بالية .

(٤) فى الأصل : كل منهم .

(٥) أجدعيه : ثنية جذع ، وأعلاه الرأس ، والقصود بهذه العبارة جز الرأس .

(٦) فى الأصل : أبكا .

جهان بهلوان ، وهو إياز الطشت دار (١) ، وقد ارتفع من حضيض (٢) الطشت دارية إلى بفاع (٣) الملكية ، وتقدم على عشرة (٤) آلاف فارس . وكان متعينا لجزء الروموس ، وإزهاق (٥) النفوس ، قد وصل في نفر يسير ، فدهش الوزير المذكور ، وهاله ما سمع من وصوله ، وظن أن الحادثة عليه ، ولم يبق معه من آثار الحياة (٦) إلا نفَس ضعيف كاد أن ينقطع . فأخبر أن الواصل نزل بدار السلطنة ، وقال : أحضروا الظهير والأعيان ، فركب إليه الظهير ، وكان لضعف بنائه لا يقدر على أخذ عنائه ، إلى أن حضر فتناول جهان بهلوان توقيعا ، فلما فرغ من قراءته ، تَشَى (٧) وروى ، واستحضروا الملك تاج الدين بلكاخان لمهم ورد من الأبواب السلطانية احتيج فيه إلى حضوره ، فحضر في طائفة من خواصه ، فأدخل إلى بعض المخازن ، فإذا ببعض الزنود قد خرج ورأسه بيده فوضعه جهان بهلوان في مخلاة ورجع للوقت . فأفنا للدنيا الخداعة ، ونفسا لا يرثى لمقتول ولا يبق على قاتل ، تفانى (٨) الرجال على جهبا ولا يحصلون على طائل . وحمل إلى الخزانة السلطانية من خزائنه جواهر (٩) ما لم يسمع بمثله (١٠) نفاسة وكثرة .

ومنها أنه سير إلى خوارزم برهان الدين محمد بن أحمد بن عبد العزيز البخارى المعروف بصدر جهان رئيس الخنقية ببخارا وخطيبها ، وإذا سمع

(١) الطشت دار ، هو أحد الموظفين الذين يعملون في « الطشت خاناه » أى المكان الذى يحوى الطشت الذى تغسل فيه الأيدي ، والطشت الذى تغسل فيه الأقدحة . وكان الطشت خاناه يحوى ملابس السلطان وكذا المقاعد والمخاد والسجاد الذى يعلى عليه السلطان . ويعرف بعض الصبيان الذين يعملون فى هذا المكان بالطشت دارية ، ويعرف بعضهم الآخر بالرختوانية .  
القاقلندى : صبح الأعشى ، ج ٤ ص ١٠ - ١١ .

- |                         |                         |
|-------------------------|-------------------------|
| (٢) فى الأصل : حضيض .   | (٣) فى الأصل : نفاع .   |
| (٤) فى الأصل : عشر .    | (٥) فى الأصل : وأرهاق . |
| (٦) فى الأصل : الحيرة . | (٧) فى الأصل : نشا .    |
| (٨) فى الأصل : تفانى .  | (٩) فى الأصل : جوهره .  |
| (١٠) فى الأصل : مثله .  |                         |

السامع بأنه خطيب بخارا يعتقد أنه كان مثل سائر الخطباء في ارتفاع قدر الارتفاع ، واتساع رقعة الأملاك والضياح ، وامتطاء صهوة المجد والتحكيم في أزمنة الكرم العبد . وليس الأمر كذلك ، بل المذكور لا يقاس إلا برتوت<sup>(١)</sup> السادات وقروم<sup>(٢)</sup> الملوك ، إذ كان في جملة من يعيش تحت كنفه<sup>(٣)</sup> ، وإدارة سنفه ، ما يقارب ستة آلاف فقيه . وكان كريما على الهمة ، ذا مروءة ، يرى الدنيا هباءة<sup>(٤)</sup> منثورة بين أخواتها النائرة ، بل نقطة موهومة من نقط الدائرة . وكانت سدته ميقاتاً للفضل وأهليه ، ورسوماً للعلم ومنتجليه ، يجلب إليها بضاعات الفضائل فتبتاع<sup>(٥)</sup> بأكمل الأثمان . وله بخوارزم بعد عثار الزمان به مواهب يضيق عن مثلها رحب الصدور ، عند استقامة الأمور . فأقام بخوارزم مسلوب المراد ، ممنوعاً عن الإصدار والإيراد ، إلى أن تقاضاه الزمان بدينه فجزعه كأس منيته<sup>(٦)</sup> ، فقتل عند إجمال ترکان خاتون عنها ، وأقام السلطان عند نقله إلى خوارزم مقامه في رئاسة الحنفية والخطابة ببخارا ، مجد الدين مسعود بن صالح الفراوى ، أخا نظام الملك وزيره ، ولقبه بصدر جهان . وجدثنى القاضي مجير الدين عمر بن سعد قال : وصل السلطان إلى بخارا بعد أن رتب مجد الدين المذكور في الصدرجهانية ، وتعين أن يخطب بنفسه عند حضور السلطان ، وكان نظام الملك محمد يبغيض أخاه مجد الدين مسعوداً بغضاً شديداً ولا يختار أن يستقيم له حال ، أو يقوم له جاه . فحضرت صحة نظام الملك الجامع ، عند أخيه الخطيب في حجرته بالجامع ، على عين المنبر ، فقال لي نظام الملك : له شوقت عليه اليوم خطبته حتى يخلص ، فملك عندي

(١) رتوت ، جمع رت ومعناه الرئيس المقدم .

(٢) قروم ، جمع قرم وهو السيد العظيم في قومه .

(٤) في الأصل : هبة .

(٣) في الأصل : كتفه .

(٦) في الأصل : منيه .

(٥) في الأصل : فينياع .

ما تريد . فقلت له : لاشك أن الذي تشير به إلى خطر ، فإن عملته لم أرض إلا بالبعثة التي بالباب بسرجها ولجامها وسلعشارها<sup>(١)</sup> ، فوعد لي بذلك . فرفعت يدي إليه مرات مشيراً فحصر وأحرق طويلاً ، إلى أن ثابت<sup>(٢)</sup> نفسه إليه وتعجب الناس من حصره الذي لم تجر له به عادة وأخذت البعثة بما عليها وتمت الحياة . ولما عاتبني بمجد الدين على ما فعلته قلت له : كنت قد أشرت إليك أن ترفع صوتك عند دعاء السلطان فلم تفهم ، فقبل العذر . وبقى المذكور في ذلك المنصب الجليل إلى أن استولى التاتار على بخارا فقتل بها<sup>(٣)</sup> .

ومنه أنه سبَّس إلى شيوخ الإسلام بسمرقند ، جلال الدين ، وابنه شمس الدين ، وأخاه أوحده الدين إلى نساء ، تحرراً من قيامهم ، وإطفاء لضرامهم ، وكانوا سادات الأرض ، آداباً بارعة ، وأقداماً لأعلام العلوم فارعة . وكان أوحده الدين آية في علم الجدل ، يناضل العميدي<sup>(٤)</sup> فيخرق

(١) أي عدتها . (٢) في الاصل : ثابت

(٣) استولى جنكيزخان على مدينة بخارى سنة ٦١٦ هـ (١٢١٩ م) . وقد انهارت قوتها التي كانت تبلغ عشرين ألف رجل أمام استعداد المغول وقوة روحهم المعنوية وما يقابل ذلك من ضعف في الروح المعنوية عند المسلمين . وقد أهان المغول المسلمين في دينهم بأن دخلوا مسجد المدينة بخيولهم وأخذوا يشربون فيه الخمر ويظربون ، كما أعمل المغول القتل والنهب في المدينة ثم أشعلوا النيران فيها ، وقد وصف ابن الأثير يوم سقوط المدينة بقوله :

« وكان يوماً عظيماً من كثرة البكاء من الرجال والنساء والولدان وفرقوا أيدي سباً ، وتمزقوا كل تمزق . واقتسوا النساء أيضاً ، وأصبحت بخارا خاوية على عروشها كأن لم تغن بالأمس . وألقوا النار في البلد والمدارس والمساجد ، وعذبوا الناس بأنواع العذاب من طلب المال » . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ١٦٨ — ١٦٩ .

وقد استمرت بخارى فترة من الزمن عبارة عن أطلال لا تجد من يبكيها حتى شرع جنكيزخان نفسه في إصلاحها وإعادة بنائها ، وذلك قبل موته بزمن قصير .

انظر Abulgasi : Histoire Généalogique des Tatars, p. 266

(٤) هو ركن الدين العميدي ، أحد المبرزين في المذهب الشافعي ، وقد توفي سنة ٨٣ هـ

(١١٨٧ م) .

عليه قرطاس الأدلة ، ويساجل النيسابوري (١) فيقطع عليه الدلى (٢) .  
 فأما أوحد الدين فقد مات بنساء غريباً ، ولم يجد من مساعدة الزمان نصيباً .  
 وانتقل جلال الدين وهو الكبير إلى دهستان بعد وفاة أوحد الدين  
 فاستسدى عي (٣) من أمين الدين الدهستاني ، وكان وزيراً بها ، وبمازندران  
 من قبل السلطان ، فأقام عنده مكرماً إلى أن قضى الدهر بالبوار ، على  
 أهالي الأمصار ، عند خروج التاتار ، وانتشارهم في سائر الديار . فلم أدر  
 ما كان عاقبة أمره .

أضاعت به حاله ، أطالت له يدٌ أخره نقضه أقدمه فضل (٤) .

ومنها أنه قسم الملك بين أولاده ، فعين لكل واحد منهم بلاداً ، ففوض  
 خوارزم وخراسان ومازندران إلى ولي عهده قطب الدين أزلاغ شاه ،  
 واختار لتواقيعه طرة من غير تلقيب وهي السلطان أبو المظفر أزلاغ شاه  
 ابن السلطان سنجر ناصر أمير المؤمنين ، . وكانت (٥) عادتهم أن لا يكتبوا  
 المولى عندهم لقباً في الطرة إلى أن يقوم مقام والده بعده فيلقب بلقبه .  
 وسبب تخصيصه بولاية العهد دون أخويه الكبيرين جلال الدين منكبرتي  
 وركن الدين غورشايحي ، اتباع السلطان رأي والدته ترکان خانون ، وتحريمه  
 مرضاتها ، إذ كانت أم قطب الدين دون سائر أمهات الأولاد وربات  
 الأفلاذ من قبيلة بياووت عشيرة ترکان خانون ، وهي فرع من فروع  
 يملك (٦) . وفوض ملك غزنة وباميان والغور وبُست (٧) وتكيا باذ

(١) هو قطب الدين النيسابوري أحد أئمة الشافعية وتوفي سنة ٥٠٦ هـ (١١١٢ م) .

(٢) الدلى جمع دلو - والمساجلة معناها المساقاة بالسجل وهو الدلو إذا كان فيه ماء قل أو  
 كثير . وقد توسعوا في استعمال هذه الكلمة حتى استعملت في الحاجة .

(٣) في الأصل : فاستسدى . (٤) أورد هوداس Houdas هذا البيت مشهوراً .

(٥) في الأصل : وكان .

(٦) عاد علاء الدين محمد خوارزم شاه فعدل عن وصيته وهو على فراش الموت سنة ٦١٧ هـ  
 (١٢٢٠ م) وأوصى بولاية العهد لابنه جلال الدين منكبرتي من بعده ، لثقته في شجاعته  
 من جهة ، ولأن أمة ترکان خانون قد وقعت أسيرة في أيدي المغول من جهة أخرى .

(٧) بست : مدينة بين سجستان وغزنة وهرارة . ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ١٧٠ .

وزمين داور<sup>(١)</sup> وما يايها من الهند إلى ولده الكبير جلال الدين منكبرتي، واستوزر له الصدر شمس الملك شهاب الدين ألب الهروي، وحيث كان لم ير انفصال جلال الدين عن خدمته لمحبيته له واعتقاده ببسالته استناب عنه بها كبري ملك، فنهض إليها وضبطها فحسنت في السياسة سيرته، ودعت<sup>(٢)</sup> له من الملوك جبرته، وأقام بها إلى أن سار جلال الدين إليها بعد خروج التاتار على ما يأتي شرحه. ونص ملك كرمان وكيش ومكران على ولده غياث الدين پيرشاه، واستوزر له الصدر تاج الدين بن كريم الشرف النيسابوري، فسار بعد ظهور التاتار إليها فملكها إلى أن خلت العراق عن يقوم بضبطها بعد وفاة السلطان وتسحب جلال الدين إلى الهند فسار إلى العراق واستناب الحاجب براقا بكرمان، فسلم إليه مفاتيح ملكه، تمكيناً له في ملكه<sup>(٣)</sup>، وسندكر باقي أحواله في موضعها. وسلم ملك العراق إلى ولده ركن الدين غورشايجي، وكان أحسن أولاده خلقاً ومخلقا، وجود الخط، وكتب في حدائته ختمة بخط يده. وكان كريما عادلا خير الطبع، واستوزر له عماد الملك محمد بن الشديد الساوي، وقد ناب المذكور بخوارزم عن نظام الملك<sup>(٤)</sup> في الوزارة عدة سنين، ونال فيها رتبة لم ينلها قبل من تولاها، إذ كان كافيا ذا دهاء وذكاء، وتمكن عند السلطان لما كان يعتقد فيه من النصيح، فقام

(١) بين سجستان والنور . (٢) في الأصل : وادعيت .

(٣) كان براق الحاجب قائدا من قواد دولة الخطا الذين دخلوا في خدمة علاء الدين محمد خوارزمشاه، وقد اتخذ هذا الرجل من الفوضى التي أعقبت غزو جنكيزخان فرصة لتأسيس دولة له في كرمان سنة ٦١٩ هـ (١٢٢١ م). على أن براق الحاجب لم يستطع أن يستقل كثيرا بهذا الاقليم، إذ لم يلبث أن أظهر خضوعه للخوارزميين بعد أن عاد جلال الدين منكبرتي من بلاد الهند، وكان قد فر إليها في أثناء الغزو المغولي، واستطاع إلى حين أن يسيطر على الأقاليم الغربية من الدولة الخوارزمية. انظر كتابنا: الشرق الاسلامي قبيل الغزو المغولي، ص ١١١.

(٤) كان نظام الملك من الوزراء المغريين إلى تركان خاتون أم علاء الدين محمد خوارزم شاه.

سوق جاهه عنده إلى أن فوضت إليه وزارة ركن الدين بالعراق واستولى على أعماله وأشغاله . وكان ركن الدين يكره تحكمه واستبداده ، ويخالف في ذلك هواه ومراده ، مداراة له لعله بحسن اعتقاد السلطان فيه . واختير لتوقيع ركن الدين من الطرة ، والسلطان المعظم ركن الدنيا والدين أبو الحارث غورشايحي بن السلطان الأعظم محمد قسيم أمير المؤمنين ، . وكان سبب تسميته غورشايحي أنه ولد يوم وردت البشارة على السلطان بتملك الغور . وزوجه السلطان ابنة هزارشف ملك الجبال<sup>(١)</sup> ، لصفاء نيته ، إذ كان من جملة مجاوريه ، وسيجيء بأحواله بعد .

---

(١) أي العراق العجوى

## ذكر الحوادث بعد عود السلطان من العراق

لما وصل السلطان إلى نيسابور منصرفه من العراق ، ورد الخبر بموت مؤيد الملك قوام الدين والى كرمان ونا ئبه بها ، فملك السلطان ولده غياث الدين پيرشاه كرمان وكيش ومكران . فسار غياث الدين إليها ، واستقام أمره بها ، إلى أن خلت له مملكة العراق فملكها من غير مدافع ولا منازع<sup>(١)</sup> ، وخطب له على سائر منابر مازندران وخراسان ، إلى أن طلع جلال الدين من الهند فكسبه بالرى وانتزعها منه على ما يأتى شرحه<sup>(٢)</sup> . وكان مؤيد الملك من جملة الرعاع ، رفعه السلطان وساعده الزمان حتى بلغ من رتبة الملوكية ما عزمنا له . ومبدأ أمره أنه كان ابن داية نصره الدين محمد بن لز صاحب زوزن<sup>(٣)</sup> ، واختاره رسولا إلى الأبواب السلطانية في مهماته ، واستقضاء حاجاته ، فنصحته في الرسالة عدة مرار إلى أن سولت له النفس تقييح حال مرسله طمعا فيما كان يتولاه ، فرمى إلى السلطان أن صاحبه فاسد العقيدة له باطن مع الباطنية<sup>(٤)</sup> ، ثم رجع إليه وقال : إن السلطان يعتقد أنك باطنى ، وإنى أخشى عليك مغيبة<sup>(٥)</sup> هذه التهمة ، وعاقبة

(١) أى بعد أن غزا الغول هذه الأقاليم ورحلوا عنها .

(٢) انظر كتاب D'ohsson : Op. Cit., t. iii, p.8 & seq .

(٣) زوزن : إحدى مدن خراسان وتقع بين نيسابور وهرات . انظر خريطة الدولة الخوارزمية فى أقصى اتساعها .

(٤) عرفت طائفة الإسماعيلية أحيانا بالباطنية لما اشتهروا به من أنهم يبطنون خلاف ما يظهر . انظر الفلقشندى : صبح الأعشى ، ج ١٣ ص ٢٤٥ .

(٥) فى الأصل : مغيبة .



هذه الظئنة . فاستولى عليه الهول والوهل <sup>(١)</sup> ، فأزعجه عن مكانه الوجل . فانقطع إلى الاسماعيلية ببعض قلاعها المتاخمة لزوزن . وكتب قوام الدين بصورة الحال إلى السلطان ، ففوض إليه وزارة زوزن على أن يجبي أموالها للخزانة السلطانية ففعل ، واستمر الأمر على ذلك . ثم رأى أنه لم يهن له ما يتبلغه ونصرة الدين بالقرب منه ، فكاتبه خادعا له ، يؤمله لإصلاح أمره مع السلطان حتى انخدع ورجع إلى زوزن ، فكحله ووكل به من سمه ، غير راع حق الإنعام ، ولا ناظر في سوء الأحداث على تناسخ الأيام . فلما استقام أمره بزوزن ، طمع في مغالبة صاحب كرمان وانتزاع الملك من يده ، وكان من بقية أولاد الملك دينار . فكاتب السلطان يطمعه في تملكها إن أنجده بمن يجاور زوزن من عساكر خراسان ، فأنجده بعز الدين جلدك وطائفة أخرى . فاستولى على كرمان في أقرب مدة ، وحمل إلى السلطان ما وجد لهم بها من صامت وناطق ، وصاهل وناعق <sup>(٢)</sup> فاستحسن السلطان أثره ، ورفع من زى الاتضاع ، إلى ثريا الارتفاع . وخطابه بالملك ، ولقبه بمؤيد الملك ، واستنابه بكرمان وأجراها في إقطاعه ، فأوسعها عدلا وإنصافاً حتى ازدادت عمارتها أضعافاً ، وكثر ما خصه <sup>(٣)</sup> من ذوات النتاج على اختلاف أجناسها ، حتى تضام <sup>(٤)</sup> خراج كرمان في جنبها .

ولما رجع السلطان من العراق وقد تفانت جماله ، قُدِّم له بنيسابور أربعة آلاف من البخاقى التركيات ، وحُمِّل إلى خزانة السلطان بعد وفاته من جملة موجوده من الذهب سبجون حملا ، ما خلا سائر الأصناف ، واتفق وصولها رحيل السلطان من حافة جيحون مجفلا من التاتار ، فرميت بختومها في جيحون بما هو أعظم منها قدراً من الخزانة المستصحبة .

(١) الوهل : الفزع .

(٢) أى أخذ ما وجدته من خيل وأغنام .

(٣) فى الأصل : لحامه . (٤) فى الأصل : تضال .

ولما ألقى السلطان عصا القرار بنيسابور بعد انكفائه من العراق<sup>(١)</sup>، عزل نظام الملك ناصر الدين محمد بن صالح عن الوزارة. وسبب ذلك أنه كان ينقم عليه أحداثاً. ويحقد عليه عادات، منها شرهه بالبراطيل، وتعريضه<sup>(٢)</sup> المهام بها للتعطيل، والمصالح للتبديل. وبالجملة كان الرجل قليل الحظ من أدوات الوزارة، لم يوجد فيه منها سوى المنظر والكرم المفرطين.

وكان السلطان ما استوزره باجتهاد من رأيه، بل كان المذكور غلام والدة السلطان وابن غلامها، فحين عزل السلطان وزيره نظام الملك محمد بن نظام الملك بهاء الدين مسعود الهروي عن الوزارة، شاورها فيمن يصلح، فأشارت عليه بأن يستوزر المذكور. وكان السلطان لا يخالف أمرها في دقيق الأمر وجليله، وكثيره وقليله، لأمرين: أحدهما ما ندب إليه من بر الوالدين، والثاني أكثر أمراء الدولة كانوا من عشيرتها<sup>(٣)</sup>، وبهم نازع الخطائية فانزع الملك من أيديهم. فأجابها إلى ذلك، على كره باطن، وإنكار

(١) أي بعد عودته من حملته في الأقاليم العراقية سنة ٦١٤ هـ (١٢١٧ م)، والتي كان يبغي من ورائها الاستيلاء على بغداد وتوطيد نفوذه فيها، موطئاً العزم على أن يحتل نفس المسكنة التي كانت للبويعيين والسلاجقة من قبل. انظر كتابنا: الدولة الخوارزمية والمغول، ص ٣٠ - ٤٦.

(٢) في الأصل: تقيضه.

(٣) كانت سياسة الدولة الخوارزمية نحو العناصر التركية خير مشجع لهذه العناصر على النزوح إلى أراضيها والاستيطان فيها، فقد نزح إلى أراضي هذه الدولة عدد كبير من رجال هذه القبائل التركية المرابطة على حدودها في الشمال، ومنها قبائل كانكالي Kankalis، وخاصة بعد أن تزوج علاء الدين شكش خوارزم شاه من ترکان خاتون التي تنسب إلى أحد فروع هذه القبائل، فكان من أثر هذه الرابطة أن نزح عدد كبير من رجالها إلى قلب الدولة، وتكونت منهم جالية قوية أخذت تتحكم بالتدريج في وظائف الدولة المختلفة، كما أخذت تسيطر على أقاليمها المتعددة، وانتهى الأمر بهؤلاء الحكام إلى أن نافسوا سلاطين الخوارزميين أنفسهم، بل نراهم في كثير من الأحيان يعتمدون على إرهاب الأهالي المغلوبين على أمرهم، ويعملون السلب والنهب في أموال المسلمين منهم حتى اضطرب الأمن في البلاد، وعجزت الدولة كما عجز الأهالي عن رد عادية المعتدين منهم.

في الصدر كامن<sup>(١)</sup> . وفوض أمر الوزارة إلى المذكور ، وكانت تبلغه عنه بلاغات لا يرتضيها مما يزيد على توبيخ ولام يسمعه على لسان بعض الخواص ، إلى أن أقام بنيسابور منصرفاً من العراق ، والقاضي بها حينئذ ركن الدين المغيبي ، وقاضي العسكر صدر الدين الجندي .

وكان صدر الدين يمت إلى السلطان بخدمة سلفه ، وقد خدم<sup>(٢)</sup> السلطان شكوش أيام كان صاحب جند<sup>(٣)</sup> ، وقد أقطعها له والده إيل أرسلان ، وهو مع توسله بهذه السابقة كان ذا قضاء حاجة وفضيلة ، وديباجة للوجه جميلة . فولاه السلطان قضاء نيسابور وتوابعها تنويها لقدره<sup>(٤)</sup> ، وإنافة بذكره ، وتميزاً له عن أكفائه بمزيد الرعاية وجديد الولاية . وخلق عليه خلعة سنوية بالساخت والسرفسارات<sup>(٥)</sup> والطوق<sup>(٦)</sup> ، وعلى عشرين نفساً من إخوته ونوابه ووكلاته . وأوعز إليه على لسان بعض الحجاب أن لا يقدم لنظام الملك مقدمة ، ولا يحمل إليه خدمة ، وقال : أنا الذي أهلتك لما وليتك برأي ، فليس لأحد في ذلك عليك حق يقتضي أن تجازيه ، ولاسعى ينبغي أن تكافيه . فأناه آت من نظام الملك سرأ وحذره عاقبة الإهمال ،

(١) يتضح من هذه العبارة كيف كان السلطان الخوارزمي مغلوباً على أمره أمام العناصر التركية ، صاحبة النفوذ الفعلي في الدولة .

(٢) في الأصل : خدموا .

(٣) جند : إحدى المدن الواقعة على نهر سيحون . انظر ما كتب عن أهم الحوادث في

تاريخ هذه المدينة في كتاب . Bretschneider : Op. Cit., vol. ii, pp. 95-96 .

(٤) كان النظام القضائي في الدولة الخوارزمية من الأمور التي أولاها سلاطينهم عناية كبيرة ، فعينوا لكل مدينة قاضياً يحكم في الناس حسب الشريعة الإسلامية . وفي المدن الكبرى التي يبدو فيها الاختلاف المذهبي بين السكان واضحا ، كان الخوارزميون يعينون فيها أكثر من قاضٍ لينظر كل فيما يعرض عليه من قضايا ويقضي فيها وفق مذهبه . وكان القضاة إلى جوار النظر في القضايا يقومون بتدريس العلوم الدينية في المدارس والمساجد .

(٥) في الأصل : السرفسارات .

(٦) يبدو أن الساخت كان عبارة عن درع يجهز به الحصان إذا ما أُعد للحرب . أما السرفسار فهو بلاشك نوع من العمام ، وأما الطوق في عبارة عن ذيل الحصان . ويستعمل كقبض للحربة .

وخوفه سوء مغبة<sup>(١)</sup> الإغفال ، وقال : إياك أن تتكل على عناية السلطان وتهمل جانب الديوان . ففزع القاضى وحمل إلى نظام الملك كيسا محتوما فيه أربعة آلاف دينار<sup>(٢)</sup> . فنبه السلطان على ما ارتكبه القاضى من مخالفة أمره بعض عيونه الموكلة بنظام الملك ، فطلب أن يحمل إليه ما حملة القاضى سرا ، فأحضرت بختهما ، فلما حصل القاضى المجلس العام سأله السلطان عما حمل لنظام الملك . فأنكر كل الإنكار ، وأصر غاية الإصرار ، وحلف برأس السلطان أنه ما حمل للوزير ديناراً ولا درهما . فعند ذلك أمر السلطان بإحضار الكيس فحضر ووضع بين يدى القاضى فلم يزد على الإطراق ، وشم الأرض بالإحداق . ثم أمر للقاضى بالخلعة فارتفعت منه ، وحملت بعينها إلى القاضى المعزول ، وأعيد إلى منصبه ، فكان بين تولية صدر الدين وعزله يوم أو يومان .

وتقدم السلطان إلى جهان بهلوان بقطع أطناب سرادق نظام الملك ورميها عليه ففعل ، وقال : ارجع إلى باب أستاذك - يعنى والد السلطان - فرحل للوقت على وجل غامر قلبه ، ورعب سلب لبه . ولم يبق بالوصول إلى خوارزم سالماً خوفاً مما يحدث من نتائج سخط السلطان عليه .

(١) فى الأصل : مغبة .

(٢) كان الدرهم يساوى أربعة قروش تقريبا ، وكان الدينار يساوى اثني عشر درهما . وعلى هذا الأساس فإن هذا المبلغ يوازى حوال ١٩٢٠٠٠ من الجنيهات المصرية تقريبا .

## ذكر حال نظام الملك بعد العزل

توجه من نيسابور إلى خوارزم يطوى المراحل كيطى السجل للكتاب ، راضياً من الغنيمة بالإياب . فلما وصل إلى مرج سائغ — وهو من المروج المشهورة بقرب قلعة خرنندز<sup>(١)</sup> ، مسقط رأسي ومنشأ أساسي — نزلت إلى خدمته نيابة عن والدي بالتقاديم والعلوفات على جرى العادة ، وشيعته إلى مرحلة جرماني — وهي ضيعة من أملاكنا فيها عين ماء تقارب ينبع رأس عين الخابور — فضربت له بها على العين ثلاثة<sup>(٢)</sup> سرادقات منها شقة أطلس وقد ضربت بجماعة من مماليكه في ذلك النهار النوب الثلاثة ، هذا وهو مطرود ، وحيث حل من البلاد قصده ذرو الحاجات وأرباب الظالمات فبيت الأحكام في القضايا<sup>(٣)</sup> الجليلات والأمور المعظمة ، ولم يجسر أحد يقول إنه معزول ، ونُصّب عشية نهاره ذلك تحت على باب سرادقه فجلس عليه .

وكان من حيث فاروق السلطان رتب على الطريق خيالة يعلبونه بمن يرد من الأبواب السلطانية وراعه ، فأناه<sup>(٤)</sup> بعضهم في ذلك الوقت مخبراً بأن الحاجب أربز بن سعد الدين سهم الحشم واصل ، فأمتقع<sup>(٥)</sup> لونه ، وانقطع قلبه وأطرق مفكراً ، ولم يدر أطلع ضيافة أم طارق آفة . إلى أن وصل وقبل

(١) في النسخة الخطية خرنندر ، وقد كتبها دوسون Kharender ، ووصفها بأنها كانت من تلاع خراسان الحصينة ، كما ذكر أن هذه القلعة كانت ملجأً للقارين من وجه العدالة . انظر D'ohsson : Op. Cit., t. i, p. 227 . وقد فضل هوداس Houdas في الترجمة الفرنسية أن

يكتبها خرنندز Khorende z مهتدياً في ذلك برأى المستشرق شيفير M. Schefer .

(٢) في الأصل : ثلاث . (٣) في الأصل : العصايا .

(٤) في الأصل : فأناهم . (٥) في الأصل : فامتعض .

الأرض مستوفياً آداب الخدمة على العادة ، فثابت نفسه إليه ، وذهب سوء الظن عنه ، وسأله عن سبب وروده فقال : السلطان يطلب دفاتر ديوان الوزارة وجرائده<sup>(١)</sup> ومخزنه<sup>(٢)</sup> وكتابه ومنتصر فيه ، فارتاح لذلك وأصحابه الدفاتر بكتابها ، وزحل صوب خوارزم سائراً ، بل طائراً . إذ كان لا يثق بمخلصه من أشدق الفناء ، وكان يوم وصوله إليها يوماً مشهوداً ، لتقدم تركان خاتون إلى أهلها وضيعهم وشر يفهم ، وكبيرهم وصغيرهم بالتقاء المواكب الناصرية<sup>(٣)</sup> .

وحدثني من حضر قال : تأخر برهان الدين رئيس أصحاب أبي حنيفة بخوارزم وصدورها ، فجاء في أخريات الناس واعتذر في تأخره بالضعف . فقال الوزير : نعم لضعف النية لا لضعف البنية . ثم أطلق الأتراك عليه بعد أيام بمائة ألف دينار<sup>(٤)</sup> ، لما نقم عليه من تأخره .

وكان كريم الدين الطيفوري عاملاً بنواحي خوارزم من قبل السلطان ، والعامل هو الوالي عندهم ، فقبض عليه ناصر الدين وصادره على مال جليل . فلما تخلص منه قصد خدمة السلطان بما وراء النهر وشكا إليه سوء ما عامله به ناصر الدين ، فوجه السلطان عز الدين طغرل ، وكان من خواصه ، إلى خوارزم وأمره بحمل رأس ناصر الدين إليه ، فلما قارب خوارزم ، وقد علمت تركان خاتون قبيل وصوله القضية وما وُجِّهَ لاجله ، أحضرته بغير اختياره إلى بابها ، وتقدمت إليه بأن يحضر دار الديوان وقت جلوس ناصر الدين في دست الوزارة ، وكانت قد فوضت إليه وزارة قطب الدين أزلاغ شاه ، ولي عهد السلطان ، صاحب خوارزم

(١) الجريدة : الفرقة من العسكر الخيالة لارجاله فيها . انظر المقرئى : السلوك ، ج ١

قسم ١ ص ١٠٦ حاشية ٨ .

(٢) أي الجزانة .

(٣) نسبة إلى الوزير نظام الملك ناصر الدين محمد بن صالح .

(٤) أي ٤٨٠٠٠ من الجنيهات المصرية تقريباً .

ويبلغه على رموس<sup>(١)</sup> الأشهاد سلام السلطان ، ويقول له : إن السلطان يقول مالي وزير غيرك ، فكن على رأس عمالك ، فليس لأحد في سائر أقاليم الملك أن يخالف أمرك ، وينكر قدرك . ففعل المذكور ذلك وما كاد ، وخالف المرسوم والمراد . واستمرت أوامر ناصر الدين بخوارزم وخراسان ومازندران<sup>(٢)</sup> دون سائر الأقاليم نافذاً ، وأحكامه مطاعة<sup>(٣)</sup> . وكان السلطان لما استوزره ، أمر بأن يحمل معه أربع حراب مغشبة بالنصب بالذهب ، أسوة بمن<sup>(٤)</sup> تقدمه من كتاب الوزراء ، فجعلت بخوارزم ثمان<sup>(٥)</sup> حراب ، وهي على هذا القياس زيد في جميع مراتبه ، كل ذلك يبلغ السلطان وهو بما وراء النهر ، فيزيده غيظاً على غيظ ، وسخطاً على سخط . وكان من عاداتهم القديمة التي اقتدوا فيها بالسلاجقة أن تكتب في كل توقيع السلطان قبل التاريخ ، « كتب بالأمر الأعلى أعلاه الله ، والمثال العالي ، الصاحبي ، المعظمي ، الصدري ، الأعظمي ، العالی ، العادلي ، المؤيدي ، المظفري ، المنصوري ، المجاهدي ، المرابطي ، القوامي ، النظمي ، العمدي ، العدتي ، السكفي ، الخالصي ، القطبي ذي المناقب ، والمناصبي قطب الميامن ،

(١) في الأصل : رؤس .

(٢) أي الأقاليم التي اختص قطب الدين أزلخ شاه بحكمها نيابة عن أبيه علاء الدين محمد

خوارزم شاه .

(٣) يجدر بنا أن نذكر هنا أن الخوارزميين قد عهدوا بحكم أقاليم دولتهم إلى رجال أطلقوا على السكثيين منهم لقب وزير . فكان لكل مدينة أو مقاطعة حاكم يلقب في غالب الأحيان بهذا اللقب . وكان الوزراء يعيشون في الأقاليم التي تسند إليهم الوزارة فيها من إقطاعات مقررّة يمنحهم السلطان إياها ، فيستولون على دخلها وتكون لهم بمثابة ضيعات خاصة ، هذا إلى جانب مرتباتهم بحكم الوظيفة . أما ما يدفعه الوزير لخزانة الدولة سنوياً فكان في العادة حصر خراج الإقليم الذي يحكمه .

وكان منصب الوزارة أكبر عون للخوارزميين طالما كان السلطان الخوارزمي مهمبنا على بشون الدولة ، ولكن لما تفاقم نفوذ الأتراك ، صار هذا المنصب من أكبر العوامل في إضعاف الدولة ، إذ خرج الوزراء على طاعة السلطان واستبدوا بموارد الدولة وثرواتها .

(٤) في الأصل : أسوة من .

(٥) في الأصل : ثمانية .

والسعاداق قدوة صدور العرب ، والعجمي ملك وزراء الشرق ، والمغربي دستور إيران وبواری أيتاخ قتلخ ألخ ملكا ، أعظم خواجه جهان<sup>(١)</sup> ، لازال عالیا ، ورسالة فلان ، . فهكذا كانوا يذكرون ناصر الدين إلى أن عزل عن نيسابور . ولما استوزر بخوارزم لم يغير<sup>(٢)</sup> منها إلا لفظة واحدة ، وهي أنهم جعلوا مكان خواجه جهان<sup>(٣)</sup> ، خواجه بزرك<sup>(٤)</sup> .

وعجز ذلك السلطان القاهر بعظمته وتسخيره الجبارة وإذلاله الأكارمة عن شفا غيظه في بعض غلباته ، ليعلم أن الدنيا لم يصف مشاربها عن قذى ، ومواهبها عن أذى . ونص السلطان بعد عزله لقضاء أشغال تتعلق بالوزير على ستة من الوكيلدرية ، وشرط عليهم أن لا يبتوا أمراً إلا باتفاق ، وهم نظام الدين كاتب الإنشاء<sup>(٥)</sup> ، ومجير الملك تاج الدين أبو القاسم ، والأمير ضياء الدين البيابانكي ، وشمس الدين الكلاباذي<sup>(٦)</sup> ، وتاج الدين بن كريم الشرق النيسابوري ، والشريف مجد الدين محمد النسوي ، فنى الناس بملية تخيروا معها أيام ناصر الدين ، إذ كان إرضاء واحد على العلات أسهل من إرضاء ستة ، واستمر الأمر على ذلك إلى أن انقرضت الدولة العلانية<sup>(٧)</sup> .

(١) في الأصل : جهاني .

(٢) في الأصل : يفو .

(٣) خواجه جهان ، عبارة فارسية معناها سيد العالم .

(٤) في الأصل : بزركي . وخواجه بزرك عبارة فارسية معناها السيد الكبير .

(٥) راجع صفحة ٥٧ حاشية ٦ .

(٦) الكلاباذي ، نسبة إلى عملة كلاباذ ، وهناك محلمان بهذا الاسم لإحداهما ببخارى

والأخرى بنيسابور . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٧ ص ٢٦٩ .

(٧) نسبة إلى علاء الدين محمد خوارزم شاه ، والمقصود هنا زوال الدولة الخوارزمية على

أيدي المغول .



## ذكر الحوادث بما وراء النهر بعد

### عود السلطان عنها

لما ألقى السلطان عصا القرار بما وراء النهر ، بعد منصرفه عن العراق ، لاقته رسل جنكيز خان وهم محمود الخوارزمي ، وعلى خواجه البخاري ، ويوسف كينكا الأتراري<sup>(١)</sup> ، مصحوبين بمجلوبات الترك من نقر<sup>(٢)</sup> المعادن ونصب الخشو ونوافج المسك وأحجار اليشب والشياب التي<sup>(٣)</sup> تسمى «طرقوا» ، وأنها تؤخذ من صوف الجمل الأبيض يباع الثوب منها بخمسين ديناراً<sup>(٤)</sup> أو أكثر . وكانت الرسالة تشتمل على طلب المسالمة والموادعة وسلوك مسلك المجاملة ، وقالوا : إن الخان الكبير<sup>(٥)</sup> يسلم عليك ويقول : ليس يخفى على عظيم شأنك ، وما بلغت من سلطانك ، ولقد علمت بسطة ملكك ، وإنفاذ حكمك في أكثر أقاليم الأرض ، وأنا أرى مسالمتك من جملة الواجبات ، وأنت عندي مثل أعز أولادى ، وغير خاف عليك أيضاً أننى ملكك الصين وما يليها من بلاد الترك ، وقد أذعنت لى قبائلهم . وأنت أخبر الناس بأن بلادى مئارات العساكر ، ومعادن الفضة ، وأن فيها لغنية عن طلب غيرها . فإن رأيت أن تفتح للتجار فى الجهتين سبيل التردد ، عمت

(١) ينتسب هؤلاء الرسل إلى مدن خوارزم وبخارى وأترار على التوالي .

(٢) النقر جمع نقرة وهى القطعة المضروبة من الذهب أو الفضة .

(٣) فى الأصل : الذى .

(٤) فى الأصل : دينار .

(٥) أى الخاقان ، والمقصود هنا جنكيزخان .

## المنافع وشملت الفوائد (١) .

فأحضر السلطان محمود الخوارزمي بعد سماعه الرسالة ليلا دون سائر الرسائل وقال : إنك رجل خوارزمي ولا بد لك من موالة فينا وميل ، ووعده بالإحسان إن صدقه (٢) فيما يسأله . وأعطاه من معضدته جوهرة نفيسة علامة للوفاء بما وعده ، وشرط عليه أن يكون عيناً له على جنكزخان . فأجابه إلى ما سأله ، ورغبة (٣) ورهبة ، ثم قال : اصدقني فيما يقول جنكزخان إنه ملك الصين ، واستولى على مدينة طمنغاج . أصادق فيما يقول ، أم كاذب؟ فقال : بل صادق . ومثل هذا الأمر المعظم ليس يخفى حاله ، وعن قريب

(١) تحمل هذه الرسالة في طياتها معاني التهديد والوعيد في أكثر من موضع ، فقول جنكيزخان إن علاء الدين محمد خوارزمشاه في منزلة الابن معناه التبعية له ، إذ أن العلاقة بين الابن وأبيه ، وبين الأخ الصغير والأخ الكبير ، وبين العم وابن الأخ ، كل هذه العلاقات تدل على أنواع مختلفة من التبعية التي كانت تكتب في المعاهدات بين أمراء آسيا ، الذين كانوا لا يعرفون معنى للعلاقات السياسية التي تقوم على مبدأ المساواة بين الطرفين المتعالفين . وإذا تعاملنا فوق ذلك أن جنكيزخان تعمد أن يخبر علاء الدين أنه أخضع العناصر التركية ، فإن هذا القول أيضا يحمل معاني التهديد إذ كان علاء الدين تركي الأصل .

انظر D'ohsson : Op. cit., t.i, pp. 292—203 .

وجدير بالذكر في هذا المقام أن الطرق البرية عبر القارة الآسيوية كانت محدودة الفائدة من الناحية التجارية ، وذلك قبل غزو جنكيزخان للبلاد الإسلامية إذ لم يستعملها التجار الأوروبيون ، بل كانت البلاد الشامية هي أقصى ما وصل إليه نشاطهم ، ويرجع السبب في ذلك إلى انعدام الوحدة السياسية في السهول الآسيوية ، مما أدى إلى اختلال الأمن وانتشار الفوضى على طول هذه الطرق ، هذا إلى أن حكام آسيا في الشرق والغرب لم يهتموا بالطرق التجارية عبر هذه القارة ، ويقال إن سوء العلاقة بين المسلمين والمسيحيين أدى إلى كساد تجارة المسيحيين ، فلم يهتموا باستخدام الطرق البرية . ويرى الدكتور سليمان حزين بك أن العامل الأخير وهو سوء العلاقة بين المسلمين والمسيحيين لا عبء به ، إذ حرص المسلمون على أن يرثوا بعد أهل جنوة والبندقية حتى تكون لهم السيطرة على تجارة البحر الأبيض ؛ ثم إن الإسلام حتى العصر الذي نتحدث عنه لم يكن قد انتشر تماما في سهول آسيا الوسطى ، إذ لم ينتشر في هذه الجهات إلا بعد أن فتحها الغزو المولى للمسلمين . انظر كتابي

Heyd : Histoire du Commerce du Levant au Moyen Age, t.ii, p 71.

Huzayyīn : Arabia and The Far East, pp.169-171.

(٢) في الأصل : اصدقني . (٣) في الأصل : رغبة .

يتحقق السلطان ذلك . فقال : أنت تعرف عالمي وبسظتها ، وعساكري وكثرتها ، فمن هذا اللعين حتى يخاطبني بالولد ؟ ما مقدار ما معه من العساكر ؟ فلما شاهد محمود الخوارزمي آثار الغيظ ، وتبدل لطف الكلام بالخصام ، أعرض عن النصيح ومال إلى الاسترحام ، استخلاصا من أنياب الحيام ، وقال : ليس عسكره بالنسبة إلى هذه الأمم والجيش العرمرم إلا كفارس في خيل ، أودخان في جنح ليل . ثم أجاب السلطان إلى ما اتس جنكزخان من أمر المهادنة ، فسر جنكزخان بذلك (١) ، واستمر الحال على المسالمة ، إلى أن وصل من بلاده تجار إلى أترار ، وهم عمر خواجه الأتراري ، والحمال المرغني ، ونشر الدين الدنزكي البخاري ، وأمين الدين الهروي (٢) وكان ينال خان ابن خال السلطان (٣) في عشرين ألف فارس ينوب عن السلطان بها . فشرهت نفسه الدنية إلى أموال أولئك ، وكاتب السلطان مكاتبة خائن

(١) عمل جنكيزخان بعد إبرام هذا الاتفاق على تأمين التجارة بين شرق آسيا وغربها وتوسيع نطاقها ، فحرس على تأمين الطرق والضرب على أيدي المعتدين من قطاع الطرق ، وزود الطرق الرئيسية بحراس من قبله يسمون قراقجية أي مستحفظين ، وكلفهم بأن يرافقوا كل أجنبي يحمل تجارة مالى معسكرات المغول . انظر ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٤٠٠ ، D'ohsson : Op. cit., t.i, p. 204. وانظر ما كتب عن التجارة الآسيوية في القرن السابع الهجري ( الثالث عشر الميلادي ) في كتابي Hirth & Rockhill : Chinese and Arab Trade in the Twelfth and Thirteenth Centuries. & Huzayyin : Op. cit.

(٢) نسبة إلى مدن أترار ومراغة وبخاري وهرارة على التوالي . ويجدر بنا أن نذكر في هذا المقام أن الجويني مؤلف كتاب جهان گشاي قدر عدد التجار الذين وفدوا على أترار بأربعمائة وخمسين رجلا كلهم من المسلمين ، وذكر ابن العبري أن عددهم بلغ مائة وخمسين فقط ، ولكنهم كانوا من جميع الأديان دون تفریق . ولنا لنميل إلى الأخذ برواية النسوي وإن كان الراجح أن هؤلاء التجار كانوا في صحبة عدد كبير من رسل جنكيزخان . انظر ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٤٠٠ و D'ohsson: Op. cit., t.i,p. 204.

(٣) ذكر السيوطي في كتابه تاريخ الخلفاء ، ص ٣١١ والدياربكري في كتابه تاريخ الخيس ، ج ٢ ، ص ٣٦٨ ، أن ينال خان كان خال السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه وليس ابن خاله كما ذكر النسوي .

مائن يقول : إن هؤلاء القوم قد جاءوا إلى أترار في زى التجار ، وليسوا  
بتجار بل أصحاب أخبار ، يكشفون منها ما ليس من وظائفهم ، إذا خلوا  
بواحد من العوام يهددونه ويقولون : إنكم لني غفلة عما وراءكم وسيأتيكم مالا  
قبل لكم به . وأمثال ذلك حتى أذن له السلطان في الاحتياط عليهم إلى أن  
يرى فيهم رأيه . فحين أرخى عنانه في الاحتياط عليهم تعدى طوره ، وعدى  
شوطه ، فقبض عليهم ، وخفي بعد ذلك أثرهم وانقطع خبرهم ، وتفرد المذكور  
بتلك الأموال المعدة ، والأمتعة المنضدة ، مكيدة منه وغدراً ، وكان عاقبة  
أمره خسراً (١) .

---

(١) علق الجوينى مؤلف كتاب جهان گشاي على مذبحه أترار بقوله إن كل قطرة من دماء  
هؤلاء التجار قد كفسر المسلمون عنها بسيل من الدماء ، كما كلفتهم كل شعرة من رءوسهم مائة  
ألف من أرواحهم . Vambery : Op. cit., p. 117 .

## ذكر ورود رسل جنكزخان على السلطان

بعد قتل التجار

ثم ورد بعد ذلك ابن كفرج بغرا ، وكان أبوه من أمراء السلطان تكش ، مصحوباً بشخصين من التاتار ، رسلا على السلطان من قبل جنكزخان في أنك قد أعطيت خطك ويدك بالأمان للتجار وأن لا تعرض إلى أحد منهم ، فغدرت ونكشت ، والغدر قبيح ، ومن سلطان الإسلام أقيح . فإن كنت تزعم أن الذي ارتكبه ينال خان كان من غير أمر صدر منك ، فسلّم ينال خان إلى لأجازيه على ما فعل ، حقناً للدماء ، وتسكيناً للدهماء ، وإلا فأذن بحرب ترخص فيها غوالي<sup>(١)</sup> الأرواح ، وتتعصد معها عوامل الرماح<sup>(٢)</sup> . فأمسك السلطان عن تسيير ينال خان إليه على رعب خامر قلبه ، وخوف سباب لبه ، إذ كان لا يمكنه تسييره إليه وأكثر العساكر

(١) في الأصل : عوالي .

(٢) يقال إنه لما وصلت أخبار مذبحه التجار في مدينة أترار إلى مسامع جنكيزخان ، استشاط غضبا ، وهاله الأمر ، فهجره النوم . وروى ابن العبري في كتابه ، تاريخ مختصر الدول ص ٤٠١ ، قصة طريفة في هذا الصدد مؤداها أن جنكيزخان صعد إلى رأس تل عال وكشف عن رأسه ودعا الله أن ينصره على عدوه الخوارزمي ، ووقف على هذا التل ثلاثة أيام لم يذق فيها طعاما ، وفي الليلة الثالثة رأى في منامه راهبا في أثوابه السوداء ويده عصاه يقول : لا تخف ، افعل ما شئت فإنك مؤيد . فانتبه جنكيزخان مذعورا ذعرا مقرونا بالفرح ، وعاد إلى منزله وقص رؤياه على زوجته ، فطمأنته بأن يجيء هذا الأسقف إليه بداية لسعادته ، ثم استدعى جنكيزخان أحد الأساقفة ففسر له حلمه بأن من رآه في منامه لم يكن إلا قديسا من القديسين ، ثم زين له رؤياه . ونلاحظ أن هذه القصة على ما فيها من طرافة إنما هي في الغالب من نسج خيال ابن العبري ، إذ أنه كان من كبار رجال الدين المسيحيين الذين عاصروا الغزو المغولي ، وربما يكون غرضه من وضع هذه القصة الإيهام بميل المغول لعلمة وجنكيزخان خاصة للديانة المسيحية دون سواها .

ورتوت الأمرار من أقاربه ، وهم كانوا طراز خاسته ، ووجه رزمته ،  
والمتحكمين في دولته<sup>(١)</sup> . واعتقد أنه لو لإطف جنكيزخان في الجواب لم  
يزده ذلك إلا طمعا فيه ، فتماسك وتجلد ، وأنى . وقد خامر الرعب الخلد ،  
وأمر بقتل أولئك الرسل فقتلوا<sup>(٢)</sup> . فيالها من قتلة هدرت دماء الإسلام ،  
وأجرت بكل نقطة سيلا من الدم الحرام ، فاستوفى عن الغيظ فيضاً ،  
وأخلى بكل شخص أرضاً .

(١) كان الأتراك من عشيرة ترکان خاتون بوجه خاص ، يتحكمون في الدولة ومواردها ،  
فضلا من أن معظم رجال الجيوش الخوارزمية كانوا من عشيرتها ، ولذا فقد خشى علاء الدين  
محمد خوارزم شاه عاقبة تسليم ينال خان وهو من أقرباء ترکان خاتون والدة السلطان .  
(٢) ذكر دوجلاس Douglas ، أن علاء الدين محمد خوارزم شاه لم يقتل الرسل الثلاثة  
بل قتل زعيمهم ابن كفرج وأطلق سراح الاثنين الآخرين بعد أن حلقت لحيتاهما ، حتى يرويا  
قصة مصرع الرسول المغولي بلنكيزخان كما شاهدها .

انظر Douglas : The Life of Jenghiz Khan, p. 15.

ذكر ما اعتمده السلطان من التدبير الخطأ لما بلغه مسير  
جنسكزخان نحوه في عساكره

أول ما اعتمده من التدبير في هذا الأمر الفادح، والخطب الكالح، أنه عزم أن يبني سوراً على سمرقند بكبرها ودورها (١) على ما قيل اثني عشر فرسخاً، ثم يشجعها بالرجال ليكون رداء بينه وبين الترك، وسداً دونهم، وسائر أقاليم الملك. ففرق عماله وجبساته في جميع البلاد، وأمرهم أن يستسلموا لسنة خمس عشرة (٢) وستائة خراجاً تاماً برسم عمارة سور سمرقند. فبقي ذلك في أدنى مدة، وأعجله التاتار عن ذلك المراد، ولم يصرف شيء منها إلى عمارة السور.

وثانيه أنه بعث الجباة ثانياً إلى جميع بلاد الممالك وأمرهم بجباية خراج ثالث في سنتهم تلك، وأن يستخدم بها رجال رماة مكلمة العدة، ويكون عدد رجال كل جهة على قدر ما يحصل منها من المال، قليلاً كان أو كثيراً، يكون لكل واحد منهم جمل يركبه ويحمل سلاحه وزاده. فاستخدموهم أسرع ما يكون، وتوجهوا من جميع الأقطار إلى مراكز مراكبهم كالسيل سائراً إلى منحدرة، والسهم صادراً عن وتره. وصادفهم الخبر وهم في طرقتهم بإجفال السلطان عن حافة جيحون من غير قتال. ولو أقام إلى أن تصل الجموع لأجمع خلقاً (٣) لم يسمع بمثله كثرة، لكن قضاء الله أغلب، وأمره أنفذ، وله الحكم في تقلب الأحوال، وتبديل الأبدال، ونقل الأملاك من وال إلى وال.

(١) أي محيطها.

(٢) في الأصل: خمسة عشر.

(٣) أي ساق خلقاً.

ومن التدبير الخطأ أنه لما سمع بقرب جنكزخان ، فرق عساكره بمدن  
 ما وراء النهر وبلاد الترك ، فترك ينال خان في عشرين ألف فارس بأترار ،  
 وقتلغ خان وجماعة أخرى في عشرة آلاف (١) فارس بشهر كنت (٢) ،  
 والأمير اختيار الدين كشكي أمير آخور (٣) ، وأغل حاجب الملقب بأيتانج خان  
 في ثلاثين ألفا (٤) بيخارا ، وطغانخان خاله وأمراء الغور مثل جرمينج  
 وحرور (٥) ، وابن عز الدين كت وحسام الدين مسعود وغيرهم في أربعين  
 ألفا بسمرقند (٦) ، وشرف الدين حبش المعروف بعنسان النسوي وعسكر  
 سجستان بترمذ ، وبلخامورخان بوخش (٧) ، وأبي محمد خال أبيه ببلخ ،  
 وأسرك بهلوان بخندروذ (٨) ، وعلجق ملك بجيلان (٩) ، والبرطاسي بقمندز

(١) في الأصل : عشرة ألف .

(٢) شهر كنت : مدينة في طرف تركستان قريبة من مدينة جند الواقعة على نهر سيجون ،  
 وبينها وبين خوارزم عشرة أيام أو أقل . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ص ٣١٦ .

(٣) أمير آخور : هو المشرف على الاصطبلات السلطانية وما فيها من الخيل والبغال والجمال  
 وغيرها مما هو داخل في حكم الاصطبلات . ويكون في الغالب مقدم ألف ويسكن في اصطبل  
 السلطان . انظر كتاب السلاح في الإسلام للقاءمقام عبدالرحمن زكي ، ص ١١ . ويلاحظ أن أمير  
 آخور مركب من لفظين أحدهما عربي وهو أمير ، والثاني فارسي وهو آخور ومعناه مكان العلف  
 (العلف) فيكون معنى أمير آخور أمير العلف لأنه المسئول لأمر الدواب .

وهناك أيضا وظيفة السراخور ، وهي مركبة من لفظين فارسيين ، أحدهما سرا ومعناه  
 الكبير ، والثاني خور ومعناه العلف ، والمراد كبير الجماعة الذين يتولون علف الدواب . انظر  
 المقرئبي : السلوك ، ج ١ قسم ٢ ص ٤٣٨ حاشية ٣ . والقلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥  
 ص ٤٦٠ — ٤٦٢ .

(٤) في الأصل : ثلاثين ألف . ويقال في رواية أخرى إن عدد قوات بخارى بلغت عشرين  
 ألف رجل . ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ١٦٨ .

(٥) جرمينج وحرور أميران من أمراء الغور .

(٦) يقال أيضا إن عدد قوات سمرقند كانت خمسين ألف رجل . ابن الأثير : الكامل  
 ج ١٢ ص ١٦٨ .

(٧) وخش : مدينة في نواحي بلخ على نهر جيحون ، ينتسب إليها العالم أبو علي الحسن  
 الوخشي المتوفى سنة ٤٥٦ هـ (١٠٦٣م) . ياقوت : معجم البلدان ، ج ٨ ص ٤٠٤ .

(٨) خندروذ : إحدى مدن فارس .

(٩) جيلان : اسم لبلاد كثيرة من وراء طبرستان ، ويقال إنها كانت قرى في مروج بين  
 الجبال . ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ص ١٩٤ .



وأسلبه خان بولج<sup>(١)</sup>. وبالجملة لم يترك بلداً من البلاد بما وراء النهر خالياً من  
عسكر مجر<sup>(٢)</sup> ، وقد أخطأ في ذلك فلو التقي<sup>(٣)</sup> التاتار بكتائبه قبل أن  
يفرقها لاحتطفهم خطفة ، ونسفهم<sup>(٤)</sup> عن الأرض نسفاً<sup>(٥)</sup> . ولما شارف  
جنكز خان تخوم البلاد السلطانية تباشر صوب أترار وداوم القتال عليها ليلاً  
ونهاراً حتى استولى عليها وأحضر ينال خان بين يديه ، فأمر بسبك الفضة  
وقلبها في أذنيه وعينيه ، فقتل تعذيباً ، جزاء عن فعله الفظيع ، وخطبه الشنيع ،  
وسعيه المذموم عند الجميع<sup>(٦)</sup> .

(١) يقال أيضاً ولج .

(٢) عسكر مجر أى جيش عظيم .

(٣) في الأصل : التقا .

(٤) في الأصل : أنسفهم .

(٥) يذهب المؤرخون مذاهب شتى في تعليل السبب الذي دفع علاء الدين محمد خوارزم شاه  
إلى توزيع قواته على المدن الخوارزمية المختلفة ، فيرى جيبون Gibbon أنه ظن أن الغول  
سيملون حصار هذه المدن العديدة ، ومن ثم يعودون إلى بلادهم دون أن ينالوا من هذه  
المدن أو من ساكنيها منالاً . ويرى سيكس Sykes أن علاء الدين محمد خوارزم شاه ظن  
في ذلك الوقت أن جنكيزخان سيكتفي من البلاد الإسلامية بنهب ما تصل إليه يده من الغنائم  
والأسلاب ، ثم يعود إلى حيث أتى . ويرى فلاديميرتسوف Vladimirtsov أن السلطان  
الخوارزمي كان لا يثق بقواده ، ولذلك كان يخشى أن يتجمع عدد كبير من رجاله تحت قيادة  
رجل واحد ، فتقلب عليه هذه الجيوش تحقياً لرغبة قائد ما قد تحمته نفسه بعضيان السلطان .  
وذكر فلاديميرتسوف فوق ما تقدم أن القواد الخوارزميين لم يكونوا من الكفاية والمقدرة  
بحيث يستطيع قائد واحد منهم أن يقود جيشاً كبيراً ، أضف إلى ذلك أن علاء الدين وجد  
أنه من الصعب عليه أن يلتقي بأعدائه في العراء ولذا فضل التحصن داخل المدن . انظر

Gibbon : The Decline and Fall of the Roman Empire, vol. vi, p. 279.

Sykes : A History of Persia, p. 56.

Vladimirtsov : The Life of Chingis-Khan, pp. 121—122.

(٦) يجدر بنا أن نذكر هنا أن جنكيزخان لم يشترك في الاستيلاء على مدينة أترار كما  
ذكر النسوي ، وإنما عهد بهذه المهمة إلى ابنه أجتاي وجغتاي ، وقد اقتيد ينال خان ، بعد  
وقوعه أسيراً في أيدي المغول ، إلى معسكر جنكيزخان الذي كان في ذلك الوقت أمام سمرقند .

انظر D'ohsson : Op. cit., t.I, pp. 218—221.

ذكر حيلة تمت لجنكزخان على السلطان حتى توهم من أمرائه

وحرّض<sup>(١)</sup> على مفارقتهم ففرّ قههم

لما استولى جنكزخان على أترار ، حضره بدر الدين العميد ، وكان ينوب بأترار عن الصفي الأقرع وزير السلطان ببلاد الترك ، وخلا به ، وكان يحقد على السلطان لقتله<sup>(٢)</sup> أباه القاضي العميد سعداً ، وعمه القاضي منصوراً ، وجماعة من بني عمه وأخوته عند استصفائه بمسكة أترار ، وقال : ليعلم الخان أن السلطان أبغض خلق الله عندي لإفنيائه خلقاً من أهلي ، ولو قدرت على استيفاء ثأري منه يبذل روحي لفعلت . لسكنتني مخبرك بأنه سلطان عظيم صاحب قدرة ، ولا يغرك تفريقه المساكين بهذه الأطراف ، فإن فيها معه من الجيش اللهامة لغنيمة عن غيره ، ولو أراد الحشر<sup>(٣)</sup> من بسيط مسكة وفسيح عرصته أضعاف ذلك ، والرأى عندي أن تعمل عليه حيلة يتوهم بها<sup>(٤)</sup> من أمراء عسكره . وعرفه ما بينه وبين والدته من الوحشة والتنافر ، وتجاذبا في ذلك أطراف الكلام حتى اتفقا على أن يزور بدر الدين العميد كتباً عن لسان الأمراء قرايب والدة السلطان يذكر فيها : أننا قد تسحبنا من بلاد الترك بعشائرنا ومن يلوذ بنا إلى السلطان ، رغبة في خدمة والدته ، وقد نصرناه على كافة ملوك الأرض حتى ملكها ، وذلت له الجبابرة ، وخضعت له الرقاب . وهاهو الآن قد تغيرت نيته في حق والدته عشراً منه وعقوقاً . وهي تأمر بخذلانه ، فنحن على انتظار وصولك واتباع مرادك وسؤلك .

(٢) في الأصل : قتله .

(١) في الأصل : حرّض .

(٤) كذا في الأصل ، والمراد أن يرتاب فيهم .

(٣) في الأصل : يحشر .

وسير جنكزخان هذه السكتب على يد بعض خواصه ، هارياً في ظاهر الأمر ، ومبعوثاً في باطن السر . فنشرها عن منذرات بحيشته (١) ، مظلماً الدنيا في عينه . ففترت عزائم في مقاصده ، إذ أتته الرزايا (٢) من وجوه فوائده ، وأخذ يبيد شملهم ، ويفرق جمعهم ، تعليلاً بتقوية البلاد على ما ذكرناه .

وسير جنكزخان دانشمند الحاجب ، وهو من خواصه ، إلى ترکان نخاتون بخوارزم يقول : قد عرفت مقابلة ابنك حقوقك بالعقوق ، وهأنذا (٣) قد قصدته بمواطأة من أمرائه ، ولست بمتعرض إلى ما تحت يدك من البلاد ، فإن أردت ذلك بعثت (٤) إلى من يستوثق لك مني فتسلم لك خوارزم وخراسان وماتناخهما من قاطع جيحون . فكان جوابها عن هذه الرسالة أنها خرجت عن خوارزم مجفلة ، وتركتها وراءها مهملة (٥) .

(١) الحين : الهلاك .

(٢) في الأصل : ها أنا .

(٣) راجع الفصل التالي .

(٤) في الأصل : الدرايا .

(٥) في الأصل : تبعث .

ذكر خروج ترکان خاتون عن خوارزم  
في أواخر سنة ست عشرة<sup>(١)</sup> وستمانة

واتفق وصول رسول جنكز خان إلى خوارزم الحاجب المقدم ذكره،  
وورود الخبر بإجفال السلطان عن حافة جيحون، فقلقت لهذا الخبر قلقاً  
لم تكتحل عينها معه بفرار، ولم تر خوارزم دار قرار. فاستصحبت  
ما أمكنها استصحابه<sup>(٢)</sup> من حرم السلطان وصغار أولاده ونفائس خزائنه،  
وخرجت عن خوارزم مودعة والعيون كانت لوداعها تصوب<sup>(٣)</sup>، والقلوب  
تذوب. وقدمت عند خروجها من نقيض البر، ما أرتخ الزمان بسوء  
الذكر، وترك سية مخلدة على وجه الدهر، وهو أنها كانت تعتقد أن نار  
تلك الفتنة عن قريب تخدم، وأن العروة المنفصمة سوف تعقد، وأن  
صباح مسراها عما قليل يحمده. فأمرت بقتل من كان بخوارزم من الملوك  
الأسارى، وأبناء الملوك وذوى المراتب المنيفة من كبار الصدور وسادات  
القروم، زهاء اثني عشر نفساً محرمة، مثل ابني السلطان طغرل السلجوقي،  
وعماد الدين صاحب بلخ، وابنه الملك بهرام شاه صاحب ترمذ، وعلاء الدين  
صاحب باميان، وجمال الدين عمر صاحب وخش، وابني صاحب سقطاق  
من بلاد الترك، وبرهان الدين محمد صدرجهان، وأخيه<sup>(٤)</sup> افتخارجهان،  
وابنيه ملك الإسلام وعزير الإسلام، وغيرهم. ولم تعلم أن رتق ذلك الفتق،  
ورفو ذلك الحرق، بالإناابة<sup>(٥)</sup> إلى الله تعالى أولى، وأن الرجوع إلى الحق

(٢) في الأصل: ما أمكنه استصحابها.

(٤) في الأصل: أخوه.

(١) في الأصل: ستة عشر.

(٣) تصوب: تتجه.

(٥) في الأصل: الإناابة.

أحمد في البدو والعقبى . نخرجت عن خوارزم وصحبها من قدر على الخروج ، وتعذرت صحبتها على أكثر الناس ، إذ كانت النفوس لا تسمح بتسييب ما حوت من الحطام ، وجمعت من وجوه الحل والحرام . واستصحبته عمرخان بن صاحب يازر ، وكان معوقاً بها<sup>(١)</sup> لخبرته بهاتيك الطرق المفضية<sup>(٢)</sup> إلى بلاده ، وكان المذكور قد لقب بصبورخان ، وسبب تلقيبه بصبورخان أن أخاه هندوخان كان قد سمله حين استولى على الملك ، فرفق به المباشر للسمل مبقياً<sup>(٣)</sup> على بصره ، وناظر آفي نظره ، فتعاهى المذكور إحدى عشرة<sup>(٤)</sup> سنة إلى أن توفي هندوخان وملكت ترکان خاتون بلد يازر محتجة بأن هندوخان كان مزوجاً من قبيلتها بامرأة من قرابها ، ففتح عمرخان عينيه ، وقصد باب السلطان يرجو تقرير الملك عليه ، فلم يحصل له بما كان يأمله غير تلقيبه بصبورخان . نعم وخرج المذكور في خدمتها عن خوارزم وليس معها غيره من تعول عليه لكشف ملية أو إزالة بؤس ، أو دفاع خطب عبوس . وقد خدمها تلك المدة أتم خدمة ، حتى إذا قاربت تخوم يازر ، خافت أن يفارقها المذكور فأمرت بضرب عنقه ، فقتل صبراً وأهلك غدرآ . وسارت بما معها من الحرم والخزائن فصعدت قلعة إيلال ، وهي من أمهات قلاع مازندران ، فأقامت بها إلى أن فرغ التاتار من إجلاء السلطان وإلجائه إلى الجزيرة التي مات فيها<sup>(٥)</sup> ، على ما سنشرحه إن شاء الله .

وحوصرت إيلال مدة أربعة أشهر ، وبني حولها سور ، وغلقت .

(١) أى مجوساً مبقياً . وفي الأصل معوقاً . (٢) فى الأصل المفضية .

(٣) فى الأصل : متقبياً . (٤) فى الأصل : إحدى عشر .

(٥) توفي علاء الدين محمد خوارزم شاه فى إحدى جزر بحر قزوين سنة ٦١٧ هـ (١٢٢٠/١٢٢١م) ، وكان قدالتجأ إليها فاراً من وجه المنول . ويجدر بنا أن نذكر هنا أن ترکان خاتون عندما عولت على الرحيل عن خوارزم ، كان فى عزمها أن تلجئ إلى العراق العجمى ولكنها اعتصمت وهى فى الطريق بقلعة إيلال بإقليم مازندران . ابن الأثير: الكامل ج ١٢ ص ١٧١ — ١٧٢ .

الأبواب على السور ، تغلق بالليل وتفتح بالنهار ، وهذه عاداتهم في حصار القلاع المنبئة ، إلى أن ضويقت بالحصار . ومن العجيب النادر ، أن قلعة من قلاع مازندران وهي دائمة الأنواء ، كثيرة الأنداء ، والسماء بها قل ما تقشع ، والأمطار بها لا تكاد تطلع ، تؤخذ بالعطش ، فقدر الله تعالى أن أصححت السماء<sup>(١)</sup> مدة الحصار ، فألجأتها إلى طلب فأجيدت إلى ذلك ، ونزلت ومعها الوزير المعزول محمد بن صالح . وقد ذكر أنها كانت تنزل من القلعة والسيل يخرج من بابها ، وفاضت الصهاريج في ذلك النهار سرأ من الله تعالى الواحد القهار ، في هدم بنية وتأسيس أخرى ، وإن في ذلك لذوى الألباب ذكرى<sup>(٢)</sup> . وأسرت ترکان خاتون وحملت إلى جنسكرخان<sup>(٣)</sup> ، وأخبارها كانت تأتي جلال الدين في زمانه ، ولست أدري ما فعل الزمان بها بعده<sup>(٤)</sup> .

وحدثني بدر الدين هلال الخادم ، وكان من جملة خدامها ، ولما أيس من خلاصها ونجا بنفسه سالماً إلى جلال الدين ، فشملته عنايته ، فأصبح حظياً ، ووجد منصباً علياً ، قال : قلت لها : هلبي نهرب إلى جلال الدين ولد ولدك ، وفلذة كبديك ، فإن الأخبار قد تواترت بشوكته ، وبسطة باعه ، واتساع عراضه . قالت : بعد آله وسحقاً ، وكيف يهون عليّ أن أكون في نعمة ابن أي جيچاك<sup>(٥)</sup> وتحت ظله ، يعني أم جلال الدين ، بعد ولديّ

(١) أصححت السماء أي ضارت لاغيم فيها .

(٢) استولى المغول بقيادة القائد شي Chépé وسوبوتاي Souboutai على هذه القلعة بينما كانا بطاردان السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه في الأقاليم الغربية من الدولة الخوارزمية D'ohsson : Op. cit., t. I, pp. 259-260 .

(٣) اختلف المؤرخون في تحديد المكان الذي كان فيه جنكينخان عندما وصلته ترکان خاتون ، فذكر ابن الأثير في كتابه الكامل ، ج ١٢ ص ١٧٢ أن جنكينخان كان في سمرقند . وذكر دوسون ، ج ١ ص ٢٦٠ ، أنه كان يحاصر مدينة الطالقان ، لإحدى المدن في أعالي نهر جيچون .

(٤) ذكر دوسون أن ترکان خاتون ظلت أسيرة في أيدي المغول حتى رحلوا إلى بلادهم فصحبوها معهم إلى هناك حيث ماتت في مدينة قره فورم سنة ٦٣٠ هـ (١٢٣٣ م) . انظر

D'ohsson : Op. cit., t. I, p. 260..

(٥) أي جيچاك : اسم والدة جلال الدين منكبرتي .

أزلاخ شاه وأق شاه ، والأسر عند جنكز خان وما أنا فيه من الذل والهوان أحب إليّ من ذلك . وكانت تبغض جلال الدين بغضاً شديداً . وحكى لي الخادم المذكور قال : آل أمرها في الأسر ، من العسر ، أنها كانت تحضر تارات سماط جنكز خان فتحمل منه ما يقوتها أياماً ، وكان حكمها قبل ذلك قد نفذ في أكثر الأقاليم ، فسبحان مغير الحال بعد الحال .

وأما صغار أولاد السلطان فقتلوا جميعاً حين نزلوا إلا أصغرهم سنأ كماخي شاه ، وكانت مستأنسة به ، تزجسى<sup>(١)</sup> به أيام البوس والأسى ، وأوقات الصد<sup>(٢)</sup> والبلوى . بينما هي كانت تسرح رأسه ذات يوم وهي تقول : عندي اليوم من ضيق الصدر ما لم أكن أجد قبيل ، إذ أتاها بعض سرهنكية جنكز خان مستحضراً الصبي ، ففارقها وكان آخر عهدا به . فلما أحضر بين يديه أمر بخنقه نخفق . فجوزيت في الدنيا بما ارتكبت من الإهلاك ، وإفناء بنى الأملاك .

وأما بنات السلطان فقد تزوج بكل واحدة منهن<sup>(٣)</sup> شخص من المزندة ما خلا خان سلطان ، وهي التي كانت مزوجة بسلطان السلاطين عثمان صاحب سمرقند ، فإن دوشى خان<sup>(٤)</sup> بن جنكز خان استنصها لنفسه . وتزوج بتركان سلطان ، وهي شقيقة أزلاخ شاه ، دانشمند الحاجب الذى ورد رسولا من جنكز خان على تركان خاتون .

وأما حال الوزير نظام الملك المعزول فقد أقام بينهم مكرماً مشفوعاً ، لعلمهم بتغيير رأى السلطان عليه ، وانحطاطه عن منزلته لديه . وربما كان جنكز خان يأمره باسترفاع حسابات بعض البلاد فيقوم له بذلك جاه يسير إلى أن استولى دوشى خان على خوارزم وصب على أهله صوب نغمته ،

(٢) فى الأصل : الضد .

(١) فى الأصل : ترخى .

(٣) فى الأصل : منهم .

(٤) المقصود هو جوجى (چوچى) بن جنكيز خان . والمعروف أن أبناء جنكيز خان الذين اشتركوا معه فى حملته على البلاد الإسلامية هم ، عدا جوجى ، أجتاى (أكتاى ، أگتاي) وجغتاي (چغتاي) ، وتولوى (تولى) .

وحملت إلى جنكزخان مغنيات السلطان ، وفيهن بنت زنكيجة ذات جمال  
وحسن ، فطلبها زين ، الكبحال السمرقندي ، من جنكزخان ، وكان  
المذكور قد داوى عين اللعين من الرمذ فوهبها له ، وكان الكبحال مفرطاً  
في قبيح الصورة وسوء العشرة فأبغضته ، وحق لها أن لا تستبدل بمثله عن  
سلطان الإسلام ، والقاعد من قمة الفرقدين على الهام . فأقامت عند الوزير  
يومين أو ثلاثة وهو يشرب ، وجامها الطلب من الكبحال مراراً وهي  
تدافع ، فشى الكبحال إلى جنكزخان مشنعاً ، وقال الوزير : أنا أحق بها من  
غيري ، فغضب جنكزخان وأمر بإحضار الوزير فأقيم بين يدي جنكزخان  
وأخذ يعد عليه غدرة بأستاده ، وفساده في دولته ، وأخفر عليه ما أعطاه  
من ذممه ، وأحل الأرض من حرام دمه .



## ذكر نبذ من أحوال ترکان خاتون وسيرتها

كانت المذكورة من قبيلة بياووت (١) ، وهي فرع من فروع يمك (٢) ، وقد لقبّت عند ارتفاع شأنها بخداوند جهان ، یعنی صاحبة العالم ، وكانت بنت خان جنكشي ، ملك من ملوك الترك ، فتزوج بها تكش بن إريل أرسلان (٣) زواج الملوك بنات الملوك . ولما انتقل الملك إلى السلطان محمد وراثته عن أبيه تكش ، تسحبت إليه قبائل يمك من يجاورها من الترك فتكثر بهم ، واستظهر بمكانهم ، وتحكمت لهذا السبب ترکان خاتون في الملك ، فلم يملك السلطان إقليا إلا وأفرد لخاصتها منه ناحية جلييلة .

وكانت ذات مهابة (٤) ورأى ، وإذا رفعت الظلمات إليها تحكّم فيها بالعدل والإنصاف . وكانت تنصف للظالم من الظالم ، غير أنها كانت جسوراً (٥) على القتل ، وكانت لها خيرات ومسيلات في البلاد ، ولو إنا أوردنا ما شاهدناه من عظم شأنها الطال الكلام . وكانت لها من كتب الإنشاء (٦) سبعة من مشاهير الفضلاء وسادات الأكابر ، وإذا ورد عنها وعن السلطان توقيعان مختلفان في قضية واحدة ، لم ينظر إلا في التاريخ ، فيعمل (٧) بالآخر بكافة الأقاليم . وكان طغرا تواقعها « عصمة الدنيا والدين ألغ ترکان مالكة نساء العالمين » . وعلامتها ، « اعتصمت بالله وحده » . وكانت تكتبها بقلم غليظ ، وتجوّد الكتابة فيها بحيث يعسر أن تزور علامتها .

(١) قبيلة بياووت ، فرع من قبائل كانكالي Canalis . ويرجع أصلها إلى السهول الواقعة في شمال خوارزم وفي الشمال الشرقي من بحر قزوين . D'ohsson : Op. cit., t. i, p. 196 .

(٢) لعل المقصود بكلمة يمك ، قبائل كانكالي .

(٣) في الأصل : رسلان . (٤) في الأصل : ذا مهابة .

(٥) في الأصل : جسورة . وجسور ، من الصفات التي لا تلاحظها تاء التأنيث مثل امرأة

عجوز ، هي صبور . (٦) راجع صفحة ٧ حاشية ٦ .

(٧) في الأصل : فتعمل .

## ذكر رحيل السلطان من كتلف<sup>(١)</sup> بعد استيلاء

### جنگز خان على بخارا

لما بلغ السلطان استيلاء جنگز خان على أترار وقتله<sup>(٢)</sup> اينال خان ومن كان معه من العسكر ، أقام بحدود كتلف وأندخوذ<sup>(٣)</sup> منتظراً وصول الجموع النقذية من الجهات ، مرتقياً ما تصنعه حبالى اللبالي ، من الحوادث بالأعلى . فساق جنگز خان بعد استيلائه على أترار إلى بخارا ، وهى أقرب المدن إلى مراكز الرايات السلطانية ، يحاصرها . وقد قصد بذلك أن يقطع بين السلطان وبين عساكره المتفرقة ، حتى لو بدا له فيما فعل من تفريقهم ، لم يقدر على جمعهم . فحظ على بخارا محاصراً ، وبمن ساقهم من رجالة<sup>(٤)</sup> أترار وخيالتها متكاثراً ، وداوم القتال عليها ليلاً ونهاراً ، حتى استولى عليها عنوة واقتداراً .

ولما رأى كشيلى أمير آخور<sup>(٥)</sup> ومن معه من أصحاب السلطان أنها أشرفت على الأخذ تجادلوا واستبدلوا بمسكة العزائم ، هتكة الهزائم . وأجمعوا على أن يخرجوا فتحملوا<sup>(٦)</sup> حملة رجل واحد ، تنفيساً للخناق ، وفكاً من شدة

(١) كتلف : بلدة في خرسان ، بين مدينتى بلخ ومرو .

(٢) فى الأصل : وقتلهم . (٣) راجع صفحة ٦٧ حاشية ١ .

(٤) رجالة : جمع راجل والحقت تاء التأنيث بالجمع .

(٥) أمير آخور : هو المشرف على الاصطبلات السلطانية وما فيها من الخيل والبغال والجمال ، وفى الغالب يكون مقدم ألف ، ويكون ساكناً باصطبل السلطان . انظر كتاب السلاح فى الإسلام للقايمقام عبد الرحمن زكى ص ١١ . ويلاحظ أن آخور لفظ فارسى معناه المليف ، فيكون معنى أمير آخور أمير المليف لأنه المتولى لأمر الدواب . انظر المقرئى : السلوك ج ١ قسم ٢ ص ٤٣٨ حاشية ٣ .

(٦) أى ارتحلوا .

الإرهاق ، ففعلوا وخرجوا . ولو أراد<sup>(١)</sup> لأفلقوا<sup>(٢)</sup> . ولما رأى التاتار أن الأمر إذ والخطب جد ، والحد حديد ، والبأس شديد ، انهزموا من قدامهم ، وفتحوا لهم طريق انهزامهم . فلو أن المسلمين أردفوا الحملة بأخرى ، كاسعة في أذربايجان ، مشخنة في عمارهم<sup>(٣)</sup> ، لاستمرت الهزيمة بهم . غير أنهم لإدبار زمانهم قنعوا بالختلاص ، ولما علم<sup>(٤)</sup> التاتار أن قصارهم النجاة ، جدوا<sup>(٥)</sup> في طلبهم ، وسدوا<sup>(٦)</sup> عليهم وجوه مهربهم ، وتبعوهم<sup>(٧)</sup> إلى حافة جيحون ، فلم ينج منهم إلا أيناخ خان بشرذمة يسيرة . وشمل القتل معظم ذلك الجيش ، وغنم التاتار من الأموال والأسلحة والعباد والعدة ما ارتاشت به أحوالهم ، وأمرعت رحالهم<sup>(٨)</sup> .

ولما فاجأ السلطان خبر هذه الحادثة الكارثة ، أقلقه وأكده ، وأضعف عن كل شيء قلبه ويده ، فعبر جيحون بأسأ ، وعن بلاد ماوراء النهر آيسأ ، وفارقه إلى التاتار عند اضطراب حاله ، وفنام رجاله ، المقدمين من بني أخواله ، سبعة آلاف من الخطائية . واتصل علام الدين صاحب قشندز بجنكز خان مظاهر آ ، وبعداوة السلطان مجاهر آ<sup>(٩)</sup> ، وانقطع إليه الأمير جاهررى من قدام بلخ ، وأخذ الناس في التخاذل والتسلل ، ومن هناك وهى الأمر ، وانبثق السكر ، وانفصمت العرى ، وانتقضت المراير والقوى ، ولكل مرير انتقاض ، ولكل أمر انقراض . كذلك يؤتى الله الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء وهو الفعال لما يريد .

(١) كذا في النسخة الخطية ، ولعل المقصود بها « أراد الله » أو « أرادوا »  
(٢) في الأصل : لفلقوا .  
(٣) في الأصل : عمارهم .  
(٤) في الأصل : علموا .  
(٥) في الأصل : جد .  
(٦) في الأصل : سد .  
(٧) في الأصل : تبعهم .  
(٨) بلغ التخريب في مدينة بخارى مبلغاً كبيراً حتى أن أحد سكان هذه المدينة ، لما هرب إلى خراسان ، أجل ما أحدثه القول في مدينة بخارى بقوله : أتوا فخرّبوا ، وأحرقوا ، وقتلوا ونهبوا ثم ذهبوا . Vambery : Op. cit., p. 130 .  
(٩) في الأصل : مجاهداً .

ولما اتصل الخبر بمجنكزخان من سبق ذكره من التوت ، أشعروه بما استشعر السلطان من الوجع ، وأعلوه بما عنده من الفشل ، جرد المقدمين منه نوين وسبلى بهادر<sup>(١)</sup> في ثلاثين ألفاً حتى عبروا النهر صوب خراسان<sup>(٢)</sup> ، فحاسوا خلال الديار ، وكان وعداً مفعولاً . وجرى من السفك والنهب والتخريب ما غادر الصناعات خشين ، وشرد الزراع عزين<sup>(٣)</sup> ، واستنخاض الضاحية الضامنة ، واعتصر البادية والكامنة ، وأخرس الثغاة<sup>(٤)</sup> ، والرغاة<sup>(٥)</sup> ، وأنطق الهام والأصدا ، وشوهد من اللأواء ما لم يسمع بمثله في الأعصر الأول ، ولا فيما مضى من الدول .

وهل باخك أن طائفة خرجت من مطلع الشمس ، فقطعت الأرض إلى باب الأبواب<sup>(٦)</sup> فعبرت إلى بلاد قهچاق<sup>(٧)</sup> ، وشدت على قبائلها غارة .

(١) هما القائدان المغوليان شي «جيه» Tchéb ، وسوبوتاي Souboutai . وقد أرسلهما جنكيزخان في إثر علاء الدين محمد خوارزم شاه ، على رأس جيشين يتكون كل منهما من ألف فارس ، وقد طارده حتى اضطره إلى الاعتصام بإحدى جزر بحر قزوين .  
D'ohsson : Op. cit., t. i, p. 240.

(٢) المقصود هنا نهر جيحون .

وجدير بالذكر في هذا المقام أن المغول حينما عولوا على عبور نهر جيحون لم يجدوا سفناً تصلح للمبور ، فصنعوا أحواضاً من الخشب ، وكسوها بجلود البقر لئلا يتسرب الماء إليها ، ثم وضعوا فيها أسلحتهم وأمتعتهم وألقوا بخيولهم في الماء وتملقوا بأذيالها بعد أن شدوا تلك الأحواض إلى أجسادهم ، « فكان الفرس يجذب الرجل ، والرجل يجذب الخوض المملوء من السلاح وغيره ، فعبروا كلهم دفعة واحدة » . انظر ابن الأثير : الكلام ٢ ، ج ١٢ ص ١٧٠ .

(٣) في الأصل : عزين ، وعزين ، بالزاي المعجمة ، أي متفرقين .

(٤) الثاغية : الشاة ، والتغاة : صوت الشاة والمغز وما شاكلهما .

(٥) الراغية : الناقة أو البعير ، والرغاة : صوت ذوات الحف .

(٦) باب الأبواب ، وتسمى أيضاً الدربند : مدينة على الشاطئ الغربي لبحر قزوين شمالي باكو وقبالة تفليس . انظر المقرئزي : السلوك ج ١ قسم ١ ص ٢٤٨ حاشية ٣ ، والقلقشندی : صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٣٦٤ ، ودائرة المعارف الإسلامية مادة Derbend .

(٧) يكتب هذا الاسم في الكتب التركية قهچاق . انظر كتاب عثمانلي تاريخي لأحمد راسم ، ص ١٢٩ ، وانظر أيضاً كتاب لغات تاريخية وجغرافية لأحمد رفعت ج ٦ ص ٦ .

شعواء وخبطتها بالسيوف خبط (١) عشواء ، فلم يدس أرضاً إلا نهبها ،  
ولا بلداً إلا خربها ، ثم رجعت إلى صاحبها من طريق خوارزم بعد هذه  
الدورة سالمة غانمة ، وقد أهلكت حرث البلاد ونسلها ، وعرضت على ظبي  
السيوف أهلها . كل ذلك فيما دون سنتين . إن الأرض لله يورثها من يشاء  
من عباده والعاقبة للمتقين (٢) .

---

(١) في الأصل : خبطاً .

(٢) سورة الأعراف ، آية ١٢٨ . وقد أوردها هوداس خطأ على النحو التالي : إن  
الأرض لله يورثها من يشاء والعاقبة للمتقين .

## ذكر ما قاسى<sup>(١)</sup> السلطان من الشدائد والجفلات

### إلى أن مات بالجزيرة بببحر قلزم

ولما عبر السلطان جيحون وصل إلى الخدمة السلطانية عماد الدين محمد بن السديد الساوى وزير ابنه ركن الدين صاحب العراق ، وقد كان ابنه ركن الدين وجهه إلى باب السلطان لقضاء<sup>(٢)</sup> أشغاله في ظاهر الأمر ، ومستريحا منه بتخليفة بابه عنه من نفث الشر ، إذ كان قد شكى إلى السلطان تحكمه<sup>(٣)</sup> واستبداده ، وأنه لم يتبع في الأمور إلا هواه ومراده . فلما حضر إلى الباب السلطاني ، وعلم بما دبر عليه ، نصب إذ ذاك حبال الحيلة في التخلص من تلك الورطة ، وكان ذا قول مسموع ، ورأى في الأمور متبوع . فأخذ ينفث على السلطان أنه إذا تسحب إلى العراق سالياً عن خراسان وأهلها قاليا قرارة الميلاد ، ومياه الطارف والتلاد ، فيها يثير له من الأموال والرجال ما يسد به الثلم ، ويداوى به الكلم ، أحاديث زور ، وأخبار غرور ، كسر اب ببيعة يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً<sup>(٤)</sup> ؛ فباع العين بالضمار ، وخلف وراءه من البلاد والرجال ما كانت للعراق بالنسبة إليها كالشيء عند المعتزلة بل أحقر ، وبالجوهر الفرد عند من يشبهه بل أصغر<sup>(٥)</sup> . فرحل من حافة

(١) في الأصل : قاسا .

(٢) في الأصل : لفضى .

(٣) في الأصل : بحلمه .

(٤) سورة النور ، آية ٣٩ .

(٥) يذكر في هذا المقام أن علاء الدين محمد خوارزم شاه لما عزم على الفرار من وجه جنكيزخان ، عقد مجلساً من وزرائه وكبار قواده للتشاور فيما يفعله ، فانقسم المجتمعون في الرأي ، فريق رأى ترك بلاد ما وراء النهر للغول والانصراف إلى حماية الأقاليم الواقعة غرب نهر جيحون ، وفريق آخر رأى أن ينسحب علاء الدين إلى غزنة حيث يجمع جيوشه المنفرقة ويواجه بها القوات المغولية . وقد فضل علاء الدين الرأي الثاني وسار في طريقه =

جيحون إلى نيسابور ، ولم يقم بنيسابور إلا ساعة من نهار رعباً تمكن من قلبه ، وذعر آ أسس في صميم صدره ، وخيفة سالت به في أودية الظنون ، ونفرتة عن ضم القوادم للسكون .

وحكى الأمير تاج الدين عمر البسطامي ، وكان من الوكيلدريّة ، قال : وصل السلطان في مسيره هذا إلى العراق بسطام<sup>(١)</sup> ، فاستحضرني وأحضر عشرة<sup>(٢)</sup> صناديق ، ثم قال : هل تعلم ما فيها ؟ قلت : السلطان أخبر بها . قال : هذه كلها جواهر لا يعرف قيمتها غير هذين ، وأشار إلى اثنين منها ففيها من الجواهر ما يساوي خراج الأرض ، بأسرها . وأمرني بحملها إلى قلعة أردهن<sup>(٣)</sup> وهي من أحصن قلاع الأرض ، تزل عن محاذاتها<sup>(٤)</sup> النصور ، لم ير ساكنها من الطيور غير الظهور . فحملتها إليها وأخذت خط الوالي بها بوصولها محتومة . ولما انتشر التاتار في الأقطار ، وأمنوا جانب السلطان ، حاصروا القلعة المذكورة إلى أن صالحهم الوالي بها على تسليم الصناديق إليهم فتسلموها بختومها ، وحملت إلى جنكز خان .

نعم ، ولما أتى السلطان العراق نزل بمرج دولت آباد ، وهي من أعمال همدان ، وأقام بها أياماً يسيرة ، ومعه من نفائث الديار ، بل لقاطات الأدبار ، زهاء عشرين ألف فارس . فلم ترعه إلا صيحة الغارة ، وإحداق

---

إلى غزنة ، ولكنه تقابل وهو في مدينة بلخ بالوزير عماد الدين ( عماد الملك ) الذي أوحى إلى السلطان بالعدول عن الذهاب إلى غزنة ، وزين له الاتجاه نحو العراق العجمي ، فقبل السلطان مشورته . وكان هذا الوزير مدنوفا بالرغبة في الالتجاء إلى موطنه الأصلي بالعراق العجمي . D'ohsson : Op. cit., t. i, pp. 141—142 .

(١) بسطام : مدينة في مقاطعة قومن وتمتاز بكثرة بساطينها ، وإليها ينتسب أبو يزيد البسطامي الزاهد . ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ١٨٠ ، والقلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٣٨٩ . راجع أيضاً ص ٥٣ حاشية ٥ .

(٢) في الأصل : عشر .

(٣) أردهن : قلعة من أعمال مدينة الري وعلى مسيرة ثلاثة أيام منها . ياقوت : معجم

البلدان ، ج ١ ص ١٨٩ .

(٤) في الأصل : محاذاتها .

خيول العدو<sup>(١)</sup> به كخط في الاستدارة ، فقاتهم بنفسه وشمل القتل جل أصحابه ، وقتل عماد الملك يومئذ فيمن قتل ، ونجا السلطان في نفر يسير من أصحابه وخواصه إلى بلد الجبل ، ثم منها إلى الاستناد<sup>(٢)</sup> وهي أمتع ناحية من نواحي بماندران ذات دربنديات ومضائق ، ثم منها إلى حافة البحر . وأقام عند الفريضة<sup>(٣)</sup> بقرية من قراها ، فيحضر المسجد ويصلي به إمام القراءة الصلوات الخمس ، ويقرأ له القرآن وهو يبكي وينذر الندور ، ويعاهد الله بإقامة العدل إن كان يكتب سلامته ، ويقدم في الملك دعامة ، إلى أن كبست<sup>(٤)</sup> التاتار بها ، ومعهم ركن الدين كبودخان ، وكان السلطان قد قتل عمه نصره الدين ، وابن عمه عز الدين كيخسروا ، وملك عليهم بلاده ، فانتبه الفرصة ركن الدين في هذا الوقت ، وانضوى إلى التاتار ، وملك ناحية عمه ، وكانت خالصة من المنازعين . فحين هجموا على الضيعة على غفلة من السلطان ، ركب المركب فوقع منهم سهام في المركب وخاضت خلفه طائفة منهم ، حرصا على أخذ السلطان ، فأشروعهم البدار بوارأ ، وأوردهم الماء ناراً<sup>(٥)</sup> .

وحدثني غير واحد ممن كانوا مع السلطان في المركب ، قالوا : كنا نسوق المركب وبالسلطان من علة ذات الجنب ما آيسه<sup>(٦)</sup> من الحياة<sup>(٧)</sup> وهو يظهر الاكتئاب ضجراً ويقول : لم يبق لنا مما ملسكناه من أقاليم الأرض قدر ذراعين نحفر فنقبر . فما الدنيا لساكنها بدار ، ولا ركونه إليها سوى

(١) في الأصل : حول العدو .

(٢) كذا في الأصل ولعلها أستنا باذ أو أستناوند وهي قلعة من أعمال الري . ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ٢٢٥ .

(٣) الفريضة : الثغر أو الميناء . (٤) كذا في الأصل .

(٥) يلاحظ أن علاء الدين محمد خوارزم شاه ، عند ما توجه إلى الأقاليم الغربية من الدولة الخوارزمية فاراً من وجه المغول ، كان قد عزم على اللجوء إلى الخليفة العباسي في بغداد ، على أن المغول الذين كانوا يلاحقونه لم يتركوا له فرصة لتنفيذ هذه الفكرة ، فاضطر إلى الاتجاه إلى إقليم مازندران . D'ohsson : Op. cit., t. i, pp. 251-252 .

(٦) آيسه : أقتطه . (٧) في الأصل : الحياة .



انخداع واغترار. ما هي إلا رباط يدخل من باب ويخرج من باب، فاعتبروا يا أولى الألباب. قالوا: فلما وصل إلى الجزيرة، سر بذلك سروراً تاماً، وأقام بها طريداً فريداً، لا يملك طرفاً ولا تليداً، والمرض يزداد. وكان في أهل مازندران ناس يتقربون إليه بالمأكول وما يشتهي، فقال في بعض الأيام: أشتهي يكون عندي فرس يرعى حول خيمتي هذه، وقد ضربت له خيمة صغيرة، فلما سمع الملك تاج الدين حسن - وكان من جملة سرهنكيتية<sup>(١)</sup> وارتقى زمان جلال الدين إلى درجة الملوكية فوفى له حقه بالإحسان والإنعام جزاء له عن خدمته للسلطان في هذه الأيام ومسلكه أستراآباد<sup>(٢)</sup> بأعمالها وقلاعها - أهدى إليه فرسا<sup>(٣)</sup> أصفر. ومن قبل كان الأمير اختيار الدين أكبر أمير آخورية السلطان<sup>(٤)</sup>، وقد ضم إليه ثلاثين ألف فرس يقول: إن المرتب معي ثلاثون ألفاً، ولو شئت جعلتها ستين ألفاً من غير أن أتكلف صرف دينار أو درهم، وذلك أنني استدعي من كل دشار<sup>(٥)</sup> خيل السلطان في البلاد جوباناً واحداً فينيفون على ثلاثين ألفاً. فلينظر المتأمل إلى بعد ما بين الحاليتين ويعتبر. نعم ومن حمل إليه في تلك الأيام شيئاً من المأكول وغيره كتب له توقيعا بمنصب جليل، أو إقطاع طائل، وربما كان الرجل يتولى كتابة التوقيع لنفسه إذ كان لا يوجد عند السلطان من يكتب التواقيع الجزرية<sup>(٦)</sup>، بل كلها كانت برسم<sup>(٧)</sup> جلال الدين، فلما أحضرها

(١) أي أحد قواده.

(٢) أستراآباد: إحدى المدن بإقليم طبرستان. انظر خريطة بلاد فارس

(٣) في الأصل: فرس.

(٤) نسبة إلى أمير آخور. راجع ص ٩٠ حاشية ٣.

(٥) الدشار أو الجشار، هو مكان رعى الماشية من خيل أو غيرها. المقریزی: السلوك

ج ١ قسم ٢ ص ٤٩٠ حاشية ٢.

(٦) يرجع أن هذه التواقيع قد سميت بهذا الاسم نظراً لأنها كتبت في تلك الجزيرة ببحر

قزوين التي اعتصم بها علاء الدين محمد خوارزمشاه.

(٧) في الأصل: برسالة، والمقصود هو أن تلك التواقيع كانت كلها باسم جلال الدين

منكبرتي، أي موجهة إليه.

إليه عند ظهوره<sup>(١)</sup> أمضاها جميعا ، ومن كان معه سكين أو منديل أو علامة من السلطان بإقطاع أو منصب قبيلها وقبيلها وأمضى حكمها .  
ولما حل بالسلطان وهو بالجزيرة حمامه ، وانقضت لانقضاء الدين أيامه ، غسله شهيم الحشم شمس الدين محمود بن بلاغ الجاوش<sup>(٢)</sup> ، ومقرب الدين الملقب بمهتر مهتران مقدم الفراشية<sup>(٣)</sup> ، وما عنده ما يكفونوه به ، فكففته شمس الدين محمود المذكور بقميصه<sup>(٤)</sup> ، ودفن بالجزيرة سنة سبع عشر وستائة<sup>(٥)</sup> .

أذل الملوك وصاد القروم وصيّر كل عزيز ذليلا  
وحفّ الملوك به خاضعين وزفوا إليه رعيل رعيلا  
فلبا تمكن من أمره وصارت له الأرض إلا قليلا  
وأوهمه العز أن الزمان إذا رماه ارتد عنه كليلا  
أتمه المنية مغلظة وسلّت عليه حساما صقيلا  
فلم تغن عنه حماة الرجال ولم يجد<sup>(٦)</sup> قيل عليه فتبيلا<sup>(٧)</sup>  
كذلك يُفعل بالشامتين ويفنيهم الدهر جيلا فجيلا<sup>(٨)</sup>

(١) أى بعد عودة جلال الدين من بلاد الهند على أثر رحيل الغول عن أقاليم الدولة الخوارزمية إلى بلادهم .

(٢) الجاوش أو الشاوش أو الجاوش ، لفظ تركى وجمعه جاوشية . والجاوش جندى من رتبة بسيطة يكلفه مخدمه بحمل الرسائل وتبليغها . المقريزى : السلوك ، ج ١ قسم ٣ ص ٨٧٠ حاشية ٢ .

(٣) مقدم الفراشية ، هو الذى يشرف على بيت الفراش الذى يحوى البسط العديدة والحيام .  
(٤) ذكر السيوطى فى كتابه تاريخ الخلفاء ص ١١٣ ، أن علاء الدين محمد خوارزم شاه كسّن يشاش فراش كان معه .

(٥) أى سنة ١٢٢٠/١٢٢١ م .

(٦) فى الأصل : يجد .

(٧) فى الأصل : قبيلا .  
(٨) وصف ابن الوردى فى كتابه تنمته المختصر فى أخبار البشر ص ١٥٥ ، حال علاء الدين محمد خوارزم شاه فى أواخر أيامه بقوله :

وفارق المسكين أوطانه وملكه ممننا بالمرض  
وكم حوى من جوهر مثنى فما فدى الجوهر هذا العرض

## ذكر وصول شهاب الدين الخيوق<sup>(١)</sup>

من خوارزم إلى نساء

وحصار التاتار نساء وإهلاكه وإهلاك العامة بها

كان شهاب الدين أبو سعد بن عمران فقيها فاضلا مبرزاً مفتياً في مذهب الشافعي رضي الله عنه . وقد جمع إلى الفقه ، اللغة والطب والخلاف وسائر العلوم والفصاحة واللسن والتدبير الحسن ، فالمشترى مشترى سعادته ، وعطار د<sup>(٢)</sup> تلميذ إفادته ، وثاقب النجم عبد دهانه ، وصائب الفسرك خادم رأيه . ونال عند السلطان من الرتبة ما ليس وراءها لا بتغاء العُلى أمد ، فما فوق السماء للسمو مصعد ، فكان يشاوره في الأمور العظام ، ويفاوضه في جلائل الأمور . فكسبت ترى ملوك الأرض ووزراءها وذوى المراتب العلمية من أمرائها وقوفا ، على بابها صنوفا ، وهو يدرّس الأئمة على جاري عاداته . وكان إليه تدريس خمس مدارس بخوارزم ، وهو لا يبطل الدرس

(١) قرأ هوداس Houdas هذا الاسم في النسخة الخطية قراءات ثلاثاً : أولاً « الحيرق » كما جاء في هذا الموضع من الكتاب ، وثانيها « الخيوق » كما جاء في الطبعة العربية ص ٥١ ، ٥٢ ، أما القراءة الثالثة فكانت « الخيوق » كما جاء في صفحة ٥٨ من الطبعة العربية أيضاً . وقد ظننت بادئ الأمر أن ذلك ما هو إلا نتيجة خطأ في الطباعة ، فلما رجعت إلى الترجمة الفرنسية وجدت أنه ترجمها مع الأسف ترجمات ثلاثاً : الحيرق EL-Hâiraqi ، الخيوق EL-Khéyouqi ، الخبوقى EL-Khabouqi .

ولما كانت النسخة الخطية ، وهي محفوظة بالمكتبة الأهلية بباريس ، ليست في متناولنا ، فقد حاولت أن أقف على صحة هذا الاسم بالاستعانة بالمراجع الأخرى . وقد اهتمت إلى أن صحته « الخيوق » أو « الخيوق » نسبة إلى مدينة « خيوق أو خيوق » ، إحدى مدن خوارزم ، وتسمى أيضاً خيوه . وتتماز هذه المدينة كما يقول ياقوت ، باعتناق أهلها المذهب الشافعي على حين أن أهالي سائر مدن خوارزم يمتنعون المذهب الحنفي . انظر ياقوت : معجم البلدان ج ٣ ص ٥٠٣ .

(٢) المشتري وعطار د : من أسماء النجوم .

فهيها إلى أن يزكت<sup>(١)</sup> ، فتكلمه حجابيه في أمور أولئك . وربما كان ذو الحاجة يقيم على الباب متردداً سنة أو أكثر ، فلم تقض حاجته لكثرة الأشغال ، واتساع العرضة في الملك ، وتزاحم ذوى اللبانات . واحتاج السلطان إلى اتخاذ طابع لعلامته وهي : « اعتمادى على الله وحده » . واستناب في تعليم التواقيع بالطابع أكبر بناته خان سلطان ، إذ<sup>(٢)</sup> التواقيع كثرت حتى كان تعليمها يستغرق أكثر الأوقات ويشغله عن سائر المهام ، فما كان يعلم في السنين الأخيرة إلا على توقيع يتضمن أمر آجليلا<sup>(٣)</sup> .

وكان مما يدل على جلال قدر شهاب الدين أبي سعد ، أن الرسالة إذا خرجت على لسان ملك من الملوك كائناً من كان يذكر بعد الوزير في آخر التوقيع ، وأما شهاب الدين فلا يذكر ، تعظيماً له وإجلالاً لقدره عن أن يذكر بعد الوزير ، بل يكتب بالأمر الأعلى ، أعلاه الله ، والمثال العالی لازال عالياً بما ذكرناه ، ، من ألقاب الوزير . ثم يكتب حسب الرسالة الواردة بالإملاء . وقد بنى<sup>(٤)</sup> [ شهاب الدين ] بخوارزم في جامع الشافعية<sup>(٥)</sup> دار كتب لم ير قبلها ولا بعدها مثلها . فلما عزم على الخروج من خوارزم ، وقد أيس من العود إليها ، ضن بتركها فاستصحب نفائسها . ووقعت بعد مقتله بنساء في أيدي العوام والسوقة ، فكنت أتبعها وأجمعها ، وظفرت بعده

(١) زكت الإناء ملاءه ، وزكته الحديث أو عينه لياه . والمعنى المقصود الذى يفهم من سياق الكلام هو الانتهاء من البحث والدرس .

(٢) فى الأصل : إذا .

(٣) كان علاء الدين محمد خوارزم شاه ، منذ تربع على عرش الدولة الخوارزمية ، فى شغل شاغل بمشاكله العديدة الخارجية عن النظر فى أحوال دولته الداخلية . فقد شغل بتحقيق أهدافه التى رسمها لنفسه والتى تتمثل فى الإجهاز على الدولة الغورية بالاستيلاء على حاضرتها غزنة ، وفى توسيع أملاك الدولة الخوارزمية على حساب دولة الخطا فى الشرق ، وتوسيع أملاكه فى الغرب على حساب الخلافة العباسية بوجه خاص . انظر كتابنا : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٢٥ — ٢٧ ، ٣٥ — ٤٦ ، ص ٦٠ — ٦٣ .

(٤) فى الأصل : بنا .

(٥) فى الأصل : الشفعية . وقد تقدم أن شهاب الدين المذكور كان من فقهاء الذهب الشافعى .

بنفائس منها إلى أن وقعت في تجاذب أيدي الغربية مشرق أرض مرة ومغرباً  
تخلفتها بما حويته من الموروث والمسكنسب بالقلعة ، ولم أتجسر<sup>(١)</sup> مما خلفت  
بها إلا على السكتب .

ولما وصل المذكور إلى نسام ، ومعه خلق كثير من أهل خوارزم ،  
أقام بها ينتظر تجدد الأخبار من جهة السلطان ليقتصد خدمته ، فورد الخبر  
بوروده بنيسابور ورحيله عنها من غير تلوم ، وتخير شهاب الدين في أمره ،  
فذهب عليه أمره ، وأبهم عليه رأيه ، إلى أن وصل بهاء الدين محمد بن سهل  
وهو أمير من أمراء نساء ، وذكر أن السلطان لما ولي مجفلا<sup>(٢)</sup> تقدم إليه  
بأن يمضى إلى نساء ويحذر الناس ويقول لهم : إن هذا العدو ليس كسائر  
العساكر ، والرأى تخليمة البلاد والنسحب إلى البرارى والجبال ريباً يجمعون<sup>(٣)</sup>  
من الغارات ما تملأ به أعينهم وأيديهم ، فيرجعون ويسلم الناس من فاجيء  
ركضتهم<sup>(٤)</sup> . ثم لو قدر أهل نساء على عمارة قلعتهم ، وكان السلطان قد خربها ،  
فقد أدت لهم في عمارتها والتحصن بها . وكان السلطان تكش تجشم<sup>(٥)</sup>  
لاستخلاصها مراراً فلم يقدر عليها . وحين أيس من استصفائها لنفسه ،  
صالح صاحبها عماد الدين محمد بن عمر بن حمزة فأدخله في ربة طاعته ،  
واستنهضه صحبته لاستخلاص سائر بلاد خراسان الدانية منها والقاصية ،  
فلم يترك بها بلدة عاصية . وحين توفي عماد الدين بعد تكش بسنة أو أقل<sup>(٦)</sup>

(١) فى الأصل : أتجسر .

(٢) أى فاراً من وجه المغول إلى الأقاليم الغربية من الدولة الخوارزمية .

(٣) فى الأصل : فيجمعون .

(٤) يتفق النسوى مع ما ذكره سيكس Sykes فى هذا المقام من أن علاء الدين محمد  
خوارزم شاه لم يجمع جيشاً واحداً قوياً يواجه به المغول عند ما شرعوا فى غزو الدولة  
الخوارزمية ، بل وزع قواته على المدن المختلفة طناً منه أن جنسكيزخان سيكتفى من البلاد  
الاسلامية بنهب ما يصل إلى يديه من الغنائم والأسلاب ومن ثم يعود إلى حيث أتى .

انظر Sykes : Op. cit., p. 56.

(٥) فى الاصل : تجشم .

(٦) توفي علاء الدين تكش خوارزم شاه سنة ٥٩٦ هـ (١١٩٩ م) .

مات ابنه الكبير ولى عهده ناصر الدين سعيد بعد وفاة والده بستة أشهر ،  
وقد قيل إنه كان دسّ على والده من سقاه سمّاً قاتلاً ، فلم يتمتع بعده بالملك  
طائلاً. ووجه السلطان إلى نسام وحمل صغار أولاده وخزائنه إلى خوارزم ،  
فأقاموا بها محصورين إلى حين خروج التاتار فتخلصوا على ما سذكره .

وأمر السلطان ، لما ملك نسام عليهم ، بتخريب قلعتها فقلعت من (١)  
أساسها وسووا القدن فيها بالمجاريف (٢) ، حتى فرقت بمجموع ترابها وزرعوا  
فيها الشعير تشفياً ، وكانت من عجائب القلاع المبنية على التلول . ومن  
صفتها أنها كانت كبيرة جداً ، تسع خلقاً كثيراً ، وليس أحد من أهل  
المدينة ، غنياً كان أو فقيراً ، إلا وله فيها دار ، وبنيّت في وسطها أخرى ،  
للسلطنة أعلى (٣) منها ، والماء يجري منها إلى التي تحتها ، والتي تحتها لم ينبع  
الماء فيها إلا بعد حفر سبعين ذراعاً (٤) . وسبب ذلك ، على ما قيل ، أن  
المرتفعة منها كانت جبلاً فيه عين ماء والتي تحتها مجموعة من تراب جمع إلى  
ذيلها لما صارت نسام في زمن كستاسف ملك الفرس ثغراً حاجزاً ، وحداً  
حائلاً بين الترك والفرس ، سخرت أهل البلاد لجمع ذلك التراب إلى ذيل  
الجبيل فكبرت القلعة .

(١) في الأصل : عن .

(٢) في الأصل : وسدوا القدن فيها بالمجاريف . والقدن جمع فدان ، مساحة من الأرض  
والمقصود إعداد أرض القلعة للزراعة بعد هدمها .

(٣) في الأصل : أعلا .

(٤) من الثابت أن الحروب المستمرة التي سادت عصر الخوارزميين ، كان لها أثرها في  
حياتهم العامة وفي مدنهم المختلفة ، فنراهم يحيطون هذه المدن بالأسوار المنيعة ، ويشيدون قصورهم  
ومبانيهم داخل هذه الأسوار ، وفضلاً عن ذلك فقد شيدوا القلاع داخل المدن ليلجأ إليها  
السكان المدنيون والعسكريون إذا ما هدد المدينة خطر خارجي ، ولذلك لم يقتصر الأهالي على  
تشيد الشكنات العسكرية فيها ، بل امتلأت هذه القلاع بالنازل التي أعدت خصيصاً لإيواء  
الأهالي إذا ما دعا داعي . وكان غالبية السكان ، من أثرياء المدينة وفقرائها ، يملكون  
النازل في هذه القلاع ، كما احتفظ السلطان لنفسه بقصر في كثير منها .

نعم ولما سمعوا ما ذكره بهاء الدين محمد بن أبي سهل عن لسان السلطان ، اختاروا عمارة القلعة على الخلام ، وشرع الوزير ظهير الدين مسعود بن المشور الشاى فى عمارتها بالسخرة ، وغيرها فبنى (١) عليها حائطا يشبه حيطان البساتين ، وتحصن الناس بها . وأقام عندهم شهاب الدين أبو سعد بن عمر الخيوقى (٢) وجماعة من أهل خوارزم . ولما علم الأمير تاج الدين محمد بن صاعد وخاله الأمير عز الدين كينخسر و (٣) وجماعة من أمراء خراسان بإقامة المذكور بها رغبوا فى الامتداد إليه ، والإقامة أيام المحنة لديه ، ليكون ذلك ذخرا لهم عند السلطان نافعا ، وحجابا بينهم وبين مكائد بنى الزمان دافعا .

واتفق أن جنكزخان جرّد إلى خراسان صهره تفجار نوين (٤) ، وأمير آمن قواده اسمه يركا نوين فى عشرة آلاف (٥) فارس لنها وإحراقها وامتصاص مخرج عظامها ودم أعرافها ، والتجوير على بقايا ورزايا (٦) أرماقها (٧) . فوصلت عوارة (٨) منهم إلى نساء مقدمها أمير يعرف بيل كوش (٩) ، فتراعى

(١) فى الأصل : فبنا .

(٢) سبق أن ورد هذا الاسم فى صدر هذا الفصل «شهاب الدين أبوسعدي بن عمران» . ولم يتحقق هوداس Houdas من صحة هذا الاسم أثناء قراءة النسخة الخطية ، بل نرى على العكس من ذلك أن هذا اللبس ينتقل إلى الترجمة الفرنسية أيضا . وقد حاولت دون جدوى أن أقف على صحة هذا الاسم بالرجوع إلى بعض المراجع العربية الأخرى : انظر ص ٤٨ ، ٥١ من طبعة هوداس العربية و ص ٨٢ ، ٨٦ من الطبعة الفرنسية ، وانظر أيضا ص ١٠٩ حاشية ١ من هذه الطبعة .

(٣) فى الأصل : كينخسروا .

(٤) لفظ نوين معناه أمير أو سيد أو قائد . راجع ص ٤٦ حاشية ١ . ولعل المقصود بتفجار نوين القائد Togatcher كما جاء فى كتاب دوسون . انظر ، D'ohsson : Op. cit., t. i, p. 274.

(٥) فى الأصل : عشرة ألف .

(٦) فى الأصل : رزايا .

(٧) أرماق : جمع رمق ، وهو بقية الحياة .

(٨) كذا فى الأصل ، ويفهم من سياق الكلام أن المعنى المقصود هو الفرقة الصغيرة ، كما يستدل على هذا المعنى أيضا مما ذكره دوسون وهو فى معرض كلامه عن حصار مدينة نساء . انظر ، D'ohsson : Op. cit., t. i, p. 275.

(٩) ذكر دوسون ، نقلا عن كتاب جهان گشا ، أن اسمه بيل كوش Belgousch وليس بيل كوش . انظر ، D'ohsson : Op. cit., t. i, p. 275.

الناس إليهم مقابلين ، ووقع نشابة في صدر يـل كوش نخر ميتها ، فنقموا بذلك على أهل نساء ، وقدّموها حصارها على حصار سائر المدن بخراسان ، فساقوا إليها في الطيم<sup>١</sup> والرم<sup>٢</sup> ، والليل المدّهم ، وحوصرت قلعتها خمسة عشر يوما لم يفتروا عن القتال<sup>٣</sup> ليلا ولا نهارا ، ونصب عليها عشرون منجنيقا تجذبها الرجالة الذين جمعوا<sup>٤</sup> من أطراف خراسان ، وكانوا يسوقون الأسارى تحت الخركات<sup>٥</sup> ، وهي بيوت على وضع الجمون . أخذت من الخشب ، ولبست بالجلود . فلو رجعوا ولم يوصلوها إلى السور ضربت رقابهم . فكان هذا دأبهم إلى أن ثلثوا فيها ثلثة لاتسد ، ثم لبس<sup>٥</sup> التاتار بأجمعهم لامة حريمهم وزحفوا عليها ليلا ، فملكوا السور ، وانتشروا عليه . والناس قد استخفوا في بيوتهم إلى أن أضاء النهار نزلوا إليهم من السور ، فساقوهم إلى فضاء وراء البساتين يسمى غدربان<sup>٦</sup> كأنهم قطعان الضانية تسوقها الرعاة . ولم يمد التاتار أيديهم إلى سلب ونهب ، إلى أن حشروهم إلى ذلك الفضاء الواسع<sup>٧</sup> بالصغار والنساء ، والضجيج يشق

(١) جاء بالطم والرم أى بالمال الكثير .

(٢) في الأصل : لم يفتروا القتال .

(٣) في الأصل : الذى جمعت .

(٤) لعل المقصود بلفظ « الخركات » هو الدبابات ، جمع دبابة ، وكانت أشبه ما تكون بالبرج المتحرك ، له أحيانا أربعة أدوار ، أولها من الخشب ، وثانيها من الرصاص ، وثالثها من الحديد ، ورابعها من النحاس الأصفر . ويتحرك هذا البرج الهائل على مجلات ، وتصعد إلى طبقاته الجنود لمهاجمة الحصون وتسلق الأسوار . ويتصل بكل دبابة آلة تسمى كبش ، تجمع على كبوش وأكبش ، لها رأس ضخيم وقرنان تدفعها الجنود نحو الأسوار لتهدمها . انظر المقرئى : السلوك ، ج ١ قسم ١ ص ٥٦ حاشية ٨ . وانظر أيضا كتاب السلاح فى الإسلام للقائمقام عبد الرحمن زكى ، ص ٢٤ — ٢٥ .

(٥) فى الأصل : لبسوا .

(٦) ذكر هوداس Houdas أن هذا الاسم ورد فى النسخة الخطية دون تنقيط ، ولذا

يحتمل أن يكون أيضا غدربان أو غدريان .

(٧) فى الأصل : الواسعة .



جلباب السماء ، والصياح يسد (١) منافذ الهواء (٢) ، ثم أمروا الناس بان يكتف (٣) بعضهم بعضا ، ففعلوا ذلك خذلانا ، وإلا فلو تفرقوا وطلبوا الخلاص عدواً من غير قتال ، والجبل قريب ، لنجا أكثرهم . فحين كشفوا جاءوا إليهم بالقوس وأضجعوهم على العدا (٤) وأطعموهم سباع الأرض وطيور الهواء (٥) . فن دماء مسفوكة ، وستور مهتوكة ، وصغار على ثدى أمهاتها المقتولة متروكة . وكان عدة من قتل بلسان من أهلها ، ومن انضوى إليها من الغرباء ورعية بلدها سبعين ألفاً (٦) ، وهي كورة من كور خراسان (٧) . وأحضر شهاب الدين الخيوقى (٨) وابنه السيد الفاضل تاج الدين بين يدي فتحجار نوين ويركا ، مكتوفين ، وأحضرت صناديق خزائنه ففرغوها وهم وقوف ، إلى أن حال الذهب بينه وبينهما ، فقتلا شهيدين . وهو الآن مدفون بنساء بمزار تسمى ميل جفنة .

(٢) في الأصل : الهوى .

(١) في الأصل : تسد .

(٣) في الأصل : يكتفوا .

(٤) في الأصل : العدى . والعدا مقصور عداً ومفردة عدو وهو حجر رقيق يستر به

الشيء . وعدو كل شيء طواره .

(٦) في الأصل : سبعون الفا .

(٥) في الأصل : الهوى .

(٧) يجدر بنا أن نشير هنا إلى أن المغول تمكنوا من الاستيلاء على مدينة نساء بسنة

٦١٧ هـ (١٢٢٠ م) .

(٨) راجع ص ١٠٩ حاشية ١ .

ذكر نبد مما جرى بخراسان بعد السلطان  
بجملا ولا حاجة إلى التفصيل ، إذ الأحوال تشبه بعضها بعضاً  
وليس إلا عموم القتل وشمول التخريب

لما رحل السلطان إلى العراق بجملا ، ولما وراه من بلاد خراسان  
مهملا ، وتبعه يمه نوين<sup>(١)</sup> وسبطي بهادر<sup>(٢)</sup> طالبين ، وعبر النهر إلى  
خراسان تفجار ويركا اللعينان ، وجرى بنساء ما ذكرناه ، تفرقوا في نواحي  
خراسان فصاروا فرقا ، وانتشروا خرقا ، فكان إذا ساق ألف فارس منهم  
إلى ناحية من نواحيها يجمع رجاله رساتيقها ، فيسوق بهم إلى المدينة فيدير<sup>(٣)</sup>  
بهم المجانيق ، ويأخذ بهم النقوب إلى أن يستولى عليها ، فلم يترك بها نافع نار  
ولا ساكن دار . واستولى الرعب على النفوس حتى أن الذي أسركان  
أروح سرأ من القاعد في بيته ينتظر الحادثة .

وكنت حينئذ بقلعتي المعروفة بخرنندر<sup>(٤)</sup> ، وهي من أمهات قلاع  
خراسان ، ولست أعرف أول من ملكها من أسلافي . وقد اختلفت

(١) سبق أن ذكر هذا الاسم « نمه نوين » ، وكان ذلك وفقا لقراءة هوداس في  
النسخة الخطية . ولم يتحقق هوداس من صحة هذا الاسم بل لم يتنبه إلى هذا التضارب في الترجمة  
الفرنسية فترجمها مرة « نمه Nemeh » ومرة أخرى « يمه Yemeh » . وسواء أكان الأصل  
هو نمه نوين أو يمه نوين ، فالقصد به القائد المغولي شي ( چيه ) Tchébé ، كما سبق  
ذكرنا . راجع ص ١٠٢ حاشية ١ .

(٢) المقصود بسبطي بهادر ، القائد المغولي Souboutai . انظر . Dohsson : Op. cit., t. 1, p. 240.

(٣) في الأصل : فيدير .

(٤) راجع صفحة ٧٩ حاشية ١ .

الأقوييل فيها على حسب الأهواء ، وليس يمكنني أن أذكر (١) إلا الصحيح ،  
 وهم يعتقدون أنها في أيديهم من بدم الإسلام وإسفار صبحه بخراسان والله  
 أعلم بذلك ؛ فقد بقيت إذ ذاك والدنيا تموج بالفتن مهربا للأسرى وملجأ  
 للخاذلين ، إذ هي واسطة البلاد وهدية العمران ، فكان أرباب الخشمة  
 وذوو (٢) الصيت من أهل النعمة ، يهربون إليها حفاة عراة ، وأكسوم بقدر  
 الإمكان عراهم ، وأساعدهم على ما عراهم ، ثم أوصلهم إلى من أخطأته  
 السيوف من أهاليهم ، فلا زالوا (٣) كذلك إلى أن كبسوا خراسان عن  
 آخرها ، وقفز إليهم شخص يسمى حبش من كاهجه ، وهي ضيعة من ضياع  
 استواخبوشان (٤) ، وكان « سرهنكا » (٥) فلقبوه ملكا ، استهزاء وسخرية ،  
 وقدموه على المرتدة ، وولوه أمر المجانيق ، وتدير الرجاله . فبنى الناس منه  
 بالداهية الدهيام (٦) ، والخطة النكرام (٧) والعذاب المنزل من السماء . وقد  
 دخل في المداخل الخبيثة ، وأخذ يكاتب رؤساء الضياع . وكانت ضياع  
 خراسان ذوات أسوار وخنادق وجوامع ، والرؤساء بها أرباب مكنته ،  
 فيأمر الواحد منهم أن يقوم بنفسه ورعيته فيحضر بالفؤوس والمعاول  
 وما يقدر عليه من القسي وآلات الحصار ، فإن أجاب إلى ذلك حاصر بهم  
 مدينة من المدن فيستولى عليها ويصب (٨) عليهم صوت عذاب ، وإن تقاعد  
 عنه وتعلم مشى إليه وحاصره فأخرجه ومن معه وعسرتهم (٩) على السيف ،  
 وأوردتهم مورد الختف .

وقد أخرج (١٠) أمر نيسابور وحصارها عن سائر الكور التي كانت معدودة

- (١) في الأصل : ليس يمكنني أذكر .  
 (٢) في الأصل : دووا .  
 (٣) أي المغول .  
 (٤) ناحية من نواحي نيسابور .  
 (٥) سرهنك : رتبة عسكرية .  
 (٦) في الأصل : الدهيا .  
 (٧) في الأصل : النكرا .  
 (٨) في الأصل : يضب .  
 (٩) في الأصل : عسرتهم .  
 (١٠) أي المغول .

في توابعها إلى أن وقع الفراغ من تخريبها ، وكانت تنيف عن عشرين مدينة ، ثم قصدوا نيسابور في عامتهم (١) ، لينذروا أهلها نكال طاعتهم ، ويجمعون (٢) إليها من كان منهم في أطراف خراسان أقواماً متفرقة ، حتى إذا قاربوها خرج أهلها مناوشين ، فأصابت صدر تفجار اللعين نشابة تمكنت من (٣) محل سره ، وأراحت الناس من شره ، فانتقل إلى نار الله الموقدة ، التي تطلع على الأفئدة . وعلم (٤) التاتار لما شاهدوا غلبة العوام أنها لا تحاصر إلا بمدد يأتهم (٥) فتأخروا عنها وكاتبوا جنسكزخان مستمدين مستنجدين ، فأمدهم بقيقو نوين ، وقديبوقا نوين ، وطولن حربى ، وعدة أمراء آخرين في زهاء خمسين ألف فارس (٦) . فخطوا عليها ، وأحاطوا بها في أواخر سنة ثمان عشرة (٧) وستائة ، وذلك بعد تسحب جلال الدين إلى الهند على ما سنذكره إن شاء الله (٨) . فلما قاربوها ، أقاموا شرقياً بقرية نوشجان ، ذات أشجار كثيرة ومياه غزيرة ، إلى أن أزاحوا عليهم بها في المتارس والدبابات والمجانيق والجلونات ، فساقوا إليها ونصبوا في نهارهم ذلك ، مائتي منجنيق مكملة الأسباب ، فرموا بها واستولوا عليها بعد ثلاثة أيام

(١) تقدم المغول إلى مدينة نيسابور سنة ٦١٧ هـ (١٢٢٠ م) .

(٢) في الأصل : ويجمع . (٣) في الأصل : عن .

(٤) في الأصل : علموا . (٥) في الأصل : تأتيم .

(٦) الثابت أن الجيوش المغولية التي وكل إليها أمر الاستيلاء على مدينة نيسابور كانت

بقيادة تولوى بن جنسكيزخان . انظر D'ohsson : Op. cit., t. i, p. 288.

(٧) في الأصل : ثمان عشر .

(٨) من الأمور التي تسترعى النظر في هذه المناسبة ، أن مدينة نيسابور قد خربت مرتين في غضون نصف قرن ، مرة سنة ٥٤٨ هـ (١١٥٣ م) على يد الأتراك الغز الذين نأروا في وجه السلطان سنجر السلجوقي واكتسحوا خراسان ، ومرة أخرى سنة ٦٠٥ هـ (١٢٠٨ م) بتأثير هزة أرضية عنيفه حتى اضطرت الأهالي إلى الهجرة والسكنى في الأراضي الصحراوية المحيطة بالمدينة ردحا من الزمن ؛ وبعد أن استعادت نيسابور بهاءها وعمرت بسكانها ومبانيها ، قدر لها أن تخرب للمرة الثالثة على يد تولوى . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١١ ص ٧٩-٨٢ ،

ج ١٢ ص ١٣١ .

فألحقوها بسائر المدن فصارت كغيرها ، وقد سال بها السيل ، وطاف بها  
الويل ، وناح عليها النهار والليل . ثم أمروا الأسارى فبسطوها بالمجاريف  
حتى صارت أرضاً ملساء ، لامدرة بها ولاصخرة ، يأمن فيها الفارس العثرة ،  
فلمعبوا فيها بالأكرة (١) . ومات أكثر أهلها تحت الأرض إذ كانوا قد  
اتخذوا بها سرايب ونقوباً ظناً أنها (٢) مانعتهم (٣) .

وحين طلع جلال الدين من الهند ، على ما يأتي شرحه ، ومملك إقليم  
خراسان وما يليه من العراق ومازندران على خرابها ، ثمّنوا (٤) الدفائن بها  
كل سنة بثلاثين ألف دينار ، وربما كان الضامن يأخذ هذا المقدار ويظفر  
به في يوم واحد ، إذ كانت الأموال بقيمت مدفونة في السرايب مع  
أصحابها . فهذا قياس مطرد في سائر مدن خراسان ، وخوارزم ، والعراق ،  
ومازندران ، وأذربيجان ، والغور ، وغزنة ، وباميان ، وسجستان ، إلى  
تخوم الهند . فلو ذكرت مفصلة لم يتغير فيه إلا اسم المحاصر والمحاصر ،  
فلا حاجة إلى التتويل في ذلك .

(١) راجع ص ٦٠ حاشية ١ . والمقصود هنا أن مباني هذه المدينة قد اقتلعت من أساسها  
وأصبحت أرضها صالحة لأن تجرى بها لعبة الأكرة .

(٢) في الأصل : أن .

(٣) عمد المغول إلى الإجهاز على جميع سكان مدينة نيسابور انقماما لقتل توجاشر  
Togatcher ( تفجار ) زوج ابنه جنسكيزخان الذى قتل أمام هذه المدينة ، لذلك عول تولوى  
على ألا يترك آدميا من سكانها ، بل لم يترك المغول أيضا القطط والكلاب . انظر  
D'ohsson : Op. cit., t. i, pp. 278 & 290 . بل يروى في هذا الصدد أن تولوى ، لما رأى  
بعض السكان يتلمسون النجاة بالرقاد بين جثث القتلى ، أمر بقطع جميع رؤوس القتلى ، ووضع  
هذه الرؤوس في جانب والأجساد في جانب آخر . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢  
ص ١٨١ . وقد قدر عدد من قتل من سكان هذه المدينة بنحو ١,٧٤٧,٠٠٠ نسمة .  
انظر Douglas : The Life of Jenghiz-Khan, p. 23.

(٤) في الأصل : ثمّنوا .

ذكر تولية السلطان ولاية العهد ولده جلال الدين منكبرتي  
 وخلع ولده قطب الدين أزلاغ شاه

قد ذكرنا أن ولاية العهد كانت لقطب الدين أزلاغ شاه ، لما كان يقتضى الوقت من مسدارة رأى شركان خاتون وتتبع مرادها ، على حالتى قريها وبعادها<sup>(١)</sup> . فلما اشتد المرض بالسلطان بالجزيرة وبلغه أن والدته قد أسرت<sup>(٢)</sup> ، أحضر جلال الدين وأخويه الحاضرين بالجزيرة ، أزلاغ شاه وأق شاه ، وقال : إن عرى السلطنة قد انفصمت ، والدولة قد وهت قواعدها وتهدمت ، وهذا العدو قد تأكدت أسبابه وتشبثت بالملك أظفاره وتعلقت أنيابه ، وليس يأخذ نأرى منه إلا ولدى منكبرتي ، وهأ نذا<sup>(٣)</sup> موليه العهد ، فعليكا بطاعته ، والانخر اط فى سلك تباعته . وشد سيفه بيده على وسط جلال الدين ، فلم يلبث بعده إلا أياماً قلائل حتى قضى نحبه ، ولحق بربه ، فنقل إلى حفرة بحسرتة ، رحمه الله تعالى .

(١) راجع ص ٧١ .

(٢) راجع ص ١٠٤ — ١٠٨ . وانظر أيضا كتابنا : الدولة الخوارزمية والمغول ،

ص ١٣١ — ١٣٢ ، ص ١٣٧ — ١٣٨ .

(٣) فى الأصل : هاأنا .

## ذكر حال خوارزم بعد نجلاء تركان خاتون عنها

ولما أجلتها المذكورة ، وأخلت بها ، ولم تترك بها من يقوم بضبط الأمور وسياسة الجمهور ، تولى أمرها على كوه دروغان ، وكان رجلاً عياراً مصارعاً ، وقد سمي كوه دروغان لعظم أكاذيبه — ومعناه أكاذيب كالجبال ، ووقع الناس من سوء تدبيره وعدم خبرته بقوانين السياسة وقلة حظه من أدوات الرياسة في خباط واختلاط ، وزالت هيبة الملك ، واستراحت النفوس إلى ما في طبائعها من التفاضل<sup>(١)</sup> والتباين ، والتشاحن والتضامن . وبقيت أموال الديوان خلسة لكل محتلس ، ونهزة لكل مفترس . وكان المذكور إذا كتب وصولاً إلى بعض الجهات لجباية خراجها بمائة ألف دينار تقديراً ، فحملت إليه منها ألف دينار ، يسر بذلك ويقع عنده أنها موهبة سمحوا بها عليه ، ومحبة فيه ، وولاء له ، إلى أن رجع إلى خوارزم بعض نواب الديوان بعد وفاة السلطان مثل عماد الدين المشرف وشرف الدين كيك ، فزورا كتباً سلطانية ، ولم يعلم الناس بعد وفاة السلطان ، فضبطوا أموال الديوان ، وانزجر كوه دروغان بعض انزجار حيث إنه سمع أن السلطان باق وأنه في قبالة التاتار ، واستمر الحال على ذلك إلى أن رجع إليها جلال الدين وأخواه أزلاغ شاه وأق شاه بعد وفاة السلطان .

(١) كذا في الأصل ، ولعلها التفاضل .

## ذكر عود جلال الدين وأخويه أزلاغ شاه وأق شاه إلى خوارزم

لما اندرج السلطان إلى رحمة الله ودفن بالجزيرة على ما سبق شرحه<sup>(١)</sup> ، ركب جلال الدين البحر إلى خوارزم بأخويه المذكورين ، وهم زهاء سبعين فارس . فلما قاربوها ، التقوهم من خوارزم من الدواب والأسلحة والأعلام بما حسنت به حالهم ، وأخل بهم اختلاطهم ، وتباشروا<sup>(٢)</sup> الناس بقدمهم تباشروا من أعرض داؤه فظفر بدوائه ، أو عسر لقاءه فعاد إلى أودائه ، واجتمعت عندهم من العساكر السلطانية من أضرتهم البوادي ، ونقضتهم المجالس والنوادي بخوارزم ، زهاء سبعة آلاف فارس أكثرهم البياووتية<sup>(٣)</sup> مقدمهم توخي بهلوان الملقب بقتلغ خان . فالوا إلى أزلاغ شاه للقراية ، وأنكروا عليه رضاه بالخلع كغيره أنا للنعمة ، وتواطوا<sup>(٤)</sup> على أن يقبضوا على جلال الدين<sup>(٥)</sup> فيسلموه أو يقتلوه<sup>(٦)</sup> ، وأحس أينانج خان بما دبر عليه فأعلمه بذلك ، وأشار عليه بالرحيل ، فرحل صاعداً صوب خراسان في ثلاثمائة فارس مقدمهم دمسر ملك ، وأقام<sup>(٧)</sup> أولئك بخوارزم بعده ثلاثة أيام ، ووافاهم الخبر المزعج بحركة التانار صوب خوارزم من جهة ماوراء النهر ، فرحلوا على أثر جلال الدين صوب خراسان . وسنذكر ماجرى لهم وله بعد الرحيل فيما بعد إن شاء الله تعالى .

(١) راجع من ١٠٤ — ١٠٨ . (٢) في الأصل : تباشروا .

(٣) نسبة إلى قبيلة بياووت وهي فرع من قبائل كانسكالي Cancalis التي كانت تقيم في السهول الواقعة في شمال خوارزم والشمال المشرق من بحر قزوين . انظر : D'ohsson : Op. cit., t. i, p. 196

(٤) في الأصل : تواطوا . (٥) في الأصل : على أن يقبضوا جلال الدين .

(٦) في الأصل : فيسلمونه أو يقتلونه . (٧) في الأصل : أقاموا .



## ذكر نظام الدين السمعاني وإقامته عندي

بقلمتي<sup>(١)</sup> خرنندز مدة، وخروجه عنها في غير الوقت انزعاجا

كان نظام الدين السمعاني من بيت الفضل والرياسة، ذامحاسن موروثه منذ تعاقب الضوء الظلام، وترادفت الليالي والأيام، لا ينكر ذوو<sup>(٢)</sup> البيوتات الشريفة محتدم، من يلق منهم يقل<sup>(٣)</sup> لا قيت سيدهم. وكان المذكور حراً فاضلاً، بل نجماً في الفضائل كأن يخسر<sup>(٤)</sup> النجم دونه، والفصحاء كادوا يعبدونه، متى ينطق فقل: لافض فوه، وإن يكتب فقل: لاشل عَشْرُهُ<sup>(٥)</sup>.  
وقد نقل إلى خوارزم، رغبة من السلطان في أن يكون مثله في ملازمته يشاوره في أمور الملك وتدابيرها، ونال من السلطان رتبة محسودة ومنزلة مغبوظة. ولما تخلف عن الخدمة السلطانية، أراد تحصين بعض القلاع ما أبقى<sup>(٦)</sup> الخفاة<sup>(٧)</sup>، من حشاشته نفس لفظتها الآفة. فوصل إلى قلعة خرنندز وأقام بها شهرين؛ وكان مع جلال قدره، وعظم محله، وعظ في القلعة عدة مرار لحرقة باله، وتراجع آماله. ولعله لوسيم بخوارزم أن يعظ، إذ الناس<sup>(٨)</sup> ناس، والزمان زمان، كان يأبى ذلك إذا ذكر السلطان في وعظه، ولم يملك البكاء، مما زاد في وعظه على نباح، والسامعون على بكاء وصياح. ولما استولى التتاتار على نسام<sup>(٩)</sup>، وهي أول مدينة استولوا عليها من

(١) أي قلعة محمد النسوي.

(٢) في الأصل: ذووا.

(٣) في الأصل: يخسر. ويخر بمعنى يسقط.

(٤) المقصود هنا أصابع اليد العشرة. والمفنى المقصود هو ما يتمق وما يقوله العرب:

لا شات يمينه.

(٥) في الأصل: ابقت.

(٦) في الأصل: الخفاة. وقد صحها هوداس في الترجمة الفرنسية «الخفاة»، والواقم

أنها لا هذا ولا ذاك، وإنما هي الخفاة، كما يفهم من سياق الكلام.

(٧) في الأصل: إذا الناس. (٨) كان ذلك في سنة ٦١٧ هـ (١٢٢٠ م).

مدن خراسان — وبلغه قتله الإمام شهاب الدين الجبوتي (١) رحمه الله بها ، أدركه الوجل ، واستولى عليه الهول والوهل . وكان يدور معي على شفقان القلعة ، فيريني منها مواضع تزاق النمل طالعة ، وتعجز الطير في حوماتها قارعة ، فيقول : هاهنا يطلع التاتار . واتفق أن ناجن نوين (٢) وكان من كبار الطاغية (٣) ، وصل (٤) إلى القلعة ثالث يوم استيلائهم على نساء ، وحط عليها حيث تمكن النزول وهو جانب واحد (٥) . [ ولما رأى (٦) نظام الدين ذلك خانة (٧) الصبر ، وأهلكه (٨) الذعر ، وألح على أن أدليه بالجبال من بعض جهاتها المأمونة (٩) ، بحاشيته ودوابه ، وغلمانة وأسبابه ، ففعلت ذلك على إنكار مضمر بل مظهر ، وتعجبت مما داخل أعوان الدولة وأعيانها من الوجل الذي لم يعتقدوا معه أن قلعة تمنع ، أو صولة ترد وتدفع ، نعوذ بالله من الخذلان .

فنزل المذكور ليلاً بالجبال من غربها ، والتاتار نازلون بشرقيها . وكانوا إذا نزلوا من السقيف إلى التل ، وهو تن لا يسلك ، يتدحرجون إلى أسفل التل ، فانكسر لهم بعض الدواب ، ووصل المذكور إلى خوارزم وبها أولاد السلطان ، مُنصرَهم (١٠) من الجزيرة ، وسير لي من أزلاغ شاه توقيماً بإقطاع جليل .

(١) في الأصل : الجبوتي . راجع صفحة ١٠٩ حاشية ١ .

(٢) جاء هذا الاسم غير منقوط في النسخة الخطية ، لذلك فإنه يحتمل قراءات كثيرة . وقد حاولت تحقيق هذا الاسم بالرجوع إلى المصادر المختلفة ، فلم أجد هذا الاسم أو ما شابهه من بين القواد الدين اشتركوا في الاستيلاء على مدينة نساء ، على أن القائد المغولي الذي لعب دوراً هاماً أمام مدينة نساء كان تولوى بن جنكيزخان .

(٣) أي جنكيزخان . (٤) في الأصل : ووصل .

(٥) كذا في الأصل ، ولعلها [ من ] جانب واحد .

(٦) في الأصل : رأى . (٧) في الأصل : خافه .

(٨) في الأصل : وهلك .

(٩) أي أن ينزله ببعض الجهات الجبلية الآمنة .

(١٠) أي وقت انصرافهم من تلك الجزيرة السكائنة ببحر قزوين التي لجأ إليها علاء الدين محمد خوارزم شاه وتوفي فيها بعد أن فر من وجه الجيوش المغولية . راجع ص ١٠٤ — ١٠٨ .

نعم ولما شاهد اللعين ناخن نوبن القلعة وأنها كهقاب الجو<sup>(١)</sup>، لا وصول  
ولا حصول ، بعث الرسول ، وعرض السول ، فطلب عشرة آلاف ذراع  
من الخام ، وعدة ملتصقات أخرى خسيصة ، أو ما<sup>(٢)</sup> طُبع على غراره<sup>(٣)</sup>  
ووسم بناره بل عاره ، ولم يقنعه ما حواه من ملابس أهل نساء ، فأجبهته  
إلى ما سأل دفعا للسيئة<sup>(٤)</sup> بالتي هي أحسن ، فلما أحضر الخام ، لم يجسر أحد  
من القلعة أن يحملة إليهم لعلهم بأنهم يقتلون من خالطهم ، سواء كان رسولا  
أو قاضيا سولا ، إلى أن أجاب شيخان هرمان إلى ذلك من أهل القلعة  
تبرعا منهما ، وأحضرا أولادهما ووصيا برعاتهم والإحسان إليهم إن قتلا ،  
وحمل ذلك إلى اللعين فتسلمه وقتل الشيخين ورحل . ثم شن الغارة على  
بلدها ، فساق من المواشى ما امتسأت به الأباطح ، وضائق به قيعانها  
والصحيح ، قارب كل من نديه<sup>(٥)</sup> وثار غير أطلال الضياع عليه .  
ومن العجائب أن خراسان لما شملها القتل ، وخصت القلعة المذكورة  
دون سائر الأماكن بالسلامة من صدمتهم ، والخلاص من نقتهم ، وقع  
فيها الوباء ، وعم أهلها بالفناء ، فكانت تخرج في كل يوم<sup>(٦)</sup> منها عدة جناز  
حتى لحقت بالآخرين وكفهاهم ملك الموت كلفة الحصار . فسبحان من حكم<sup>(٧)</sup>  
على الخلق بالفناء ، ولقد أحسن من قال :  
من لم يمت بالسيف مات بغيره تنوعت الأسباب والذء واحد<sup>(٨)</sup>

(١) العقب طائر من الطيور الجارحة ، ويطير في الجو على أبعاد شاهقة ، ويبني عشه في  
أعلى الجبال حيث يصعب الوصول إليه ، ولذا قيل ، « أمنع من عقب الجو » .  
(٢) في الأصل : لوماً . (٣) في الأصل : عراره .  
(٤) في الأصل : للسيئة . (٥) كذا في الأصل .  
(٦) في الأصل : في يوم .  
(٧) في الأصل : حلم ، ثم صححها هوداس Houdas في الطبعة الفرنسية « خلم » .  
والحقيقة أنها لا هنا ولا ذاك ، وإنما هي « حكم » ، كما ذكرت .  
(٨) كذا في الأصل ، وصحة البيت هو :  
ومن لم يمت بالسيف مات بغيره تعددت الأسباب والموت واحد

## ذكر رحيل جلال الدين من خوارزم وسلبته

لما علم جلال الدين بأن أخاه أزلاغ شاه ومن معه من الأمراء تأمروا<sup>(١)</sup> على مسكه ، وأجمعوا على هلكه<sup>(٢)</sup> ، ركب في ثلاثمائة فارس مقدمهم دمر ملك<sup>(٣)</sup> ، فقطع المفازة الحاجزة بين خوارزم وخراسان في أيام قلائل وهي ، ستة عشر مرحلة للقفل على سوقهم ، ومعهود عادتهم في الرحيل والنزول وتخلص منها إلى بلد نساء .

وكان جنكز خان ، لما بلغه عود أولاد السلطان إلى خوارزم ، وجه إليها عسكرياً<sup>(٤)</sup> ، وقدم إلى من بخراسان من عساكره بالتفرق على حافات تلك البرية مرصدين ، فضربوا على البرية المذكورة حلقة من تخوم مرو إلى حدود شهرستانه ، وهي كورة من كور فراوة ، حتى إذا هم أولاد السلطان بالمسير إلى خراسان عند انزعاجهم من خوارزم يقبضونهم . وكان بحفاة

(١) في الأصل : توامروا .

(٢) يرجع السبب في تأمر أزلاغ شاه على أخيه جلال الدين ، إلى أن أباهما علاء الدين محمد خوارزم شاه كان قد اضطر أن يوصى بالملك من بعده لابنه أزلاغ شاه تحت تأثير تركان خاتون ، متخطياً في ذلك ابنه الأكبر جلال الدين منكبترقي ، ثم عاد وهو في أخريات أيامه وأوصى بالملك لابنه جلال الدين لتأكده من قدرته على الوقوف في وجه المغول ولأن تركان خاتون كانت قد أسرت . فلما وصل جلال الدين وأخواه إلى خوارزم بعد وفاة أبيهم ، جمعوا جيشاً كبيراً لمواجهة المغول ، على أن قادة هذا الجيش كانوا من أنصار تركان خاتون وابنها أزلاغ شاه ، فتآمروا على قتل جلال الدين . D'ohsson : Op. cit., t. i, p. 262 .

(٣) جاء هذا الاسم في دوسون Timour-Melik . انظر D'ohsson : Op. cit., t. i, p. 224 .

(٤) كان هذا الجيش بقيادة جوجي وجفتاي وأجتاي ( آگتاي ) من أبناء جنكيزخان ، الذين كانوا قد أعموا بفتح بلاد ما وراء النهر بالاشتراك مع جيوش جنكيزخان . انظر D'ohsson : Op. cit., t. i, p. 263 . ويلاحظ أن جنكيزخان كان في مدينة سمرقند عند ما وجه فرقتين من الجيوش المغولية إلى كل من خوارزم وخراسان . انظر ابن الأثير : الكامل ج ١٢ ص ١٧٩ — ١٨٢ .

برية نساء منهم سبعمائة فارس مقيمين ، ولم يعلم الناس موجب إقامتهم هناك ، إلى أن خرج جلال الدين من المفازة صادمهم ، فبلغ كل من الفريقين غاية الإمكان ، في منازلة الأقران ، ومناوشة الضراب والطعان . وانجملت عن انهزام التاتار ، وتركوا أسلابهم وعدتهم وعتادهم وأسلحتهم وأزوادهم ، ولم يفلت منهم إلا الشارد الفارد (١) البارذ المبادر . فهذا أول سيف في الإسلام خضب بدماهم ، ولعب في جثث أسلابهم (٢) .

وكان جلال الدين يقول لى بعد علو شأنه ، وتمسكته من سلطانه : لولا ماتارك (٣) ، يعنى التاتار (٤) ، بلد نساء وإسعادهم إيانا بالخيال التى لهم لما تمسكنا من الوصول إلى نيسابور (٥) ، لضعف دوابنا التى قطعنا بها المفازة . وقد كانت طائفة من التاتار تماقتوا إلى قنوات البلد حين أعيامهم النجاة ، وصالحهم الصوارم والقنا ، فأخرجهم الفلاحون وساقوهم إلى المدينة ، فضربت رقابهم . وكنت حينئذ بمدينة نساء فى خدمة الأمير اختيار الدين زنى بن محمد بن حمزة ، ولم يعلم المذكور بما قد تم على التاتار ، إذ ورد على المذكور كتاب من رئيس جوانمند ، وهى قرية من قرى نساء ، يذكر فيه أن خيلا جامتا فى نهار يومنا هذا زهاه عن ثلاثمائة فارس بأعلام سود زاعمين أن جلال الدين فيهم ، وأنهم أفندوا التاتار المقيمين بنساء ، فما كنا لنصدقهم (٦) إلى أن حضر شخص منهم إلى قريب السور وقال : أنتم معذورون فى احترازكم هذا ، والسلطان شاكركم على ذلك ، فأدلوا لنا من

(١) الفارد : المفرد ، الوحيد .

(٢) التابت أن الجيش الذى أرسله جنكيزخان إلى خوارزم لم يكن قد وصل بعد ،

وهذا هو سبب انتصار جلال الدين .

(٣) كذا فى الأصل ، وتارك بمعنى ترك .

(٤) فى الأصل : تاتار .

(٥) كان جلال الدين منسكبتى قد فر إلى مدينة نيسابور بعد اشتباكه مع المغول

بالقرب من مدينة نساء .

(٦) فى الأصل : نصدقهم .

المأكول وعليق الخيل ما يسد الجوعة ، ويعين هلى الرحلة ، وستعرفون  
الحال فتندمون . قال : فأدبنا لهم إذ ذاك ما احتاجو إليه ، ورحلوا بعد ساعة .  
فتحقق صاحب نساء أن الذى وقع على التاتار المقيمين (١) بنساء هو  
جلال الدين (٢) ، فجرد بعض خواصه بخيل وأحمال بغل برسم الخدمة ،  
فلم يلحقه (٣) . فساق جلال الدين إلى نيسابور ، وأقام من توجهه بالخيل  
والبغال بقاعة خرنندز ، إلى أن وصل أزلاغ شاه وأق شاه بعده بثلاثة أيام  
مجفلين (٤) من التاتار ، فقدمها لها ، ووصل جلال الدين إلى نيسابور منصوراً  
وبما يسر الله تعالى من إدماء سيفه بدماء الكفرة مسروراً .

---

(٢) فى الأصل : بنساء جلال الدين .  
(٤) فى الأصل : مجفلين .

---

(١) فى الأصل : المقيم .  
(٣) أى جلال الدين .

## ذكر خروج قطب الدين وأخيه أقي شاه من خوارزم بعد رحيل جلال الدين عنها وسببه ، وما آل إليه أمرهما

لما رحل جلال الدين عن خوارزم ناجياً من طوات الحين (١) ، ومفلتاً مما دبّر عليه من أنواء النفس أو العين ، ورد الخبر بتجر يد عسكر من التاتار إلى خوارزم لطردهم عن سريرة الطلب ، وإزعاجهم عن حصانة الأمل (٢) ، فأجفل عنها قطب الدين وأخوه أقي شاه مسافطاً في يده على مافاته في ذلك الوقت من الاستظهار بمكان جلال الدين والانتصار به . فافتق في أثره باحثاً عن خبره ، سالكا حيث سلك سائراً متجدداً كان أو غائراً ، إلى أن وصل إلى مرج سائغ ، فوافاه رسول نساء بما كان معه من خيل التقدمة برسم جلال الدين ، فوقعت عنده إذ ذلك على حقارتها ، وقلة مقدارها ونزارتها ، موقعاً مشكوراً . ورسم لصاحب نساء بعده مواضع زيادة على ما كان تحت يده من البلاد ، ففرح صاحب نساء فرحاً شديداً ، إذ كان يرضى بالأمان وحده لعوده إلى نساء في زمن التاتار ، واستعادته الحق الموروث عن غير مثال يصدر ، وأمر من السلطان يحتج به فيعذر ، فبيناهم في تقرير أمر الإقطاع إذ أتاهم مخبر بكتاب من ابن عمي سعد الدين جعفر بن محمد منذراً بأن عسكر آ من التاتار وصل إلى القلعة يكشف أخبار جلال الدين ومقصده ومن وصل من العساكر السلطانية بعده ، ولم يعملوا بوصول أزلاغ شاه . وذكر في كتابه أنه خرج من القلعة يشغلهم بالمناوشة ريثما يركب السلطان ، يعني أزلاغ شاه ، مستعداً للحرب ، أو متحملاً لطلب .

(١) الحين : الهلاك .

(٢) كان هذا الجيش ، كما سبق القول ، بقيادة جوجي وجغتاي وأجتاي من أبناء جنسكيزخان .

فركب أزلاغ شاه للوقت ورحل ، وتبعه التاتار إلى أستوا<sup>(١)</sup> بلد خوشان  
ولحقه بقرية تسمى « وشت » ، فوقف لهم واصطف حذاهم ، وجدّ الفريقان  
في القراع ، وأبليا عددتهما في المصاع<sup>(٢)</sup> . ثم انجالت عن هزيمة الكفار ،  
وإيفائهم بعودة الفرار ، أنى<sup>(٣)</sup> ورماح الطلب مشرعة ، وخيوله مسرعة ،  
فلم ينج منهم إلا راكب جواد ، أو مختبئ في معاطف واد .

واغتر أزلاغ شاه ومن معه بما تيسر من الفتح المستعجل ، ذاهلين  
عما يصنعه رجم المقدور في المستقبل ، ظانين بأن نواحي خراسان ليس بها  
من التاتار إلا من قد عُرض على الهادم<sup>(٤)</sup> وسبق إلى سواقي الصوارم . فكبسهم  
بمنزلتهم تلك ، طائفة أخرى من الملاعين ، ولم ترعهم إلا إحاطة الطلاب<sup>(٥)</sup>  
بهم إحاطة الأطواق بالأعناق ، فتوالى اليسر عسرا وترادف النصر كسرا<sup>(٦)</sup>  
تردى ثياب الموت حمراً فما أنى

لها الليل<sup>(٧)</sup> إلا وهي من سندس خضر

فاستشهد رحمه الله ، واستشهد معه أخوه أقي شاه ومن معهما من  
لفاظات المصائب وجلالات أنياب النوائب . وعاد التاتار برأسيهما وقد  
نصبا على الرماح ، رغماً للأحرار وكيادا<sup>(٨)</sup> للنظار ، يدورون بهما في البلاد  
فتقوم القيامة على أهلها عند مشاهدة الرأسين ، وتجدد لهم مصيبتهم في الحسن

(١) أستوا : كورة من نواحي نيسابور وتشتمل على قرى كثيرة . كما ينتسب إليها القاضي  
أبو جعفر محمد بن بسطام الاستوائى المتوفى سنة ٤٣٢ هـ ( ١٠٤٠ م ) . انظر ياقوت :  
معجم البلدان ج ١ ص ٢٢٥ .

(٢) المصاع : القتال بالسيوف .

(٣) أنى : كيف أو إلى أين المهرب . (٤) الهادم : الموت .

(٥) في الأصل : الأطلاب .

(٦) في الأصل : فتوالى اليسر عسرا ، وترادف النصر كسرا .

(٧) في الأصل : له الليل . والبيت من قصيدة في الرثاء لأنى تمام .

(٨) قرأها هوداس في النسخة الخطية كباداً ثم عدلها في الطبعة الفرنسية إلى « كباداً » ،  
والحقيقة أن القراءة الأولى كانت صحيحة .



والحسين (١) ، فنجي (٢) الله دينانا من صيبة تأكل أولادها عقوقا ، وجافية لا ترعى لأضيافها حقوقاً . وإلى الله المشتكى من صرف الزمان ، وريب الحدثان (٣) .

نعم وكان مع أولئك القتلى من الجواهر ، نفائس كالنجوم الزواهر ، ولم يفتش التاتار عنها ، فخرجت عوام تلك الضيعة إلى القتلى فجمعتها ، وكانوا يبيعونها لقلّة معرفتهم بها في سوق الهوان بأبخس الأثمان ، وعهدى بنصر الدين صاحب نسام أنه اشترى منهم عدة فصوص بذخشمانية وزن كل واحد منها (٤) ثلاثة (٥) مثاقيل أو أربعة ، كل فص منها بثلاثين ديناراً أو أقل . وقد اشترى المذكور منها فص الماس بسبعين ديناراً ، فحمل إلى جلال الدين بعده فعرّفه وقال : كان هذا الفص لأخي أزلاغ شاه . وقد اشتروه له بخوارزم بأربعة آلاف دينار وسلمه جلال الدين إلى صائغ بكنججة (٦) يركبه له في خاتم ، فزعم أنه قد ضاع فصدق ، وأمر بالنداء عليه في المدينة يومين فلم يظهر .

(١) الحسن والحسين ، ابنا علي بن أبي طالب .

(٢) في الأصل : فلجاً .

(٣) راجع كتابنا : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ١٣٩ .

(٤) في الأصل : منهما . (٥) في الأصل : ثلاث .

(٦) كنججة : حاضرة إقليم أراكان . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٧ ص ٢٨٣ .

وتمتاز هذه المدينة ببساتينها الكثيرة . الفلقشندی : صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٣٦٣ .

## ذكر وصول جلال الدين إلى نيسابور

### ورحيله عنها صوب غزنة

لما وصل إلى نيسابور (١) وأقام بها شاحداً عزيزته في الجهاد ، وطفق  
 بكتاب الأمراء وأصحاب الأطراف والمتغلبين في هذه الأيام عن الجهات  
 عند تعطيلها عن الحماة ، وكانوا قد كثروا ، وقد سموهم ظرفاء ذلك الوقت بأمراء  
 ستة سبع ، يأمرهم بسرعة الوصول ، واستجاشة الجمهور بوعدهم بالترجية  
 مقرون ، ورفق عن الخرق مأمون . وكان اختيار الدين زكي بن محمد بن حمزة  
 قد عاد إلى نساء فللك مغضوب حقه ، واستعاد مسلوب إرثه ، وهو مع تحقيقه  
 موت السلطان لم يجسر أن يظهر الاستقلال ، فكانوا يكتبون التوقيع  
 والبروات (٢) وهو يعلمها بعلامة من كان قد ورث السلطان بنساء قبل استيلاء  
 التاتار عليها إلى أن ورد عليه التوقيع الجلالى (٣) بتقرير ما تمكنت منه يد  
 الاستعادة ، والوعد له إن شاهد منه ما يزيد من الخدمة بالزيادة . فعادت  
 الأمثلة اختيارية ، وأقام جلال الدين بنيسابور شهراً يتابع الرسل إلى الجهات  
 في الاحتشاد والاستمداد إلى أن علم التاتار بذلك ، فأسرعه عن المراد ،  
 فخرج من نيسابور فيمن انضوى إليه من الخوارزمية يطوى المراحل إلى  
 أن وصل إلى القلعة القاهرة ، وهى التى بناها مؤيد الملك صاحب كرمان  
 بزوزن (٤) ، تحال نيران الحراس بها لارتفاعها كواكب ، بل الحياحب ،  
 وهم أن يتحصن بها فوجه إليه عين الملك ختن مؤيد الملك ، وكان مستحفظاً  
 بها ، يحذره ذلك ويقول له : إن مثلك لا يحسن به أن يتحصن بقلعة ولو بنيت

(١) راجع كتابنا : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ١٥٤ وما بعدها .

(٢) أى البراءات . (٣) نسبة إلى جلال الدين منكبرتى .

(٤) زوزن : إحدى مدن خراسان ، وتقع بين نيسابور وهراة .

على فرق الفرقيدين أو هامة الجوزاء بل أعلى وأبعد ، وحصون الملوك  
ظهور الحصن ، وما للضراغم والمدن ، فلو تحصنت بالقلعة لأبقى التاتار  
عليها أعمارهم إلى أن ينال الغرض .

وأمر جلال الدين بإحضار بعض ما في الخزائن من الذهب ، فأحضر  
وفرق بأكياسه على من صحبه من خواصه ، وانفصل عن القاهرة ، وجد في السير  
إلى تخوم بست (١) ، فأعلم بها أن جنكز خان مقيم بالطالقان (٢) في كتيبة كثيفة ،  
وجيوش على الإحصاء منيفة ، فاستظلم ضوء النهار واستخشن جانب القرار  
والفرار ، إذ لامهت قدماه ، ولا منجى (٣) خلفه وأمامه ، فاستمر مخاطراً  
وإلى غزنة مبادراً بدار من لا يمكنه بدار ، ولا توطى الأرض جنب قرار .  
فأخبر ثاني يومه ذلك أو ثالثه أن أمين ملك ، وهو ابن خال السلطان وكان  
والى هراة ومقطعها بالقرب ، قد (٤) أخلى هراة مستبعداً من التاتار ، فقصده  
سيدستان (٥) ليستولى عليها فلم يقدر ، وهو الآن عائد ومعه زهاء عشرة  
آلاف فارس رجالاً أتركا ، وأشباهاً فتاكاً ، من نخب العساكر السلطانية  
سالمين من الشبكة بعدة متكاثرة ، وأهبة وافرة . فبعث جلال الدين إليه  
يعلمه بقربه ، حاثاً له على سرعة الوصول إليه ، فاجتمعوا وانفقا على كبس  
التاتار المحاصرين قلعة قندهار (٦) ، فنهضوا إليهم وأعداء الله غارون (٧) ،  
لا يدرون كيف ترصدتهم النوائب ، وتحيط بهم المقانبات (٨) ، يحسبون أن

(١) بست : مدينة بين سجستان وغزنة وهراة . انظر ياقوت ، معجم البلدان

ج ٢ ص ١٧٠ .

(٢) راجع خريطة الدولة الخوارزمية في أقصى اتساعها .

(٣) في الأصل : منجا . (٤) في الأصل : وقد .

(٥) في الأصل : سيستان .

(٦) قندهار : بضم القاف وسكون النون ، من بلاد الهند أو الهند . ياقوت :

معجم البلدان ج ٧ ص ١٦٧ .

(٧) غارون : غافلون .

(٨) المقانبات : جمع مقناب ، أى جماعة الفرسان . ويقال قنبا نحو العدو وتقنبا ،

إذا تجمعوا .

الظبي<sup>(١)</sup> قد توارت عنهم فلا حامل، وأن عوامل الردينيات<sup>(٢)</sup> قد تعطلت  
فلا عامل . حتى إذا شاهدوها ظاهراً<sup>(٣)</sup> إلى نحوهم ، عطاشا إلى صدورهم ،  
ركبوا صهوة الفرار ، فلم يفلت منهم إلا نفر يسير ، مخبرين جنكز خان بما  
تم على عسكريه . فقامت قيامته حين رأى أصحابه جزراً للسيوف القواطع ،  
وطعماً للانسور الخوامع .

وساق جلال الدين إلى غزنة فدخلها ظاهراً ظافراً<sup>(٤)</sup> ، ولله على تيسير  
عسير النجاح شاكر . ولعل من وقف على كتاب المسالك والممالك ، وعلم أن  
ما بعد خوارزم وغزنة الذي ثبت فيه عساكر جنكز خان طالبة جلال الدين  
بعده شامع ، فوجده مع ذلك كالليل مدركه وإن خال المنأى<sup>(٥)</sup> عنه  
واسع . وهل سمعت بجنود توأصلت مسيرة شهرين وجموع غصت بها  
ما بين البحرين ؟

(١) الظبي : السيوف .

(٢) في الأصل : الردينيات . والردينيات بمعنى الرماح .

(٣) في الأصل : ظاهراً .

(٤) يجدر بنا أن نشير هنا إلى أن مدينة غزنة كانت ، في الوقت الذي دخلها جلال الدين  
متكبرتي ، يسودها القلاقل والثورات بسبب تعدد جيوشها المختلفة الأجناس ، إذ كان يسكنها  
الأتراك والغوريون من بقايا الدولة الغورية ، كما أن بعض الجنود من الخوارزميين كانوا قد  
لبأوا إليها فراراً من وجه المغول . وكان طبيعياً أن يتنازع قواد هذه الجيوش وأن يتنافسوا  
على السلطة ، كما كان من الطبيعي أن يكتر الطامعون في حكم هذا الإقليم . فلما وصل جلال الدين  
إلى هذه المدينة ، انضوى كثير من الجند تحت لوائه ، كما انضم إليه عدد كبير من أولئك  
الخوارزميين الذين كانوا قد فروا إلى حدود الهند في أثناء الغزو المغولي . وعلى هذا النحو  
أصبح جلال الدين على رأس جيش يتراوح بين ستين وسبعين ألفاً من الحياالة . انظر

D'ohsson : Op. cit., t.i, pp. 297-300

(٥) في الأصل : المشاي .

ذكر حال بدر الدين أينانج وما جرى له بخراسان وغيرها

بعد خلاصه من بخارا إلى أن توفي بشعب سلمان

كان بدر الدين أينانج خان من كبار أمراء السلطان. وحجابه (١) ،  
ووجوه قواده وعظائه . وقد رتبه السلطان فيمن رتب ببخارا على ما سبق  
ذكره ، ثم قذفته الجفلة بعد استيلاء التاتار عليها إلى البرية المتصلة بنساء في  
شردمة يسيرة من أصحابه وغيرهم ، فأقام بحيث لا يصدق رواد ، ولم ير وواد ،  
فلامام ولا زاد . ولما سمع اختيار الدين زنيكي صاحب نساء بإقامته هناك  
خوفا ، رغب في أن يعده ذخراً لنفسه عند السلطان نافعاً ، وحجبا بينه  
وبين من ينازعه حق إرثه وازعاً . فراسله مهنئاً له بالسلامة ، وممنياً في كل  
ما يقدر عليه من الأرفاد (٢) ، إلى أن ألقى عنده عصا الإقامة لعلمه برفيع  
منزلته ، ومنيع رتبته ، ورجائه الانتفاع بمقبول قوله ومأمول طوله وقال :  
إن كان سبب الانزواء بالبرية الاحتراز من فاجيء (٣) ركضة التاتار فما نحن  
بغافلين عنهم أين حلوا ، ومتى ارتحلوا . فامتد المذكور إلى نساء وواساه  
اختيار الدين بما ساعدته القدرة من سلاح ودواب وملبوس وأسباب  
ومطعوم ، حتى ارتاشت أحواله ، وأخلّ به اختلاله .

وكان أبو الفتح رئيس نشجوان ، وهي من أمهات قرى نساء ذات سواد  
وسور وخندق وباشورة ، يمالي (٤) التاتار ويكاتبهم ، فأعلم حين دمر شحنة  
خوارزم بإقامة أينانج خان بنساء ، والاتفاق بينه وبين صاحبها ، فجرد إليه  
عسكراً لطرده أينانج خان وحصده ، فحين وصلوا إلى نشجوان أصحابهم

(١) راجع ما كتبه عن الحجابة في صفحة ٦٢ حاشية ٢ .

(٢) الردف : العطاء .

(٣) في الأصل : فاجيء .

(٤) في الأصل : يمالي .

رئيسها من يد لهم على أينانج خان ، وكان بالقرب منه ، وقد التأم إليه أيام مقامه بنساء ونواحيها من العساكر السلطانية كل منزو في زاوية ، ومنضو إلى فاحية . فاصطف بهم حذاء العدو للجدال ، وحرص المؤمنين على القتال . وقد شهدت الواقعة فائزاً بفضيلة المجاهدين على القاعدين ، إذ كُنت ألامه نائباً عن صاحب نساء في إنجاح مآربه ، وإسعاف مطالبه ، كيلا يحتاج فيما دعت حاجته إلى مراجعة . فشاهدت من أينانج خان في الواقعة ما لو شاهده رسمت (١) في زمانه لرهبه خدمة عنانه ، وهدية آداب سيفه وسنانه ؛ فحين اشتبكت الحرب خاض بنفسه غمرتها يضرب باليدين ، ويقعد الذراع بنصفين (٢) . وحمل التاتار عليه حملتين فثبت لهم أحسن ثبات ، واستك إذ ذاك سمع الهوى من قرع الحديد بالحديد ، والمواضي رويت صدورها من موارد الوريد . وتحطم سيف أينانج خان عند احتداد جمره المصاع (٣) واشتداد وقدة القراع . وعثر به فرسه فأردف بجنيب وألحق بسيف ، وكشف أصحابه عنه ما أحاط به من أوشاب الزحوف ، وأخلط الصفوف . فحين علا ضهورة فرسه حمل عليهم حملة جعلها خاتمة القتال ، وصيرها آخره الزال ، فولوا الأدبار مفلولين ، ونكصوا على أعقابهم مخذولين ، يظنون أن النجاة ينجيهم الطلب ، ويقدمهم مصارع العطب ؛ أنى ووراهم السراحيب القود ، وقدامهم المهامة البيد ، فاقتفى أينانج الفل إلى نشجوان ، نشوان لإفنائهم ، ظمآن إلى دماثهم ، فلم يزل نهاره ذلك كاسعاً (٤) في أدبارهم ، ومثخنأ في في أعمارهم ، يتبعهم في كل مسرب ، ويحشرهم عن كل مهرب .

(١) رسمت : من أشهر أبطال الفرس ، وكان الشعراء يكثرون من ذكره في أشعارهم ، ويضربون الأمثال ببطولته . انظر مقال الدكتور عبدالوهاب عزام بك عن « الصلات بين العرب والفرس وأدبهما في الجاهلية والإسلام » ، في عدد أكتوبر سنة ١٩٣٨ من مجلة المتعطف .

(٢) يقعد الذراع بنصفين أى يقطعها نصفين .

(٣) المصاع : القتال بالسيف . (٤) كاسعاً : مطارداً .

## حتى الرضا من رداهم ميت العصب

ووصل آخر النهار إلى نشجوان ، وقد انتبذت إليها من نباذات رحي<sup>(١)</sup> الحرب ، طائفة منهم واقفين ببابها ، منادين أبا الفتح فأبى الفتح ، بعد أن سخم وجهه بثوور الارتداد ، وتردى الخسران الدارين برداه<sup>(٢)</sup> الالحاد . فحين عاينوا حر الطالب إلى الخندق غاطسين في الماء ، ووقف أينانج خان فيمن وصل معه من سرعان الخيل يمطر عليهم من عزالي<sup>(٣)</sup> القسي إمطاراً ، إلى أن غرقوا فأدخلوا ناراً .

ولما عاد إلى تخيمه منصور اللواء ، صاعد الجد على خط الاستواء ، وجه إلى صاحب نساء مبشر آبتيسير الله مرامه ، وتسديده نحو المراد سهامه . وأصحابه عشر رموس من الخيل التاتارية برسم الازمعان ، وعشرة من أسراهم ، وأوعز إليه بحصار نشجوان وتطهيرها<sup>(٤)</sup> من أبي الفتح ، فحاصرها واستولى عليها ، وهلك أبو الفتح تحت المعاصير ، وخسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين . ورجل أينانج خان صوب أبيورد<sup>(٥)</sup> ، وقد تمكنت هيبتة في النفوس فجبي<sup>(٦)</sup> خراج أبيورد من غير منازع ، وقد انضوى إليه هناك بمن طوحتهم الطوامح ، وأضمرتهم الشعاب والأباطح ، من العساكر السلطانية رتوت مثل يلتاج ملك ، وتكني ملك ، وبكشان جنكشي ، وكجيدك أمير آخور<sup>(٧)</sup> وأمين الدين رفيق الخادم ، وجماعة أخرى . وعاد إلى نساء وقد كثف سواده<sup>(٨)</sup> ، وكثرت أتباعه وأجناده . واتفق وصوله إليها مضى صاحبها اختيار الدين زنسكي لسبيله ، واقترح على

(١) في الأصل : رجا . (٢) في الأصل : ترداء .

(٣) في الأصل : غزالي . (٤) في الأصل : تطهرها .

(٥) أبيورد : مدينة بخراسان بين سرخس ونساء . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ص ١٠٢ . وانظر أيضاً خريطة بلاد فارس .

(٦) في الأصل : جبا . (٧) أمير آخور : راجع ص ٩٠ حاشية ٣ .

(٨) كثف سواده : كثرت أتباعه . والسودد كثرة السواد ، أي كثرة الأنصار والأشباع .

القائم مقامه أن يساحه بخراج سنة ثمان عشرة وستائة ، معونة له على مؤنة من اتصل به من العساكر السلطانية ، فأجابه إلى ذلك طوعا أو روعا . فجهاه وفرقه فيهم وسار منها إلى سبزوار<sup>(١)</sup> من أعمال نيسابور وبها إبلجى بهلوان ، وقد تغلب عليها وطمع في مغالبتها عليها فالتقيا بظاهرها وانجحت المعركة عن هزيمة إبلجى بهلوان ، وامتد به الركض إلى جلال الدين وهو إذ ذاك في أعماق بلاد الهند<sup>(٢)</sup> ، وقويت شوكة أينايج خان ، واستفاض حكمه في أعماق بلاد خراسان عامة ، وسائر ما أبقته الفتن كافة . ثم إن كوج تسكين بهلوان ، وكان مقبلا بمرور متغلبا على حشاشة منها أخطأها المنون ، عبر جيحون إلى بخارا وكبس شحنة التاتار بها وقتله ، فحرك ساكن الفتنة ، وألب خامد الإحنة ، فقصده في زهاء عشرة آلاف فارس ، وكسروه وامتدت به الجفلة إلى سبزوار وبها يكشقبون إبلجى بهلوان ، فحلا<sup>(٣)</sup> بها وانفقا على أن يتحدرا إلى جرجان ويصلا جناحهما بأينايج خان ، وكان إذ ذاك بظاهرها ، فوردا عليه وتبعهما التاتار متقاسمين منازل الطلاب والهرب ، ومترقبين العلالة بين السير والخبب ، فوجداه بالحلقة — وهي فضاء بين جرجان واستراباذ<sup>(٤)</sup> واسع الميجال والقتال — ووصل التاتار بعدهما بيومين ، وتصاف<sup>(٥)</sup> الفر يقان ، وعند ذلك حمى الوطيس ، واختلط المرموس والرئيس . فكشبت ترى السيوف للسهامات دامغة ، والرماح في

(١) انظر خريطة بلاد فارس .

(٢) كان جلال الدين منكبرتي قد فر إلى بلاد الهند بعد أن حلت به الهزيمة على يد جنكيزخان على حافة ماء السند كما سيأتي ، وكما ذكرناه مفصلا في كتابنا : الدولة الخوارزمية والمنغول ، ص ١٥٣ — ١٦٤ ، ص ١٧٠ — ١٧١ .

(٣) جاءت هذه الكلمة في الأصل العربي لطبعة هوداس « فأخليا » ، ثم صححها هوداس نفسه خطأ في طبعته الفرنسية « فأخلا » ، والأصح أن يقال خلاها أى نزلا .

(٤) استراباذ : بلدة من أعمال طبرستان وهي تتكون من مقطعين : أستر وهو اسم رجل وأباز بمعنى عمارة ، وعلى ذلك فعناها عمارة أستر . انظر الفلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٣٨٧ ، وياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ص ٢٢٤ . وانظر أيضا خريطة بلاد فارس .

(٥) في الأصل : تصافا .



الأكباد والغة . وثارث عحاجه غبراه سترت العيون عن الأشباح ، فلم تعرف  
الزماح من الصفاح . واستشهد يومئذ من مشاهير الرجال ، ومساير  
الأبطال سركنقو وكجيدك أمير آخور (١) ، فسرسا الرهان عند الضراب  
والطعان ، واكتست الأرض لون الشقائق من دماء السطلى والعواتق ، إلى  
أن زلت أقدام الأتراك ، وتقاسموا بين الأسر والهلاك ، وولى أينانح خان  
ولم يزل راكضاً خيله ، نافضاً عن الأثقال ذيله (٢) ، حتى اتصل بغياث الدين  
بيرشاه وهر بالرى ، فسر بمقدمه وعرف له حق قدمه ، فلم يزل يوفى له  
الإكرام إلى أن طمحت نفسه من خطبة والدته إلى ما يستبعد مراماً ،  
ويستعقب خجلا وملاما ، فلم يعش بعد ذلك إلا أياما . فتميل إنه دس إليه  
من ذعف له نقيعاً ، وغادره على الفراش صريعاً ، والله أعلم بصحة ذلك .  
فدفن بشعب سلیمان من بلاد فارس ، وهو مزار معروف .

كانت الواقعة بجزان فى سنة تسع عشرة وستائة (٣) ، وقد حضرتها  
أيضاً ، فرمتنى لهوات الحرب إلى الأصفهين عماد الدولة نصره الدين محمد  
ابن كبودخامه ، وهو بقلعة همايون ، فأكرمنى وأقت عنسده أياما إلى أن  
أمنت الطرق فوجهنى إلى قلعتى مخفراً .

(١) راجع ص ٩٠ حاشية (٣) .

(٢) فى الأصل : ناقصا عن الأثقال ذيله .

(٣) فى الأصل : تسعة عشر وستاية .

## ذكر حال ولد السلطان ركن الدين غورشايجي صاحب العراق وما آل أمره<sup>(١)</sup>

كان المذكور قد اتصل بالسلطان عند تسحبه إلى العراق ، وانتبذ به الركن من السكينة بقزوین إلى حدود کرمان ، فانبسطت فيها أوامره ، ونفذت أحكامه ، وأقام بها مدة تسعة أشهر نافذ الأمر في أعمالها ، متصرفا كيف شاء في آخر جنتها وأموالها ، إلى أن لاحت له أمان<sup>(٢)</sup> في العود إلى العراق فعدّها بها جده ، وأصلد عليها زنده ، فشنخص نحوها سائرا إلى دمه بقدمه ، فساق إلى أصفهان ووافته الأخبار بها بأن جمال الدين محمد بن أبي أبة القزويني حدثته نفسه بتملك العراق ، واجتمع عليه بهمدان من الأتراك العراقية طلاب الفرصة ومساعير الفتنة خلق مثل ابن لاجين جمرجة ، وأبيك الخزيندار<sup>(٣)</sup> ، وابن قراغز ، ونور الدين جبرييل ، وآقسنقر الكوثي ، وأبيك الاندار ، ومظفر الدين باردكز صاحب قزوین .

واتفق أن قاضي أصفهان ، مسعود بن صاعد ، قد خرج عليه في تلك الأيام ابن أبي أبة مائلا ، ولموالاته قائللا ، فزحف ركن الدين بمن معه من

(١) يجدر بنا أن نشير هنا إلى أن الدولة الخوارزمية عندما بلغت درجة كبيرة من الاتساع في عهد علاء الدين محمد خوارزم شاه ، رأى هذا السلطان أن يقسم أقاليمها بين أبنائه الأربعة ، ليتولى كلٌّ تصريف شئون قسم منها ، وبذلك يتمكن من السيطرة عليها ، ويضمن بقاءها على ولائها لأسرته .

وعلى هذا الأساس آل حكم الأقاليم الشرقية من الدولة الخوارزمية إلى جلال الدين منكبرتي ، وأكلت أقاليمها الشمالية إلى قطب الدين أزلاغ شاه ، وأقاليمها الجنوبية إلى غياث الدين شيرشاه ، أما القسم الغربي من هذه الدولة فقد كان من نصيب ركن الدين غور شاه . انظر ابن الوردي : تمة المختصر في أخبار البشر ، ج ٢ ص ١٥٤ .

(٢) في الأصل : أمان .

(٣) لعلها الخازندار . راجع ص ٥٨ حاشية ١ .

العسكر وأتباع الرئيس صدر الدين الخجندی<sup>(١)</sup> على محلة القاضي المعروفة بجوبارة ، فسفك وأهلك ، إلى أن استولى عليها وملك . وهرب القاضي إلى فارس مستذرياً<sup>(٢)</sup> بظل الأتابك سعد<sup>(٣)</sup> ، فأمنه وآواه وأكرم مشواه . ثم عزم ركن الدين على المسير إلى همدان للقاء جمال الدين وتدارك أمره ، وحصد ما نجم من شره ، وتفرقت عصا كرهه في محال أصفهان للترؤد ، وإزاحة عالمهم في التحمل والتجرد . وكانت قلوب أهلها قد حنقت عليهم بما جرى على محلة القاضي من النهب والسفك ، فأغلقوا أبواب المدينة ، وقاموا إلى السكاكين ، فقتلوا خلقاً منهم في الأسواق والدكاكين ؛ ففت ذلك في عهده ركن الدين وهمته ، وفتر ما قوى من عزمته . ثم أنه جرّد قرسی بك ابن خاله وطغانخان ، وكجیوة خان ، وشمس الدين أمير علم<sup>(٤)</sup> العراقي لقتال ابن أبي العراق<sup>(٥)</sup> . فلما تدانست الحظی بین الفریقین خالفهم كجیوة خان إلى ابن أبي كفرانا لمن مایکه رقاباً حسماناً ، ووجده وشاقاً فجعله خائياً ، واتخذ الباقون بخذلانه فرجعوا من غير التمام .

وامتد ركن الدين نحو الري فوجد بها طائفة من دعاة الإسماعيلية يدعون أهل الري إلى طاعتهم ، ويزينون لهم أن سلامتهم في مشايخهم ، فعلم ركن الدين بهم فقتلهم . وورد الخبر قبل استجمامه بها بأن التاتار صامد صمده ، وناو قصده ، ففزع إلى قلعة أستون آوند<sup>(٦)</sup> وتحصن بها ، وهي

(١) نسبة إلى خجنده ، إحدى المدن الواقعة على نهر سيحون .

(٢) مستذرياً : ملتجئاً .

(٣) هو سعد بن زنكي أتابك فارس (٥٩٩/٦٢٣ هـ = ١٢٠٢/١٢٢٥ م) . انظر ما كتبناه عن أتابكية فارس في كتابنا : الشرق الاسلامي قبيل الغزو المغولي ، ص ١٠٩ - ١١٠ . وانظر أيضاً سلسلة نسب هذه الأسرة في ص ١٦٨ من نفس الكتاب .

(٤) أمير علم : اسم يطلق على من يتولى أمر أعلام السلطان . انظر الفلقشندی : صبح

الأعشى ، ج ٤ ص ٨ . والمقریزی : السلوك ج ١ ص ١٢٤ حاشية ١ .

(٥) كذا في الأصل ، ولعله ابن أبي أبي الغزويني ، كما سبق ذكره .

(٦) إحدى القلاع القريبة من الري .

حصينة جداً ، تزل عن محاذاتها أجنحة النسور ، غير محتاجة<sup>(١)</sup> لمناعتها إلى السور . فأحاط التانار بها ، وبنوا<sup>(٢)</sup> على عادتهم في حصار مثلها من القلاع حولها سوراً . وكان ركن الدين ومن ملكها قبل<sup>٣</sup> يعتقدون أنها لا تؤخذ إلا صبراً ، ولا تملك إلا بعد حصارها دهرأ ، ولم يقدر عليها حيلة ومكرأ . فلم ترعه إلا زعقة الملاحين حول فنائه سحرة . والسبب في ذلك أن الحراس كانت مرتبة<sup>(٣)</sup> على جهاتها التي يحترز عليها ، ويتوهم منها حيلة تعمل . وقد غفلوا عن جهة لم يعن<sup>(٤)</sup> السلف بترتيب الحراس عليها لمناعتها ، فوجد التانار في بعض تلك الجهات شقاً في السقيف نبت فيه العشب من أسفله إلى أعلاه ، فاستعملوا من الحديد أو تادأ طوالاً ، ودقوها فيه ليلاً ، وكانوا إذا دقوا الواحد منها علاه الواحد منهم ودق فوقه آخر ، إلى أن صعد وأدلى الخبال وجذب الآخرين ، فأحاطوا بالدار ، وتفرق الجنود ونخل الحارس والبواب وحل لهم الباب . باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب .

فستاهم وبسطهم حرير      وصبحهم وبسطهم تراب  
ومن في كفه منهم قنساء      كمن في كفه منهم خضاب<sup>(٥)</sup>

فقتلوا ركن الدين أحسر ما كان برداء جمال ، وعمود اعتدال ، وطلعة هلال وروعة عزة وجلال .

كان بنو نهبان يوم وفاته      نجوم سماء خرم من بينها البدر<sup>(٦)</sup>

ولما بلغ جمال الدين محمد بن أبي أبه ومن معه من أمراء العراق ما تم على ركن الدين وأصحابه ، خفق قلبه ، وطار لبه ، وأخذ من بهمدان من

(١) في الأصل : غير محتاج .  
(٢) في الأصل : مرتبه .  
(٣) في الأصل : بنى .  
(٤) في الأصل : يعين .  
(٥) الشعر للعتني .  
(٦) البيت لأبي تمام .

الاجناد ينفث إلى ذروته وغاربه <sup>(١)</sup> بالانخراط في سلك التانار والاستيلاء به على ما أرته سعياً في ضلال ، وتسويلاً في محال ، كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال إني <sup>(٢)</sup> برىء منك ، إني أخاف الله رب العالمين ، فكان عاقبتهمما أنهما في النار خالدتين فيها وذلك جزاء الظالمين ، <sup>(٣)</sup> فكانت بهم طائعا مذعننا ، وبشعار الطاعة معاننا ، فسيروا له خلعة تانارية مشهرة بالشوم <sup>(٤)</sup> ، مطرزة بالحسد واللوم . فلبسها مجاهرأ بالوداد ، مستخماً <sup>(٥)</sup> وجهه بثؤور الارتداد .

وتوجه التانار صوب همذان ، وأرسلوا إليه يقولون : إن كنت صادقاً فيما زعمت من طاعتنا وموالانا فلا بد من الحضور . فحضر واثقاً بما أعطوه من ذمام عهد ، ونفثوا عليه من كلام ينبي عن ود <sup>(٦)</sup> . ونجّل في وثوقه بخدار ، وبناية على شفاجر <sup>(٧)</sup> هار ، فقتلوه وقتلوا من معه من العراقية ، ومشوا إلى همذان والتقاهم الرئيس علاء الدولة الشريف العلوي ، وكان ابن أبي أبة قد بالغ في إيذائه <sup>(٨)</sup> ، واستيفاء ما حوته يده من الأموال واستصفائه . فضمن المذكور لهم حسن الطاعة ، فقلدوه أمرها ، ورجعوا إذ كانوا يعلمون أن يمه نوين وسبطي بهادر <sup>(٩)</sup> قد استوليا على همذان منذ خروج التانار . فكبسها عن أموالها ، وأخلياها عن رجالها ، فليس بها طائل ، وأن مادونها حائل .

(١) من أمثال العرب : يفتل له في الذروة والغارب ، أي يدبر ويكيد له .

(٢) في الأصل : إني .

(٣) سورة الحشر ، الآيتان ١٥ ، ١٦ .

(٤) الشوم : الشؤم . (٥) مستخماً : مسوِّداً .

(٦) في الأصل : يثني عن ود . (٧) في الأصل : حرف .

(٨) في الأصل : لإيذائه .

(٩) راجع ص ١٠٢ حاشية ١ ، ص ١١٦ حاشية ١ . ويلاحظ أن « بهادر » كلمة تركية

معناها شجاع ، انظر Bretschneider : Op. cit., t.i, p. 279, note 668.

## ذكر حال غياث الدين ومسيره إلى كرمان

كان السلطان قد نصَّ على ولده غياث الدين بيرشاه بملك كرمان ، ولم يتفق مسيره إليها حتى جرى بقرزوين (١) من الكبسنة ما سبق شرحه ، فلفظته أشدق البلية إلى قلعة قارون وخدمه الأمير تاج الدين صاحبها أتم خدمة إلى أن عاد ركن الدين غور شايجي من كرمان إلى أصفهان ، فبعث إليه يحرضه على المسير إلى كرمان ويعلمه بأنها خالية من (٢) يمانع ، صافية من (٣) يحامى أو ينازع . فسار إلى أصفهان وبها ركن الدين فأكرمه أتم إكرام ، ولاطفه بإحسان وإنعام ، فنهض إلى كرمان بعد ثلاثة أيام فلما وصفته أشرابها ، ودريت عليه أحلابها ، وأخذ أمره يزداد بها بهاء ونورا ، وأمر ركن الدين بالعراق وهنا وقتور آ إلى أن تم عليه من القتلة بقلعة استون آوند ما ذكرناه ، ففرغت (٤) الآمال فيه إلى الكذب ، وأحال الدهر (٥) محاسنه عن كسب (٦) ، فنعى إلى ذوى الآداب والحسب .

تعثرت به في الأفواه ألسنها

والبرد في الطرق والأقلام في الكسب (٧)

وعادت العراق معرضة للقصاد ، بملكه خالية عن المنادين الأضداد . وخرج الأتابك يغان طايسی (٨) إذ ذاك عن محبسه بقلمة سرجهان . وكان سبب حبسه بها أن السلطان كان قدرته في خدمة ولده ركن الدين

(١) في الأصل : بقرزوين .

(٢) في الأصل : ففرغت .

(٣) في الأصل : عن كسب .

(٤) الشعر للمتنبي في رثاء أخت سيف الدولة .

(٥) يكتب اسم هذا الرجل أيضا « يغان طايسی » ، انظر ابن الأثير : الكامل ،

ج ١٢ ص ١٩٠ .

غورشايجي حين ملكه العراق ليكون أتابكا لديه ، ورداء بين يديه . فشكا ركن الدين إلى أبيه تجرؤ .<sup>(١)</sup> المذكور وتأبيه ، وأوهمه أنه إن أرخى<sup>(٢)</sup> من عنانه فيما يذره ويأتيه ، يبدو منه ما يعسر تلافيه . فأذن له في القبض عليه فقبض ، وحبس بقلعة سرجهان إلى أن خلت العراق في هذه الفتن من<sup>(٣)</sup> يحميها ، وحلت لمن يطمع فيها ، أخرجه وإلى القلعة أسد الدين الجويني .

وكانت الأهواء إليه مائلة ، والآرام في منابذته فائلة<sup>(٤)</sup> . فاجتمعت عليه طوائف من العراقية والخوارزمية ، فاشتدت بهم مناكبه ، واحتدت عليه أنيابه ومخالبه . فمن جملة من<sup>(٥)</sup> انضوى إليه بهاء الدين سكر مقطع ساوة<sup>(٦)</sup> وجمال الدين عمر بن يوزدار والامير كيخسرو<sup>(٧)</sup> ، ونور الدين جبريل مقطع قاشان<sup>(٨)</sup> ، وابن نور الدين قران خوان ، وأيدمر الشامي ، وكتك مقطع سمنان<sup>(٩)</sup> وأيدغدى كله ، وطرغل الأعسر ، وسيف الدين كيتارق مقطع كرخ .

وكان أدك خان قد استولى على أصفهان في هذه الفترة ، وأراد غياث الدين استمالة قلبه ، وأن يجعله من حزبه ، فزوجه بأخته أيسى خاتون ، تثبيتاً له على الطاعة ، ودافعه في زفافها إليه إلى أن يبدو له ما ينكشف عنه الوحشة القائمة بين المذكور والأتابك يغان طايسى ، إذ كانا قد استوليا على طرفي العراق ، واستحوذ عليهما السلطان ، فلم يريا سوى الشقاق ، وأبيا

(١) في الأصل : تجرأ .

(٢) في الأصل : عمن .

(٣) في الأصل : ما .

(٤) ساوة : مدينة بين الري وهمدان ، خربها المغول سنة ٦١٧ هـ ( ١٢٢٠ م ) ،

وقتلوا أهلها وأحرقوا مكتبتها العامة . انظر ياقوت . معجم البلدان ، ج ٥ ص ٢١ - ٢٢ .

(٥) في الأصل : كيخسرو .

(٦) قاشان : مدينة قرب أصفهان ، ومنها تجلب الفضاير القاشاني ، وأهلها من الشيعة

الإمامية . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٧ ص ١٣ .

(٧) راجع من ٥٣ حاشية ٢ .

مذهب الاتفاق . فصمد الأتابك نحوه وهو بأصفهان في زهاء سبعة آلاف فارس من نخب الأتراك العراقية الخوارزمية . وحين حسّ أدك خان برحيله صوبه ، راسل غياث الدين مستنجداً ، فأجده بدولة ملك في ألبى فارس . وأعجله<sup>(١)</sup> الأتابك عن وصول المدد فالتقيا بظاهر أصفهان ، وأدك خان في خف من العدد . وانجلى المعركة عن أسر أدك خان ، فكف الأتابك عن قتله لقرابته من السلطان ، وامتنازه برفيع منزلته عن الأقران . فحين أخذت السكّورس مأخذها منه ومن أصحابه ، تقدم بإحضار أدك خان فأحضر ، وكان المجلس غاصاً<sup>(٢)</sup> بالعراقية . فوفى له الأتابك حق الإعظام ، والتقاء بالإجلال والإكرام . غير أنه أجلس دون بعض العراقية فغاضه ذلك وحمله الإدلال بقرابته من السلطان على أن سافهه في الكلام ، وشافهه في الخصام ، فأمر به شفق ، وندم الأتابك حين أفاق على ما فعل ، وأنى له وقد سبق السيف العزل .

ولما بلغ دولة ملك ، وكان قد جرد من كرمان نجدة<sup>(٣)</sup> لأدك خان على الأتابك يغان ، ما حدث من الواقعة بباب أصفهان ، جذب عنانه ، ولزم مكانه ، وكاتب غياث الدين منبهاً إليه بصورة الحال ، وما انكشف عنه حومة القتال . فلهقه غياث الدين طالباً للثأر ، ومقاوماً<sup>(٤)</sup> من العار ، وتضافراً على قصد أصفهان ، وبها الأتابك يغان طايسى ، وكان القاضى قد صالحه أو طأوعه بأهل محلته ، وعصته محلة الرئيس صدرالدين الخجندى<sup>(٥)</sup> لمضادة بينهما ، وثارات منيمة<sup>(٦)</sup> ، فساق غياث الدين إلى أصفهان وصبح الأتابك بظاهرها قبل أن يبلغه النذر ، أو يروعه الذعر ، فكان كما قال أبو فراس :

(١) في الأصل : محله . (٢) في الأصل : غاضاً . (٣) في الأصل : نجده .  
(٤) في الأصل : مفادماً . وقاوم الرجل صاحبه بمعنى قام معه ، وفي المصارعة قام أحدهما للآخر .

(٥) نسبة إلى مدينة خجندة الواقعة في أعلى نهر سيحون .  
(٦) الثأر المنيم ، هو الثأر المبيت الذى لا بد من الوفاء به .



ويارب دار لم تخفى منيعة (١) طلعت عليها بالردى أنا والفجر  
فلم يرعن الخدمة بدأ ، ولم ينزع عن الطاعة يداً . فقبل الأرض حين  
رآه ، وعفر وجهه في التراب ، واستوفى في التخضع سائر الآداب . وزال  
ما في قلب غياث الدين من الوحشة بمواطأته للجماعة على قتل أدك خان ،  
وزوجه بأخته أيسى خاتون وزفت إليه ، واستوحش لذلك رفقائه من  
الأمراء ، ففارقوا مخيمه ، وأقاموا حجره ، إلى أن ترددت رسل غياث الدين  
إليهم في الإصلاح ، وكف عادية الكفاح ، فزال عنهم ما توهموا ، وبطل  
ما هموا به من التفرق ، وعزموا فعادوا إلى الخدمة طائعين ، وعلى صدق  
الموالاتة متابعين ، ما خلا أيدمر الشامي فإنه ساقه حينه (٢) إلى الأتابك أربك  
صاحب أذربيجان ، فقتل هناك . وتمكن غياث الدين من العراق ونفذت  
أوامره في خراسان ومازندران ، فأقطع دولة ملك مازندران بأسرها فقوى  
على أمرها ، ويغان طامسى همدان بأعمالها ونواحيها فانبسطت أحكامه فيها ،  
وتفرق كل منهما على رباش عمله ، فرتب أعماله ، وجبى (٣) أمواله . ولما  
رجع دولة ملك إلى الخدمة ، قويت شوكة غياث الدين فقصد أذربيجان ،  
وبها الأتابك أربك بن محمد بن إيلدكز (٤) صاحبها ، وشن الغارة على بلد  
مراغة وما يلي العراق من سائر أعماله . وأقام بأوجان (٥) ، وترددت رسل  
أربك في موضعه على سلم يفتدى بها (٦) من حرارة كأسه ، ومرارة بأسه ،  
وزوجه بأخته الملكة الجلالية صاحبة نخجوان ، وعاد غياث الدين إلى العراق  
بعد تأكد أسباب الوفاق (٧) .

(١) في الأصل : ويارب دار لم يخفى منيعة .

(٢) في الأصل : جبا .

(٣) في الأصل : جبا .

(٤) هو خامس أتابكة أذربيجان : ٦٠٧ / ٦٢٢ هـ = ١٢١٠ / ١٢٢٥ م ، ويكنى

بمظفر الدين . وقد قرأ هوداس Houdas اسمه في النسخة الخطية « ايلدكز » وهذا خطأ .

انظر ما كتبه عن أتابكة أذربيجان في كتابنا : الشرق الاسلامي قبيل الغزو المغولي ،  
ص ١٠٨ - ١٠٩ . وانظرا أيضا سلسلة نسب أتابكة أذربيجان في ص ١٦٧ من نفس الكتاب .

(٥) أوجان : إحدى مدن أذربيجان . (٦) في الأصل : يقتدى .

(٧) حدثت حوادث هذه الحرب سنة ٦٢٠ هـ (١٢٢٣ م) . انظر ابن الأثير : الكامل ،

ج ١٢ ص ١٩٠ - ١٩١ .

## ذكر مسير غياث الدين إلى فارس وشنه الغارات في نواحيها وفساد عسكره فيها

كان غياث الدين بالعراق يكيل لمجاوريه بمكياهم له من المواراة (١) والنفاق ، إلى أن قويت شوكته بمن انضم إليه من العساكر السلطانية ، نفاضات المنون ولفاظات الحرب الزبون (٢) . واتفق إفلات أينانج خان من حرب عرت (٣) بينه وبين التاتار بظاهر جرجان ، على ماسبق شرحه ، فوفى له حق مقدمه ، وأفاض عليه من سجال نعمه ، مراعاة لحقوقه السالفة ، وموالاته الثالثة والطارقة (٤) ، وبالغ في إجلاله وإكرامه وإقامة العطايا له ولعامة رجاله ، حتى نافسه في ذلك خاله دولة ملك ، وبلتى ملك ، وجنبه الأتابك يغان طايسى ، وهموا بهلاك المذكور بغياً وكشاداً (٥) ، وحسدأ على منزلته وعناداً .

وحين علم غياث الدين بما أطمروا (٦) له من الشر ، ونووا في حقه من الختل والغدر ، حذّرهم ، وبعواقب المعاقبه أنذرهم . فتسحب كل واحد منهم إلى جهة من الجهات ، كارهاً مواصلته بباطن موتور ، وحقده في الصدر مستور . واتفق حينئذ عود التاتار ثالثاً إلى العراق ، وقد وجد شملهم مبدداً للنظام . منحل العرا والأوذام (٧) ، فوقع بدولة ملك بحدود زنجان فقتله ، فذاق وبال أمره ، وحقاق به شر غدره . ولما أحاطت به أفواه الشرك ، وشاهد نفسه في أشد اق الهلك ، دلّ ابنه بركتخان ، وكان طفلاً ، على

(١) في الأصل : الموازة . والمواراة ، المسارة والإخفاء .

(٢) في الأصل : الربون .

(٣) عرت : اشتدت .

(٤) في الأصل : الطارقة .

(٥) الكشود : كفر النعمة .

(٦) طمر الشيء : طواه ودفنه . ولعلها هنا أضمرها .

(٧) الأوذام : سيور الدلو ، ورباطها عند أفواها ، والواحد وذم .

جادة أذربيجان ، وقال اسلكها إلى أن تفضى بك إلى المأمن . فسلكها إلى تبريز ، فعطف به الأتابك أزبك وكان يريه ، وقام في تربيته مقام أبيه ، إلى أن طلعت الرايات الجلالية من الهند (١) ، وملكك تبريز انسل عن غمد التعويق ، وانسحب إلى رحب فنائه عن الضيق .

ثم وقع التاتار بيغان طايسى عند منصرفهم من زنجان (٢) فمهبوا جلة سواده وأهلكوا (٣) عامة قواده ، ونجا بنفسه وعرسه إلى حدود طارم (٤) . وعاد التاتار فعبه جيحون منتصرأ ، وبما قد غم منهم مستظهرأ . وهكذا الحسد لا يرضى إلا بسخط صاحبه ، وانشاب (٥) الزمان عليه بأنياه ونوائبه . وعاد من نجا منهم إلى غياث الدين بوجوه سواده العصيان ، وجموع بددها الخذلان ، فقوى بهم أزره ، واشتد بعودهم ظهره . وكان قد نغم على الأتابك مظفر الدين سعد بن زنكي صاحب فارس في تلك المدة عدة أمور ، منها مكاتبة أهل أصفهان مستميلا لأهوائهم المتقلبة ، مستجلبا لآرائهم المنجذبة المضطربة . ومنها قلة الاحتفال ، بما يقتضيه حكم الحال ، من المساحة بالأموال ، والمساعدة بالرجال . فساق نحو فارس في جيوش كثيفة ، وخبول على الآلاف منيفة . وحين علم الأتابك أن لا قبيل له به تحصن بقلعة اصطخر (٦) ، فساق غياث الدين إليها ، وزحف على ربضها (٧) فملكها

(١) المقصود هنا عودة جلال الدين منكبرتي من محبته في بلاد الهند بعد رحيل جنكيزخان وجنوده إلى منغوليا .

(٢) زنجان : إحدى المدن الكبرى في أقصى شمال بلاد الجبل وعلى الحدود الجنوبية لأذربيجان وتنسب إليها جبال زنجان . انظر القلقشندی : صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٣٦٩ . وانظر أيضا خريطة بلاد فارس .

(٣) في الأصل : وهلكوا .

(٤) طارم : أحد الأقاليم الجبلية المشرفة على مدينة قزوین .

(٥) في الأصل : وانشاب .

(٦) اصطخر : من أهم وأقدم مدن فارس وحصونها ، وكانت في وقت ما حاضرة ملك فارس .

انظر ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ٢٧٥ — ٢٧٧ .

(٧) الربض : ما حول المدينة من بيوت .

عنوة ، وخربها عقابا و سطوة . ثم ارتحل عنها إلى شيراز فدخلها عنوة ، وسقاها من كووس الانتقام قهوة <sup>(١)</sup> . وحط على قلعة جرّه ، <sup>(٢)</sup> زمانا ثم صالح أهلها على مال وأعطاهم أمانا ، ومات أينسرخ خان هناك فدفن بشعب سلهان <sup>(٣)</sup> .

وسير ألب خان إلى كازرون <sup>(٤)</sup> ، وبها الشيخ أبو اسحق الشيرازي ، فاستولى عليها وسبي الذراري ، وهتك الحرم ، وأحل بأهلها النقم . وكان قد اجتمع هناك على مر الدهور ، أموال جمّة من النذور ، فحملها ألب خان إلى بيت ماله ، وأعاد بها رونق حاله وجماله ، وهيئات إنهما مظالم حديدات السفائر ، ومغارم ثقيلات الغوائل ، ومطاعم ظاهرها عاسل ، وباطنها سم قاتل . لاجرّم <sup>(٥)</sup> كان عاقبة أمره أن أسره التاتار بباب أصفهان فشدوا رجليه <sup>(٦)</sup> تحت الفرس وكشفوه وبعثوه مسيرة سنتين إلى خاقان <sup>(٧)</sup> فأحرقه وعرض على النار رمقه <sup>(٨)</sup> . ولعل العذاب العاجل <sup>(٩)</sup> يرد عنه الأجل ، فلا يعذب مرتين ، والله عزيز ذو انتقام .

ثم سار غياث الدين منها إلى حدود دأهر ، من بلاد بغداد فأخلاها علم الدين قيصر نائب الديوان العزيز <sup>(١٠)</sup> ظنا منه بأنه يسلك بها مسلكه بفارس نهباً وإحراقاً ، وسفكاً وإرهاقاً ، فلم يتعرض غياث الدين إليها ، محافظة على الأدب ، ومراعاة لما فرض الله من الطاعة ووجب . وجمع الإمام

(١) كان ذلك سنة ٦٢١ هـ (١٢٢٤ م) . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ١٩٣ .

(٢) جرّه : قلعة بالقرب من مدينة شيراز .

(٣) الشعب بكسر الشين : الطريق في الجبل .

(٤) على مسيرة ثلاثة أيام من مدينة شيراز حاضرة أنا بكية فارس .

(٥) أي لاشك . (٦) في الأصل : رجليه .

(٧) لعل المقصود هنا لإرساله إلى قره قورم حاضرة المغول .

(٨) الرمي : بقية الحياة . (٩) في الأصل : الأجل .

(١٠) أي ديوان الخلافة .

الناصر (١) رضوان الله عليه تلك السنة جمعا كثيرا من إربل وسائر البلاد  
الجزرية ، وديار بكر وربيعة، وراسل غياث الدين في العود إلى ما هو أحمد  
في الأولى ، وأعود عليه في الأخرى . فأذعن بالطاعة وعاد إلى العراق (٢) .

(١) الخليفة الناصر لدين الله ، أبو العباس أحمد بن المستضى ، : ٥٧٥ / ٦٢٢ هـ .

١١٨٠ / ١٢٢٥ م .

(٢) على الرغم من أن غياث الدين تمكن من السيطرة على العراق العجمي وخراسان  
بالإضافة إلى إقليم مازندران جنوبي بحر قزوين ، فضلا عن الجزء الأكبر من أتابكية فارس ،  
على الرغم من ذلك كله لم يمين هذا الأمير أكثر من الدعاء له على المنابر في خطبة الجمعة . إذ  
أن الكثيرين ممن قبلوا طاعته اقتصروا على الوعد بإرسال هذه الجزية ولم يقوموا بتنفيذ  
ما وعدوا . وقد عمد الأتراك في هذه البلاد إلى تخريب ما تصل إليه أيديهم ، ولم يستطع  
غياث الدين أن يحد من أعمال السلب والنهب التي قاموا بها .

وعلى هذا النحو ، فقد ظل هذا الاقليم ، رغم خضوعه لغياث الدين ، في حالة شديدة من  
الفوضى والاضطراب ، واستمر الحال على هذا النحو حتى آل حكمه إلى جلال الدين منكبرتي  
بعد عودته من البلاد الهندية .

## ذكر الحوادث بغزنة قبل وصول جلال الدين إليها

كان كزبر ملك بغزنة ينوب عنه ، فلما منح (١) لامين ملك قصد سيستان (٢) طمعاً في الاستيلاء عليها ، سيطر إليه يستحضره ليعاضدا على تلك الجهة المذكورة ، فنهض إليه مساعداً ، وعمما كان يليه من غزنة وأعمالها مباعداً . وكان اختيار الدين خربوست ، وهو من قدماء الغور ، مقيماً ببزشاوور (٣) ، على إقطاعه الذي أفرد له جلال الدين بها قبل . فاعتزم إذ ذاك خلو غزنة من (٤) يحميها ، وأراد تحريف كلمة الدعوة فيها . فدخلها على ركوب منهم إلى جانبه ، وكان صلاح الدين محمد النسائي (٥) والياً بقلعة غزنة للسلطان موالياً . فصالح خربوست عند استيلائه مظهرأ مشايعته جهاراً ، ومضمراً انتهاز الفرصة فيه أسراراً . فلما حصل الامترسال ، ولاحت الفرصة فيه وقفاً ذات يوم في الميدان ، عمد بخنجر في صدره هتك حجاب ستره ، وعاد الصلاح إلى الفتنة ، فقلع الفساد وأصفى السلطان البلاد ، وأمر أصحاب خربوست ، فكبسوهم في الدور والحجر . وأخرجوهم من تحت كل مدر وحجر ، وأمر بتاج الدين ابن أخت خربوست فصلب .

وكان رضى الملك مشرفاً للديوان الجلالى بغزنة ، فرأى صلاح الدين تقليده أمور الديوان كيلاً ينسب إلى الاستقلال ، ولا يفوت حق الأخرجة والأموال ، فقلده ذلك ، فلما استقر به المكان تاه وتجبهر ، وعتا وتكبر ،

(١) فى الأصل : أسنج .

(٢) فى الأصل : سيستان .

(٣) هى بشاور الحالية ، إحدى مبدن إقليم السند . انظر خريطة الدولة الخوارزمية فى أقصى اتساعها .

(٤) فى الأصل : عمن .

(٥) كذا فى الأصل ، ولعلها النسائي ، نسبة إلى مدينة نساء .

حين رأى أمور الدولة لا تزداد على الرتق إلا فتقا ، وعلى الرفو إلا خرقا .  
فاحتجن أموال الديوان عن مصارفها ، وبسط يده في الإنعامات  
والإطلاقات زائدة على وظائف الوزراء . ثم أحس من صلاح الدين  
إنكارا على ما كان يركبه من ذنب تدم عواقبه ، وكسب لم تصف مشاربه ،  
أغرى به طائفة من السجزية<sup>(١)</sup> فقتلوه ، واستقل رضى الملك بالملك إلى  
وصلها جلال الدين ، فرأى تقرير ما يليه مدة تخافلا عما سبق من هباته ،  
وتصامما عما بلغه من زلاته ، إلى أن كسر التاتار ببيروان<sup>(٢)</sup> على ما يأتي  
شرحه . ورجع<sup>(٣)</sup> إلى غزنة ظافراً ، أمر بالقبض عليه والمطالبة بما بذره من  
الأموال أيدى إتلافه ، ووذره<sup>(٤)</sup> خطرات إسراره ، فعصر مطالباً بالمال ،  
إلى أن مات على شر حال .

(١) كذا صححت عن الطبعة الفرنسية لهوداس Houdäs ، والمراد هنا طائفة تنبجى  
إلى سجستان .

(٢) انظر خريطة الدولة الخوارزمية في أقصى اتساعها .

(٣) لعلها ، وبلا رجوع .  
(٤) فى الأصل : ووذره : ووذره أى قطعه وجرجه .

## ذكر الحوادث بغزوة بعد عود جلال الدين إليها

وصل غزوة في سنة ثمان عشرة وستمائة<sup>(١)</sup>، وتباشر الناس بوصوله تباشير الصوام بهلال الفطر، وذوى المحول<sup>(٢)</sup> والإعدام بانملال القطر. واتصل بخدمة سيف الدين بغراق الخلجي، وأعظم ملك صاحب بلخ، ومظفر ملك صاحب الإيغانية، والحسن قزلق، كل هؤلاء في زهاء ثلاثين ألف فارس، ومعه من عسكره وعسكر أمين ملك مثلها. وحين بلغ جنكيزخان ماحل بعسكره من النقمة بقندهار<sup>(٣)</sup>، جرد إليه ابنه تولى خان<sup>(٤)</sup> في عسكر كشيء من نخب الرجال أحلاس<sup>(٥)</sup> الظهور، وأبناء الصوارم الذكور، واستقبله جلال الدين بنية في الجهاد قوية، وحمية في الإسلام أبية، ووافقه بيروان في الخيول بل السيول، والجنود بل الأسود. فلما ترأى الجمعان حمل بنفسه على قلب تولى خان فبدد نظامه، ونثر تحت قوائم الخيل أعلامه، وأجأه إلى الانهزام، وإسلام المقام، وتحكمت فيهم سيوف الانتقام. وركب جلال الدين أكتاف الغل يخطف بالقواطع علاوات الأخادع<sup>(٦)</sup>، ويفصل بالأسياف بجامع الأكتاف. وكيف لا وقد فجعه بإخوته وأبيه، وبملكته وذويه، وفصيلته التي تؤويه، فترك لاوالد ولامولود، ولاعابد ولامعبود، تلفظه النوادي إلى البوادي، وتقذفه المخاوف إلى التناثف<sup>(٧)</sup>. وقتل تولى خان<sup>(٨)</sup>

(١) في الأصل: ثمان عشر.

(٢) في الأصل: المحول. والمحل ضد الخصب.

(٣) راجع ص ١٣٣ حاشية ٦. (٤) هو: تولوى Toulouï

(٥) المجلس، يفتح فكسر: الشجاع.

(٦) الأخادع: عروق في الرقاب.

(٧) في الأصل: التنايف. أما التناثف فجمع تنوفة بمعنى المغازة.

(٨) يجدر بنا أن نشير هنا إلى أن ما ذكره النسوي عن مقتل تولوى بن حنكيزخان في هذه الموقعة لا يستند إلى أساس، والثابت أن تولوى لم يقتل في هذه الموقعة بل ولم يشترك فيها. وتدل الحقائق التاريخية الناجبة على أن هذا الابن كان ضمن من رافقوا جنكيزخان في أثناء عودته إلى بلاده.



في وهج القتال ، واحتداد جمره الصيال ، وكثر الأسر حتى كان الفراشون يحضرون الأسارى الذين <sup>(١)</sup> يأسرونهم إلى بين يديه ، فيدقون الأوتاد في آذانهم ، تشفياً منهم وجلال الدين يتفرج ، ووجهه بالبشاشة يتبلج <sup>(٢)</sup> ، فقد عذبوهم في الحياة <sup>(٣)</sup> الدنيا ، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى <sup>(٤)</sup> .

وقد كانت شردمة من التانار حاصرت قلعة ولج ، وضايقتها <sup>(٥)</sup> مطاولة ، فلما بلغهم ما صب الله على أولئك من سوط العذاب ، أفرجوا عنها خائفين خائفين ، ومن الله بالخلاص على المسلمين . فلما عادت الجفلة إلى جنشكرخان ، قام إليه بنفسه في عساكره التي يضيق عن ضمها الفضاء ، ويغص بمجموعها العراء . واتفق أن العساكر الخلاجية <sup>(٦)</sup> قد فارقوا جلال الدين في ذلك الوقت صحبة سيف الدين بغراق ، وأعظم ملك ، ومظفر ملك ، غضاباً أحوج ما كان إلى حضورهم ، وأنجادهم إياه في جمهورهم . وسبب ذلك أنهم لما كسروا ابن جنشكرخان بيروان زاحمتهم الأتراك فيما أفاء الله عليهم من الغنائم لوماً طبعوا على غراره <sup>(٧)</sup> ، ووسموا بناره ، حتى إذا نازع بعض الأتراك الأمينية <sup>(٨)</sup> أعظم ملك في فرس من خيل التاتار ، وطال <sup>(٩)</sup> بينهما التنازع ، ضربه التركي بمقرعة <sup>(١٠)</sup> ، فاشمأزت لذلك نفوسهم ، ونفرت قلوبهم ،

(٢) في الأصل : يتبلج .

(١) في الأصل : الذي .

(٣) في الأصل : الحيوة .

(٤) في الأصل : أبقا . وما هو جدير بالذكر في هذا المقام ، أن انتصار جلال الدين في إقليم بيروان كان له أثره في ثورة بعض المدن الخوارزمية في وجه المغول ، طنا أن هذا الانتصار كان ضربة قاضية وجهت إلى الجيوش المغولية ، ومن أهم هذه المدن مدينة هراة ، وهي المدينة الخراسانية الوحيدة التي سلمت إلى حد ما من التخريب في أثناء الغزو المغولي . ومهما يكن من شيء فقد تمكن المغول في سنة ٦١٩ هـ ( ١٢٢٢ م ) من الاجهاز على هذه المدينة ، كما تمكنوا من قتل غالب سكانها ، ولم يعفوا من القتل إلا أصحاب المنهن والحرف للاستفادة من خبرتهم انظر Höworth : Op. cit., part i, p. 91. و D'ohsson : Op. cit., t.i, pp. 311, -314.

(٥) في الأصل : ضايقتها .

(٦) نسبة إلى خلع ، وهو موضع قرب مدينة غزنة . انظر ياقوت : معجم البلدان ،

ج ٣ ص ٤٥٤ .

(٨) نسبة إلى أمين مُسلك .

(٧) في الأصل : غراره .

(١٠) في الأصل : بمقرعه .

(٩) في الأصل : وأطال .

وظارت في رموسهم نعمة الخلاف ، إذ رأوا أنهم لم يقدرُوا على الانتصاف .  
 ومهما هم جلال الدين بإرضائهم ، زاد الأتراك شراً وعصبية بسوء معاملة ،  
 وعدم مجاملة ، وقلة حظ من التجارب ، وقطع نظر<sup>(١)</sup> من العواقب .  
 وتشاكي الغرباء<sup>(٢)</sup> بعضهم إلى بعض وقالوا : إن هؤلاء الأتراك كانوا  
 يعتقدون التاتار ليس من جنس البشر ، لا يفزعون إذ لا أثر فيهم للمناصل<sup>(٣)</sup>  
 ولا ينصرفون إذ لا عمل فيهم للعوامل<sup>(٤)</sup> . حتى إذا رأيتهم تحكّم في مفاصلهم  
 المناصل ، وفي قياتلهم الفنا والقنابل ، رضوا بعهدهم ينكسبه وبعقدتهم يخله  
 استكباراً في الأرض ومكر السيء<sup>(٥)</sup> ، ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله .  
 وكان جلال الدين إذا لاطفهم في الاسترجاع ، وراسلهم في عقد كلبه  
 الإجماع ، نفرت الأتراك نفوراً ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، فقارقه .  
 ولقد أخطأ<sup>(٦)</sup> ملوك ذلك البيت في انتصارهم بالترك ، على جنسهم من ذوى  
 الشرك إذ<sup>(٧)</sup> الذى يقاتل عن دين متين وعقيدة أكيدة لا يرجو ثواباً ،  
 ولا يخشى عقاباً ، لا يؤمن عند الحاجة توانيه وتتبعه أهواه<sup>(٨)</sup> في  
 ساعاته وأنيه .

نعم ، ولما بلغ جلال الدين نهوض عدو الله إليه في معظم جيوشه ،  
 وحفوفه إليه في الطاغية من أخايشه<sup>(٩)</sup> ، وقد فارقه الأمر في مساعير أبطالهم  
 وجماهير رجالهم ، حدس<sup>(١٠)</sup> بالآفة ، وأحس بالخفاة ، وعلم أن لاطاقة له  
 بجنكزخان إلا باستردادهم ، وتتبعهم على مرادهم ، فرأى أن يتأخر إلى  
 ما السند ثم يستأنف بها مكاتبة المتفصلين ، ويعرفهم أن العود أحمد ، وإلى

(١) في الأصل : نظراً .

(٢) في الأصل : المناصل .

(٣) في الأصل : ومكر السيء .

(٤) في الأصل : إذا .

(٥) الخيش : موضع الأسد وجمعه أخياش ، وجمع الجمع أخيايش . ذكر الخيل وأراد

الحال ، وهم الشجعان الأشداء .

(٦) حدس : ظن وتوهم .

الجانبيين أعود . فإن أجابوا إلى ذلك يلتق (١) جنكز خان بهم مبكراً ، وبمن معه من الأتراك مستظهِراً . فعجله جنكز خان عمادبر ، فجاء الأمر بخلاف ما قدر .

وكان لجلال الدين عند خروجه من غزنة قولنج (٢) شديد ، ولم يرمع ذلك الجلوس في المحفة ، فركب الفرس تجلداً على ما به من ألم شديد ، ووجع وبهد (٣) ، إلى أن من عليه بالعافية الشافية ، والسلامة الوافية . وورد الخبر أثناء ذلك أن مقدمة جنكز خان نزلت بجردين ، فركب جلال الدين ليلاً ، حمد عند صباحه مسراه ، مستضياً بتوفيق الله وهداه ، وكبس المقدمة بجردين ، فلم يرعها إلا العاديات صوابج والموريات قوادح ، ولم يفته إلا سرعان الخيل تحت ذيول الليل .

ولما بلغ اللعين (٤) ذلك هاله ، ونعى إليه آماله ، أخذ لا يلوى على شيء ، يطوى المراحل أسرع طى . ورجع جلال الدين إلى مخيمه بحافة ماء السند ، وضاق الوقت عما كان ينويه من جمع المراكب ، واسترجاع الكتائب . ووصل مركب واحد فأمر بتعبير والدته وحرمة ومن ضمنته الدور ، وحجبه الستور ، فأنكسر المركب وتعذر العبور . ووصل جنكز خان مستعداً للقتال ، وإذا أراد الله بقوم سوءاً (٥) فلا مرد له ، وما لهم من دونه من وال .

(١) في الأصل : يلتقى .

(٢) القولنج : مرض معوي مؤلم .

(٣) الوبيد : الشديد .

(٤) في الأصل : سوء .

(٥) يقصد جنكيزخان .

ذكر المصاف بين جلال الدين وبين جنكز خان على حافة ماء السند  
وهذه من معظلات الحروب ومعضلات<sup>(١)</sup> الخطوب

وصل جنكز خان إلى حافة ماء السند قبل إتمام ما نواه جلال الدين  
من استرجاع الأمراء المنفصلين ، فتطأير الفرسان وتجالد الشجعان ،  
سحابة يومهم ذلك ، ثم تصافا صديحة يوم الأربعاء لثمان خلون من شوال  
سنة ثمان عشرة<sup>(٢)</sup> وستمائة . فلما تلاقى<sup>(٣)</sup> الفريقان ، والتقت حلقتا البطان ،  
وقف جلال الدين حذاه في قل من العدد ، وقد فارقه العدد الدثر .

بنفس تعاف العار<sup>(٤)</sup> حتى كأنه

هو الكفر عند الروح أو دونه الكفر

ثم حمل بنفسه على قلب جنكز خان فزقه بدداً ، وجعله طرائق قددا<sup>(٥)</sup>  
وولى اللعين بنفسه هزيماً ، يحث مركب النجا حرصاً على النجاة هشيماً .  
وكادت الدائرة تدور على الكفار ، والهزيمة تستمر بأهل النار ، لولا أن  
اللعين أفرد قبل اللقاء الكمين ، وفيه عشرة آلاف فارس من نخب رجاله  
الملقبين بالبهادرية<sup>(٦)</sup> . فخرجوا على ميمنة جلال الدين ، وفيها أمين ملك ،  
فكسروها وطرحوها على القلب فتبدد نظامه ، وتزعزعت عن الثبات أقدامه  
وانجملت المعركة عن<sup>(٧)</sup> قتلى مضرجين بالدماء ، غاطسين في الماء ، فكان الرجل

(١) في الأصل : معظلات . (٢) في الأصل : ثمان عشر .

(٣) في الأصل : تلاقا .

(٤) في الأصل : الغار ، والبيت لأبي تمام .

(٥) طرائق قددا ، أي جماعات متفرقة ، والمفرد قددة .

(٦) نسبة إلى بهادر ، وهي كلمة تركية معناها شجاع . انظر Bretschneider: Op. cit., vol. i, p. 279, note 668.

(٧) في الأصل : على .

منهم يأتي الهر فيهوى<sup>(١)</sup> بنفسه في تياره ، وهو يعلم أنه لا بد غريق<sup>(٢)</sup> ،  
وأن ليس له إلى الخلاص طريق . وأسر ولد جلال الدين وهو ابن سبع  
سنين أو ثمان في الواقعة ، وقتل بين يدي جنكز خان .

ولما عاد جلال الدين إلى حافة ماء السند كسيراً ، رأى والدته وأم  
ولده وجماعة من حرمه يصحن<sup>(٣)</sup> بأعلى صوتهن : بالله عليك اقتلنا وخلصنا  
من الأسر . فأمر بهن فغرقن ، وهذه من عجائب البلايا ونوادير المصائب<sup>(٤)</sup> .  
وأما العساكر الخليفة المارقة لجلال الدين فقد<sup>(٥)</sup> استنزهم جنكز خان  
بعد فراغه من جلال الدين من عصم الجبال<sup>(٦)</sup> وشم الأعلام والقلال ،  
واستخرجهم من بطون الغاب ، وأجواف الشعاب . وتحصن أعظم ملك  
بقلعة دروذه فحوصرت إلى أن أخذت فألحقت بالآخرين الأخرين .

وحدثني ضياء الملك عالي الدين محمد بن مودود العارض النسوي  
— وكان ذا أصل زكي ، وزند في الأريحية ورى — قال : أهويت بنفسى  
إلى الماء ولم أعرف السباحة ماهى ، فغطست وأشرفت على الهلاك ، وبيننا<sup>(٧)</sup>  
أنا في غمرات الماء اضطرب ، إذ بصي معه زق منفوخ فددت يدي وهممت  
بتغريقه ، وأخذ الزق منه فقال : إن كنت ترضى بخلاصك دون هلاكى  
شاركنى فيه أوصلك إلى الساحل ، ففعلت وسلمنا . وطلبته بعد ذلك أشد  
الطلب أجازيه على صنيعه فلم أجده على قلة عدد الناجين .

(١) في الأصل : قهوى . (٢) في الأصل : أنه لا بد من غريق .

(٣) في الأصل : يضحج ، ويحتمل أن تكون يضحج .

(٤) ذكر دوسون أن نساء السلطان وقعن في الأسر ، ولم يشر إلى غرقهن في نهر السند ،  
والراجع أن أم جلال الدين ونساءه قد غرقن فعلا في ماء السند كما ذكر النسوي ، وأما التي  
أسرها المغول فكانت ترکان خاتون أم علاء الدين محمد خوارزم شاه التي أسرت في إقليم  
مازندران . انظر D'ohsson; Op. cit., t.i, p. 307

(٥) في الأصل : قد . (٦) في الأصل : الجبال .

(٧) في الأصل : بينا .

## ذكر عبور جلال الدين ماء السند

وحوادث سنة تسع عشرة وستمائة<sup>(١)</sup>

لما وصل جلال الدين إلى حافة ماء السند، وقد سدت<sup>(٢)</sup> دونه المهارب وأحاطت به المعاطب، وقد رأى وراءه البواتر، وقدامه البحر الزاخر، رفس فرسه في الماء لابساً عدته، فعبر به الفرس ذلك النهر العظيم صنعا من الله تعالى فيمن يتولى حفظه. وكان قد بقي معه ذلك الفرس إلى أن فتح تفليس معافى<sup>(٣)</sup> عن الركوب.

وقد تخلص إلى تلك الجهة زهاء أربعة آلاف رجل من عسكره. حفاة عراة كأنهم أهل الذنور، حشروا فبعثوا من القبور. وفيهم ثلاثمائة فارس تقدموا جلال الدين بعد العبور ثلاثة أيام، إذ كانت غوارب الموج قد رمته إلى ناحية بعيدة في ثلاثة من خواصه وهم قلبرس بهادر، وقابقح، وسعد الدين على الشر بدار<sup>(٤)</sup>. والجماعة لم يعلموا بسلامته فأصبحوا حائرين وفي تيه الفكرة سائرين، هملا كالشمام فقد راعها، وقد أحاطت بها موايش<sup>(٥)</sup>

(١) في الأصل : تسعة عشر .

(٢) في الأصل : سدت .

(٣) في الأصل : معافا .

(٤) إن مدلول وظيفة الشربندار ظاهر، وهو الخدمة بشرابخاناه السلطان أو الأمير، على أن هذه الوظيفة كانت من وظائف الخدم أو الحرف الصناعية. أما الأمير الذي يتولى سقى السلطان على الموائد ويهيمن على مد السماط وتقطيع اللحم، وسقى المشروب بعد رفع السماط، فاسمه الساقى. هذا بخلاف وظيفة الجاشنكير، ويقوم صاحبها بذوق الماء كل والمشرب، قبل أن يناوله السلطان أو الأمير خوفاً من أن يفس عليه فيه سم أو نحوه. انظر القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥ ص ٤٦٩، ٤٥٤، ٤٦٠.

(٥) في الأصل : موايش .

الذئاب ، تخطفها فوارس الطلاب ، إلى أن اتصل بهم جلال الدين فاعتدوا  
لمقدمه عيداً ، وظنوا أنهم نشئوا خلقاً جديداً .

وكان في الزردخاناة<sup>(١)</sup> الجلاية<sup>(٢)</sup> شخص يعرف بجمال الزراد ، وقد  
انتبذ قبل الواقعة بما كانت تحويه يده من خالص ماله إلى بعض الجهات ،  
فوصل إذ ذاك بمركب فيه ملبوس ومأكول ، وقطع ماء سار به إليهم<sup>(٣)</sup> ،  
فوقع ذلك عند جلال الدين موقعاً حسناً ، وولاه أستاذ الدارية<sup>(٤)</sup> ، ولقبه  
باختيار الدين ، وسيجيء ذكر أحواله في موضعها إن شاء الله تعالى .

ولما علم زانه شتره ، صاحب جبل الجودي ، أن جلال الدين محته  
لهوات الحرب في القل من أتباعه ، والقل من أشياعه ، إلى جانب بلاده  
مكسراً ، ولم يترك الواقعة معهم من الخيل إلا يسيراً ، صمد صمده في زهاء  
ألف فارس وخمسة آلاف راجل ، اغتناماً لنهزة الانتصاف ، وانتهزاً  
لفرصة الاستضعاف . وبلغ خبره جلال الدين فرأى الموت قد فغر فاه ،  
والصوارم تطلب وجهه وقفاه . فحيث أمم<sup>(٥)</sup> شهرت عليه السيوف ، وأنى  
ألم أحذقت به الختوف ، ومعه من الجرحى من يتعذر استصحابهم إن أراد  
الخفوف للانفلات ، وعلم أن الهنود لو ظفروا بهم لم يقتلوهم إلا مثله ونكالا ،  
ففضى الأخ منهم إلى أخيه الجريح ، والقريب إلى حميمه الطريح ، وجزر رأسه  
ورحلوا عازمين على أن يعبروا النهر إلى صوب التاتار فيختفوا ببعض تلك  
الآجام المحتفة والغياض الملتفة ، فيعيدشوا بما تنال أيديهم من الغارات .

(١) الزردخاناة : دار السلاح ، وهي كلمة فارسية مركبة ، وقد أطلقها القرظي على  
السلاح نفسه . ومن معاني الزردخاناة أيضاً ، السجن المخصص للمجرمين من الأمراء وأصحاب  
الرتب . انظر القرظي : السلوك ، ج ١ قسم ٢ ص ٣٠٦ حاشية ١ .

(٢) نسبة إلى جلال الدين منسكبرتي . (٣) في الأصل : سودهه إليهم .

(٤) أستاذ الدار : أو الأستاذار هو الذي يتولى شؤون بيوت السلطان كلها من المطابخ  
والغرابخااه والحاشية والغلمان ، وهو الذي يمشى بطلب السلطان ويحكم في غلمانه وباب  
داره . وله حديث مطلق وتصرف تام في استدعاء ما يحتاجه كل من في بيت السلطان من  
الثقات والكساوى . القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٢٠ .  
(٥) أمم : قصد .

وتخيل الهنود أنهم من التاتار فحين تأمروا<sup>(١)</sup> على ذلك ، توجهت الرجالة صوب مقصدهم ، وتأخر عنهم جلال الدين بن معه من ناصرته وأعيان خيله على رسم اليزك<sup>(٢)</sup> فجاء<sup>(٣)</sup> زانه شتره ومن معه من مكاكرتة . فلما اكتحلت عينه<sup>(٤)</sup> بجلال الدين حمل عليه بنفسه وجيشه ، بل بطيشه . فركب جلال الدين عزيمة الرجال في الثبات فوقف له إلى أن قاربه ورماه بنشابة طارت إلى صدره ، هتكت حجاب سره ، فخر ساجدا لاسجود عبادة ، بل هجود إبادة . وانهم عساكره ، وتحمل جلال الدين بخيله وعدته وما أفاء الله عليه من أمواله وأسلحته .

ولما سمع قمر الدين نائب قباجة بدبذبة وساقون بهذه الواقعة الغربية والحادثة العجيبة ، تقرب إلى جلال الدين بإهداء أطفاف ، وتقاديم أصناف في جملتها الدهليز ، تقادياً عن قتاله<sup>(٥)</sup> ، وتصوناً بما تم على زانه شتره من التقائه وجداله ، فوقع ذلك منه موقعا مشكوراً<sup>(٦)</sup> .

(١) في الأصل : توامروا .

(٢) اليزك : لفظ فارسي معناه الطلائع . وقد جاءت أمثلة كثيرة لوجوه استعمال هذا اللفظ منها « كان يزك وطلايمه لاتنقطع من الفرج » . انظر كتاب السلاح في الاسلام للقاء مقام عبد الرحمن زكي ، ص ٦١ .

(٣) في الأصل : فجاءت .

(٤) في الأصل : اكتحل عينه .

(٥) في الأصل : تقاديا عن قتاله .

(٦) يجدر بنا أن نشير هنا إلى أن هرب جلال الدين منكبرتي إلى بلاد الهند لم يكن بالأمر بالجديده على حكام إقليم غزنة . فقد كانت البلاد الهندية مأوى للحكام من الأتراك الذين فروا إليها من قبل . فقد قامت الدولة الغورية في هذه الجهات ، ثم توسع حكامها في امتلاك الأقاليم الهندية ، بل لأنهم انتصروا على حكم هذه الأقاليم بعد أن ضاعت هيبتهم في إقليم غزنة ، على أثر ظهور الدولة الخوارزمية واتساع رقعتها في هذه الجهات .

انظر Lane-Poole : Mediæval India Under Mohammedan Rule, p.71



## ذكر ما كان بين جلال الدين وقباجة

### من وفاق تارة وخلاف أخرى

ولما استراح جلال الدين من ثقل تلك الوطأة ، ولمّ مابه وبقايا أصحابه من شعت الواقعة ، بلغه أن بنت أمين ملك سلمت من الغرق ولجأت إلى أوجاهي من مسدن قباجة ، فأرسل إليه يقول (١) : إن ذوات الخلدور ، وضياثر الستر من حر مه قد غرقن ، وإن بنت أمين ملك تمت إليه بقرابة ، وقد رغب في نقلها إلى الدار ، فليجهزها إليه صحبة الرسول . فنشط قباجة ليجري مرضاته فيما توخاه (٢) ، وجهزها تجهيز الهدى إلى زوجها السكفي (٣) ، وأصحابها تقاديم برسم جلال الدين في جملتها الفيل . فقبل جلال الدين ذلك أحسن قبول ، وقابله بأجل مقول ومفعول ، وانتظم الصلح ، وأمنت البلاد ، إلى أن قضت الأيام بالفرقة والبين ، ودبت عقارب الفساد في ذات البين ، وتجدد من موجبات الوحشة ما يأتي ذكره : منها أن شمس الملك شهاب الدين ألب كان السلطان قد استوزره لجلال الدين على ما ذكرناه . وكان المذكور جامعا لأدوات الرياسة ، لم يطبع على مثله غرارها (٤) ، ولم يضع شرواه في مضارها ، سماحة كرم ، وسجاجة شيم ، وهيبة خفيت لها جنادب الليل ، وغصت لها مباحث السيل . فرمته الواقعة إلى قباجة فأمنه وآواه ، وأكرم مشواه . وحيث كان يعتقد أن جلال الدين ليس فيمن نجا ،

(١) نقلها هوادس عن الأصل الخطي : « بلغه أن بنت أمين ملك سلمت من الغرق ووجاهي من مسدن قباجة أرسله يقول » . ثم رأى هوادس أن يضيف [ إلى ] إلى أوجاهي . ولعل تصحيحنا يستقيم مع المعنى .

(٢) في الأصل : توخاه .

(٣) السكفي : السكف . وجمع السكفي أكفيا ، مثل ولي وأولياء .

(٤) في الأصل : عرارها .

ولا من يخاف ويرجى ، أسترسل معه في أمور كان الحزم يقتضى إخفاءها (١) عنه . فلما تحقق أن جلال الدين سلم ، استوحش من جانب شمس الملك لما نفث إليه مصدوره ، وندم على ما أودعه من سر ضميره . ولما علم جلال الدين أن شمس الملك عنده ، استدعاه وحمله التوهم على أنتقاض ذممه ، والاسترواح إلى سفك دمه ، طمسا على أسرار وضعها عنده ، وظن أنه ضيعها ، وأودعها لديه ، فتوهم من إشاعتها . ولم يعلم جلال الدين بذلك إلى أن فارق الملك نصره الدين محمد بن الحسن بن خر ميل ، والامير أبان المعروف «بهرار مرده» ، قباجة إلى جلال الدين فأعلماه بباطن أمره ، وغامض سره في غدره ، وختله في قتله الوزير المستعير به .

ومنها أن قرن خان بن أمين ملك ، كانت الواقعة طرحته إلى مدينة كلور (٢) من مدن قباجة ، فشرهت نفوس عامتها إلى سلبه ، فقتل طفلا أحسن ما كان ورد خد ، وغصن قد ، وطلعة غرة ومجد . وحملت إلى قباجة من سلب اليتيم درة كانت في أذنه ، فشكر الحامل على حملة ، وجازى القاتل خيرا على قتله وأقطع له ضيعة وإحنة (٣) في الصدر دفينه ، وكان يداريه تربصا لجنين المقذور في إدالة الميسور على المعسور ، إلى أن اتصل به الأمراء المنفصلون عن أخيه غياث الدين بيرشاه وهم سنجقان خان ، وإيلجى بهلوان ، وأرخان ، وسپر سلاحدار السلطان (٤) ، وتكشدارق جنكشى ، فقويت الأنفاس الخامدة (٥) ، وحميت النفوس الجامدة ، وقصد مدينة كلور فحاصرها ، وداوم

(١) في الأصل : إخفاؤها .

(٢) من مدن إقليم البنجاب . (٣) وإحنة : غلة .

(٤) كان ديوان الجيش من أهم دواوين الخوارزميين ، ففيه كان يدير كل ما يلزم الجيش من أسلحة وذخائر وعناد وأموال ، ويتبع هذا الديوان « بيت السلاح » الذى تحفظ فيه الأسلحة المختلفة ، ويقوم بالعمل فيه عدد كبير من الصناع يشتغلون في إصلاح الأسلحة . . ويشرف على هذا البيت رجل عرف بالسلاح دار .

(٥) في الأصل : الخامدة .

القتال عليها ، ضرباً بالسيوف القواضب ، وأخذ باللحي والذوائب . وباشر  
الرحف بنفسه ، فأصابته نشابة في يده فأصبح كالأسد موتوراً ، والنمر مجروحاً  
ومضروباً . ولم يفتر في القتال ليلاً ولا نهاراً ، إلى أن استولى عليها ، فلم  
يترك بها مباشر قراع ، بل لابسة قناع . ثم رحل منها إلى قلعة « برنوزج » ،  
وحط عليها وباشر القتال بنفسه وخواصه ، وأصابته هناك نشابة أخرى  
فألحق برنوزج بأختها عن كشب ، وكان الخراب لها أعدى من الحرب ،  
وتأهت الوحشة بهذه الأسباب بينه وبين قباجة .

ولما رأى قباجة أن بلاده تطوى شيئاً فشيئاً فزع إلى الاحتشاد ومال  
إلى الاستنجد ، فركب في زهاء عشرة آلاف فارس ، وأنجده شمس الدين  
إيلتمش<sup>(١)</sup> ببعض عسكره ، فتجرد للانتصاف ، وعزم على المصاف .

وعلم جلال الدين أن التقاه<sup>(٢)</sup> بأصحابه الذين عضتهم الوقائع ، ورضتهم<sup>(٣)</sup>  
الخطوب القوارع ، بغير<sup>(٤)</sup> عزم على الثبات وركب .

ليسرى<sup>(٥)</sup> في ضمير الليل سراً ويختر في جوانبه خيالاً

في السباع والذئاب الجياح ، مخرجين من جهد البلاء ، وضنك البؤس  
والأواء<sup>(٦)</sup> ، حتى أحاط به وبعسكره إحاطة الدائرة بالمركز ، فعجله عن  
الركوب مستعداً ، وأجأه إلى الهروب مجدأ . فسار بنفسه ومن خفت به  
الظهور مجفلاً .

ونجا برأس ظميرته ومضى كما رعت النعام فراخه فاستعجلا  
لحقته غائلة الشقاء فحوّلت في كفه الرمح المثقف مغزلاً

(١) كان شمس الدين إيلتمش أحد أركان الترك في الدولة الغورية ، وقد سار إلى بلاد الهند  
بعد سقوط هذه الدولة ، وتمسك من تأسيس إمارة في الجزء الشمالي من هذه البلاد . وقد  
حكم هذا الرجل مدينة دهل من ٦٠٨ / ٦٣٤ هـ ( ١٢١١ / ١٢٣٦ م ) .  
(٢) كذا في الأصل . (٣) في الأصل : ورضيتهم .  
(٤) كذا في الأصل . (٥) في الأصل : يسترى .  
(٦) الأواء : الشدة . وفي الأصل اللوايح .

وترك العسكر شاغراً بما فيه من الخيام المضروبة ، والدهاليز المنصوبة ،  
والخزائن المتكاثرة ، والعدد الوافرة . ونزل جلال الدين وأصحابه به نزول  
العسكر بخيام السبق ، وتحملوا بما غنموا من الأموال والأثقال فرشوا  
بها عارى نبالهم ، وأمروا ضعيف خيالهم<sup>(١)</sup> . فأهلا به من مقصد حمد فيه سعيه  
القاصد ، ومنزل صدق في خصب أهله الرائد<sup>(٢)</sup> .

بذا قضت الأيام ما بين أهلها مصائب قوم عند قوم فوائد

---

(١) أمره : جملة أميراً . والخيال صورة تمثال الشيء كخيال الإنسان في المرأة . وهو  
أيضاً ثوب يلقي على خشبة يخيل به للبهائم والطير فتظنه إنساناً . ويقصد النسوي أن الجنود  
تشجعت وقويت بعد أن كانت كالخيال .

(٢) في الأصل : في حصبة أهله الرايد .  
وقد جاء في خطبة الرسول عليه السلام في أهل مكة ، إن الرائد لا يكذب أهله . وهو  
الذي يرسلونه ليجث عن الماء والعشب فلو كذبهم لأهلستهم .

## ذكر الحوادث بعد كسر جلال الدين قباجة

وما جرى بينه وبين شمس الدين إيلتمش إلى أن خرج من الهند

لما كسر جلال الدين قباجة ، نزل على نهاوور<sup>(١)</sup> ، وكان بها ابن لقباجة وقد عصى والده متغلبا عليها ، فرأى جلال الدين تقريرها عليه على مال معجل وآخر في كل سنة تحمّله . ورحل صوب سيستان وبها نخر الدين السعلارى والياً عليها من قبل قباجة ، فتلقاه بالطاعة ، وسلم مفاتيحها إليه رغبة أو رهبة ، فحبى المال ، وأرضى الرجال . ثم رحل عنها صوب «أوجا» فحاصرها أياماً ، واقتتل من الفريقين خلق كثير ، ثم صالحوه على مال فحمل إليه ، ورحل صوب «خانسر»<sup>(٢)</sup> ، وكان رأيها والرأى بين الملك بلغة الهند من أتباع شمس الدين إيلتمش وأنصاره ، والمتقسمين بطاعته وشعاره . فخرج طائفاً ، وحضر إلى الخدمة مشائفاً ، وألقى<sup>(٣)</sup> بها جلال الدين عصا القرار ، استجهاماً<sup>(٤)</sup> من وعشاء السفر ، واسترواحاً من مكابدة الخطر . فأتاه الخبر بأن شمس الدين إيلتمش قاصده في ثلاثين ألف فارس ، ومائة ألف راجل ، وثلاثمائة فيل ، سواد<sup>(٥)</sup> فدح بثقله كاهل الدو<sup>(٦)</sup> ، وسد بقسطله منافذ الجو .

وقد تنهض العصفور كثرة ريشه ويسقط إذ لا ريش فيها نسورها<sup>(٧)</sup>

(١) المفصود هنا مدينة لاهور . انظر . D'ohsson : Op. cit., t.i, p. 309.

(٢) كذا في الأصل ولعلها «خانسر» وهى قرية قريبة من همدان . انظر ياقوت : معجم

البلدان ، ج ٣ ص ٧٣ ، ٣٩٢ .

(٤) في الأصل : استجهاماً .

(٣) في الأصل : ألقا .

(٦) الدو : البرية .

(٥) سواد : جوع .

(٧) في الأصل : يسورها .

فتجرد نحوه جلال الدين تجلداً ، وقدم أمامه جهان بهلوان أربك باين وهو من حماة الأبطال وكافة الرجال ، برسم الزك وساق ، نخالفه بزك شمس الدين في الطريق ، وتوسط أربك باين معسكر شمس الدين ، فهجم على جماعة منهم فقتل منهم وجرح . وأحضر إلى جلال الدين من أعليه بذلك الجمع الكثير ، والجم الغفير . وورد عقيب<sup>(١)</sup> ذلك رسول شمس الدين إيلتمش في طلب الموادعة ، والتماس المصافحة ، وكف يد المكافحة ويقول : ليس يخفى على ما ورامك من عدو الدين ، وأنت اليوم سلطان المسلمين ، وابن سلطانهم ، ولست استحل أن أكون عليك عوناً للزمان ، وعدة للحدثان . ولا يليق بمثلي أن يجر دالسييف في وجه مثلك إلا إذا اضطره إليه دفاع ، أو سامه إليه تحرز وامتناع . وإن رأيت زوجتكم باينتي لتستحكم الثقة ، وتنتأ كد المقة<sup>(٢)</sup> ، وتزول الوحشة . فقال جلال الدين إلى ما قال ، وأصحاب رسوله بائينين من أصحابه ، وهما يزيدك بهلوان ، وسنقر جق طايسى فضياً إليه ، واختاراه عليه ، وأقاما لديه ، استخلاصاً مما منوا<sup>(٣)</sup> به من مكابد الأخطار ، ومداومة الأسفار ، ووصلهم سهر الليل بذات النهار .

وترادفت الأخبار بأن إيلتمش وقباجة وسائر ملوك الهند ، وغامة راياتها وتكاكرتها وأصحاب ولاياتها ، قد تأمروا<sup>(٤)</sup> على قلعه ، وأن يسكوا عليه حافة ماء خنجير ، فيلجموه<sup>(٥)</sup> إلى حيث لا سبيل إلى الذب ، ويحترشوه احتراش الضب<sup>(٦)</sup> . فعظمت إذ ذلك بليته ، وفترت في وجوه العزائم نيته ، ورأى أن الزمان حزّب عليه أحزاباً ، ومتى سدّ للحوادث بجهده باباً ، فتح عليه أبواباً . فاستشار نصحاءه في تدبير ذلك الأمر بصوابه ، وإتيانه من بابيه . فترجمت آراؤهم في التقريب والتبعيد ، وتخالفت أقوالهم في التخطية والتصويب .

(١) في الأصل : عقيب .

(٢) المقة : الحبة .

(٣) منوا : ابتلوا .

(٤) في الأصل : توامروا .

(٥) في الأصل : فيلجموه .

(٦) احتراش الضب : اصطاده .

اما الواردون من العراق ، المنفصلون من أخيه غياث الدين ، [ فقد ]  
 مالوا بأجمعهم إلى قصد العراق ، تطمئعا له من انتزاعها من يد أخيه . وقد  
 ذكروا أنها معرضة لقصدتها لتواكل الآراء ، ومداهنة النصحاء ،  
 واغتنامهم صلاح أنفسهم في وجوه المقاصد والأنجاء ، استصغارا  
 لغياث الدين ، واستضعافاً لركنه ، ورخاوة جانب سياسته ووهنسه .  
 وأشار عليه جهان بهلوان أزبك بلزوم بلاد الهند من جنكزخان استظرافاً ،  
 وبملوك الهند استضعافاً . فحمله شغفه بتملك الممالك الموروثة والحكم فيها  
 على قصد العراق ، فخف النهوض إليها ، واستتاب جهان بهلوان على ما كان  
 يملكه من بلاد الهند الحسن قزاق ، وقد لقبه « بوفاء مُلك » ، على ما قد نجما  
 من بلاد الغور وغزنة من صدمات التاتار ، واستمر وفاء ملك إلى آخر  
 أيامه ، ومنقرض شهوره وأعوامه . وطرده جهان عما كان يليه في سنة  
 سبع وعشرين وستائة ، فوصل إلى العراق . وسيأتي الشرح على بقية حاله  
 في موضعها إن شاء الله (١) .

(١) نرى مما ذكره النسوي وغيره من المؤرخين عن حال جلال الدين منكبرتي في بلاد الهند ،  
 أنه كثيرا ما كان يظهر بمظهر الكسير الذليل من هول ما أصابه خاصة ، وأصاب دولته عامة  
 بعد موقعة السند . وقد نظم ابن الوردي قصيدة وصف فيها جلال الدين ودولته في هذه الأثناء  
 جاء فيها :

من ملك الدنيا ودانت له	فالجهل كل الجهل أن يحسدا
يقدر ما ترفع أصحابها	تخطم فالرأى قرب المدى
ويلى على المغرى بعليائها	سيضحك اليوم وبكى غدا
تعطيه كالمشفق لكنها	تبطش في الأخذ كبطش العدا
مبتدأ حلوا لمن ذاقه	واكن انظر خبر المبتدا
غدارة خيانة أهلها	ما زهد الزهاد فيها سدى

انظر ابن الوردي : تنبيه المختصر في أخبار البشر ، ص ١٥٥ .

## ذكر حصار التاتار خوارزم في ذي القعدة

سنة سبع عشرة<sup>(١)</sup> وستائةواستيلائهم عليها في صفر سنة ثمانى عشرة<sup>(٢)</sup> وستائة

وقد خصصت حصارها بالذكر دون سائر البلاد لعظم<sup>(٣)</sup> أمرها ،  
ومبدأ احتفال التاتار لها . لما انفصل أولاد السلطان عن خوارزم على  
ما ذكرناه ، وافى<sup>(٤)</sup> التاتار تخومها ، وأقاموا بالبعد منها إلى أن تكلمت  
عدتهم للحصار وعدادهم ، وتواصلت نجاتهم من الأقطار ومددهم . فأول  
من وصل منهم باجى بك فى عسكر كشياف ، ثم بعده ابن جنكيزخان  
أو كطاي وهو الخاقان يومنا هذا<sup>(٥)</sup> ، ثم سيئر الخبيث وراهم حلقتة الخاصة  
ومقدمها بقرجن نوين فى سرار الطواغيت ، وأشرار العفاريث . وأردفهم  
بابنه جنغطاي ومعه طولن جرجى ، واستون نوين ، وقاضان نوين فى مائة  
ألف أو يزيدون<sup>(٦)</sup> . فطفقوا يستعدون للحصار ويستعملون آلاته من

(١) فى الأصل : سبع عشر .

(٢) فى الأصل : ثمان عشر .

(٣) فى الأصل : لعظم .

(٤) فى الأصل : وافا .

(٥) حكم أجتاي Ogotai بن جنكيزخان من ٦٢٤/٦٣٩ هـ = ١٢٢٧/١٢٤١ م .  
ومن ذلك يتضح أن محمد النسوى قد كتب سيرة جلال الدين منكبرتى بعد وفاة جنكيزخان  
سنة ٦٢٤ هـ ( ١٢٢٧ م ) ، بل بعد وفاة جلال الدين نفسه سنة ٦٢٨ هـ ( ١٢٣١ م ) ،  
ولهذا الأمر خطورته عند الحكم على قيمة الكتاب نفسه كرجح تاريخى ، من حيث إدراك  
تحرر المؤلف إلى حد ملحوظ ، رغم ولائه لمن سرد سيرته ، من قيود الكتابة .

(٦) مهما تعددت أسماء القواد التى ذكرها النسوى فى هذا المقام ، فالمهم أن جنكيزخان  
قد أسند قيادة الجيوش المغولية التى وجهها إلى خوارزم لأبنائه الثلاثة ، جوجى وجغتاي وأجتاي

( أكتاى ) . انظر D'ohsson; Op. cit., t.i, p. 265 & seq.



المجانيق<sup>(١)</sup> والمتارس والدبابات<sup>(٢)</sup>. وحيث رأوا خوارزم وبلادها خالية عن حجارة المجانيق ، وجدوا هناك من أصول التوت غلاظ الجداول كبار الأصول ما يكفي وبفضل ، فأخذوا يقطعون منها قطعاً مدورة ، ثم ينقعونها في الماء فتصير كالحجارة ثقلاً وصلابة ، فتعوضوا بها عن حجارة المجانيق<sup>(٣)</sup> فلا يزالون<sup>(٤)</sup> على البعد منها إلى أن استكملوا آلاتها . ثم إن دوشي خان<sup>(٥)</sup> وصل برجاله ما وراء النهر<sup>(٦)</sup> ، فراسلهم منسذراً ومخذراً ، ووعدهم الأمان إن سلّموها سلباً . وقال : إن جنكزخان قد أنعم بها عليه وأنه ضنين بتخريبها ، حريص على إبقائها عليه . وبما يدل على ذلك أن هذا العسكر ما تعرضوا له مدة مقامهم بالقرب منها إلى غارات رساتيقها تمييزاً لها عن غيرها بمزيد الرعاية ، ومزيد العناية ، وإشفافاً عليها من تعريضها للأنواء والإتلاف ما لم تصل إليها يد الإتلاف . قال ذوو<sup>(٧)</sup> النباهة منهم إلى المسالمة ، غير أن السفهة غلبوهم على رأيهم بإغرائهم ، ولا أمر للمغضى إلا مضيقاً .

(١) استعمل العرب المنجنيق منذ أيام الرسول ، ولا يعرف على وجه التحقيق أنقل العرب استعماله عن الفرس أم الروم . والمجانيق أنواع مختلفة أهمها ما يستعمل في (١) رى السهام ، إذ توضع في المنجنيق الواحد عدة منها وترى عنها بالأقواس إلى مسافات بعيدة وبقوة خارقة . (ب) رى الحجارة لهدم الحصون بالحجارة الضخمة . (ج) رى قدور النفط أو السكرات المشتعلة من النار اليونانية . (د) رى العقارب أو سلال الرماد وغيرها من الرمم المعفنة . انظر كتاب السلاح في الاسلام للقاء مقام عبد الرحمن زكي ، ص ٥٨ — ٥٩ .

(٢) راجع ص ١١٤ حاشية ٤ . (٣) في الأصل : المجانيق .

(٤) في الأصل : يزالوا . (٥) المقصود هو جوجي بن جنكيزخان .

(٦) أي إلى الجهات الواقعة شرق نهر جيحون ، وقد وصل جوجي إلى هذه الجهات بعد أن أخضع الكثير من المدن التي وكل إليه إخضاعها والواقعة على نهر سيجون . فالثابت أنه بعد أن أخضع هذه المدن ووضع عليها حكماً مخلصين ، أصدر أوامره إلى جنوده بالعبور إلى خوارزم . انظر D'ohsson : Op. cit., t.i, pp. 221—223 .

(٧) في الأصل : ذوو .

وكان السلطان يكاتبهم وهو بالجزيرة أن لأهل خوارزم علينا وعلى سلفنا من الحقوق المتلاحقة ، والسوائف الحاضرة والسابقة ، ما يوجب علينا النصح لهم ، والإشفاق عليهم ، وهذا العدو عدو غالب فعليكم بالمسالمة والطريق الأرفق ، ودفع الشر بالوجه الأوفق . فغلب السفية على رأى النبوة ، ولم ينفع ما قدم من التنبيه ، وخرج الأمر من أيدي ذويه . فساق دوشى خان إليها فى البحر الخضم ، إلحاقاً الفرد بالأعم ، وأخذ يطويها محلة فمحلة ، فكان إذا أخذت واحدة منها التجأ الناس إلى أخرى يحاربون أشد حرب ، ويدبسون عن أنفسهم وعن حريمهم أتم ذب ، إلى أن أعضل الأمر ، وكشر عن نابه الشر ، ولم يبق معهم إلا ثلاث محال تراكت الناس فيها متزاحمين ، أرسلوا حين أعيتهم الخيل ، وضاعت بهم السبل ، إلى دوشى خان ، الفقيه الفاضل على الدين الخياطى محتسب (١) خوارزم ، وكان السلطان يحترمه لفضيلتى العلم والعمل ، مستضعفاً ومستشفعاً ، الآن وقد نشبت أظفاره ومخالبه ، ودميت أنيابه وترايبه ، فهلا ذلك قبل ظهور الاضطرار ، وانقضاء مدة ملك الخيار . وأمر دوشى خان باحترامه ، وأن ينصب له خيمة من خيامه ، فلما أحضر ذكر فى جملة ما قال : إننا قد شاهدنا من هيئة الخان وقد آن أن نشاهد من مرحمته . فاستشاط اللعين غضباً ، وقال : ماذا رأوه من هيبتى وقد أفنوا الرجال ، وطاولوا القتال ، فأنا الذى شاهدت هيبتهم وها أنا الآن أريهم هيبتى . وأمر فأخرج الناس فرادى وثباتاً (٢) ، وجموعاً وأشتاتاً ، وودى بانفراد أرباب الصنائع وانعزلهم

(١) كانت وظيفة المحتسب من الوظائف ذات الشأن عند المسلمين بوجه عام . إذ كان للمحتسب نواب يطوفون فى الأسواق فيفتشون القدور والاعوجم وأعمال الطهارة ويلزمون رؤساء المراكب ألا يحملوا أكثر مما يجب حمله من السلع ، ويشرفون على السقاين لضمان تعطيهم القرب ، وليس السراويل بما لا ينافى الآداب العامة ، ويعنون معلمى الكتاتيب من ضرب الصغار ضرباً مبرحاً . . . واتسعت سلطته حتى ألزم رجال الشرطة أن يقوموا بتنفيذ أحكامه . انظر كتاب النظام الاسلامية للدكتور حسن ابراهيم حسن ، ص ٣٥٥ .

(٢) ثباتاً : جمع ثبة وهى الجماعة أو الفرقة ، أى جماعات جماعات .

ناحية ، فمنهم من فعل ونجما ، ومنهم من اعتقد أن أرباب الحرف تساق إلى بلادهم وغيرهم يترك في وطنه ، فيقيم بمسكنه وعطنه ، فلم ينفرد ، ثم وضعوا فيهم السيوف بل المعاول والفؤوس<sup>(١)</sup> ، إلى أن أضجعوهم على العراء<sup>(٢)</sup> وجمعوهم في حيز<sup>(٣)</sup> القناه<sup>(٤)</sup> .

(١) في الأصل : الفوس .

(٢) في الأصل : العرا .

(٣) نقلها هوداس Houdas عن النسخة الخطية « حز » ثم صححها في الطبعة الفرنسية حزز ، والواقع أن صححتها حيز .

(٤) صور ابن الأثير ما أصاب هذه المدينة تصويرا دقيقا في هذه العبارة : ثم أنهم [المغول] فتحوا السد الذي يمنع ماء جيحون عن البلد ، فدخله الماء ، فغرق البلد جميعه ، وتهدمت الأبنية ، وبقي موضعه ماء ، ولم يسلم من أهله أحد البتة ، فإن غيره من البلاد قد كان يسلم بعض أهله ، منهم من يختفي ، ومنهم من يهرب ، ومنهم من يخرج ثم يسلم ، ومنهم من يلقي نفسه بين القتلى فينجو ، وأما أهل خوارزم فن اختفى من التتر غرفة الماء ، وقتله المهدم ، فأصبحت خرابا يبابا . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ١٨٢ . وقد ذكر دوسون نقلا عن كل من رشيد الدين والجويني ، أنه قد وكل إلى كل جندي مغولي قتل أربعة وعشرين رجلا ، كما ذكر أيضا أن أصحاب الحرف والمهن الذين أرسلوا إلى مغوليا بلغوا مائة ألف رجل . ورغم أن هذه الأرقام تبدو فيها المبالغة ، فإنها تصور ما أصاب مسلمي هذه المدينة من محن . انظر D'ohsson : Op. cit., t. i, p. 269.

ذكر طلوع جلال الدين من الهند ووصوله إلى كرمان<sup>(١)</sup>

في سنة إحدى وعشرين وستمائة

وما جرى من الحوادث إلى أن ملك العراق

قاسى جلال الدين ومن معه من رزايا<sup>(٢)</sup> الأرواح المتخلصة ، من بين  
مشتجر الرياح في البرارى القاطعة بين كرمان والهند ، شدائد أنستهم سائر  
السكرب وأوردتهم بأجمعهم سواقي العطب ، وقد أعوزتهم في تلك القفار  
علالات الشفاه ، وبلاطات الأفواه ، فضلا عن الأقوات ، فكان الرجل  
يتنفس عندهبوب السموم ، تنفس المحموم ، فلم يزل<sup>(٣)</sup> نفسه بالسموم يرجع  
إلى أن ينقطع . فتخاض إلى كرمان في أربعة آلاف فيهم ركاب أبقار  
وحمير<sup>(٤)</sup> .

وكان بها براق الحاجب ينوب عن أخيه غياث الدين . وبراق هذا كان  
حاجبا لسكورخان<sup>(٥)</sup> ملك الخطائية ، ورد رسولا على السلطان مبدء المكاشفة  
بينهما ، فنتعه أن يعود إلى مرسله رغبة فيه ، فبقي محصورا بخوارزم إلى أن  
أورث الله السلطان أرضهم وديارهم ، وملك بلادهم وأمصارهم ، فأحضره  
« على به » ورتبه في جملة حجابيه ، إلى أن وضعت الأيام ما جنته<sup>(٦)</sup> أرحامه  
من فتنة التاتار ، لفظته الوقائع إلى أن خدام غياث الدين بيرشاه ، وهو

(١) حكم أتابكة كرمان من سنة ٦١٩ / ٥٧٠٣ = ١٢٢٢ / ١٣٠٣ م .

(٢) في الأصل : رزايا . (٣) في الأصل : تزول .

(٤) يجدر بنا أن نشير هنا إلى أوجه الشبه بين ماحدث لجلال الدين منكبرتي في هذه  
البلاد وبين ماحدث للاسكندر الأكبر من قبل بعد أن أخفق في الاستيلاء على بلاد الهند .

(٥) راجع صفحة ٤٣ حاشية ٤ . (٦) في الأصل : أجنته .

إذ ذاك صاحب كرمان ، فأواه وأكرمه ، وأفاض عليه فضله وكرمه ، وتوفر في اصطناعه ، والجذب بباعه . وحين لاح لغياث الدين تملك العراق لخلوها عن المزاحين عليها ، استناب براقاً بكرمان طمعاً في وفائه ، وتأميلاً على ذمامه وظناً منه بأن الصنعة عنده تثمر فلا ينكرها ، والنعمة عليه يشكرها فلا يكفرها ، ولم يعلم أن أعجز ماء يحاول أرضاً ذات دحل<sup>(١)</sup> ، وأجف<sup>(٢)</sup> نية من انطوى على بتل<sup>(٣)</sup> . فأقام المذكور بها يخاط طاعة بجفاه ويؤسر حسواً في ارتغاء<sup>(٤)</sup> ، وهلم جرثاً إلى أن رمت البرية بجلال الدين إلى كرمان ، فوجدته في ظاهر الأمر ولياً مطيعاً ، وصفيماً إلى الانقياد سريعاً<sup>(٥)</sup> . وأقام بكواشر ، وهي دار المملكة ومحل السرير ، شهراً إلى أن حدس منه أنه نوى غدراً ، وأضمر مكيدة ومكرراً ، شاور في أمره وجوه أصحابه ، وذوى الوفاء والحفيظة من نوابه وحجابه ، فأشار عليه أورخان بالقبض عليه واستصفاء مملكة كرمان والاستظهار بها على سائر الممالك والبقاع ، وكم امرىء بالرشد غير مطاع . وخالفه في هذا الرأي الوزير شرف الملك علي بن أبي القاسم الجندي المعروف بخواجه جهان ، وقال : هذا أول من بذل الطاعة من ولاة البلاد وزعماء الأطراف ، وليس كل واحد يتحقق غدرة ومكيدته ، ويتبين في الشفاق سريرته وعقيدته ، فلو

(١) الأعجز : الماء الكثير . والدحل : الأرض الخوارة اللينة التي يتداخل فيها الماء .

(٢) في الأصل : أصفا .

(٣) البتل : القطيعة .

(٤) مثل من أمثال العرب يقصدون به المسكر وإخفاء شيء وإظهار غيره . وقد قرأه هوداس خطأ عن النسخة الخطية : يسر حشوا في ارتقاء .

(٥) انظر ما كتبه عن أتابكية كرمان في كتابنا : الشرق الاسلامي قبيل الغزو المغولي ، ص ١١١ . وانظر سلسلة نسب أتابكية كرمان في صفحة ١٦٩ من نفس الكتاب . ويلاحظ أن براق الحاجب قد عمده إلى إظهار ولائه لجلال الدين فقدم إليه الكثير من الهدايا كما عرض عليه إحدى بناته ليتزوجها . انظر D'ohsson : Op. cit., t. i, p. 6 . نقل عما كتبه الجويني وصاحب تاريخ كزيبه .

غوجل جزء غُدرة ، نفرت القلوب ، واشمازت النفوس ، وتبدلت الأهواء ،  
وتغيرت الشيات والآراء . فرحل جلال الدين صوب شیراز<sup>(١)</sup> ، وورد  
عليه الأتابك علاء الدولة صاحب يزد<sup>(٢)</sup> مدعئاً له بالطاعة ، ومعلناً شعار  
التباعة ، فرحاً بإقبال مواكبه وطلوع كواكبه ، وأحضر من الخدم والتقاديم  
ما عمر به منزلته ، فلقبه أبا خان وكتب له توقيعا<sup>(٣)</sup> بتقرير بلاده .

وكان الأتابك سعد صاحب فارس قد استوحش من أخيه غياث الدين  
لإسمات<sup>(٤)</sup> سبق ذكرها ، فرغب جلال الدين في إصلاحه لنفسه ، وسير  
الوزير شرف الملك إليه خاطباً ابنته ، فأمرع إلى الإجابة والانقياد ،  
وجرى في حلبة المراد طلق الجواد . ورجع المذكور منجح الطلب ، مقضى  
الأرب ، كريماً يتقبل كريمة<sup>(٥)</sup> ، ويحمل من صدف الملك إلى شرف السلطنة  
درة يقيمة . فاستظهر جلال الدين بمصاهرته ، وقويت العزائم بمظاهرته<sup>(٦)</sup> .

ثم تقدم من شیراز إلى أصفهان فخرج إليه القاضي ركن الدين مسعود بن  
صاعد خروج ظمآن إلى مشاهدته ، مرتاح لمساعدته ومعاضدته ، هووى  
منه لم يرض بزمام وحطام ، وولاء لم يدلك بإسراج وإلجام ، وفات  
أصفهان أفلاذ كبدها إليه ، من عدد للجند مصنوعة ، وآلات للحرب  
مجموعة . فطابوا نفوساً ، حين وجدوا مركوباً وملبوساً .

ولما سمع غياث الدين بتورطه وتوسطه ، ركب إليه فيمن تكسفهم  
رعايته ، وتظلم رايته ، من بقايا المساكر السلطانية زهاء ثلاثين ألف  
فارس ، لطرده عما رامه ، وصرف إليه اهتمامه . فرجع جلال الدين بحزبه  
حين سمع بقربه ، آيساً مما ظمحت إليه نفسه من مآربه ، يائساً حزيناً على  
فوات مطالبه ، وسير إلى غياث الدين « أدك » أمير آخور وكان من

(١) شیراز : حاضرة أتابكية فارس .

(٢) يزد : إحدى مدن فارس وتقع على بعد سبعين فرسخاً من شیراز .

(٣) في الأصل : توقيع .

(٤) في الأصل : لاسات .

(٥) في الأصل : ينقل كريمة .

(٦) في الأصل : بمظاهرته .

دهاة خواصه ، يقول : إن الذي قاسيته من الشدائد الفادحة بعد السلطان<sup>(١)</sup> ،  
لو عرضت على الجبال لأشفقن أن يحملنها ، واستثقلنها فأبيتن أن يقبلنها ،  
وحين ضاقت على الأرض بما رحبت ، وانتفضت يدي عما ورثت وكسبت ،  
قصدتك لأستريح عندك أياماً ، وحيث علمت أن ليس عندك للضيف إلا  
ظبي السيف ، وللوارد النزيل سوى الصارم الصقيل ، رجعت بظاء من  
السيوف حلات عن المناهل ، وردت كما أتت ببلايل . وسير إليه تولى خان  
ابن جنسكرخان وفرسه وسيفه ، وكان قد قتل في المصاف بيروان على  
ما شرحناه<sup>(٢)</sup> .

فلما سمع غياث الدين بالرسالة ، انصرف منحطفاً ، وعاد إلى الري  
منحرفاً ، وتفرقت عساكره في المصايف . وكان جلال الدين سيّر صحبة  
رسوله عدة خواتيم ، وأمر بإبصالها إلى جماعة من الأمراء السلطانية  
علامات منه ، يمنهم الاحسان ، ويزين بوعده اللسان ، مستميلاً لهم عن  
أخيه ، وممدأ من البر دونهم أو أخيه<sup>(٣)</sup> . ففهم من تناول الخاتم وسكت ،  
وأجاب إلى الانقطاع إليه والتقاعد عن نصرة أخيه غياث الدين ، ومنهم  
من سارع به إلى غياث الدين فناوله الخاتم ، فعند ذلك أمر بالقبض على الرسول  
المذكور والاحتياط عليه ، وبادر إلى خدمة جلال الدين أبو بكر ملك ، وهو  
من بني أخواله ، والمتجنبين على قتاله . وذكر أن القلوب إليه مشتاقة ، وإلى  
لقياه توافة ، وإلى لقاء الجمال بارتهان رضاه . فركب جلال الدين في ثلاثة آلاف  
ضعاف<sup>(٤)</sup> متوكلاً على الله وحده ، منتجزاً في النصر وعده . وسار سير

(١) علاء الدين محمد خوارزم شاه . (٢) راجع ص ١٥٤ حاشية ٨ .

(٣) أو أخيه : أو امره .

(٤) قرأ هوداس Houdas هذه الكلمة في النسخة الخطية «ضعاف» ، ثم عدلها في الطبعة  
الفرنسية إلى «ضعاف» ، والواقع أن القراءة الأولى هي الصحيحة .

السحاب يحثه ريح الجنوب في رجال لوراموا الوعور<sup>(١)</sup> فوعول<sup>(٢)</sup> ،  
أو قصدوا السهول فسيول ، قد كرت عليهم<sup>(٣)</sup> التجارب ، ونيتهم<sup>(٤)</sup>  
الدواب . حتى أناخوا بعقوته مطلقين الأئنة في ليل من القسطل كوا كبه  
الأسنة ، فعجل غياث الدين عن التدبير ، وفوجيء<sup>(٥)</sup> عن التغير ،  
فلما أتاه المنذر ركب فرس النوبة<sup>(٦)</sup> إلى قلعة سلوقان ، ودخل جلال الدين  
خيمته وبها بكلواى والدة غياث الدين ، فاستوفى لها أدب الخدمة . وشرط  
التعظيم والحرمه ، وأنكر انزعاج غياث الدين وإخلاءه مكانه ، وقال : لم  
يتول من بنى أبى سواه ، وأناله فيما يميل إليه ويهواه . وإنه اليوم عندي  
بمنزلة العين الناظرة<sup>(٧)</sup> أو أعز ، واليد الباطشة أو أعز ، فسيرت إليه من  
سكن روعه وأزال<sup>(٨)</sup> روعه ، فعاد إلى الخدمة . نعم ونزل السلطان في  
حدقة الحلقة<sup>(٩)</sup> منزلة السلاطين والخانات ، والأمراء يأتونه بالأكفان على  
الرقاب ، يعقرون<sup>(١٠)</sup> وجوههم في التراب ، فيقفون بين يديه استغفاراً  
عما سبق من جريمة الاسعاد<sup>(١١)</sup> عليه اعتذاراً ، وهو يسمعهم من العفو .  
ما يعيد أبد أنسهم<sup>(١٢)</sup> ، ويزيل حادث بأسهم . وصفت له شراب الملك ،  
ودرت عليه أحلاب الولايات ، واثالث إليه كتابين المدن والقلاع ، فلم  
يمض إلا أدنى مدة حتى حضر يابه من كان بخراسان والعراق ومازندران  
من المتغلبين ، هيبة منه ، استنزلهم من قنن<sup>(١٣)</sup> قلاعهم ، واستجذبهم من  
أبعاد بقاعهم . فتواردوا من غير استدعاء ، ففهم من حسنت في أيام

(١) الوعر : المكان الصعب .

(٢) في الأصل : فرعول . والوعل حيوان يسكن قم الجبال .

(٣) في الأصل : كرتهم . (٤) نيسب الرجل السهم ، عجم عوده .

(٥) في الأصل : وقوضى . (٦) انظر ص ٦٥ حاشية ١ .

(٧) في الأصل : للناظرة . (٨) في الأصل : واثالث .

(٩) حدقة الحلقة : وسطها . (١٠) في الأصل : يغفرون .

(١١) كذا في الأصل . (١٢) في الأصل : ايد .

(١٣) قنن : أعلى .



الفتنة<sup>(١)</sup> سيرته ، فأعيد إلى مكانه . ومنهم من ساءت طريقته ، فأذيق وبال طغيانه . وكانوا قبل قد أقاموا حجة على اشتداد منهم ، يمتنون غياث الدين بالخطبة المجردة. وهلك بقايا الأشباح في تجاذبهم ، ورزايا<sup>(٢)</sup> الأرواح عند تسالبهم . فأفرجت أيام السلطان عن الناس الكرب ، وأطفأت من نيران الفتن ما التهب ، وتفرقت الوزراء العمال في الأطراف بالتواقيع السلطانية فضبطوها<sup>(٣)</sup> .

---

(١) في الأصل : الفترة . (٢) في الأصل : رزايا .

(٣) انظر كتاب D'ohsson: Op. cit., t. iii, pp. 3-9.

## ذكر نبرد من سيرة غياث الدين في الملك

ولما كان السلطان بالهند مكابداً ما ذكرناه من مداومة الكفاح ، وملاقاة الصفاح ، والسهم بالوجه الوقاح ، انضوى إلى غياث الدين من شداد عسكر أبيه من كتتمته الأجام<sup>(١)</sup> وحمته الأعلام<sup>(٢)</sup> . وساق بهم إلى العراق فلما كان ، وأقيمت له الخطبة بخراسان والعراق ومازندان على ما ذكرناه ، ولد كل متغلب بمكانه لا يحمل أتاوة ، ولا يظهر إلا بالقول طاعة . فاستولى تاج الدين قمر على نيسابور وما حوّلها من أعمالها ، على شعث حالها ، ونقصان أموالها . وتغلب يلتقو بن إياجي بهلوان على شيراز ويهتي<sup>(٣)</sup> ومضافاتهما . وتملك شال الخطاي جوين<sup>(٤)</sup> وإلجام<sup>(٥)</sup> وبأخرز<sup>(٦)</sup> وما يتاخمها . واستولى شخص من الاسفيسالارية ، وقد تلقب بنظام الدين ، على اسفراين<sup>(٧)</sup> وبندوار<sup>(٨)</sup> وما يليهما . وآخر ، وكان اسفيسالاراً تو حش أيام السلطان الكبير<sup>(٩)</sup> يعرف بشمس الدين علي بن عمر ، [ علي ] قلعة صلول ، واشتعلت جذوته<sup>(١٠)</sup> ، وتوالت الحروب

- (١) الأجام : جمع أجمة وهي مأوى الأسد . وفي الأصل : عسكر أبيه كتتمته الأجام .  
 (٢) الأعلام : الجبال .  
 (٣) يهتي : ناحية من نواحي نيسابور . ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ص ٣٤٦ .  
 (٤) جوين : إحدى مقاطعات فارس ، وينسب إليها علاء الدين عطا ملك الجويني صاحب كتاب جهانگشا . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ص ١٨١ .  
 (٥) إلجام : ناحية من نواحي مدينة هراة .  
 (٦) بأخرز : كورة ذات قسرى كثيرة بين نيسابور وهراة . ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ص ٢٨ .  
 (٧) اسفراين : قرية حصينة من نواحي نيسابور . ياقوت : ج ١ ص ٢٢٨ .  
 (٨) بندوار : مدينة قريبة من اسفراين .  
 (٩) علاء الدين محمد خوارزم شاه .  
 (١٠) في الأصل : جذوته .

بينه وبين نظام ، وهلك فيهما خلق كثير . وعاد اختيار الدين زنسكي بن محمد بن عمر بن حمزة إلى نساء ، وقد كان المذكور وإخوته وبنو أعمامه بخوارزم تسع عشرة<sup>(١)</sup> سنة ممنوعين من الخروج ، فعاد إلى ما أورثه أبوه فلما حكمها ، ولم تطل أيامه بها ، وأقام مقامه بها بعد ابن عمه نصره الدين حمزة بن محمد بن حمزة بن عمر بن حمزة ، واستولى تاج الدين عمر بن مسعود ، وكان من التركان ، على أبيورد<sup>(٢)</sup> وخرقان<sup>(٣)</sup> إلى ما يلي مرو وعمر قلعة مرغة ، وقد كانت تناوح<sup>(٤)</sup> السماء ، وتناطح الأفلاك .

هذا حال خراسان ، وعلى هذا القياس كان أمر مازندران والعراق ولا حاجة إلى التطويل ، وغياث الدين متوفر على لذاته ، منهمك في أهوائه وشهوته ، لا يشهد مقاماً محموداً ، ولا يشهر حساماً مغموداً . وقد تجرد أثناء ذلك إليه من التاتار عشرة آلاف فارس فلم يثبت لهم ، وحين سمع بهم تسحب إلى الجبال مفرجاً لهم عن العراق ، فقتلوا أوطارهم من النهب والقتل والإحراق . ولما رأى الأتراك وهيه<sup>(٥)</sup> في السياسة ، أظهروا الفساد وخرّبوا<sup>(٦)</sup> البلاد ، وجزروا<sup>(٧)</sup> على ما أبقته التاتار من أرماق العراق ، فكانوا يأتون الضيعة فيكننون حولها حتى تصبح الرعية ، فتخرج مواشيتها فيسوقونها إلى المدينة نهاراً جهاراً ، والرعية تستغيث فلا تغاث ، وكائن كان صاحب الثور يتبع ثوره فيشتريه مراراً<sup>(٨)</sup> ، إذ لا يقع له أرخص من ذلك . هذا كله لرخاوة كانت في عنان تدبيره ، وإلا فكان رحمه الله شهما في نفسه ، مجرباً كالسيف القاطع بل أمضى ، والبدر اللامع بل أضوا .

(١) في الأصل : تسعة عشر .

(٢) راجع ص ١٣٧ حاشية ٥ .

(٣) بلدة من نواحي بسطام . راجع ص ١٠٥ حاشية ١ .

(٤) في الأصل : تناطح . (٥) وهيه : ضعفه .

(٦) في الأصل : وخرّبوا . (٧) جزر الشاة : نحرها .

(٨) أى وكثيراً ما كان صاحب الثور الخ .

وحيث انقطعت مواد الأموال عن خزائنه ، اضطر (١) إلى إسكات الأتراك بالسكوت، وكان إذا لجَّ بعضهم في السؤال، وألحَّ في الطلب يرضيه بزيادة في لقبه ، فإن كان أميراً يلقبه ملكا ، وإن كان ملكا يلقبه خانا (٢) ، يمضى بهذا الوجه وقتا ، ويعبر زماناً ، فكان أبو بكر الخوارزمي وصف حاله بقوله (٣) :

مالي رأيت بني العباس قد فتحوا من السكنى ومن الأسماء أبوابا  
ولقبوا رجلا لو عاش أو لهم ما كان يجعله للحش بوابا  
قلّ الدراهم في كفيّ خليفتنا هذا فأنفق في الأقاليم ألقابا  
وتحكمت والدته فيما كان تحت ولايته ، وتلقبت بخداوند جهان (٤) أسوة  
بوالدة السلطان (٥) ، ترکان خاتون . وبلى الناس بخباط ، واعتراض واختلاط .  
فمن خصام ينفق أسواقه (٦) فلا يكسد ، وتهب رياحه فلا يركد (٧) . وزحام  
يتصل مواده فلا ينقطع ، ويطبق غمامه فلا ينقشع ، فالناس دائماً (٨) بين  
تباين وجدال ، وتباعد وقتال ، إلى أن منّ الله تعالى عليهم بطولع السلطان  
من الهند فانصالح الزمان ، وانزجر مفسده وناهيه ، وارتدع لصدّه وحاربه .  
لقد بث عبد الله خوف انتقامه على الليل حتى ما تدب عقاربته (٩)  
وحيث ورد ذكر شرف الملك ، فلا بد من تقرير منشأه ومبدأ حاله ،  
وانتقاله من رتبة إلى أخرى أعلى منها شأناً ، وأرفع مكاناً إلى أن تقلد الوزارة .

(١) في الأصل : واضطر .

(٢) راجع ما كتبناه عن لفظي خان وملك في صفحة ٣٨ حاشية ٤ .

(٣) لما كان أبو بكر الخوارزمي ( ٣٢٣/٣٨٣ هـ = ٩٣٤/٩٩٣ م ) قد عاش في عصر كان البويهيون يسيطرون فيه على الدولة العباسية ، ويتحكمون في الخلفاء أنفسهم مما دفع هؤلاء الخلفاء إلى إرضائهم بشئ الوسائل والأساليب ، منها الإسراف في منحهم الألقاب ، فمن المحتمل أن يكون الخوارزمي قد قصد بهذه الأبيات أن يصوّر هذا المظهر في حياة العباسيين في ذلك الوقت .

(٤) أي سيدة العالم . (٥) علاء الدين محمد خوارزم شاه .

(٦) نفقت السوق : راجت . (٧) في الأصل : فلا يركز .

(٨) في الأصل : دابيا . (٩) الشعر لأبي تمام في مدح عبد الله بن طاهر .

ذكر نخر الدين علي بن أبي القاسم الجندی  
إلى أن تقلد الوزارة<sup>(١)</sup>  
ولقب بشرف الملك خواجه جهان<sup>(٢)</sup>

كان المذكور قد ناب عن المستوفي في ديوان جند<sup>(٣)</sup> برهة ، وهو أول  
أشغاله ، وبداية تصرفاته وأعماله ، ثم تولاه بعده استقلالاً ، وكان الوزير  
بها يومئذ نجيب الدين الشهرزوري المعروف بالقصة دار . والقصة دار هو  
الذي يرفع إليه القصص . بالحاجات والظلمات أيام الأسبوع فيجمعها  
ويوصلها إلى موقف العرض ليلة الجمعة عند فراغ السلطان لها ، فيأخذ أجوبتها ،  
وذلك من المناصب الجليلة عندهم . وكان ابنه<sup>(٤)</sup> بهاء الدين حاجي يتوب  
عنه وزير آبخند . ونجيب الدين هذا قد سحب السلطان وخدمه في هذا المنصب  
أيام كان السلطان صاحب الجيش بخراسان ، وفي هذا المنصب من الارتفاع  
والانتفاع موادعة ممنوعة ، وإمداد غير مقطوعة ، فلما تمكن نخر الدين [من]  
منصب الاستيفاء<sup>(٥)</sup> بخند ، طمحت همته إلى مغالبة نجيب الدين ومسالمة  
وزارة جند ، فرفع عليه مائتي ألف دينار تناولها مدة مباشرة . وحكى رحمه  
الله في بعض مجالس الأانس أيام خواجه جهانيته ، قال :

لما عزمت على الرفيعة علي المذكور ، شاورت في إمضاء العزيمة عدة  
من أكابر الصدور ممن لم يأل في نصحي ، ولا يقيس<sup>(٦)</sup> نجيحه ونجحي<sup>(٧)</sup> .

(١) راجع صفحة ٨١ حاشية ٣ (٢) أي سيد العالم (٣) راجع صفحة ٧٧ حاشية ٣ .  
(٤) قرأها هوداس Houdas في النسخة الخطية « أبوه » ثم عدلها في الطبعة الفرنسية .  
(٥) كان المستوفي من كتاب الأموال بالدواوين ، وعمله ضبط الديوان التابع له والتبنيه على  
ما فيه مصلحة من استخراج أمواله ونحو ذلك . وقد بقى اسم المستوفي في بلاد فارس إلى القرن  
التاسع عشر الميلادي وكان يطلق على كبار كتاب المالية . انظر المقرئ : السلوك ، ج ١ قسم  
١ س ١٩٢ حاشية ٢ .

(٦) في الأصل : بفروس . (٧) في الأصل : نجيحه ونجحي .

فما زادوا على إلا الإنذار ، وقولهم حذار حذار ، لعلمهم بمعمور محله ،  
ومقبول كنيته ، وتمسكه في الدولة بسابقتي خدمته وقدمته . فلم ينفه ذلك  
عما شرهت إليه النفس الأماره ، ومن مغالبتها على صدر الوزارة ، فرفع (١)  
القدر المذكور ، وأثبتوه في الديوان ، وأنهوه إلى السلطان . وقد جلس  
ذات يوم جلوسه العام ، فدخلت فيمن دخل ، ووقفت في أخريات الناس ،  
فرأيت نجيب الدين واقفاً بقرب (٢) السير ليس فوقه إلا عدد يسير ، وهو  
مطرق مفكر ، مخاطبه السلطان وقال : مالي أراك نجيب الدين مفكراً ،  
ولملك تظن أن الذي رفع عليك من القدر أنزى يحط عندي من قدرك ،  
وأيم الله وتربة والدي السلطان لم أطالبك بشيء مما رفع عليك ، بل جعلته  
وهبة مني لولئك بهاء الملك حاجي . فقبيل نجيب الدين الأرض ، فتيبنت عظم  
محله ، وبهت (٣) لأجله وارتعت ، ورجعت أجز رجل على الأرض رعباً  
تمسكن من جلدي ، وذعراً أوهن خلدي (٤) ، ساقطاً في يدي على ما ارتكبته  
من معاداة من هو أعلى مني يداً ، وأورى في السعادة زناً ، فضت لي أيام  
في خوارزم كالليالي سواداً ، وليالي (٥) كالأيام سهاداً . إلى أن برز الأمر  
السلطاني بتقليدي وزارة جند ، فزال ما بي من الكمد ، والتهب من السرور  
ما قد خمد . نعم فتقلدها أربع سنين وأكثر من محدثات العسف ، وأثقل كواهل  
الرعية بالحيف . فصاروا في أيامه أعزى من الصخر معصوراً ، والسيف  
مشهوراً ، والغصن مخبوطاً ، والدجاج على السفود مر بوطاً . واتفق بعده عبور  
السلطان على جند صامداً (٦) صمد بخارا ، فتبادروا إلى مفصل الظلامات (٧)  
صارخين كما يقيق في الجو بنات الأعداد (٨) ، وجمهور في الشعب جميع البلاد .

(١) في الأصل : فرفت . (٢) في الأصل : يقرب .

(٣) في الأصل : بهت . (٤) خلدي : قلبي وبالي .

(٥) في الأصل : ليالي . (٦) صامداً : قاصداً .

(٧) في الأصل : الطلاعات . وقد قرأها هوداس Houdas قراءة صحيحة في موضع آخر .

انظر ص ٢٣١ من طبعة هوداس العربية .

(٨) في الأصل : الحوانيات . وفاق الدجاجة ، صوتت . والمقصود بينات الأعداد ، جماعة الدجاج .

فمن قاتل<sup>(١)</sup> نهب ماله وأخرج عياله ، ومن آخر غضب عليه موروث  
أملاكه فأفضى به إلى هلاكه ، ومن مشنع أشعلت نار التهديد في حشاه ،  
فأطفأها برشاه .

فأذن لهم السلطان في إحراقه بنارهم ، تبريد آلاوارهم ، وإراحة لأسرارهم .  
فاستخفى المذكور وتوارى ، وانزح منها إلى بخارا . فظفروا بنائبه فأحرقوه  
وتسحب نثر الدين من بخارا إلى ناحية الطالقان وأقام بها مستخفيا خبره ،  
معمياً عينه وأثره ، إلى أن رمت الحوادث التاتارية بجلال الدين إلى حدود  
غزنة - على ما سبق شرحه - بادر إلى الباب ، وتوَّسب في جملة الحجاب .  
وكان لسناً جلدأ ، مقداما على السلطان ، منبسطا في الكلام ، فصيحاً في  
اللغة التركية .

واستمرت به الحال في الحجوية إلى أن حدث من الواقعة بماء السند  
ماقدمنا ذكره ، فهلك أرباب الدولة ما بين قتيل وغريق ، وتلف الوزير  
شمس الملك شهاب الدين ألب الهروي على يد قباجة ، حسبما تقدم ذكره ،  
وخلا صدر الديوان عن يقوم بضبط ما ملكوه من ديار الهند وتديرها ،  
والنظر في أحوالها وأمورها ، فأقيم المذكور في صدر الوزارة نائباً عن  
ترشح فيها يعدها ، فساعدته المقادير حتى استمر في الأمر ، ونال الرتبة  
التي طالما يتناحر<sup>(٢)</sup> عليها كباش القروم<sup>(٣)</sup> ، وسادات الصدور ، فلم يحظ  
بها إلا العدد اليسير الذين سار ذكرهم في الآفاق ، واعترفت لهم رجالات  
خراسان والعراق . فعلا أمره ، وارتفع قدره ، واستغنى بعصام المروة<sup>(٤)</sup>  
عن عظام النبوة<sup>(٥)</sup> ، فلم يزاحمه أحد على ما كان بصده إلا بُلى بنكبة ، وخاب  
شر خبيثة .

وكان السلطان مع تمسكه وبسط يده في ارتفاعات الأقاليم يبذرها

(١) في الأصل: قاتل . (٢) في الأصل: طال ما يتأخر . وتناخر القوم تخصصوا .  
(٣) القروم جمع قروم وهو السيد العظيم في قومه . (٤) المروة : الحجر الصلب يورى النار .  
(٥) النبوة : الجفوة والبعد .

كيف شاء ، لم ينزله منزلة الوزراء ، فلم يخاطبه إلا بشرف الملك . وكان من عاداتهم أن يخاطبوا وزراءهم بخواجة<sup>(١)</sup> ، وأن يجلسوهم على إيمانهم عند الإذن العام . وكان المذكور يجلس مجلس الحجاب بين يدي السلطان أيام وزارته ، وكان لا<sup>(٢)</sup> يجلس إلا على السباط العام . ومن عادة من لقب بنظام الملك أن يجلس على الخوانجاة الخاصة ، وكان من تقدمه من الوزراء يجلس في دار الديوان في الدست الأسود ، ولم يكن شرف الملك يجلس في الدست في دار الديوان ، بل<sup>(٣)</sup> كان له دست في داره إذا رجع من الديوان يجلس فيه . ومن عادة من لقب بالنظام أنه إذا كان في دست الوزارة لا يقوم لمن يحضر وإن كان ملكا ، لإجلال المنصب ، وحفظا لتناموس المحل ، إذ هو قائم مقام السرير . وكان شرف الملك يقوم لأرباب المناصب وهو في صدر الديوان . وكانوا يحملون لمن يقدمه من كبار الوزراء إذا ركب أربع حراب مغطاة<sup>(٤)</sup> بالنصب بالذهب ، ولم يأمر له السلطان بذلك . وسيجيء باقي أحواله متفرقة في مواضعها ، إلى أن تقاضاه الزمان بدينه فجرّعه كأس حينه<sup>(٥)</sup> ، فلدح بالواحد الغفار ، إن الكرام قليلة الأعمار .

(١) خواجة : كلمة تركية معناها سيد . راجع ص ٨٢ الحاشيتين ٣ ، ٤ .  
(٢) في الأصل : وكان لم .  
(٣) في الأصل : بلى .  
(٤) في الأصل : مغطى .  
(٥) حينه : هلاكه .



## ذكر سبب وصولي إلى أبواب السلطان واستمرارى فى الخدمة

كان الملك نصره الدين حمزة بن محمد بن عمر بن حمزة لما ورث نساء من ابن عمه ، على ما شرحته ، استثنانى فى أموره ، وعول علىّ فيما كان بصدد تدبيره . وكان المذكور فى الفضل سحرآ ، وفى البذل بحرآ . وكان يحفظ سقط الزند لأبى العلاء ، واليمينى للعتبي ، والمخلص لفخر الدين الرازى ، والاشارات للشيخ الرئيس . وله بالعربية والفارسية أشعار مدونة ، فمن شعره وهو محبوس :

وإنى لنى قيد هذا الزمان      لكالدرد إذ بات حشو الصدف  
تحلى بقدرى جيد العلى      ونظم فضلى عقد الشرف  
وإنى على الرغم من حسدى      لأسلافى الصيد نعم الخلف  
وإن كان أنكر قدرى الزمان      فذاهفوة صدرت عن خرف (١)  
فمن أمم تنجلى غمى      كبدر الدجى بعد ما قد خسف  
وتأتى المقادير منقادة      يقولون عفوك عما سلف  
وأما ترسله فالسحر الحلال ، والعنذب الزلال ، يبرى بترّ (٢)  
الحنائل (٣) ، وقد عطرتها أنفاس الشمائل ، فما كتب إلى أيام مقامى  
بمازندان مع أينانج خان قبل انتقال الملك إليه ما أغرانى ، تذكر  
نجدآ ، وتلوى شوقآ ووجدآ ، وقد هاجت بهضة البرق الكليل ، وزفرت  
خفقة النسيم العليل ، فسسام منتضى (٤) ذلك بطرف أرتع فى مآقه

(١) فى الأصل : حرف . والحرف : فساد العقل من أثر الكبر .

(٢) النور : الزهر .

(٣) فى الأصل : الجمائل .

(٤) فى الأصل : منتضى . وانتضى الفارس سيفه ، استله من غمده .

اسراب الدمع ، وقتش أحياء هذا عن خبر يهفوا إليه السمع ، بأشوق منى  
إلى مناسبة أخبار المجلس الرفيع حشاشة المجد ، وريحانة الفضل ، وباكورة  
البراعة ، ومالك رق اليراعة . نشر الله رميم الفضائل بامتداد ظله ، وقد  
كنت قبل وارده (١) ألوم نفسى على التلوم منادم التندم وأنشد :

أترك ليلى ليس بينى وبينها سوى ليلة ، إنى إذا لصبور  
مستجيراً من التصارييف المولاعة بتفريق الأحياء ، فكيف وقد بعد  
الدار ، وشط المزار ، فالآن لا تعمل إلا بفالح برهه ، وراج ذكره . وقد  
توجه بعض خدمه تلقاء الخيتم الميمون ، فأوجب محض الخلوص إرسال  
نبذ من تباريح الصباية كى لا أثبت على حواشى النسيان . كيف وحسن العهد  
طوع سجيته ، والله تعالى يطيل بقاءه والسلام (٢) .

فهذا القدر على مبلغ القدرة ذاك وللبراد أقصد الإنصاف فى المدح  
والتقريظ محال . وقد برع فى علوم الأوائل ، مجموعة إلى سائر الفضائل ،  
فرغ لتحصيلها أيام تعريفه بخوارزم وكانت تسع عشرة (٣) سنة . وله فى  
النجوم أحكام قلما يتخرم (٤) ، فكان يقول عند إخفاء خبر السلطان وتوسطه  
أعماق بلاد الهند إنه سيظهر فيملك ويصلح ، وإن غياث الدين لا يفلح ،  
وإن طالعه لا يقتضى أنه يسعد ، وهذه ناره (٥) ستخدم . فكان لا يخطب  
لغياث الدين لهذا السبب (٦) منفرداً بتلك الشعار ، عن سائر زعماء الأمصار .  
فوقع بعد حين ما ذكر ، وجاء الأمر حسب ما حكم به وقذف ، لكن  
بعد هلاكة فكان كما قيل : حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء . فقد حكم بظهور  
السلطان واستقامة أموره ، ولم يعلم بهلاك نفسه قبل ظهوره ، فخاب الأمل  
وأخطأ الفسكر .

(١) فى الأصل : والدرام .

(٢) من الواضح ، كما يقول هوداس ، أن فى هذا الخطاب الكثير من العبارات والألفاظ الغامضة .

(٣) فى الأصل : تسعة عشر .

(٤) فى الأصل : يتخرم .

(٥) فى الأصل : نارة .

(٦) فى الأصل : بهذا السبب .

مملتي بالوصل والموت دونه إذا مت ظمآنًا فلا نزل القطر (١)  
ولما علم غياث الدين برأيه في السلطان واختياره عليه، ومسيره (٢) دون  
سائر أكفائه إليه، جرد إليه طواق بن أينانج خان في عسكر أبيه وأنجده  
بأرسالن خان وطائفة أخرى، وكانت من المتغلبين (٣) بالأطراف يأمرهم  
باتباع رأيه فيما قدّم وأخر، والشد على عضده فيما أورد وأصدر. وحين  
بلغ نصره الدين ذلك شاور نصحاءه في إزالة البوس، ودفاع الخطب العبوس.  
فكانت زبدة مخضهم أن وجهى إلى الأبواب الغيائية بقدر (٤) من المال لرد  
الفتنة الشاغرة، ولسد الأفواه الفاغرة (٥)، فتوجهت نحوها كارها، ثم  
صادفت (٦) ابن أينانج خان بحدود رعد ليلا، فتسترت بأذيال الليل البهيم (٧)  
بجفلا إجفال الظليم (٨)، بل هاربا كالنكليم (٩). فلما وصلت إلى جرجان،  
رأيت بظاهرها خياما فأخبرت بأنها للأمير كوج قندي، وصل من الأبواب  
الجلالية (١٠) متوجها إلى خراسان اينوب بها عن أورغان. وذكر ما حدث  
بالرى في زوال الدولة الغيائية، وتجدد الدولة الجلالية (١١). فمشيت إلى  
المذكور، وما أدري كيف أسير، وكذبت إليه من فرحى أطير. فجالسته  
طويلا، وسمعت للأحوال جملة وتفصيلا. ثم فكرت في الأمر، وعلمت  
أن لا وجه للعود، وابن أينانج لا يرده عن نساء، وقد تعلققت بها أظفاره،

(١) البيت لبشار بن برد . وفي الأصل :

مملتي بالوعد والموت دونه إذا مت عطشانا فلا نزل القطر

(٢) في الأصل : ومسيره . (٣) في الأصل : وكانت المتغلبين .

(٤) في الأصل : بصدر .

(٥) في الأصل : لردته الفتنة الشاغرة وأسدته الأفواه الفاغرة .

(٦) في الأصل : صادمت . (٧) في الأصل : اليهم .

(٨) الظليم : ذكر النعام . (٩) هو كليم الله موسى .

(١٠) نسبة إلى جلال الدين منكبرتي .

(١١) أى تقلص نفوذ غياث الدين بن علاء الدين محمد خوارزم شاه وسيطرة جلال الدين

منكبرتي على أراضى الدولة الخوارزمية بعد عودته من الهند .

إلا أمر سلطاني، فسرت إلى استراباذ<sup>(١)</sup>، وبها الملك تاج الدين الحسن يستعد لقصده الأبواب الجلالية، فعزمت على مرافقته، وجعلت أحشه على سرعة البدار. فبينما هو يتحمل، إذ وصلت غارة دناشمندخان - وهو من الغيائية ولم يدس بعد بساط السلطان إلى تخوم بلده - فانتفض عليه تدبيره وأجأتني الضرورة إلى العود إلى طريق بسطام، فعدت إليه وسرت إلى الري مخاطراً، ومنها إلى أصفهان مبادراً. وكانت الأخبار تتبعني بحصار نساء والتصنيق عليها فيحرم، أن أستريح، وأن أنتشق الريح. غير أني تعوقت بأصفهان شهرين اضطراراً لا اختياراً، إذ لا وصول إلى السلطان لأسباب من جملتها فساد اللر<sup>(٢)</sup> بالجبالي، وإخافتهم للطرق المفضية إلى السلطان، والاتابك سعد من القواعد المهيدة<sup>(٣)</sup>، والألفة الأكيدة، وهو معادي. ومنها التلوج وانسداد المسالك، وهلاك خلق من السابلة في تلك المهالك. فكنت أبيت بأصفهان « ببيان القدارى السركان قد،<sup>(٤)</sup> إلى أن أقبلت أيام الربيع بطيها، وفرشت الأرض بجلايينها، وتحركت رايات السلطان صوب أذربيجان<sup>(٥)</sup> وأقيمت مخيمه بتخوم همذان والسلطان غائب. وكان قد نهض لسكبسة الاتابك يغان طابيسى وهو ختن غياث الدين المزوج بشقيقته. ولما نصر<sup>(٦)</sup> الله السلطان على أخيه، ومذمك ما كان يجويه، تسحّب المذكور صوب أذربيجان يرى أنه يناضل عن دولة قد حم حامها،

(١) راجع ص ١٣٨ حاشية ٤.

(٢) يبدو أن هذا اسم لبعض القبائل، ولعلها تنتسب إلى جبال اللور أو بلاد اللور الجيبية (لورستان) وتفيد بين مدينتي تستر وأصفهان. ويسكن هذه البلاد خلق عظيم يمتازون بحفة حركاتهم. انظر القلقشندی: صبح الأعشى، ج ٤ ص ٣٤٢ - ٣٤٣.

(٣) المهيدة: المهيدة.

(٤) إن اختفاء النقط من هذه الأسماء في النسخة الخطية جملة من العسير كتابتها على وجهها الصحيح.

(٥) كان ذلك سنة ٦٢٢ هـ (١٢٢٥ م). انظر ابن الأثير: الكامل، ج ١٢ ص ١٩٨.

(٦) في الأصل: انصر.

وانقضت إيامها . وتعاضدا هو والأتابك أوزبك صاحب أذربيجان على خلاف السلطان (١) . وحين تحقق خفوق الرايات السلطانية صوبهما ، وحقوقها نحوهما ، سوّلت له نفسه البدار إلى العراق واغتنام خلوها عن السلطان . وبلغ السلطان خبره فكبس بهمندان ، ولما ظفر به أمنه وآواه ، ومهد له ذراه ، وختم بالخير عقباه ، وعاد إلى مضارب فرحا بحصول مآربه . وكنت قد قدمت إلى شرف الملك خواجه جهان قبل عود السلطان ما كان أصحبي نصره الدين برسم كريم الشرق وزير غياث الدين من الخدمة ، وهي ألف دينار ، فشكر ووعدني بتمشية الحال ، وقضاء (٢) الأشغال ، فأحسن المتاب ، وبرز الأمر السلطاني بتقرير بلاده مضافاً إليها ما كان يتاخها عدة نواح ، وقد عينوا من الخواص من يصحبي إلى نساء لطردين أينانج خان عنها وإحضاره للأبواب السلطانية ، فلم يكن إلا يومان أو ثلاثة (٣) حتى ورد الناعي بهلاك نصره الدين وأن ابن أينانج خان أخرجه من قلعة نساء فأحضره وصرعه كباداً (٤) لذوى الآمال ، وأضجعه عناداً للأحرار من الرجال . ونقل إلى ترابه بما شبابه (٥) ، فقامت نواعي المحمد يندبته جميعاً ، وبكيتته نجيعاً (٦) ، فظلمت بينهم صريعا ، وأنشدتم والقلب وجميع :  
قد كان لي في رأيه وذكائه أشراط (٧) صدق أن يموت سريعا  
وقد قابل ابن أينانج خان سوابق خدمتي والده بنساء وجرجان ، بقتل من ظفر به من الزامى ، ونهب ما وجد من أسباني وكبس بيتي بما جمعه إرثي واكتسابي .

(١) كانت الحالة الداخلية في أذربيجان من العوامل التي ساعدت الخوارزميين على السيطرة على هذا الأقليم ، فقد كان الأتابك أوزبك بن البهلوان حاكم هذا الأقليم رجلا مسناً ، منصرفاً إلى مجالس اللهو والعبث ، لا يهتم بمصالح بلاده ، بل إنه ترك مقاليد الأمور لزوجته التي أخذت تصرف شئون دولتها على قدر استطاعتها .

(٢) في الأصل : تضي . (٣) في الأصل : فلم يكن إلا يومين أو ثلاثة .  
(٤) قرأها هوداس Houdas في النسخة الخطية كباداً ، ثم عدلها في الطبعة الفرنسية كباداً ، والقراءة الأولى هي الصحيحة .

(٥) في الأصل : بما شبابه . (٦) النجيع : الدم .  
(٧) أشراط : أمارات وعلامات .

## ذكر مسير السلطان صوب خوزستان

بعد تمكنه من أخيه

لما تمكن السلطان من أخيه وصار معه كأحمد أمرائه ، يتصرف  
بتصاريه آرائه ، سار نحو خوزستان وأقام بها مشتتاً ، ووجه من هناك  
ضياء الملك علاء الدين محمد بن مودود العارض النسوى رسولا إلى الديوان  
العزیز . وكانت رسالته تتضمن تعنياً (١) وتعنياً (٢) ، وكان من قبل قد جرد  
جهان بهلوان إيلجى برسم السيزك (٣) ، فصادم المذكور عسكرا من عسكر  
الديوان وعربا من خفاجة ، فأوقع بهم ، وخرق (٤) الهيبة ، وهتك الحرمة ،  
وعادوا إلى بغداد بوجه غير مرضى ، وأرب غير مقضى .

وأحضرت منهم طائفة إلى الخييم السلطاني فأطلقوا ، ووصل ضياء الملك  
بعد هذه الحادثة إلى بغداد ، فأحل بمجهود الإكرام ، ومألوف الاحترام ،  
وطالت مدة المقام ، وأحف (٥) الناس فيه أقوالا تخميننا ، ورجموا بالغيب  
ظنوناً ، إلى أن ملك السلطان مراغة ، فأذن في العود موفور الحظ من

(١) في الأصل : تعنياً .

(٢) يجدر بنا أن نذكر في هذا المقام أن مهمة جلال الدين الأولى ، بعد توطيد نفوذه  
واطمئنانه إلى أنه لم يعد هناك من ينازعه السلطان ، هي أن يوجه عنايته إلى توسيم نفوذه على حساب  
القوى المتعددة القائمة في ذلك الوقت ، وأن ينتقم من أعدائه القدامى الذين لم يناصروا أباه إبان  
الغزو المغولي . وكانت الخلافة العباسية من أهم هؤلاء الأعداء الذين وقفوا في سبيل تقدم الدولة  
الحوارزمية في عصورها السابقة ، ولا شك أن الخليفة العباسي الناصر كان إلى حد ما من العوامل  
التي شجعت جنكيزخان على غزو الدولة الحوارزمية . لذلك وضع جلال الدين منكرتي نصب  
عينيه أن يوجه ضربته إلى الخليفة عدو أبيه وجدده ، فشرع في غزو خوزستان سنة ٦٢٢ هـ  
(١٢٢٥م) وكان هذا الاقليم تابعا له .

(٣) راجع صفحة ١٦٢ ، حاشية ٢ . (٤) في الأصل : أخرق .

(٥) أحفوا : ذكروه بالقبیح من الصفات .

الإنعام ، جزيل القسط من النابل العام . وحين كشف عن وجه الربيع قناع الشتاء ، رحل من نواحي بغداد نحو أذربيجان ، فلما أشرف على دقوقا صعد أهلها السور فصرحوا بالشتائم ، لما بلغهم من شنه الغارات على بلاد الديوان ، فأغاظه ما أسمعوه ، فأمر بالرحف عليها ، فلم يكن إلا حملة واحدة حتى صعدت الأعلام ، وترادف الزحام ، ووضعوا في أهلها السيوف؛ فإلى أن نودي بالكف هلك خلق كثير . وصمد<sup>(١)</sup> السلطان نحو أذربيجان ، فلما حاذى جبال همذان ، بلغه عبور يغان طاييسى من أذربيجان صوب العراق وجرى من الكسبسة عليه همذان ما قد سبق ذكره .

---

(١) صمد : قصد .

ذكر ملك السلطان أذربيجان<sup>(١)</sup>

لما انتظم يغان طايسى فى الخدمة ، و خات العراق من ينعم بفساد ، ويحكم  
بغير استقامة وسداد ، رحل السلطان صوب أذربيجان ، فلما قاربها وردت  
على شرف الملك كتب أهل مراغة حاثين عزائم السلطان بالمسير إليها ، خلاصا  
مما منوا به من شنوع الظلم ، واستيلاء أرباب الدولة ، وحكم النساء<sup>(٢)</sup> ،  
وتشبث أظفار الكرج بها ، وضعف الأتابك صاحبهم عن حماية بيضته ،  
والذب عن حوزته<sup>(٣)</sup> . فساق إليها ودخلها من غير مدافع ، وأقام بها أياما<sup>(٤)</sup> ،  
ووجه من هناك القاضى مجير الدين عمر بن سعد الخوارزمى رسولا إلى  
ملك الروم وملوك الشام بكتب تتضمن تملكه بلاد أذربيجان ، وقلعه  
ما تشبثت بها من أنياب الكرج بحدى سنانه وعضبه<sup>(٥)</sup> ، فذاتك برهانان  
من ربه وإعلامهم بأنه نوى غزو<sup>(٦)</sup> الكرج ، فيعركم نهبها وحرابا ، ويعرفهم  
أن للبيت ربا . وقد ضمها<sup>(٧)</sup> صدرا من الرغبة فى الموالاتة .

وفى نهاره ذلك فوض إلى كتابة الإنشاء ، فتقلدتها الإنساء على كره منى  
لذلك ، استحققاراً بها من قلة تجربة وعدم خبرة ، وذهولا عما فيها من مواد

(١) كان ذلك فى سنة ٦٢٢ هـ ( ١٢٢٥ م ) . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ١٩٩ - ١٩٩ .

(٢) كان أوزبك بن البهلوان حاكم أذربيجان قد ترك مقاليد أمور دولته إلى زوجته ، وهى ابنة السلطان طغرل بك آخر سلاطين السلاجقة فى العراق ، فأخذت تصرف شئون الدولة على قدر استطاعتها . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ١٩٨ .

(٣) فى الأصل : جورته .

(٤) استولى جلال الدين على مدينة مراغة دون صعوبة ، ثم أخذ يتوعد إلى أهلها بأن حاول أن يصلح من أحوالهم كما عمد إلى إصلاح ما تخرب من هذه المدينة فى أثناء الحرب . انظر كتابنا : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ١٧٧ .

(٥) العضب : السيف القاطع . (٦) فى الأصل : بيزو .

(٧) فى الأصل : ضمها .



متواصلة الأمداد ، وفوائد غير منقطعة المواد ، وجاه يعم نفعه وضره ، ويشمل عسره ويسره . وقد حصل لى فى يوم واحد من منافع الإنشاء وفوائده ، والسلطان بنخجوان (١) لقضاء (٢) أشغال أهل خراسان ومازندران ، مافوق ألف دينار . وأما مادون ذلك فى سائر الأيام فمادة لاتنقطع ، فصرت أقاتل من يزاحنى عليها . وانفصل بحير الدين عن الخدمة متوجهاً إلى الجهات المذكورة ، ولم يعد إلا بعد فتح تفلين (٣) .

ثم إن السلطان رحل من مراغة صوب أوجان (٤) ، وهى أرض معشبة ذات مياه جارية ، وقد خرّب التاتار مدينتها فى مبدأ خروجهم فأقام بها أياماً والناس يمتارون (٥) من تبريز ، وبها بنت طغرل بن أرسلان زوجة الأتابك أذربك فلم يمنعهم ، فجاءه من أهل تبريز من أطمحه فى تملكها ، فسار نحوها ، وحط عليها ، وأحاط بها من كل صوب . نخرج إليه الرئيس نظام الدين بن أخى شمس الدين الطغراني — وكان متحكما فيها يملك رقاب أهلها ، موالاة له ولأسلافه ورثوها عن آبائهم ، ومودة فيهم امتزجت بدمائهم — فساق إليها وتقدم إلى الأمراء بترتيب آلات الحصار من المجانيق (٦) والدبابات والسلام (٧) ، فأخذوا يقطعون أشجارها ، وهى كثيرة جداً ، فخرج بعد سبعة أيام من إحاطة السلطان بها ، رسول بنت السلطان طغرل فى طلب الأمان لها ولخولها وخدمها على أموالهم ودمائهم ، على أن تكون مدينة خوى (٨) مفردة باسمها ، وأنها تحفر إليها مصونة . فأجاب السلطان

(١) نخجوان : بلد فى أقصى أذربيجان . ياقوت : معجم البلدان ، ج ٨ ص ٢٧٣ .

(٢) فى الأصل : لطفى .

(٣) كان ذلك فى سنة ٦٢٣ هـ (١٢٢٦ م) . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ٢٠٧ .

(٤) أوجان : إحدى مدن أذربيجان .

(٥) يمتارون : يتحركون .

(٦) فى الأصل : المنجنيق .

(٧) فى الأصل : السلايم .

(٨) خوى : إحدى مدن أذربيجان الكبيرة بينها وبين ساهاش أحد وعشرون ميلاً ، كثيرة الخيرات والفاكهة ، وينسب إليها الثياب الخوية . ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ص ٤٩١ — ٤٩٢ . والفاكشندى : صبح الأمشى ج ٤ ص ٣٥٩ .

إلى ذلك وتسلم تبريز سنة اثنتين وعشرين وستائة . وسير السلطان خادمية  
الخاصين تاج الدين قليج وبدر الدين هلال خفارين<sup>(١)</sup> فأوصلاها إلى  
خوى بمن معها من أتباعها سالمين ، ودخل السلطان تبريز فملكها عفواً  
صغواً ، ونزل بدار السلطنة ، وولى الرئيس نظام الدين رئاستها ،  
واستمرت حال الطغرائي في نفاذ الحكم ، وقبول القول ، وما كان المذكور  
يخوض فيما يتعلق بالدولة وأموالها ، بل فيما يعود إلى مصالح الرعية  
ويرضيهم ، وتقوية صالحهم ووجيهم ، وزجر مفسدهم وسفيعهم ، من غير  
أن يتولى أمراً ، ويتقلد شغلاً ، إلى أن قبض عليه ، على ما يذكر في موضعه  
إن شاء الله تعالى (٢) .

(١) في الأصل : خفارين .

(٢) على الرغم من أن أهالي أذربيجان كانوا قد وقفوا في وجه الخوارزميين أثناء غزو  
جنكيزخان لبلادهم ، بل وناصروا المغول عليهم وقت محنتهم ، فإن جلال الدين قد تسامح مع  
أهالي تبريز ، وأحسن إليهم ، وأصلح ما خرب من هذه المدينة .  
انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ س ١٩٩ .

## ذكر كسر السلطان الكرج

لما ملك السلطان أذربيجان اجتمع الكرج<sup>(١)</sup> بموضع يعرف بكربي من حدود زون<sup>(٢)</sup> في ستين ألفاً ، مظهرين جلادة ومضميرين بلادة ، وقد أخذهم من مجاورته المقيم المقعد ، وملكهم المزعج المسكند . وكان قصدهم من الاجتماع إشعار السلطان بما عندهم من الشوكة والكثرة لعله<sup>(٣)</sup> يرغب في مهادتهم<sup>(٤)</sup> فيسلمون بهامن حَسْر<sup>(٥)</sup> العقاب ، ومر الخياب<sup>(٦)</sup> . واجتمعوا لذلك متجلدين ، وعلى زوال الدولة الأتابكية متجردين ، إذ كانت مصيدة وهم يقنصون فيها جملة وفرادى ومثنى<sup>(٧)</sup> وآحادا .

ولما بلغ السلطان اجتماعهم على مضغ الأباطيل بينهم ، كلف إليهم فيمن حضر من عساكره ، وقد كان أكثرهم تفرقوا إلى إقطاعاتهم بالعراق وغيرها ، فحين وصل إلى شاطيء نهر أرس<sup>(٨)</sup> وجد هناك أمراء اليزك

(١) أي أهالي جورجيا .

(٢) كذا في النسخة الخطيية ، ويذهب هوداس إلى أن المقصود بها هو زوزات Zauzân أحد أقاليم أرمينية .

(٣) في الأصل : لعل .

(٤) يجدر بنا أن نشير هنا إلى أن أهالي جورجيا قد قابلوا إعلان جلال الدين الحرب عليهم بالتعدي والاستهزاء ، إذ أرسلوا إليه يقولون : « إننا قد قصدنا التتر الذين فعلوا بأبيك ، وهو أعظم منك وأكثر عسكرياً وأقوى نفساً ، ما تعلمه ، وأخذوا بلادكم فلم نبال بهم » . ولم يفت ذلك في عضد جلال الدين ، بل جمع جيوشه وسار يوقع بهم الهزيمة تلو الأخرى . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ٢٠٠ .

(٥) الخياب : الخداع .

(٦) في الأصل : خرّ .

(٧) في الأصل : مثنأ .

(٨) هو نهر أراس Araxes ، ويصب في بحر قزوين . بمد أن يلتقي بنهر الكور Kur . وقد ورد ذكر هذين النهرين في صبح الأعشى باسم الرس والكُرس . انظر القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٤٠٢ . وانظر أيضاً خريطة « وسط آسيا » في كتاب : Bretschneider

Op. cit, vol. i.

ومقدمهم جهان بهلوان إيلجى وقوفاً ، فأعلموه بأن العدو بالقرب ، وأن فيهم كثرة ، فكان جوابه عما سمع أنه رفس فرسه فرمى به فى المخاض ، غير مبال بما ذكروه من قرب العدو وكثرته ، وتبعه العسكر . فلما وصل إلى كربى ، رأى السكرج نزولاً على نشز عال<sup>(١)</sup> ، جبلا على جبل ، وسواداً كليل أليل<sup>(٢)</sup> ، وقصارى ماشوهد منهم فى نهارهم<sup>(٣)</sup> ذلك زعقات تشق أستار النجم ، وتسمع آذان الصم . فراعته من كثرتهم ما يروع الذئاب من سوام الغنم ، والليوث الجياح من هوام النعم . واصطف حذاءهم تحت الليل فرتب الخيول ، قلباً مشجوراً بكمانه ، وميسرة مملوءة بجمانه ، وميمنة محفوفة برماته ، ولم يزل نهاره ذلك ينتظر نزولهم إلى القتال فلم ينزلوا ، فلما جنت<sup>(٤)</sup> الشمس للغروب ، ضرب السلطان خركاة<sup>(٥)</sup> صغيرة وراء القلب فبات فيه ، وتقدم إلى الخانات والأمرام يتناوبون السهر إلى السحر ، ففعلوا ما أمر ، واحتذوا بنارهم . ولما أصبحوا استحضروهم وقال : إن العدو قد عزم على المطاولة ، ومال عن المصاولة إلى الماطلة ، فالرأى أن نقصدهم من كل صوب مصعدين . فإن حملوا عليكم فبادروا إلى الزوال ، وارشقوهم بالنبال . وتحرك السلطان صاعداً ، بل ساعداً ، وتحركت بحر كته الأطلاب ، كما نفضت جناحها العقاب . وتبادرت ميسرة السلطان فى الصعود ، وفيها أخوه غياث الدين وأورخان وبنغان طايسى وعدة أمرام آخرين . فحمل عليهم شلوه ، وكان من شطارهم المشهورين ، فنازلوه . وتطارت السهام كاتتهارى<sup>(٦)</sup> النجوم

(١) فى الأصل : على .

(٣) فى الأصل : نارهم .

(٢) ليل أليل : شديد الظلمة .

(٤) فى الأصل : أجنحت .

(٥) خركاة : كلمة فارسية معناها خيمة أو نجح . المقرزى : السلوك ، ج ١ قسم ١

ص ٣٢ حاشية •

(٦) تتهارى : تتساقط .

السايرة ، و تهاوى الثلوج المتطايرة . واختلط المسلم بالكافر (١) ، والراجح بالخاسر ، والصاعد بالنازل ، والفارس بالراجل ، وتضاربوا ما بين الشوى (٢) والمقاتل ، وتسابق في الصعود إلى ذروة الجبل ، فمن هارب يرى نجاته وتقاه في ارتقائه ، وطالب يحشه على الصعود صدق أمله وتحقق رجائه . فحين قرعت الخيل صدمات الخيل المنصورة ، في أخلاط الويل المثبورة (٣) ، ولى الكرج أديارهم على رموسها قبل أن يصير (٤) التناظر تبارياً ، والترامى تضارباً . وهفوا بأجنحة الفرار ، متعلقين بالذل والصغار ، يرون الأشباح كتاب تحتظفهم ، والأشخاص مقانِب (٥) تنسفهم . وفرشت أرض المعركة بزهاء أربعة آلاف جيفة تهاووا (٦) فيه استخلاصاً من حر الطلب .

ووقف السلطان على تل ، والكرج تساق إليه بجزائم الذل ، كما ساق المجرمون إلى النيران وجوه عليها غبرة (٧) الكفران ، ترهقما فترة الخذلان . وأقام هنالك إلى أن تراحفت الطلبة ، واجتمعت السكسبة ، وقد ضربت له خراكة ، فمن أراد الوصول إليه يطأ القتبلى ويدوسهم . وحكى أن شمس الدين القمى (٨) ، وكان من حجاب الأتابك أربك ، قال : أرسلنى صاحبى إلى الكرج أيام استيلائهم وقال وددت أن يكون على ، يعنى أمير المؤمنين

(١) كان السواد الأعظم من أهالى جورجيا يدينون بالديانة المسيحية ، بخلاف الحال فى أتابكية أذربيجان . وكثيراً ما كان يتخذ المسيحيون فى جورجيا من الحن التى حلت بالفرق الإسلامى أثناء الغزو المغولى ومن ضعف أذربيجان والأقاليم المجاورة لها ، فرصة للاغارة عليها فى فترات متعددة ، وكثيراً ما استولوا على المدن الواقعة على حدود بلادهم وأذاقوا أهلها سوء العذاب ، ونهبوا ما وصل إلى أيديهم من خيرات هذه البلاد . ولذلك نرى أن العاملة التى عامل بها جلال الدين منكبرى أهالى جورجيا تختلف عن تلك التى سار عليها فى أذربيجان ، فبينما قتل وسي ونهب فى جورجيا ، نراه يذهب إلى درجة كبيرة من التسامح فى أذربيجان .

(٢) الشوى : الأطراف .

(٣) المثبورة : الهالكة . وفى الأصل ، المثورة . (٤) فى الأصل : تصير .

(٥) المقانِب : جمع مقنب وهى جماعة الخيل . (٦) تهاووا : تساقطوا . وفى الأصل ، يهاموا .

(٧) فى الأصل : غبرة .

(٨) نسبة إلى مدينة قم ، إحدى مدن العراق المسمى . انظر خريطة بلاد فارس .

عليه السلام ، باقياً في زمانه لأبيه من سطوق ماينسيه يوم بدر وخيبر<sup>(١)</sup> .  
 فلما استبيح في ذلك النهار خميسهم<sup>(٢)</sup> ، وقتل رموسهم ورئيسهم ، أخذته  
 الحيرة فلم يعرف أعلام الأرض وأغفأها ، فنزل ونام بين القتلى ولطخ وجهه  
 بالدم سخمة بالعار ، فحدس<sup>(٣)</sup> ابن داية غياث الدين ، وهو صبي ، به  
 فأخرجه وأحضره إلى السلطان مكتوفاً .

فكذب الله اللعين في مجاوزته حد الأدب وسخره بمن لا يذكر في الرجال  
 فضلاً أن يعد من الأبطال . وأمنت به السلطان ولم يستعجل في قتله ليرى الناس  
 حسن صنيع الله فيمن طعن<sup>(٤)</sup> في مظهرى الدين ، وناشرى<sup>(٥)</sup> كلمة اليقين .  
 ووجه السلطان ملك الخواص ، تاج الدين قليج ، إلى تبريز بجماعة من أمرائهم  
 الأسرى<sup>(٦)</sup> ورموس القتلى ، مبشراً بما أتاح الله على يديه من الفتح الرائع  
 منظره ، الشائع خبره . وساق من المعركة إلى مدينة زون ، فزحف عليها  
 وفتحها للوقت ، ثم أمر القاضى بها أن يفرد من بها من المسلمين ، نسأهم  
 وذراريهم ، وقد أفاء<sup>(٧)</sup> الله على السلطان وأنصاره أموالاً موفورة ، وغنائم  
 غير محصورة ، رخص بها الصدور عن زين الحسد<sup>(٨)</sup> لاشتراك الكافة في  
 الغنى المقصود ، واستوائهم في كفاية الموجود . ووصل شرف الدين أزدرة  
 وحسام الدين خضر صاحباً سرمارى يومئذ إلى الخدمة ، ووصلاً إلى السلطان  
 وكتب لها توقيعاً<sup>(٩)</sup> بتقرير ما كان لها عليهما .

(١) في الأصل : خيبر .

(٢) الخميس : الجيش الجرار .

(٣) حدس : ظن به .

(٤) في الأصل : طعن .

(٥) في الأصل : باشرى .

(٦) في الأصل : الأسرى .

(٧) في الأصل : أفاء .

(٨) في الأصل : رخص بها الصدور عن زين الحسد . ورخص الثوب ، غسله .

(٩) في الأصل : توقيع .

والرين ، الدنس .

ذكر عود السلطان من زون إلى تبريز

وتخليف الميمنة ببلاد السكرج

في رجب سنة اثنتين وعشرين وستائة

كان السلطان لما قرن الظفر بتاليه ، وأردف الفتح الأول بثانيه ، بث غوارته<sup>(١)</sup> أ إلى خريات بلاد أبخاز<sup>(٢)</sup> ، وفي نفسه قصد تفليس ، ورد عليه كتاب من شرف الملك ، وكان بتبريز ، يذكر فيه أن شمس الدين الطغرائي وابن أخيه<sup>(٣)</sup> الرئيس نظام الدين قد توامروا على الفتك به والعصيان على السلطان إفكا وزورا ، وكذباً افتراه من كان موتورا . وقد ظهر بعد حين أنه بهتان ، لن يشهد بصحته برهان . غير أن الطغرائي كان ديتناً منصفاً في سيرته ، ذاباً عن رعيته ، لم يرض أن يخاف ، ولا يمكن أحداً<sup>(٤)</sup> أن يتجاوز حد الإنصاف . وإذا طوب أهلها بما لا يجب ولا يليق ، وحمل ما لا يطيق ، كان يحميمهم تارة بالشفاعة ، وطوراً بالتوبيخ والشناعة .

ونواب شرف الملك يكرهون ذلك ، إذ ماسكوها متهمين لا يقنعهم الطفيف<sup>(٥)</sup> ، ولا يرضيهم من الخدم الخفيف ، وقد شجنوا<sup>(٦)</sup> أفواههم

(١) من معاني الفارة ويقصد المؤلف الجيش المنير .

(٢) إحدى مقاطعات جورجيا الجبلية ، وهي كما يقول ياقوت صعبة المسالك وعرة ، لا مجال للخيل فيها . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ص ٧٢ .

(٣) قرأها هوداس Houdas في النسخة الخطية « أخته » ثم عدلها في الطبعة الفرنسية .

(٤) في الأصل : أحد .

(٦) في الأصل : شجوا .

(٥) في الأصل : الضعيف .

بالاطاع ، ولا يداخل الولايج الخوف فهم مفاتيح الكهوف (١) .

كالخوت لا يرويه شيء يلهمه يصبح ظمآن وفي البحر فه (٢)

فلما وقف السلطان على كتابه ، وقد نشره عن سموم الأراقم وطعوم  
العلاقم ، عزم على العود إلى تبريز يعتقد أنها قد تغيرت عن مزاجها ، وأن  
علة حدثت بها ، فلا بد من علاجها . واستحضر أمراء الميمنة بباب سرادقه ،  
وخرج إليهم بعض الحجاب ، وقال : إن السلطان يقول إننا قد تحققنا  
تقصيركم (٣) في المصاف واتفاقكم على أن تولوا وجوهكم ، إن حمل السكرج  
عليكم . وحيث وهب الله لنا النصر والظفر ، وأحاق سوء العذاب بمن كفر ،  
فقد عفونا عنكم ما تحققناه ، على أن تقيموا بهذه البلاد فتقلبوها بغاراتكم  
ظهورا لبطن ، إلى أن نعود إليكم . فضمنوا له ذلك وأصبحهم السلطان صاحبي  
سرمارى دليلين إلى مضايق أنجاز ودربنداتا .

وحدثني حسام الدين خضر ، وكان صديقي ، جسدا قال : أقننا  
بأنجازه فبهمر ثلاثة أشهر ، يشنون عليها الغارات إلى أن أدخلوها من الغنائم  
وأبلوا أهلها بالعظام ، ورخصت المالك السكرجية ، حتى إن المملوك منها  
يباع بدينارين أو ثلاثة . والذي تخلص منهم بمواشيه إلى وراء الدربندات  
لم يأمن من ركضاتهم ، فكنا نصل بهم إلى بعض الدربندات ونأخر ثم  
نحذرهم أن يعبروه ، ونخبرهم بما وراءه من المضايق ، فلم يبالوا بذلك ،  
فيعبرونها (٤) وحداناً وزرافات (٥) ، ويرجعون بعد يومين أو ثلاثة  
بالغارات والأسارى . وقد أذاب الله السكرج لهم ، فكانوا يلجئونهم (٦)

(١) الولايج : جمع وليجة وهم بطانة الرجل ومن يعتمد عليهم من غير أهله . ولعل المعنى  
قد ائضح بهذا التصحيح . وفي الأصل : ولا يداخل الكهوف ومفاتيح الولايج الخوف .

(٢) أورد هوداس هذا البيت مثورا في سياق الكلام .

(٣) في الأصل : بقصيركم .

(٤) في الأصل : فبيعدونها . (٥) في الأصل : زرافات .

(٦) في الأصل : يلجئونهم .



من مضيق إلى مضيق ، وينجمعونهم بفريق بعد فريق . ووصلوا إلى حيث لم يبلغ للإسلام راية ، ولم تستل فيها سورة ولا آية .  
 ورجع السلطان إلى تبريز ، وأحضر شرف الدين بين يديه من الدثراء والأوباش من شهد على الطغرائي وابن أخيه بما كان قد أنهى إلى السلطان أكذوبة لم يخلق الله لها رأساً ولا ذنباً ، ولم يضرب لها وتدا ولا طنبا (١) ، وأمر السلطان بالقبض عليهما ؛ فأما الرئيس فقتل للوقت وترك بالشارع صريعاً ، يمج دماً نجيعاً (٢) . وأما الطغرائي فحبس وصودر ما ينيف على مائة ألف دينار مال ، أو هي متن طاقته ، وأتى من وراء فاقتة . وكان الواصل منها إلى خزانة السلطان دون ثلاثين ألف دينار . ثم نقل من تبريز إلى مراغة محتاطاً عليه ، وشرف الملك لم يفتر في نصب الحبائل ، وإعمال الخيل في إهلاكه إلى أن أخذ خاتم السلطان بقتله . وأراد الله بقاء ذلك السيد الجليل ، والصدر العديم المشمل والبديل (٣) . ففضن بهلاكه من ينوب إعن الديوان الجلالى بمراغة فأعانه بالخيل وهرب تحت الليل .

وسار إلى إربل ومنها إلى بغداد ، وحج في سنة خمس وعشرين وستائة ، فلما ازدحم الناس حول الكعبة ، وقف تحت الميزاب على رأسه مصحف ، وحاج الأقاليم وقوف ، والذي كان متولى سبيل السلطان حاضر ، وقال : أيها الناس قد أجمع المسلمون كافة أن ليس لله في أرضه مقام أشرف من هذا المقام ، ولا يوم أجل من هذا اليوم ، ولا كتاب أشرف من هذا الكتاب ، ولا أعظم . وأنا حالف بالثلاثة هذه ، أن الذى نسبني إليه شرف الملك ما كان إلا إفكا مفترى ، وغلظ اليمين بما تغلظ به إيمان البيعة

(١) الطنب : الحيمة .

(٢) ذكر ابن الأثير أن جلال الدين منكبرتي نكل به أشنع تكبيل ، فأمر بأن يطاف عليه في المدينة ليأخذ كل من ظلم على يديه بحقه منه ، ثم قتله في النهاية . ابن الأثير :

الكامل ، ج ١٢ ص ٢٠٠ .

(٣) في الأصل : البديل .

في البراءة . وتفرق الناس فمنهم مشيم<sup>(١)</sup> ومعرق<sup>(٢)</sup> ، ومغرب ومشرق .  
وتحدث بذلك كل طائفة في مسالكهم وأماكنهم ، وتواترت الأخبار به  
على السلطان ، ووصل أمير الحاج وشهد بما شاهده منه في ذلك الموقف ،  
فعلم السلطان براءته ، وندم على ما فعل ، ندامة خجل بما انتكبه<sup>(٣)</sup> ، بأئس  
على ما اكتسبه من سوء الذكر واحتقبه<sup>(٤)</sup> ، هيهات أين من الندامة ؟ دور عن  
سكانها خالية ، وسكان تحت أطباق الثرى بالية . وقد قال الله تعالى : يا أيها  
الذين آمنوا إن جاءكم<sup>(٥)</sup> فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصيبوا  
على ما فعلتم ناديمين<sup>(٦)</sup> . ثم إن السلطان أمنه فأعاده إلى تبريز ، ورد عليه  
أملاكه وقد تركوها أطلالا ، وكان يحضره المشورة .

نعم ، وأقام السلطان بتبريز فصام بهارمضان وأمر فوضع منبر آ<sup>(٧)</sup> بدار  
السلطنة ، ونص على ثلاثين من علماء الأطراف وفضلاتها ، وقد حضروا  
لحاجاتهم فوعظ كل واحد منهم يوماً ، والسلطان قاعد في القصر حذاء  
المنبر ، فشكر منهم من وعظ وقال حقاً ، وذم من بالغ في الإطراء ولم يقل  
صدقاً . وكان صدر الدين العلوي المراغي رحمه الله من جملة المشكورين .

- 
- (١) مشيم : ذاهب إلى الشام .  
(٢) معرق : ذاهب إلى العراق .  
(٣) مما أنتكبه .  
(٤) في الأصل : وأحقبه .  
(٥) في الأصل : يا أيها الذين إن جاءكم .  
(٦) سورة الحجرات ، آية ٦ .  
(٧) في الأصل : منبر .

## ذكر ملك السلطان كنجة وسائر بلاد أران

لما ألقى السلطان عصا القرار بتبريز منصرفه من السكرج، وجه أورخان في رجاله إلى كنجة فتسلمها، وتسلم السكر التي تنضاف إليها مثل بيلقان<sup>(١)</sup> وبرذعة<sup>(٢)</sup> وسكور<sup>(٣)</sup>، وشيز<sup>(٤)</sup>. وكان نائب الأتابك الرئيس جبال الدين القمي<sup>(٥)</sup> صاحب ثروة ومال، وقدرة وسعة حال. فسلمها إليه مبادراً في الخدمة، ومبقياً على ما حوته يده من النعمة. فتمكن أورخان بكنجة، وكان شرف الملك قد سير معه نائبه المعروف بالكافي ليتولى أمر الديوان وجباية الأموال عند تسليمها، فلما استولى أورخان عليها، مد يده إلى ما ليس له من الحقوق الديوانية، لتكمنه في الدولة وقرابته من السلطان، وجرت بينهما مفاوضات أفضى آخرها إلى المخاشنة، وجذب أورخان على الكافي سيفه. وورد الخبر بذلك على شرف الملك، فشكا<sup>(٦)</sup> إلى السلطان صورة الحال، وأراه أنه ما يريد ضبط الأموال إلا لخزائمه. فاسترد السلطان أورخان إلى بابه. واستمرت الوحشة بين أورخان وشرف الملك إلى آخر عهدهما. وقد

- (١) بيلقان: إحدى مدن أرمينية، وهي قريبة من شروان. ياقوت: معجم البلدان، ج ٢ ص ٣٤٠.
- (٢) برذعة: بلد في أقصى حدود أذربيجان، وهي «برده دار» وهو مأهول بالفارسية موضع السبي وذلك أن بعض ملوك الفرس سبي سبياً من وراء أرمينية وأتزلهم هناك. ياقوت: معجم البلدان، ج ٢ ص ١١٩ - ١٢٠ انظر أيضاً، القلقشندی: صبح الأعشى، ج ٤ ص ٣٦١.
- (٣) كذا في الأصل ولعلها شمكور، وهي قلعة في نواحي أران بينها وبين كنجة يوم واحد. ياقوت: معجم البلدان، ج ٥ ص ٢٩٥ وتمتاز هذه المدينة بمزاراتها الشاهقة. القلقشندی: صبح الأعشى، ج ٤ ص ٣٦٣.
- (٤) شيز: ناحية من نواحي أذربيجان. يقال إن منها زرادشت نبي المجوس. ياقوت: معجم البلدان، ج ٥ ص ٣٢٥.
- (٥) نسبة إلى مدينة قم، إحدى مدن العراق العجمية.
- (٦) في الأصل: فشكى.

وقفت على عدة مكاتبات لأورخان إلى شرف الملك لم يخاطبه فيها إلا بنحو ااجة  
طاش من غير تلقيب ولا مخاطبة ، وكانت تنطوى مضامنها اللوم والتوبيخ  
والتخطية والتخوين فيما هو بصدده من أمور الدولة وقضايا الملك . وكان  
يلطفه، فلم ينزل عن حران وشماس<sup>(١)</sup>، وداريه فلم يخلص منه رأساً برأس  
ولولا الإسماعيلية أراحوا شرف الملك منه ، كاد يقيم مقامه غيره .

---

(١) الحيران : العريان ، وحرنت الدابة أى وقفت ولم تسكن للقياد . والشموس :  
الامتناع والاباء .

## ذكر نكاح السلطان بنت طغرل بن أرسلان

وردت نساء من قبيل بنت طغرل بن أرسلان ، والسلطان بتبريز ،  
يعلمن (١) السلطان في رغبتها في أن يملكها ، وأنها تثبت بالشهود أنها مطلقة  
من زوجها الأتابك أوزبك . فأجابها إلى ذلك مشروطاً بإثبات الطلاق ، فشهد  
لها قاضى ورزقان ، وهى كورة من كور تبريز ، وشخص آخر بأن زوجها  
المذكور علق طلاقها على أن لا يغدر بفلان وقد غدر به ، وحكم الفقيه عز الدين  
القزوينى وهو القاضى يومئذ بتبريز ، بوقوع الطلاق والبينونة (٢) . وسيرت  
الملسكة برسم التتار أموالاً اجمة . وتزوج السلطان بها ، وسار بعد عقيد  
النكاح من تبريز إلى خوى (٣) ودخل بها . وزاد لها على خوى مدينتى  
سلساس (٤) وأرمية (٥) بأعمالها .

وحدثنى الصدر ربيب الدين ، وزير الأتابك أوزبك ، قال : كان الأتابك  
أوزبك بقلعة النجعة من أعمال نخجوان يسمع استيلاء السلطان على بلاده  
شيئاً فشيئاً ، فلم يزد على قوله : إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده  
والعاقبة للمتقين (٦) . إلى أن بلغه أمر النكاح . فسأل مخبره بذلك : أكان برضاً  
من الملسكة أم على كره منها ؟ قال : برغبة منها صادقة ، وخطبية من صوبها  
متتابة . وقد خلعت على شهود الطلاق . وأنعمت عليهم . قال : فوضع  
رأسه على الخدة ، وحم لوقته ، ومات بعد أيام .

(١) فى الأصل : تعلم . (٢) فى الأصل : البينونية .

(٣) راجع ص ١٩٥ حاشية ٨ .

(٤) سلساس : إحدى مدن أذربيجان ، وبينها وبين أرمية يومان أو بينها وبين تبريز ثلاثة  
أيام . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ص ١١٠ ، ولهذه المدينة أهميتها التجارية بوجه  
خاص . انظر القلقشندى . صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٣٥٨ .

(٥) أرمية ، مدينة عظيمة قديمة بأذربيجان ، وهى فيما يقال مدينة زرادشت نبي المجوس  
وبينها وبين تبريز ثلاثة أيام ، وبينها وبين إربل سبعة أيام . ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ص ٢٠٣  
وكان لهذه المدينة قلعة حصينة على أحد الجبال تسمى قلعة نلا ، ومما يذكر أن هولاء كانوا قد  
وضع فيها أمواله لحصانها . انظر القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٣٥٩ .

(٦) سورة الأعراف ، آية ١٢٨ .

ذكر قضاء عز الدين القزويني بتبريز وسببه

وعزل قوام الدين الجداري

كان السلطان لما قارب تخوم أذربيجان - وقد أسفر<sup>(١)</sup> صبح الفتح، ولاحظ تباشير النجاح - ورد عليه كمال الدين المتولى شغل الاستيفاء<sup>(٢)</sup> بالديوان الأتابكي رسولا مستعظفاً، وبالضراعة في رده متلطفاً<sup>(٣)</sup> على أن يقيم صاحبه رسمي الخطبة والسكة باسم السلطان، وأن يحمل إلى الخزانة السلطانية في عاجل الحال صدرأ من المال، فلم يصادف قوله أذناً واعية، وقلوباً لما يعيد من المحمول راعية.

وأردف المذكور بالفقيه عز الدين القزويني، وكان فاضلاً بارعاً، بنى<sup>(٤)</sup> الطغراني من ماله بتبريز مدرسة، وفوض إليه بتدريس عدة مدارس أخرى غيرها. فحين تحقق عز الدين أن السلطان لا بد له من أذربيجان، وأن تأثير القول في هذا الباب، تأثير الرخا<sup>(٥)</sup> في الصخرة الصبا، اختلى بشرف الملك، واستوثق منه على أنه إذا ملك تبريز يوليه قضاءها. وكان القاضي بها يومئذ قوام الدين الجداري ابن أخت الطغراني توارثاً عن أسلافه، فلما ملك السلطان تبريز، واستمرت حال الطغراني في الجاه وقبول القول، علم القزويني أن الذي وعد<sup>(٦)</sup> به من تفويض القضاء إليه لا يكون إلا بعد نكبة الطغراني، فلم يزل يسرى عنه إلى شرف الملك،

(١) في الأصل : أسفر .

(٢) انظر ما كتب عن وظيفة المستوفي في ص ١٨٣ حاشية ٥ .

(٣) في الأصل : منطلقاً .

(٥) الرخاء : الرخ اللينة .

(٤) في الأصل : بنا .

(٦) في : الأصل أوعد .

بشمية كقطار ديمة ، وبوقية (١) كمراب ببيعة ، حتى هاجه عليه كالحاقد ،  
وأراه في عينه كالمعاند ، فنكب على ما ذكرناه ، وتقلد القزويني القضاء .  
وبلغني أن المذكور دخل على الطغرائي وهو محبوس يظهر افتقاراً ،  
ويشمت اعتقاداً ، فدخل بعض أصحابه بسجاده قبل دخوله وبسطها في مجلس  
الطغرائي ، فد الطغرائي يده ولفها ورماها إلى صف النعال ، ثم دخل القزويني  
وجلس وعزاه بابن أخيه المقتول الرئيس ، فلم يتغير وجه الطغرائي ، ولم  
ينزعج لقتله ، إلى أن قال القزويني : كان المرحوم المظلوم مطروحاً بالعرام ،  
فكفنته ودفنته . فبكي الطغرائي حينئذ وقال : لم يصعب علي ما ذكرته  
أنه مقتول .

كل ابن أثى وإن طالت سلامته يوماً على آلة حدباء محمول (٢)

لكن الذي ذكرته من تسكينك إياه عار عظيم ، وشين (٣) على وجه  
البيت مقيم . وتمكن القزويني من شرف الملك فيما لا يعنيه من رفع زيد ،  
وخفض عمرو ، ونصب عامل ، وجزم نايل ، إلى أن ورد قاضي دمشق  
على السلطان رسولا عن الملك المعظم عيسى بن الملك العادل أبي بكر بن  
أيوب سقى (٤) الله ثراه صحبته القاضي مجد الدين رسول السلطان ، فلما  
فرغ من أداء رسالته وخرج (٥) ، جلس في مجلس الوزير ، ومحفله

(١) في الأصل : وتوقيعه .

(٢) البيت لكعب بن زهير .

(٣) في الأصل : شين .

(٤) في الأصل : سقا .

(٥) بينما كان جلال الدين منكبرتي يوسع أملاكه ويوطد نفوذه في الأقاليم الغربية من الدولة  
الحوارزمية ، وقع خلاف كبير بين ثلاثة من أمراء الدولة الأيوبية من أبناء الملك العادل أيوب  
وهم الكامل محمد صاحب مصر ، والمعظم عيسى صاحب دمشق وبيت المقدس ، وطبرية وما  
جاورها ، والأشرف موسى صاحب بلاد الجزيرة وخراسان وميفارقين . ولم يأل المعظم عيسى  
جهداً في السكينة لأخويه بمهاجرة بعض أملاكهما تارة ، وتأييب بعض الحكام عليهما تارة  
أخرى ؛ من ذلك أنه أرسل إلى جلال الدين منكبرتي الذي تجاور أملاكه أملاك أخيه  
الأشرف يعرض عليه تكوين حلف منهما يكون هدفه الأول الاستيلاء على مدينة خراسان .

خاص<sup>(١)</sup> بالأكابر ، قال له القاضي مجير الدين : اذكر لمولانا الوزير ما حدثك به  
 عن الدين القزويني . فأبى<sup>(٢)</sup> أن يذكر ، إلى أن حلف عليه بنعمة السلطان .  
 فقال : إن القاضي عن الدين قال له موبخاً : ماذا رأى صاحبك ، يعني الملك  
 المعظم ، في ميله إلى هؤلاء عن أخوته السلاطين ؟ وإيم الله إن معادة  
 إخوته أنفع له وأعود عليه من مصافاة هذه الطائفة ، وسيندم على ما يفعل  
 حين لا تنفعه الندامة . فحافظ شرف الملك ما سمعه وأحضر القزويني ،  
 وقابل بينه وبين الناقل ، وخجل القزويني ، وبقي بفصاحته كباقل<sup>(٣)</sup> . فقال  
 شرف الملك لولا حرمة الشيخوخة<sup>(٤)</sup> وفضيلة العلم ، لطيرت رأسك بهذا  
 السيف . قم عنى يا خبيث مدحوراً<sup>(٥)</sup> . فقام عن الدين خجلاً .  
 فلست أدري أى السادات الثلاثة أجود ، وأيهم عن الخير أبعد ،  
 المستشهد أو الشاهد ، أو المشهود عليه ؟ ولعمري إن عن الدين أنصف  
 فيما قال وذكر ما يشهد به العيان ، ويسجل بصحته الامتحان ، غير أن  
 اعتياد الخامرة قبيح ، وكفران النعمة لؤم صريح<sup>(٦)</sup> . فعزل وولى القضاء  
 مجير الدين بعد استنزاله بالمصادرة عن ماله ، على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

---

== أملاك الأشرف موسى . وقد صادفت هذه الفكرة قبولا لحسنالدى جلال الدين الذى وجدنى ذلك  
 الحلف فرصة لتوسيم نفوذه ، وتبودلت الهدايا بين الفريقين المتحالفين . انظر ابن الأثير :  
 الكامل ، ج ١٢ ص ٢١٣ — ٢١٤ و D'ohsson ; Op. cit. , t. iii, p. 18 .  
 (١) فى الأصل : غاض .  
 (٢) فى الأصل : فأبا .  
 (٣) نقلها هوداس عن النسخة الخطية « كالباقل » ثم صححها فى الطبعة الفرنسية « كالناقل » .  
 والواقع أن صحتها « كباقل » . وقد قيل : « أعيأ من باقل » . ويجدر بنا أن نشير هنا إلى أن باقل  
 هذا رجل من العرب كان قد اشترى طليبا بأحد عشر درهما فقيل له : يكم اشتريته ؟ ففتح كفيه  
 وفرق أصابعه وأخرج لسانه يشير بذلك إلى أحد عشر ، فانفلت الطليبي ، وضربوا به المثل فى العي .  
 (٤) فى الأصل : الشيخوخية .  
 (٥) مدحوراً : مطروداً . وفى الأصل : مدحوراً .  
 (٦) فى الأصل : لوم صريح .



## ذكر عود السلطان إلى بلد الكرج

وفتحة تفليس

ثم ركب السلطان بعد العيد لغزوة أخرى في الكرج ، يبيض بها وجهه الإيمان ، ويعفّر خدود عبدة الصليان . فعند وصوله إلى نهر أرس ، مرضت مرضاً شديداً تعذرت معه الحركة ، وأذن لصاحبي سرماري إذ ذاك في العود إلى بلدهما ، فسيرت معهما ، وبرز الأمر إليهما أنهما لا يفتحان<sup>(١)</sup> كتاباً يرد عليهما من ملوك الشام والروم والكرج إلا بحضورى ما دمت فيهم ، وأن لا يحضر رسول من رسل هذه الجهات إلا وأنا حاضر ، وإلى ما يرد أو يصدر ناظر ، فأقت بها سبعة أشهر لتعذر الوصول إلى المراكز السلطانية ، وقد دوخ أعماق أنجاز .

ولما وصل السلطان إلى شاطيء نهر أرس ، مسك أشلوه الكرجي كتباً<sup>(٢)</sup> أرسلها إلى أمراء أنجاز يحذرهم برحيل السلطان صوبهم وينذرهم ، فأمر السلطان به فوسط<sup>(٣)</sup> على شاطيء النهر ، وقاسى السلطان وعسكره من الثلوج في ذلك الشتاء ببلد الكرج شدة عظيمة ، وكبح وجه الهوام بها كلوحاً أثر في الحوافر ، فضلاً عن الأطراف والمحاسر<sup>(٤)</sup> . ولما وصل إلى مروج تفليس ، جره العساكر إليها ، متجردة عن أثقالها ، فوجدها حصينة منيعة ، قد بنى معظم سورها على الجبال والسقفان . فتهاقت عوامها إلى مصرع البوار ، تهاقت الفراش في النار ، فاستجروهم إلى أن انفصلوا من

(١) في الأصل : لا يفتحان .

(٢) في الأصل : كتب .

(٣) وسط فلان الشئ : جماله وسطاً ، وقطعه نصفين .

(٤) المحاسر : الأعضاء المكشوفة كالوجه .

جدران المدينة ، وحملوا عليهم حملة كشفتهم عن رموس بلاغلاصم<sup>(١)</sup> ، وايد  
بلا معاصم ، وانزحوا في العود ، وسبقهم إلى الباب غياث الدين وملك المدينة  
بهذه الحملة ، وتحكمت السيوف في أهلها ، والأيدى الناهبة في أموالها . وقتل من  
بها من الكرج والأرمن . وتحصن أجناد الكرج وأرتاروزتهم<sup>(٢)</sup> بالقلعة .  
ومن صفة نفليس أنها بنيت على حافة نهر أرس بين جبال وأودية ، والنهر  
يشق بين المدينة والقلعة ، وهو نهر عظيم لا يخاض ، وكان بينهما جسر  
من خشب فأحرق حين شوهد هول المقام ، وتسلبت يد الانتقام ، وتكاثف  
عليه الزحام . ثم عبر السلطان النهر في نهار واحد إلى ناحية القلعة ، وكتب  
إليه ولعمركه . بالسلامة فأحاط بالقلعة ، وأخذ الناس يعدون آلات  
الحصار وخرج أثناء ذلك رسول من بها من الكرج في طلب الأمان ،  
فأجاب السلطان إلى ذلك ، إذ كان الشتاء قد هجم ، وتسلم القلعة بما فيها من  
ربد<sup>(٣)</sup> الأحقاب ، أموال تكل عن ذكرها أنامل النحرير ، وتضيق عن  
لثباتها أدراج الأصابير<sup>(٤)</sup> .

(١) الفلصمة : اللحم بين الرأس والعنق ، والجمع غلاصم .

(٢) لعل المقصود بها الجنود المرتزقة ، فقد كانت جيوش جورجيا تضم قوى كبيرة من الجيوش  
المرتزقة من البلاد المحيطة بها . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ٢٠٧ .

(٣) في الأصل : زيد . والربد : المحبوس القديم من الأشياء .

(٤) في الأصل : الأصابير .

ولعل من المناسب أن نذكر هنا أن جلال الدين قد تكلم بسكان المدينة بأن يعمل الأسرى في  
الرجال والسبي في النساء ، ولم يعف من القتل إلا من اعتنق الإسلام . وهكذا انتقم للمسلمين  
الذين عانوا ما عانوه من أهالي جورجيا في السنوات التي سبقت عودته إلى فارس من بلاد الهند .  
ومن المهم أن نذكر أيضاً أن الخوارزميين استطاعوا بعد هذا النصر أن يضعوا أيديهم على  
هذه البلاد وأن يطبخواها بالطابع الإسلامي إلى حين . انظر .

Defremery : Fragments de Géographes et d'Historiens Arabes et Persans  
Inédits, pp. 486-487. (J.A., Nov.-Déc., 1849).

## ذكر قصد السلطان كيسة براق الحاجب بكرمان

ورجوعه عنها قبل وصوله إليها

لما فتح السلطان تفليس ، غارت غوارته<sup>(١)</sup> في أقاصى أبخاز ، ومن قبل كانت الأخبار تصله من صوب العراق بفساد نيّة براق في الطاعة ، وأنه أخذ يكتب التاتار ويراسلهم مغرباً بإيامه بالسلطان<sup>(٢)</sup> ، وانضاف إلى ذلك إقطاع مواد خدمته المعهودة ، وكان شرف الدين علي بن الفضل التفرشي<sup>(٣)</sup> وزير السلطان بالعراق يطالع بأخباره يوماً بعد يوم ، فوردت<sup>(٤)</sup> الأخبار من صوبه والسلطان بأبخاز أن المذكور أبرز خيامه<sup>(٥)</sup> إلى بعض منفسجاته ، مفترأ ببعد السلطان ، فحملته همته التي كانت ترى الصعب ذلولاً ، وبعده إلى عورسبول ، أن يكبسه بكرمان فاختر من جر يده<sup>(٦)</sup> ستة آلاف خفاف ، واستصحب أخاه غياث الدين موعوداً بأن كرمان يصفىها من المتغلب ويسلمها إليه إذ كانت ملكه ، فوثق فيها بغادر ، وورث في تسليمها إلى فاجر وخلف حرمة وأثقاله بكيسكون مع رتوت الخانات وكبار الأمراء .

وكان شرف الملك حينئذ مقبياً بتفليس مركزاً بها ، يبلى بقايا التكرج بالبلايا ، وغوارته تضرب يمنة ويسرة<sup>(٧)</sup> ، ين يدهم حسرة . وكننت بسر مارى ،

(١) يقصد المؤلف الجيش المغير .

(٢) انظر أيضاً ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ٢٠٩ .

(٣) نسبة إلى تفرش ، وهى ناحية من نواحي قاشان .

(٤) فى الأصل : فورد .

(٥) فى الأصل : برز خيامه .

(٦) الجريدة : الفرقة من العسكر الخيالة لا رجالة فيها ، ويقصد بها فى كثير من الأحيان ،

سير السلطان على وجه السرعة دون أن يأخذ معه أثقالاً أو حشداً . انظر المفريزى :

السلوك ، ج ١ قديم ١ ص ١٠٦ حاشية ٨ .

(٧) فى الأصل : يمنة ويسره .

على ما ذكرته ، وأخيار السلطان منقطعة ، فبينما أنا جالس والهموم قد ملكت فكري ، والأحزان قد أخذت بجوامع سرى ، إذ دخل واحد من جاوشية<sup>(١)</sup> السلطان مبشراً بقدمه ، وقد تقدم بعمارة الجسر الممدود بسرمارى على نهر أرس . فقامت إلى الجسر ، ووقفت حتى عمر ، وصاحبها واقفان ، وعبر السلطان فنزل بشرقيها ، فأنهى إليه أن ثلاثة من أسرى السكرج ومشاهير أمراءهم ، وكان السلطان قد أسرهم فسيرهم صحبة ملك الخواص تاج اندين قليج إلى تبريز حين وجه إليها بكسر السكرج ، قد أحضرهم بعض نواب<sup>(٢)</sup> شرف الملك إلى سرمارى وقرر فداهم عشرين ألف دينار ، وقد تسلم أكثرها نائب شرف الملك قاشاً وعيناً ودواب<sup>(٣)</sup> ، وحث أن يطلقهم ، فاستحضرني السلطان ، وأمر أن لا يمكن أحد من إطلاقهم ، وقال : لو كنت أرغب في بيع عدوى لجمعت من السكرج أموالاً لا تأكلها النار ، ولا يكاد يفنيها الليل والنهار . ورحل إلى صوب كرمان ولم يتعرض إلى ما أحضروه من فدائهم ، وحملته إلى شرف الملك وهو بتفليس فسلط عليه جوده المبذر ، فلم يبيت على خزائنه منه شيء .

وقد كان السلطان استصحب خمسة آلاف فارس أخرى ، دون المتجردين معه صوب كرمان ، ليغيروا على بلد خلاط ، وقدم عليهم بسرمارى سنجان خان ، فساقوا إلى بلد خلاط بما يلي سرمارى ، وعادوا بعد ثلاثة أيام بغارات ضاقت بها الطرق . وساق بنفسه صوب كرمان ركضاً بادر أفواج الرياح ، وقسم<sup>(٤)</sup> أوقات الإظلام والإصباح ، لم ينل فيه لذة طاعم ، ولراحة نائم ، طوى فيه عرض البيد فوق قوائمه ، توهمته منهن فوق

(١) كذا في الأصل ، وصحتها جاوشية .

(٢) في الأصل : بواب . (٣) في الأصل : دواباً .

(٤) في الأصل : أقسم . وقسم الأمر دبره ونكر فيه .

قوادم<sup>(١)</sup> . فتعب ولم يبلغ مقصوده من براق ، إذ كان المذكور محتزراً ،  
ولما علم بتجزره وتحصنه رجع آيئاً ، وعمما طمحت إليه همته حانياً<sup>(٢)</sup> .

(١) القوأم : السوق من الأرجل . والقوادم : الأجنحة .  
(٢) يذكر ابن الأثير في هذا المقام ، أن جلال الدين أرسل إلى صاحب كرمان رسولا  
« ومعه الخلع ليطمئن ويأتيه وهو غير محتاط ولا مستعد للامتناع منه ، فلما وصل الرسول علم  
أن ذلك مكيدة عليه لما يعرفه من عاداته ، فأخذ ما يعز عليه وصعد إلى قلعة منيعة فتحصن بها ،  
وجعل من يثق لآليه من أصحابه في الحصون يمتنعون بها وأرسل إلى جلال الدين يقول : إنني  
العبد والمملوك ، ولما سمعت بمسيرك إلى هذه البلاد أخليت لها لك لأنها بلادك ، ولو علمت أنك  
تبقى على لحضرت بابك ، ولسكني أخاف هذا جميعه » . فأرسل لآليه جلال الدين الخلع وأقره  
على ولايته . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ٢٠٩ .

## ذكر ما جرى للعساكر المذكورة في بلاد الكرج

## في غيبة السلطان

كان شرف الملك مقبياً بتفليس ، على ما سبق شرحه ، فأرجف إلى الخانات بكيلىكون أن شرف الملك حوَّص بتفليس ، وقد أتاه الكرج في غلبة قد نثلوا فيها كئيبين الاحتشاد . فتشاوروا في أمره ، وكشف بؤسه وإزالة ضرره ، فأشار أكثرهم بالتغافل عنه ، والتشاغل إلى ما أنتم بصدد من حفظ الحرم والأثقال السلطانية ، ما خلا أورخان وحده قال : لو أسر الكرج وزير السلطان ومثل هذا العسكر بالقرب منه لبقيت على الدولة وصحة لا ينسى وضرها ، ولا يرحض<sup>(١)</sup> عن وجهها قترها ، وتعود الأحدرثة التي حصلت بهذه الفتوح سمعة وهن ، وسبة منقصة ، وتبين هذا على عداوة مؤكدة كانت بينه وبين شرف الملك دون سائر الخانات ، غير أنه كان في نفسه من الرجال الأجواد ، والأبطال الأفراد ، أرباب الحزم والسداد . فركب بنفسه وعسكره ، فلما رآوا جده<sup>(٢)</sup> في نصرة شرف الملك ، وصدقه في الذب عنه والمحاماة دونه ، خرجت إليه منهم أفواج حتى صار في خمسة آلاف فارس أو أكثر ، وسار بهم إلى تفليس ، وسرت في صحبته ، وظهر أن الذى بلغه من حصار تفليس إرجاف ، ردفه خلاف ، وباطل ليس له حاصل . وقدم ملك الخواص تاج الدين قلمج بعد يومين مبشراً بوصول السلطان إلى نخجوان عاتداً من العراق ، فأعطاه شرف الملك أربعة آلاف دينار حق البشارة . ووصل السلطان عقيبها ، وتفرقت العساكر في بلاد الكرج ناهيين كاسيين ، ورتب السلطان قرملك<sup>(٣)</sup> وتاج الدين الحسين مقطوع

(١) يرحض : يغسل ويحني .

(٢) في الأصل : جده .

(٣) يجتمل أن يكون هذا الاسم «قرملك» أو «قره ملك» . وقرأ أو قره لفظ منولى أو تركى معناه أسود أو نحس أو ردى .

استرباذ ، ونصرة الدين محمد بن كبودجامة صاحب جرجان بتفليس ،  
وقصد بعساكره المتجردة عن البيوت والأثقال خلاط<sup>(١)</sup> ، فلما وصلها ثار  
عليه العوام ومن بها من العساكر الشامية ، فزحف عليهم زحفة انكشفت  
عن قتلى مضرجين<sup>(٢)</sup> قد طر حوا ، وأسرى قد جرحوا . وتزاحم الناس  
إلى المدينة ، ودخل العسكر معهم ثم خرج . واختلفت الأقاويل في سبب  
خروجهم ، فزعم الأتراك أن السلطان أمرهم بالرجوع كيلا ينهب ، وقد  
اعتقد أنها لاتعصى إلا ما ملكها مهما شاء . وأما أهل خلاط فقد زعموا أنهم  
أخرجوا قهراً ، والله أعلم<sup>(٣)</sup> . وأقام السلطان عليها أربعين يوماً ورجع .  
نعم ولما انفصل السلطان من الحرم والأثقال قاصداً خلاط ، رحل  
شرف الملك صوب كنجة مشتياً بها . وكان صاحب أرزن الروم قد نصر  
أحد ابنيه وأنكحه ملكة السرج ، وحين ملك السلطان تفليس ، أحضر  
الصبى بين يديه فأمنه وآواه ، ومهد له ذراه ، إلى أن نهض السلطان صوب  
خلاط في هذه المرة ، استحوذ عليه الشيطان فارتد في حافة الكفر وعاد  
إلى السرج ، وأخبرهم بقلته من في تفليس وضعفهم ، فاعتنموا بعد السلطان  
وخفة أصحابه بها ، فساروا إليها بما احتشدوه من خيل ورجل<sup>(٤)</sup> ، فأخلاها  
قرملك ومن معه من الأمراء ، حيناً عُرف المذكور بسمته ، وقصوراً  
شاع من همته ، فدخلها<sup>(٥)</sup> السرج وأحرقوها ، لعلمهم بأنهم يعجزون  
عن حفظها .

(١) كانت مدينة خلاط ملكاً للأشرف موسى بن الملك العادل أيوب . انظر ابن الأثير :

الكامل ، ج ١٢ ص ٢١٣ .

(٢) في الأصل : مصرجين .

(٣) يذكر ابن الأثير في هذا المقام أن أهل خلاط لما وجدوا الخوارزميين يعملون النهب  
والسلب والقتل والسبي في المدينة ، قاتلوا جلال الدين حتى أبعثوا عسكره عن المدينة . وكانوا  
« يقاتلون قتال من يمنع عن نفسه وحرمة وماله » . كما ذكر ابن الأثير أيضاً أن جلال الدين  
اضطر إلى الرحيل عن المدينة نظراً لأشداد البرد واضطراب حال بعض بلاد أذربيجان مما اضطره  
إلى الرحيل لإعادة توطيد نفوذه هناك . ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ٢١٢ — ٢١٣ .

(٤) الخيل : الفرسان . والرجل : المشاة . (٥) في الأصل : فدخلوها .

وكان شرف الملك مقبياً بكنجة ، تطير كتيبه إلى السلطان وهو محاصر خلاط ، تعلمه باجتماع الكرج طالبين تفليس ، فرجع على أن يتدارك<sup>(١)</sup> الأمر<sup>(٢)</sup> قبل تعذر تلافيه ، وفوات الفرصة فيه ، فلم يلحق ذلك . وقد كانت الأتراك الإيوانية قد أوغروا صدر السلطان بإخافتهم الطرق ، وأخذهم الغارات مما يتأخهم من البلاد ، وكان فيهم كثرة ، وطال ما ركبوا في زهاء عشرة آلاف فارس . فحين انصرف عن خلاط ، سار إليهم فشن عليهم غارة لم تخل من نهاب نفوس ، واختطاف رموس . وساق مواشيهم إلى موقان فكان الخمس منها ثلاثين ألفاً . ولما شفي<sup>(٣)</sup> السلطان غيظه فيهم ، انفرد في قرابة مائة فارس من خواصه إلى خوى لاجتماعه بالملكة صاحبتهما ، فلما قاربها أعلم بأن بكلك السديدي ، وسنقرجاه<sup>(٤)</sup> الدويدار<sup>(٥)</sup> ، وطائفة من الممالك الأتابكية نزول بمرج خوى في أضعاف من كان مع السلطان ، فلم ير إذ ذاك للعود وجهاً ، فأقدم مبادراً ، وساق إليهم مخاطراً ، فلم يلبثوا<sup>(٦)</sup> له ، وتبعهم السلطان وجدد في الطلب ، حتى ضيق منافسهم ، فوقفوا له وظلبوا الأمان فأمنهم ، وانخرطوا في سلك الخدمة .

ولم يصل السلطان إلى كنجة إلا بعد فراغ السكرج من إحراق تفليس . ولما فارقه شرف الملك عند توجهه صوب خلاط في هذه المرة ، قبض على القاضي مجير الدين عمر بن سعد الخوارزمي ، وصادره على اثني عشر ألف

(١) في الأصل : انه يتدارك .

(٢) في الأصل : اشفي .

(٣) ورد هذا الاسم « سنقرجاه » في موضع آخر سنشير إليه فيما بعد .

(٤) الدويدار أو الدواتدار أو الدوادار أو الدوادار ، اسم مركب من لفظين ، أحدهما عربي وهو الدواة ، والثاني دار ومعناه مسك ، وصاحب وظيفة الدوايرية هو الذي يحمل دواة السلطان أو الأمير ، ويتولى أمرها مع ما يلحق ذلك من المهمات نحو تبليغ الرسائل عن السلطان أو الأمير وإبلاغ عامة الأمور ، وتقديم البريد وغير ذلك . انظر المقرئزي : السلوك ، ج ١ قسم ١ ص ١٤١ حاشية ١ ، وانظر أيضاً دائرة المعارف الإسلامية مادة Dawtdâr .

(٦) من البت وهو الإقامة .



ديتار ، زعماً منه انه خان السلطان في أداء رسالاته التي وجه فيها ، فبقى  
شهرآ محبوساً إلى أن أدى ما ذكرناه برسم الخزانة . وقد ذكر المذكور أن  
الذي أخذ منه بالرشا<sup>(١)</sup> والخدم<sup>(٢)</sup> كان ضعف ما أخذ منه برسم الخزانة .  
ثم إن شرف الملك كره ملازمته خدمة السلطان بعد الإيجاش<sup>(٣)</sup> لوجهته ،  
ورقيع منزلته ، وسوايق خدمته ، فولاه قضاء تبريز ، وضعاً للشئ في  
خير موضعه .

---

(١) في الأصل : الرشى . والرشا : الرشوة .  
(٢) في الأصل : الخدم . أما الخدم ، فيقصد بها الهدايا .  
(٣) في الأصل : الانجاش .

١٧٧  
ذكر وصول شمس الدين رسول المغرب (١)  
في سنة ثلاث وعشرين وستمائة

لما عاد السلطان إلى كنجة في هذه المرة ، وصل رسول المغرب فتلقوه بالإكرام والاحترام ، ووظفت له إنزال وإقامات ، على ريب منهم في أمره ، وشك في صدقه ، إلى أن وصل رسول السلطان من الروم وأخبر بأن هذا الرسول قد قطع البحر إلى الروم وهو حاضر ، وتلقاه علاء الدين كيقيباد صاحب الروم بنفسه ، وضربت له خيمة النبوة ، وبولغ في احترامه وإعظامه ، إلى أن علم أنه مبعوث إلى السلطان لا إليهم ، فنقص من الإنزال ، وأخل بمجهود الإجلال . فعند ذلك زال الشك في أمره ، وصدق في رسالته ، واستحضره السلطان ، وكنت الترجمان بينهما ، ولست أرى في إعادة ما أورده من الرسالة فائدة إلا الوحشة (٢) . ومن مزيلات الشك ودوافع (٣) الشبهة في صدق هذا الرسول أنه كان ذا همة عالية ، ومروءة تامة ، لا تشتره نفسه إلى احتقاب واكتساب . وأقام بكنجة سنة أو أكثر إلى أن أذن له بالعود ، فكان مبلغ ما حمل إليه في هذه المدة ما يقارب عشرة آلاف دينار ، ففارق ولم يبق معه شيء منه ، بل كان استقرض من التجار جملة أخرى طائلة ، واشترى بها الثناء والحمد . واقترح على السلطان عند عودته الكوسات

(١) لعل الرسول المقصود في هذا المقام هو رسول من قبل الخليفة العباسي في بغداد كما يبدو من النص نفسه .

(٢) كانت العداوة على أشدها بين الخلافة العباسية في بغداد وبين الخوارزميين منذ أيام علاء الدين تكش خوارزم شاه ، كما استفحل الخلاف في عهد ابنه علاء الدين محمد وخاصة بعد أن وقف الخليفة العباسي الناصر موقفاً عدائياً من الخوارزميين قبيل الغزو المغولي وفي أثناءه . وكان طبيعياً أن يستفحل العداوة بين جلال الدين منكبرتي وبين الخلافة العباسية في بغداد .

(٣) في الأصل : وروافع .

والإعلام ، فأجابه إلى ملتسمه ، وطلب أن يكتب له توقيع اللجنة الزبدانية<sup>(١)</sup> بدمشق ، وعلم أنه كان ورثها عن أسلافه وقد غصبت منه وأخذت ظلياً ، فأجابه السلطان إلى جميع ما سأل ، وأصعبه بتق الدين الحافظ رسولاً من جهته ، إذ كان لا يرغب في التوجه إلى الجهة القاصية من له في الدولة قدر ، أو في البلاد ذكر . فلما انفصلا ، أرحف من جهة العراق أن شردمة من التياتار وصلت إلى العراق ، فرأى السلطان أن يبادر إلى أصفهان ، فساق حتى أناخ و بمياخ<sup>(٢)</sup> ، وهي من كور أذربيجان على حافة النهر الأبيض ، واستعرض الجيش بفضائهما . فبينما السلطان يعبر على الأطلاب مستعرضاً إذ قدم رسول المغرب عائداً من مراغة ، فقال لى السلطان : أسأله عن سبب عوده ، فسألته فقال : لما بلغنى أن العدو واصل ، وأن السلطان يركب على نيسة الغزو ، أحببت أن أفوز بفضيلة المجاهدين على القاعدين . فشكره السلطان على ذلك ، وقال : هكذا فليكن أصحاب الخلفاء . وأمرنى أن أسير معه وأوريه العسكر طلباً طلباً ، ففعلت ، ولما رجعنا إلى الخدمة قال السلطان : عسكر أمير المؤمنين أكثر أم عسكرنا ؟ فقال : عسكر أمير المؤمنين أضعاف هذا العسكر ، لما فيه من الجموع والرجالة ، غير أن هؤلاء كلهم رجال الحروب .

ثم ورد الخبر بأن العسكر الذى وصل إلى العراق من جملة العساكر السلطانية الذين كانوا مركزين بالهند ، ومقدمهم بلكاخان . فعاد السلطان إلى مضاربه بأوجان<sup>(٣)</sup> ، وجهز رسول المغرب تجهيزاً ثانياً ، فلما وصل الرسول إلى الموصل دخلت عليه طائفة ليلاً فأخرجوه ولم يعد ، وتحقق أنه حدر إلى بغداد ورجع بقاشه وخيله إلى السلطان وما تعرضوا إليها ولم يدر عاقبة أمره .

(١) فى الأصل: الزبدانية . والزبدانى : بساتين من ضواحي دمشق .

(٢) مياخ أوميانة : إحدى مدن أذربيجان بين مراغة وتبريز . ياقوت : معجم البلدان ،

ج ٨ ص ٢٢٠ ، والقلة شندى : صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٣٦٠ .

(٣) أوجان : إحدى مدن أذربيجان .

ذكر تملك لمطان مدينتي بيلقان<sup>(١)</sup> وأردويل<sup>(٢)</sup> بأعمالهما شرف الملك  
في سنة أربع وعشرين وستمائة

لما توجه السلطان إلى العراق في هذه السنة وجدهما<sup>(٣)</sup> من الخراب  
بمجال لم ترج عمارتهما<sup>(٤)</sup> ، وما كان قد حصل بهما علق خيله ، ورجعت  
الممتارة عنهما بأوعية خالية ، فملكها شرف الملك ، علماً بأنهما مادامتا  
في جملة الخاص لا نزداد إلا خراباً ، ولم تلقيا<sup>(٥)</sup> إلا يباباً . فضرب عليهما  
في تلك السنة سورين من آجر ، ترغيباً للرعية في العود إليهما ، فعادتا إلى  
أحسن ما كانتا عليه قديماً من حال العبارة ، وأثمرتا<sup>(٦)</sup> أموالاً يتضام<sup>(٧)</sup> ،  
مال كشجة وتبريز في جنبهما<sup>(٨)</sup> قدرأ .

وقد نزل السلطان بعد سنة أو أكثر فرفع شرف الملك على يدي إلى  
المواقف السلطانية رقعة مضمونها أن أقل المالك يقبل الأرض ، وينهى  
لدى السرير الأعظم أنه يحمل إلى المطابخ والمخابز والاسطبلات من حاصل  
بيلقان ما يأتي شرحه : الغنم الحلال ألف رأس ، الخنطة ألف مكوك<sup>(٩)</sup> ،  
الشعير ألف مكوك . فوقف السلطان عليها ، وما زاد غير تيسم .

(١) راجع صفحة ٢٠٥ حاشية ١ .

(٢) أردويل أو أردويل : إحدى مدن أذربيجان ، بينها وبين تبريز سبعة أيام . انظر  
ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ص ١٨٣ ، وقيل إنها كثيرة الخصب وعلى فرسخين منها جبل عظيم  
الارتفاع ، وأهلها غلبوا الطبع شرسوا الأخلاق ، انظر القلقشندي : صبح الأعشى ،  
ج ٤ ص ٣٥٦ .

(٣) أي مدينتي بيلقان وأردويل . (٤) في الأصل : عمارتها .  
(٥) في الأصل : تلقيا . (٦) في الأصل : أثمر .  
(٧) في الأصل : ينضال . (٨) في الأصل : جنبها .

(٩) المكوك وجمه مكايك : مكيال للحبوب يسع صاعاً ونصفاً ، والصاع قدر نصف  
وينة ، والوينة ثلاث كيلات . وهذه المكاييل ليست ذات سعة واحدة في أنحاء البلاد الإسلامية .  
انظر المقرئزي : السلوك ، ج ١ قسم ٢ ص ٤٠٩ حاشية ١ .

## ذكر الملك خاموش بن الأتابك أزبك

### ووصوله إلى خدمة السلطان

لم يخلف الأتابك أزبك ولداً إلا الملك خاموش ، وكان قد ولد أصم أبكم لا يفهم ولا يستفهم<sup>(١)</sup> منه إلا بالإشارات ، ولا كل أحد يقدر تفهيمه والاستفهام منه إلا شخص واحد قد رباه . وكان أبوه قد زوجه بصاحبة « روين دز »<sup>(٢)</sup> ، وهي من حفدة الأتابك علاي الدين كرايه صاحب مراغة ، فلما وصل السلطان إلى كنجة منصرفه من خلاط ، على ماسبق ذكره ، قدم الملك خاموش ، وقد سموه خاموشاً لأنه غير قادر على النطق ، وأحضر في جملة تقاديمه حياصة كيكاووس ملك الفرس قديماً ، وكانت تحوى عدة جواهر نفيسة لا تقوّم ، من جملتها قطعة بندخشاني بمسوح مصفح طولاني على قدر كف ، أنغر ما يكون من الجواهر وأبهاه ، وقد نقر فيها اسم كيكاووس وأسماء جماعة من الملوك بعده ، وأضاف السلطان إليها قطعاً أخرى نفائس مما كانت له وغير صناعتها ، وجعل الفص الكيكاووسي واسطتها . وكانت تشد في الأعياد لا غير ، إلى أن كبسه التاتار بآمد في شوال سنة ثمان وعشرين وستائة<sup>(٣)</sup> ، فظفروا بالحياصة وسائر الجواهر ، وحملت إلى الخاقان ابن جنكز خان ملك الترك<sup>(٤)</sup> ، وأقام الملك خاموش

(١) في الأصل : لا يفهم ويستفهم .

(٢) روين دز : إحدى الفلاع القريبة من مدينة أردويل .

(٣) انظر حوادث هزيمة جلال الدين منكبرتي عند مدينة آمد في كتاب الكامل لابن

الأثير ، ج ١٢ ص ٢٣١ .

(٤) هو أجتاي ( أكتاي ) بن جنكيزخان : ٦٢٤ / ٥٦٣٩ = ١٢٢٧ / ١٢٤١ م .

في خدمة السلطان مدة مديدة ، فلم يحظ بعناية إلى أن رثت (١) حاله ، وأعول  
عياله (٢) ، ففارق السلطان من غير إذن إلى علاء الدين صاحب الإسماعيلية (٣)  
وساقه الموت إلى الموت (٤) ، فتوفي بها بعد شهر .

---

(١) رثت حاله : ساءت .

(٢) أعول عياله : افتقروا .

(٣) هو علاء الدين محمد الثالث بن حسن الثالث : ٦١٨/٦٥٣ هـ = ١٢٢١/١٢٥٥ م .

(٤) أمم وأمنع حصون الإسماعيلية في فارس .

انظر القلقشندی : صبح الأعشى ، ج ١٣ ص ٢٤٤ ، وراجع ما كتبه إدوارد براون

E. Browne بن هذه القلمة في كتابه : A Literary History of Persia, vol. ii, pp.203-204.

## ذكر رفع صدور العراق على شرف الدين على التفرشي

### وزير السلطان بالعراق

كان شرف الدين على بن الفضل من رؤساء تفرش ، وهي كورة من كور العراق ، خدم الدواوين (١) متنقلا (٢) من رتبة إلى أخرى أعلى منها شأنًا ، وأرفع مكانًا ، إلى أن ولي استيفاء (٣) العراق عند تملك السلطان الكبير (٤) ، ولده غورشايحي إقليم العراق ، وقد تعصب عليه ونكب في أيام غياث الدين إلى أن طلعت رايات السلطان من الهند و صفا (٥) له ملك العراق بادر (٦) كفاه إلى الخدمة ، فاستوزره لجميع العراق محكا في الرقاب والأموال ، منزلا حكمه منزلة الأحكام السلطانية ، فانبسط يده وباعه ، وتموجت بندغائر الأموال رباعه (٧) ، وأخذ يقلع صدور (٨) العراق ومن كان يتوهم من جهته مزاحمة على ماتحت يده ، ومنازعة لما هو بصدده . فنسكب الصدور ، وأوغر الصدور . ولم يتول حكم العراق بأسرها وزير قبله بل كان لكل مدينة وزير يدبرها بمفردها (٩) ، فاتفق نظام الدين وزير أصفهان قديما ، وشهاب الدين عزيزان مستوفيها ، وقاضي أصفهان ركن الدين مسعود بن صاعد ، على الرقبة (١٠) عليه ، والوقية به ، واسترواح الأرواح منه ،

(١) في الأصل : الدواوين . (٢) في الأصل : متنقلا .

(٣) راجع ما كتبه عن وظيفة المستوفي في صفحة ١٨٣ ، حاشية ٥ .

(٤) علاء الدين محمد خوارزم شاه .

(٥) في الأصل : صفى . (٦) في الأصل : بادرا .

(٧) الرباع ، جمع ربع : الدار وما حولها . (٨) الصدور : رموس القوم .

(٩) راجع ما كتبه عن الوزارة عند الخوارزميين في صفحة ٨١ ، حاشية ٣ .

(١٠) الرقبة : القضية ، يريد الايقاع به .

وتفريغ الخواطر من جهته . وواطأهم شرف الملك على أن يساعدهم ليحطه عما ناله من المنزلة المحسودة ، إذ كان قليل الاحتفال لم يتبعه في جميع أغراضه وأهوائه (١) ، بخلاف سائر وزراء الأطراف . فأمر السلطان أن يعقد شرف الملك لهم مجلسا يسمع فيه رفايعهم (٢) ، بحضور سائر أرباب المناصب بالديوان . وجلس السلطان ينظر إليهم من شباك يسمع مقالاتهم وهم لا يعلمون ، ويحسبون أننا لا نسمع سرهم ونجواهم ، بلى ورسنا لديهم يكتبون ، (٣) .

فلما أحس شرف الدين بأن شرف الدولة مواطبهم على ما اتفقوا عليه من الرفيعة ، وحطه عن المنزلة الرفيعة ، أرضى (٤) السلطان بمائة ألف دينار يحملها إلى الخزانة ، على أنه لا يقبل قولهم فيه ، وعلى أن كلامهم يسمع فيما يرفع عليهم من المعاملات العتيقة . وكان السفير بينهما في ذلك ملك الخواص تاج الدين قليج ، فرضى السلطان بذلك ، وأولئك (٥) لا يدرون . وقد كانوا من نصب تلك الحيلة قد ملثوا سرورا ، وما كان يعدهم الشيطان إلا غرورا .

وكنت قد حضرت المجلس أسمع رفايعهم ، فكان بين كلامهم وكلام شرف الدين في التوجيه من البعد ما بين الثرى والثريا ، إذ كان شرف الدين في الكفاية فريد عصره ووحيد دهره . فقام عن المجلس مستمرا على ما كان له من الجاه والحكم بعامة مدن العراق . وكاد شرف الملك يموت كدأ ، وسائر الصدور قد أقيموا بالتوكيل يطالب كل واحد منهم بعشرين ألف دينار ، وثلاثين ألفا (٦) . ولما عزم شرف الدين على العود إلى بيت

(١) في الأصل : أهويته .

(٣) سورة الزخرف ، آية ٨٠ .

(٢) جمع ربيعة ، وهي القضية .

(٤) في الأصل : أرضا .

(٥) في الأصل : ألف .

(٦) في الأصل : اولائك .



عليه ، لم ير أن يترك شرف الملك بغيظه ، فاستحلفه على الاعتناء به على أن  
يحمل إلى خزانته عشرين ألف دينار ، فحملها في مدة سنة ، وما غيرت  
شيئاً من قلة اعتناؤه به ، وترصده الإيقاع به في سائر أوقاته ، ولم يأل  
جهداً<sup>(١)</sup> في قلعه من أصوله<sup>(٢)</sup> وردده إلى خمر له . وكفاه الله ما كان ينويه  
إلى أن قتل بغيظه فيه .

---

(٢) في الأصل : في قلعه أصوله .

---

(١) في الأصل : جهراً .

## ذكر قتل الاسماعيلية أورخان بكنجة<sup>(١)</sup>

ولما كان السلطان بالهند ، قاصر اليمين عن مقابلة الخدمة بالإحسان ، يطيب قلب من ترضيه خدمته باللسان ، وعد لكل من معه من الأمراء بإقطاع إذا ملك العراق وخراسان . فلما تملكها وفي بما وعد ، فأقطع أورخان ما كان قد تبق من أرمق خراسان . وكان نائبه يتعرض إلى ما يتاخمها من بلاد الإسماعيلية ، مثل تون<sup>(٢)</sup> وقاين<sup>(٣)</sup> وقهستان بالنهب والقتل ، فورد منهم شخص يلقب بالكمال ، وقد ناب عن صاحبهم زماناً ببلاده الشامية ، رسولا على السلطان بخوى يشكو نواب أورخان وتطاوهم إلى تخوم أرضهم ، فأمر شرف الملك أن يقابل بينه وبين أورخان فيقطع الشكوى . فلما سمع أورخان كلام الكمال ، وكان يتضمن نوعاً من التهديد ، جذب من خفيه وحياصته وكمراته عدة سكاكين ورماها بين يديه ، وقال : هذه سكاكيننا ، ولنا من السيف ما هو أمضى منها وأحد ،

(١) كانت طائفة الاسماعيلية قد أخذت تتقرب إلى المغول منذ أيام جلال الدين حسن الثالث ابن محمد الثاني داعي دعاة الاسماعيلية في فارس ، ٦٠٧/٦١٨ هـ = ١٢١٠ / ١٢٢١ م ، الذي راسل جنكيزخان بقصد التقرب إليه ، وحثه على مناهضة الدولة الخوارزمية بعد أن عجزت الخلافة عن مناهضتها . فلما اكتسح المغول الدولة الخوارزمية وعاد جلال الدين من بلاد الهند بعد عودة جنكيزخان إلى منغوليا ، وجد أن رجال الاسماعيلية قد أعمالوا التخريب في أراضي الدولة الخوارزمية ، وأكثر من ذلك فإنهم كانوا يتقربون إلى المغول خوفاً على أنفسهم من ازدياد قوة جلال الدين منكبرتي . ولم يكن جلال الدين من القوة بحيث يستطيع أن يتوجه إلى حصون الاسماعيلية ، لذا كان العداء بين الطرفين محاطاً بالحذر من كلا الجانبين . انظر : Vladimirtsov : Op. cit., pp. 131—132. & Bretschneider ; Op. cit., vol. i, p. 116.

وانظر أيضاً كتابنا : الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي ، ص ٨٦ — ٨٧ .

(٢) قرأها هوداس Houdas خطأ عن النسخة الخطية «بون» ، وصحتها تون وهي مدينة في نواحي قوهستان . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ص ٤٣٥ .

(٣) قاين : بلد بين نيسابور وأصبهان . انظر ياقوت : معجم البلدان ج ٧ ص ٢٠ .

واعلى يدا ، وليس لكم منهم شيء . وعاد الرسول بظلامة ما أنصفت ،  
وحاجة ما أسعفت .

فلما عاد السلطان إلى كهنجة ، وثب بأورخان ثلاثة من الفدائية فقتلوه  
بظاهرها ، ودخلوا المدينة والسكاكين بأيديهم ينادون بشعار علام الدين (١) ،  
إلى أن وصلوا إلى باب شرف الملك دخلوا دار الديوان فلم يجدوه بها ، وكان  
حينئذ بباب دار السلطنة بالقصر ، فجرحوا فرأشأ له ، وخرجوا متادين  
بشعارهم ، مباهين بانتصارهم . فرجعتهم العوام من السطوح إلى أن رضوهم  
وهم يقولون الى آخر النفس : نحن قرابين المولى علام الدين (٢) .

وقد كان وصل بدر الدين أحمد رسول الموت إلى بيلقان قاصداً باب  
السلطان ، فلما سمع بالحادثة تحير في أمره فلا يدري أيقدم أم يرجع . وورد  
كتابته على شرف الملك يستشير في أمره ، فاستسر بمقدمه لرعب داخله من  
طلب الفدائية داره ، وأراد تمهيد قاعد معه يؤمنه في الأجل عن مثل ماتم  
على أورخان من القتل الفظيعة ، والفتنة الشنيعة . فسكتب إليه يحثه على  
إيراده ، ويمنيه قضى شغله على وفق المراد . وكان قصوى مرادهم ، إزالة  
التعرض عن بلادهم . وكانوا قد استولوا على دامغان (٣) في زمن التاتار  
حين خلت عن يحميها ، والسلطان مطالبهم بتسليمها ، فتقرر الأمر على

(١) في الأصل : علاى الدين . والمقصود هنا علاء الدين محمد الثالث بن حسن الثالث ،

داعي دعاة الاسماعيلية في فارس : ٦١٨ / ٦٥٣ هـ = ١٢٢١ / ١٢٥٥ م .

(٢) كانت طبقة الفدائيين أهم طبقات المجتمع الاسماعيلي في فارس ، لذا كانت الأداة التي

يعتمد عليها دعايتهم في القضاء على أعدائهم . وقد مهر الفدائيون في فن التخفي واستعمال

السلاح وإنفان اللغات الأجنبية ، وكانوا يقتلون المسلمين أيام الجمع في المساجد ، كما كانوا يقتلون

المسيحيين في الكنائس علناً . وكان داعي دعاة الاسماعيلية إذا أراد قتل أحد أعدائه ، أرسل

إليه عادة ثلاثة من الفدائيين بحيث إذا فشل أحدهم أدى الآخرون المهمة على أكمل وجه .

أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ص ٥٢ ، طبعة R.H.O.C . وانظر أيضاً :

Browne : A Lit. History of Persia, vol. ii, pp. 209-210.

(٣) دامغان : مدينة على الطريق بين الري ونيسابور . انظر ياقوت : معجم البلدان ،

ج ٤ ص ٢٦ .

استمرارها بأيديهم على أن تحمل إلى الخزانة السلطانية ثلاثون ألف دينار ،  
وكتب لهم بها توقيماً<sup>(١)</sup> ، وركبوا صوب أذربيجان ، وبدر الدين أحمد  
رسول الموت في صحبة شرف الملك ، يحضر خاص مجلسه ، وعام سماطه ،  
وبسط شرف الملك له أسباب انبساطه . فلما وصلوا إلى مرج سراو<sup>(٢)</sup> ،  
وقد حصل الاسترسال ، قال في بعض مجالس الشرب ، وقد أخذت  
الكؤوس منه مأخذها ، إن لنا في عسكركم هذا جماعة من الفسدائية ، وقد  
تمكنوا فصاروا كالواحد من غلمانكم ، فمنهم من خدم اصطبلك ، ومنهم من  
خدم عند مقدم جاويشية السلطان . فألح شرف الملك عليه أن يحضرهم  
ليبصرهم ، وأعطاه منديله علامة للأمان لهم ، فأحضر المذكور خمسة من  
الفدائية ، فلما وقفوا بين يديه ، وكان الواحد هندياً وقحاً ، صار يقول  
لشرف الملك : كنت قد تمكنت منك يوم كذا وكذا في منزل كذا ، إلا أني  
كنت أنتظر ورود الأمر بإمضاء العزيمة فيك . فرمى شرف الملك حين  
سمع كلامه الفرجية من ظهره ، وقعد بين أيديهم بالقميص وقال : ما سبب  
ذلك ؟ وماذا يريد مني علاء الدين ؟ وما الذي صدر عنى من الذنب<sup>(٣)</sup>  
والتقصير ليعطش إلى دمي وأنا مملوكه ، كما أنا مملوك السلطان ، وهأ نذا<sup>(٤)</sup> بين  
أيديكم فافعلوا ما شئتم . وبالغ حتى جاوز في التذلل حد الإقتصار .

وبلغ السلطان ذلك فغضب له وأنكر عليه تذله ، وسير إليه من خواصه

(١) في الأصل : توقيم .

(٢) في الأصل : سراة . ومما يجب الإشارة إليه في هذا المقام ، أن هوداس قرأ اسم هذه  
المدينة مرة سراة ، ومرة أخرى سراة . وقد انتقل هذا الخطأ إلى الترجمة الفرنسية فقد كتبها  
مرة Sérâh ، ومرة أخرى Sérât . والحقيقة أن صحته سراو ، وهي إحدى مدن أذربيجان  
بين أردبيل وتبريز ، وتقع على مسيرة ثلاثة أيام من الأولى . راجع ص ٦١ حاشية ٢ . وانظر  
الصفحات ٣٢ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ من الطبعة الفرنسية ، وانظر أيضا ياقوت : معجم البلدان ،  
ج ٥ ص ٥٨ ، ٥٩ .

(٣) في الأصل : صدر عنى الذنب . (٤) في الأصل : ها أنا .

من ألزمه بإحراق الفدائية الخمسة على باب خيمته ، فاستعفى (١) عن ذلك فلم يعف ، فأمر على كره منه . فأوقدت على باب خيمته نار عظيمة ، ورمى أولئك الخمسة فيها ، فكانوا يحترقون (٢) وهم يقولون : نحن قرابين المولى علاء الدين : إلى أن فارقت الأشباح الأرواح ، وصاروا رماداً تذروه الرياح . وقتل السلطان كمال الدين مقدم الجاوشية (٣) بسبب استخدامه الفدائي ، إذ كان أولى من يقدم الاحتراز ، ويعمل بالاحتياط . ورحل من هناك صوب العراق ، وتخلف شرف الملك بأذربيجان وتخلف (٤) معه ، فبينما نحن ببرذعة ، إذ ورد رسول من الموت يلقب بصالح الدين على شرف الملك يقول : إنك قد أحرقت خمسة من الفدائية ، فإن أحببت سلامتك أد عن كل واحد منهم عشرة آلاف دينار دية . فهاله ما سمع وأكده ، وأضعف عن كل شيء قلبه ويده . فخص هذا الرسول عن أمثاله بإنعام وافر ، وتشريف فاخر ، وأمرني فسكرتبت لهم توقيعاً ديوانياً بإسقاط عشرة آلاف دينار مستمرة في كل سنة مما تقرر حملها إلى الخزانة السلطانية ، وهي ثلاثون ألف دينار . وعلم عليها شرف الملك علامته على التوقيع .

(٢) في الأصل : يحترقوا .

(٤) يتحدث محمد النسوي عن نفسه .

(١) في الأصل : فاستعفى .

(٣) في الأصل : الجاوشية .

ذكر مسير السلطان إلى العراق  
في سنة أربع وعشرين وستمائة<sup>(١)</sup>  
والتقاءه التاتار بظاهر أصفهان

لما وصل السلطان إلى سراو<sup>(٢)</sup> ، وجرى ما ذكرناه ، من إحراق  
الفدائية الخمسة سار صوب تبريز وأقام بها مدة استجماماً<sup>(٣)</sup> ، فورد الخبر  
من خراسان بأن التاتار على أهبة العبور ، فضم السلطان أذباله ، وجمع  
أطرافه ، ورأى البدار إلى أصفهان والتقاءهم بها أصوب ، ومن الاحتياط  
والحزم أقرب ، لما فيها من عدة وعديد ، ورجال يموجون في بحار من  
حديد . فوصلها وجرى أربعة آلاف فارس صوب الري ودامغان برسم  
اليزك ، إذ كانت الأخبار ترد من جهتهم يوماً بعد يوم ، فهم يتأخرون  
والتاتار يتقدمون<sup>(٤)</sup> ، إلى أن عادوا إلى السلطان سالمين وأحضروا معهم  
من أعلم السلطان بما في عسكر الملاحين من مرده العفاريت ، وعتاة  
الطواغيت<sup>(٥)</sup> ، مثل تاجن نوين ، وتاتاك نوين ، وباقو نوين ، أسن طغان  
نوين ، وياتماس نوين ، وباسور نوين وغيرهم من الملاحين<sup>(٦)</sup> .

(١) تكلم ابن الأثير عن هذه الحرب ضمن حوادث سنة ٦٢٥ هـ .

(٢) راجع صفحة ٦١ حاشية ٢ ، ص ٢٣٠ حاشية ٢ .

(٣) في الأصل : استجماماً . (٤) في الأصل : يتقدم .

(٥) الطواغيت جمع طاغوت وهو الشيطان . قال تعالى : يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت

وقد أمروا أن يكفروا به . سورة النساء ، آية ٦٠ .

(٦) جاءت معظم هذه الأسماء في الأصل الخطي دون نقط ، ولذا فإنها تحتمل عدة قرارات .  
وعلى كل فإن كتابة هذه الأسماء على هذا النحو تبدو في جملتها مختلفة تماماً عن أصلها المغولي .  
ولكن يجدر بنا أن نشير هنا إلى أن « نوين » Noyan لفظ مغولي معناه أمير . انظر الفقه شندى

صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٤٢٥ ، وانظر أيضاً : Howorth : Op. cit., part iii, p. 88.

ونزل التانار شرقي أصفهان على مسيرة يوم بقريّة تسمى «السين»<sup>(١)</sup>. وكان المنجمون أشاروا على السلطان بمصايرتهم ثلاثة أيام والتقاءهم في الرابع، فلزم المكان يرتقب اليوم الموعود، والميقات المضروب. وبما يدل على قوة قلب السلطان في الأمور القادحة، وقلة ميالاته بالخطوب الكالحة، أن جماعة الأمرام والخانات لما سمعوا بقرب العدو، انزعجوا لذلك، وقصدوا بابه، فجلسوا ساعة حتى أذن لهم بالدخول. فلما وقفوا بين يديه وهو واقف في صحن الدار أخذ يتكلم زماناً فيما ليس يتعلق بالتانار استحقاقاً بهم، وإظهاراً للجماعة بأن الأمر ليس بأمر، وأن الحادث ليس بشكر، تسكيناً لقلوبهم الخافقة، وتقوية لنفوسهم الفارقة. وطاول في أطراف المحادثة إلى أن أجلسهم وشارهم فيما يقع عليه الاتفاق<sup>(٢)</sup> في ترتيب المصاف، فكانت زبدة المشورة أنه استحلّفهم على أن لا يهربوا ولا يختاروا الحياة على الموت. ثم حلف لهم بمثل ما حلفوا له تبرعاً منه من غير استدعاء، على أنه يقاتل مستقتلاً<sup>(٣)</sup>. وعين لهم يوم المصاف، وأحضر قاضي أصفهان ورئيسها وأمرهم باستعراض الرجال في السلاح شاكرين، وفي ظلهم<sup>(٤)</sup> المزاجية<sup>(٥)</sup> شاكرين. وعامة أصفهان لا تقاس بعامة سائر البلاد في هذا الباب. إذ كانوا يبرزون إلى ظاهرها في الأعياد والنيارين<sup>(٦)</sup> بقزاقينات من الأطلس مختلفة الأصباغ، كأنها زهر الربيع، أو وشمى المرط<sup>(٧)</sup> الصنيع يرى الرائي<sup>(٨)</sup> عليها كواكب نيرات، أو مصاحف زينت

(١) سين : قرية بينها وبين أصفهان أربعة فراسخ . انظر ياقوت : معجم البلدان ،

ج ٥ ص ٢٠٣ .

(٢) في الأصل : الاتفاق .

(٣) في الأصل : مستقتلاً . واستقتل : عرض نفسه للقتل واستمات في الحرب .

(٤) في الأصل : ظلهم . (٥) لعلها المزججة .

(٦) يشير إلى عيد النوروز ، وهو عيد فارسي الأصل ، ومعناه اليوم الجديد . وقد احتفل

به الأقباط والمسلمون فيما بعد ، ولا سيما الفاطميون في مصر .

(٧) المرط : الملاعة . (٨) في الأصل : المرأي .

بعشر ايات . فلما رأى الملاعين أن السلطان أبطأ في الخروج ، ظنوا أنه امتلأ رعباً ، وضعف قلباً ، وجنح إلى المطاولة عن المصاولة ، جرّس ألقى فارس إلى الجبال بلاد اللر<sup>(١)</sup> ليجمعوا من الغارات ما يقوتهم<sup>(٢)</sup> مدة الحصار . فدخلوا الجبال وتوسطوها واختار السلطان من عسكره زهاء ثلاثة آلاف فارس . فأخذوا عليهم المضايق ، وأرسلوا عليهم الصواعق والبوارق . وعادوا فأحضروا معهم زهاء أربعمائة أسير ، مابين مأمور وأمير . فسلم السلطان جماعة منهم إلى القاضي والرئيس كي يقتل في شوارع المدينة تضرية<sup>(٣)</sup> للعوام . وضرب رقاب الباقين بيده في صحن الدار . فجروا إلى ظاهر المدينة وترك جثثهم الخبيثة بالعراء ، تتجاذبها الكلاب جياعاً ، وتتقاسمها النسور انتزاعاً وابتلاعاً .

وخرج السلطان في اليوم الموعد للمصاف ، فرتب الجيوش قلباً كجتماع الليل ، وميمنة كمدفع السيل ، وميسرة مشحونة بأشاهب الخيل . وأشرقت الأرض من الوميض ، ولمعان السمر والبيض ، فلما تراءى<sup>(٤)</sup> الجمعان ، خذله غياث الدين في ذلك الوقت ، وفارقه بعسكره وطائفة من عسكر السلطان مقدمهم جهان بهلوان ايلجى ، مختبئاً فرصة الانفلات عن اشتغال السلطان عن طلبه ، وتبعه في مهربه ، خاسراً فوز الدارين ، ومفتوناً كلتا الجنتين ، لوحشه حدثت في ذلك الوقت ، وسنذكرها وسببها فيما بعد . وتغافل السلطان عنه شغلاً بالبازل<sup>(٥)</sup> القرم<sup>(٦)</sup> عن المثنى<sup>(٧)</sup> . وبالعثقاب<sup>(٨)</sup>

(١) راجع ص ١٩٠ حاشية ٢ .

(٢) قرأها هوداس Houdas في الأصل الخطى « يقويهم » ، ثم عدلها في الطبعة الفرنسية إلى « يقوتهم » . والواقع أن القراءة التي تناسب مع المعنى هي لاهنا ولا ذاك وإنما هي « يقوتهم » كما ذكرنا ، والغرض جمع القوات مدة الحصار .

(٣) تضرية : إثارة للضراوة .

(٤) في الأصل : تراءى .

(٥) البازل : ما طلع نابه من الإبل .

(٦) القرم : البعير المكرم عند أهله لا يحمل عليه .

(٧) المثنى : البعير الذى سقطت ثناياه أى مقدم أسنانه كبرا .

(٨) العثقاب : طائر من الجوارح .



المنقض عن السكركى (١) ، ووقف التاتار حذاء السلطان على رسمهم أطلابا متفرقة ومترافة ، وأمر السلطان ، لما حاذهم ، رجالة أصفهان بالعود ، إذ أعجبتته كثرتة ، وبالعدو استحقارا واستضعافا ، وقد رأى عسكره بالنسبة إليهم أضعافا . وتباعد ما بين الميمنة التي للسلطان وميسرته ، حتى لم تعرف الواحدة منهما ما حال أختها ، فغدت وحوش البر مأسورة وطيور الجو مقهورة . ولو أحست الأرض لرنت (٢) من ثقل الحديد ، والمشى الوئيد . فالتقوا على حرب أشابت الذوائب ، وأزارت الكواكب . وحملت آخر النهار ميمنة السلطان على ميسرة التاتار ، حملة أخرجتها الى الفرار ، وحرمتها جانب القرار ، وركبوا أكتافهم فقتلوا منهم أنى يشقونهم (٣) وتبعوهم إلى تخوم قاشان ، وعندهم أن ميسرة السلطان فعلت بمن حذاءها مثل فعلهم . وكان السلطان لما رأى انهزامهم وقد جنحت (٤) الشمس للغروب ، وكاد الليل ينشر سخوآ لك الجلابيب ، نزل على حافة جرف كان في المعركة فأتاه ايلان توغو مشنعا ومعيرا ، وقال : قد تمنينا دهرنا أن يرزق مثل هذا اليوم الأبيض في هؤلاء الملاءين ، نذهب فيه غيظ قلوبنا ، ونظني حر صدورنا . فلما سمح الدهر بالأمول ، وجاد الزمان باسعاف السول (٥) يخلى عطاش آمانا عن الماء ويزاد عن مشربها العذب بلاها ظاء (٦) . وفي هذه الليلة تقطع التاتار مسيرة يومين فنندم على فواتهم حين لا تغنى الندامة ، هلا نركب فنتبع آثارهم ، ونقطع أدبارهم ، فنسقيهم مما سقونا كؤوسا ، فنطيب (٧) نفوسا ؟

فركب السلطان للوقت . وكان التاتار لما شاهدوا السواد الأعظم ،

(١) السكركى : طائر غير جارح .

(٢) رنت : صوت ، من الرنين .

(٣) يشقونهم : يجدونهم .

(٤) في الأصل : انهزامهم قد جنحت .

(٥) في الأصل : السول . والسول ، أى المسؤل وهو السؤل .

(٦) في الأصل : يخلى عطاش آمانا الماء ، ويزاد عن مشربها العذب بلاها ظاء .

(٧) في الأصل : فنطيب .

والامر الأتخم ، تجردت نجب شجعانهم بطاغية بهادريتهم للكمين وراء  
تل ، فلما عبر السلطان الجرف ، وقد توجت الشمس قمة المغرب ،  
خرج الكمين من الميسرة كالنار تستعر ، لا تبق ولا تذر ، فضربوا الميسرة  
على القلب ، فلم تكن إلا حملة واحدة حتى زلت الأقدام عن مقارها ،  
وتهاوت الرقاب عن مزارها ، وجعلت تنسأفط أشخاص الأولوية والمطارد ،  
وتبرد النفوس عن ضرب السيوف البوارد ، وفارت (١) ينابيع الدماء ،  
فيض مجاديج الأنواء ، وثبت الخناات والأمراء أصحاب الميسرة وفاء بالإيمان  
حتى قتلوا ، فلم يسلم منهم إلا ثلاثة ، كوج تكين بهلوان ، والحاجب الخاص  
خان بردى ، وأودك أمير آخور . ووقف أخش ملك يقاتل إلى أن ترك  
من السهام كالقنفذ واستشهد ، واستشهد ألب خان ، وأرتق خان وكجوقه  
خان ، ويولق خان ، ومنكلي بك طابن ، فلم يدر دائر (٢) الحرب يومئذ  
إلا على ليث أغلب ، أو جرف محجب . وماج الفريقان بعضهم في بعض  
ضربا يزيل الزنود عن المرافق . والرؤوس عن العواتق ، وطعننا يهتك  
ودائع الصدور ، ويرد مشارع الغموم والسرور . وأسر علاء الدولة  
أباخان صاحب يزد ، وأخذته واحد من المرتدة فأعطاه صدرا من المال  
كان في يده ، فأطلقه ووقع في بئر بالليل فمات .

وقد علم الناس يومئذ مكان أورخان الذي قتله الإسماعيلية بكنيجة من  
ميسرة السلطان إذ لم ير ماعاش لغيره من الخانات أثر مشكور ولا مقام  
محمود ، وكانت الميسرة مذحياته منصوره . نعم ووقف السلطان في القلب  
وقد تبدد نظامه وتفردت عن الحماة أعلامه . وأحاط العدو به من كل صوب ،  
فصار المَخْطَأَص من كثرة الأخلاط ، أضيّق من سم الخياط . ولم يبق معه إلا  
أربعة عشر من خواص بماليكة . والتفت إذ ذاك وإذا بحامل الراية ، وهي

(٢) في الأصل : دابر .

(١) في الأصل : فازت .

سندجقة ، قد ولي منهنزما ، فالحقه بطعنة أسلمته فيها إلى قدر (١) الأقدار ،  
 وفتح لمن معه ولنفسه بمحمله على التاتار ، أفرجت عن الطريق ، وخلصت من  
 المضيق . ولما عاين اللعين باينال ماقد جرى منه أعجبته بسالته فحرك المقرعة  
 ورام ، وقال : سلمت حيث سمقت ، فإنك رجل زمانك ، وكبش أقرانك .  
 وحكى ذلك أمير من أمراء التاتار فارقه إلى السلطان . ثم إن القلب  
 والميسرة تفرقا في الأقطار كسواد الأمثال ، فمنهم من وقع إلى فارس ، ومنهم  
 من طرحتة الجفلة إلى كرمان ، ومنهم من احتد في ركضه إلى أذربيجان ،  
 ومنهم من أقعده عدم الدواب ، وتلف المراكب والأسباب ، فدخل  
 أصفهان وعادت ميمنة السلطان بعد يومين من جهة قاشان معتقدين أن  
 الميسرة بأصفهان وأنهم والقلب فائزان (٢) أيضا . فلما علمت بصورة الحال  
 جد الآخرون (٣) في التفرق بتانا ، والتسحب أشتاتا ، فلم يسمع بمثله مصافا  
 عجيبا لانهنزام كلا (٤) العسكرين وتفاى أمرائهما وركض الجفلة ببقاياهما إلى  
 أخريات ديارهما ، وأقاصى أقطارهما .

وخفي خبر السلطان ثمانية أيام ، فلم يدر أحى فينتظر عوده ، أم لا  
 فينتظر الامر من يقوم به بعده . وهمت عامة أصفهان بمد الأيدي إلى عورات  
 النساء الخوارزمية وأموالهن (٥) ؛ فاستمهلهم القاضى إلى العيد ريثما يتحقق  
 حال السلطان . وكان المصاف في الثاني والعشرين من رمضان سنة خمس وعشرين  
 وستائة . وقد كان الأتابك يغان طابسى لم يخرج من أصفهان يوم المصاف  
 لمرضه ، فاتفق القاضى ومن تخلف بها من أرباب الدولة على أنهم إن صلوا  
 صلاة العيد ولم يظهر للسلطان خبر ، يجلسوه على السرير ، إذ كان فيه من  
 أسباب الرياسة ، وأدوات السياسة ما استمات القلوب إليه ، وجمعت  
 الأهواء عليه . فلما خرج الناس يوم العيد إلى المصلى ، وصل السلطان وحضر  
 الصلاة ، فاعتدوا بعوده عبدا ، وظنوا بأنهم أنشئوا خلقاً جديداً . وأقام

(١) في الأصل : قدر .  
 (٢) في الأصل : فايزين .  
 (٣) في الأصل : جدوا الآخرين .  
 (٤) في الأصل : كلى .  
 (٥) في الأصل : أموالهم .

بها عدة أيام إلى أن تراجعت فرق من عساكره المتفرقة ، وجازى السلطان  
أمراء ميمنته بجزيل الرواتب والمراتب ، ولقب يكت ملك بأوترخان ،  
وتكشارق حاسى بخاص خان ، وكتمنقر ملك بسنكرخان ، وأبو بكر ملك  
بإينام خان . وسار بهم مشرقاً نحو الري ليزيد التاتار نفوراً وتبعيسداً .  
وجرد سراياه إلى أرض خراسان يزيد بذلك انتشار حيث القوة ، وبعد  
سمعة القدرة . وهيات أوردأ وقد يصب الماء وشماً (١) . وقد أصبحت السماء  
وقيرة (٢) ، وقد سقط الجدار وشيزة ، وقد ظهر الشوار .

إذا اجتمعت دموع في حدود تبين من بكي (٣) من تباكي (٤)  
وأما الملاعين (٥) ، فقد عادوا من أصفهان خائفين ، وأنهم مع انتصارهم  
في آخر النهار قد نالت منهم السيوف ما لم تنله من المسلمين ، فنكصوا على  
أعقابهم مغلوبين ، أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً (٦) . فلم يخاص منهم إلى  
ماوراء جيحون إلا قليلاً (٧) .

(١) الوشم : نزول المطر قطرات فلا يروى . وقد صححها هوداس خطأ في الطبعة الفرنسية  
« سما » .

(٢) في الأصل : وغيرة . والوقيرة : النقرة في الصخر تمسك الماء . نهبت بها السماء ،  
أى غير صافية .

(٣) في الأصل : بكا . (٤) في الأصل : تباكا ، والبيت للمتنبي .

(٥) في الأصل : للملاعين . (٦) عن سورة الأحزاب ، آية ٦١ .

(٧) يجدر بنا أن نشير في هذا المقام إلى أن هذه الحملة المغولية لم تكن نتيجة تدبير أو تنظيم  
محكم ، وليس أدل على ذلك مما ذكره الجويني صاحب كتاب جهانگشا ، أنه على الرغم من  
انتصار المغول على الخوارزميين فإنهم لم يفعلوا أكثر من الاقتراب من أبواب أصفهان ، ثم عادوا  
مسرعين إلى بلاد ما وراء النهر بعد أن فقدوا الغالبية الكبرى من جيوشهم .

انظر D'ohsson : Op. cit., t. iii, p. 27.

## ذكر الوحشة بين السلطان وأخيه غياث الدين بيرشاه وما آل أمره بعد مفارقة السلطان

قد سبق ذكر نصرة الدين محمد بن الحسن<sup>(١)</sup> بن خرميل وانفصاله ببلاد الهند من قباجة إلى خدمة السلطان ، وكان والده من كبراء أمراء الغور وقد ملكوا هراة . ولما وهنت قواعد ملك بنى سام<sup>(٢)</sup> بالغور ، وقويت شوكة السلطان الكبير ، سبق إلى طاعته مبدياً<sup>(٣)</sup> إسفار راياته وإطلاها ببلاد شهاب الدين الغورى وولاياته . فرعى له حق هجرته وأقره على هراة إلى أن طارت نعة<sup>(٤)</sup> الخلاف في رأسه لأسباب يزحف ذكرها عن الغرض المقصود . فعصى بهراة ووجهه السلطان نظام الملك ناصر الدين محمد بن صالح ، وكولى خان شحنة<sup>(٥)</sup> خراسان ، ومؤيد الملك قوام الدين ملك كرمان ، وعز الدين جلدك مقطوع إجام وباخرز<sup>(٦)</sup> من أعمال نيسابور ، إلى حصار هراة ، فحوصرت أحد<sup>(٧)</sup> عشر شهراً ، وقد خرج إليهم الحسن ابن خرميل بعد حصار ثلاثة أشهر بأمان من نظام الملك ، فغدر به كولى خان ، وكان شيخاً ظالمآسى . الأخلاق لثيم الطباع ، فقتله عناداً لنظام الملك .

- (١) فى الأصل : الحسين ، وقد صححناه استناداً إلى ذكره باسم « الحسن » فى مواضع أخرى سابقة ولاحقة . راجع الكشف .  
 (٢) حكمت هذه الأسرة فى هراة من سنة ٤٩٣ / ٦١٢ هـ ( ١٠٩٩ / ١٢١٥ م ) .  
 (٣) فى الأصل : مبدا . (٤) فى الأصل : نغزة .  
 (٥) أى رئيس الشرطة . انظر المقرزى : السلوك ، ج ١ قسم ١ ص ٣٥ حاشية ١ .  
 (٦) راجع صفحة ١٨٠ الحاشيتين ٥ ، ٦ .  
 (٧) فى الأصل : احدى .

ولما رأى الصاحب وزيره أنهم غدروا بصاحبه ، ركب عزيمة الرجال في حفظ المدينة ، فحفظها ثمانية أشهر أخرى . واشتد القتال ، وفنيت الرجال ، وتلفت<sup>(١)</sup> الأموال . فحين أعيت الحيل في استصفاثها ، شكوا إلى السلطان صورة الحال ، وما يقاسونه من وخامة عاقبة الغدر ، وشر مغبة المسكر . فأحس كولى بأن السلطان أضمر له ما يورثه حزناً طويلاً ، وأمر أوييلاً . ففارقهم هاتماً على وجهه ، وناجياً بحشاشته نفسه ، متخلياً عما تحت يده من الحكم . والملك بنيسابور وحشم السلطان كلفه<sup>(٢)</sup> الركوب لأجله ، شرج من خوارزم وبث عساكره في مظان مهاربه لقبضه ، فاصطيد ، وأبيد على ما ذكره ابن الأثير في كتابه المسمى بالكامل .

وسار بعد فراغه من أمره إلى هراة ، إذ علم أن ليس لمرتاحها علاج غير هيبته التي تغني عن الزحوف ، وتقوم مقام السيوف . فسار إليها ، وزحف عليها ، ودخلها في اليوم الثالث من وصوله ، وقتل الصاحب بها أقبح قتلة<sup>(٣)</sup> .

وكان نصره الدين محمد بن الحسن بن خرميل تسحب إذ ذاك إلى بلاد الهند ، فأقام عند قباجة إلى أن جرى من إيقاع السلطان بقباجة ما ذكرناه ، انقطع إلى جنابه ، وبادر إلى خدمة بابه ، ولم ترابه . وكان ظريفاً لبقاً ، لطيف الفكاهة ، حسن المحاورة<sup>(٤)</sup> ، سريع البداهة . فحظى عند السلطان ، وتمكن من قلبه ، فخصه بمناذمته والتعلي به في مجالس نشاطه ، وولاه شحنة<sup>(٥)</sup> أصفهان حين ملكها ، وعيّن له بها إقطاعاً جليلاً . واتفق أن السلطان لما أقام

(١) في الأصل : وترفت .

(٢) في الأصل : كلفة . (٣) في الأصل : مقتلة .

(٤) في الأصل : المحاورة .

(٥) أي رياسة الشرطة بها ، ويسمى متوليها صاحب الشحنة . انظر المقرئى : السلوك .

ج ١ قسم ١ ص ٣٥ حاشية ١ .

بأصفهان على نية التقاء التاتار بظاها ، فارقت جماعة من السرهنكية (١)  
الغياثية (٢) باب صاحبهم لضيق حاله ، فآواهم ابن خرميل واستخدمهم ،  
فقال له غياث الدين في بعض الليالي ، ولقد لعبت الشمول بالعقول ،  
ودارت عليه الكؤوس بالروس ، وهم في مجلس السلطان ، : هلا ترد  
غلباني إلى باب داري ؟ فأجابه نصره الدين بجواب غير لائق ، وقال :  
الغلمان يخدمون من يطعمهم ولا يصبرون على الجوع ، ولم ندر ما هو قائل :  
وقال السها (٣) للشمس أنت خفية . وقال الدجى للصبح لو نك حائل (٤)  
فغضب غياث الدين لما سمع ، وأخذ يكرر لفظه . فلما علم السلطان  
غيبه قال لنصرة الدين : قم يا حمدي واخرج فإنك قد سكرت ، وتسمى  
الثقابون بإصطلاح الغورية حمدية ، نخرج نصره الدين وتبعه غياث الدين  
بعد هنيهة (٥) ، فمضى إلى داره ، وهم بالدخول عليه ، فلم يفتح له الباب ،  
فنزل من السطح إليه وضربه بسكين في الخاصرة ، فنقل بعد (٦) أيام إلى  
الآخرة ، وحزن السلطان عليه أشد حزن ، وجزع لموته جزعاً خرق فيه  
الناموس ، وأظهر عليه من القلق والاكتئاب ما لم يظهر الوالد على ولده ،  
ولا الولد على افتقار والده . وراسل غياث الدين مغاضباً ، وعلى ما صدر  
منه لائماً معاتباً ، وقال : إنك قد حلفت لي أن تكون صديقاً لصديقي ،  
وعدواً لعدوي ، وهذا المقتول أصدق أصدقائي ، وأحب أوليائي ، وكنت  
أنسى الهم عند لقائه ، وأرى (٧) السرور في بقاته ، وقد قتلتها ظلماً فأنت  
الناقض التاكث ، والحالف الخائث ، وما بقيت الآن لك في ذمتي يمين .

(١) راجع صفحة ١١٧ حاشية ٥ .

(٢) أتباع غياث الدين بن علاء الدين محمد خوارزم شاه .

(٣) في الأصل : السهي .

(٤) حائل أي غير واضح ، والبيت لأبي الملاء المعري .

(٥) في الأصل : هنيئة .

(٦) في الأصل : وبعد .

(٧) في الأصل : أوري .

وأنا مع ذلك لا أحكم في القضية إلا بالشرع . فخاكم أخاه إلى القاضي فإن شاء اقتص وإن شاء عفا .

فاظلم بهذه الرسالة على غياث الدين ضوء النهار ، فاستنخسني بعدها جانب القرار ، ثم أمر السلطان بأن يمضوا بجنائز المقتول على بابه كرتين ، تشديعاً عليه (١) ، فصار كالذي ارتكب حوباً (٢) ، يصبح خائفاً ويمسى مذعوراً ، إلى أن وقف السلطان حذاء التاتار بظاهر أصفهان ، اغتم اشتغاله ، فنجأ برأسه ولم ينج ، وكان مثله كما قد قيل :

فررت من معن (٣) وإفلاسه إلى اليزيدي أبي واقد  
فكنت كالساعي إلى مشعب (٤) ووابل (٥) من سبيل (٦) الراعد (٧)

ومضى [ غياث الدين ] من هناك إلى خورستان ، وأرسل كريم الشرق وزيره إلى الديوان العزيز (٨) معلماً بمفارقة أخاه ومذكراً أيامه . وقد جاور المالك الديوانية زماناً بالعراق فأحسن الجوار ، ولم يقصدها يوماً بهتك حرمة ، أو إزالة حشمة ، إلى أن طلع أخوه من الهند فرفع الحجاب ، ورفض الآداب ، وشن الغارات عليها فتلها بطناً لظهر . فلو أعين في الوقت على استرجاع ما غُصِب عليه لوجد في الخدمة أطوع من النعل اللابسة ، والطرف الذلول الفارسة . فأعيد رسوله بوعد جميل ، وحظ من الإنعام جزيل . وأصبح بثلاثين ألف دينار إنعاماً مستعجلاً .

وتسحب [ غياث الدين ] من هناك إلى الموت لما بلغه من عود التاتار

- 
- (١) في الأصل : تشنّعا .  
(٢) الحوب : الإثم .  
(٣) هو معن بن أبي زائدة .  
(٤) مشعب : ميزاب .  
(٥) في الأصل : موابلا .  
(٦) السبل : المطر .

(٧) في الأصل : الواعد . والراعد : ذو الرعد من السحاب .  
(٨) أي ديوان الخلافة العباسية . وقد اتجه غياث الدين إلى الخلافة لما كان يعلمه من العداوة الكامنة بين العباسيين والحوارزميين .



وظهور السلطان ، رعباً لم يرمعه أرضاً تمنع ، ولا عوناً يدفع ، ولا وازعاً يردع . وأقام بها إلى أن وصل السلطان إلى الري مقتنيا آثار التاتار بعد الواقعة ، على ما سبق شرحه ، ففرق إذ ذاك عساكره بتخوم الموت من حدود الري إلى أيجاز ، فصار غياث الدين كالمخنوق سدت عليه المنافس . ثم ورد رسول من علاء الدين صاحب الموت على السلطان في التماس الأمان ، وأكد قوله بالإيمان ، وأصح رسول الموت بتاج الملك نجيب الدين يعقوب الخوارزمي مشرف المالك<sup>(١)</sup> ، وجمال الدين فرج الطشت دار<sup>(٢)</sup> رسولين ، يستردان غياث الدين إلى الخدمة ، وشكر علاء الدين على ما ضمن له من إصلاح ذات الدين<sup>(٣)</sup> . وقد كان قبل يخاطبه بالجناح الشريف ، فخاطبه إذ ذاك « بالمجلس الشريف »<sup>(٤)</sup> ، تحريضا<sup>(٥)</sup> له على إتمام ما نوى إتمامه ، وإسراج ما تولى إتمامه . فحين وصلا إليه ندم غياث الدين على ما نواه من العود ، ورأى هيئته على وجهه في الأقطار طامحاً ، وفي

(١) كانت قصور الخوارزميين مائة بالأعداد الكبيرة من المالك الذين اشترتهم من أسواق النخاسة ، وكان أكثرهم من الأتراك الذين اشترروا بجمال الخلفة . وكان يقوم بالإشراف عليهم رجل سمي بمشرف المالك ، يتولى النظر في كل ما يتعلق بهم ، فينظر في مشاكلهم ويتولى الحكم فيهم . انظر الفلقشندی : صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٢١ .

(٢) راجع صفحة ٦٨ حاشية ١ .

(٣) ذكر ابن الأثير في هذا المقام رواية أخرى تختلف عن تلك التي ذكرها النسوي ، فقال إن جلال الدين منكبرتي ، لما علم بوجود أخيه لدى دائرة الإسماعيلية ، هددهم بفزوحصونهم إذا لم يسلموا أخاه إليه ، فرد عليه مقدم الإسماعيلية برسالة جاء فيها : « إن أخاك قد قصدنا ، وهو سلطان ابن سلطان ، ولا يجوز لنا أن نسلمه . ولكن نحن نتركه عندنا ، ولا نمكته أن يقصد شيئاً من بلادك ، ونسألك أن تشفعنا فيه ، والضمآن علينا بما قلنا ، ومتى كان منه ما تكره في بلادك ، فيلادنا حيثنشد بين يديك تفعل فيها ما تختار » . فأجابهم جلال الدين إلى شفاعتهم وعاد عن بلادهم . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ٢١٩ — ٢٢٠ .

(٤) كان لقب « الجناح الشريف » أقل من لقب « المجلس الشريف » حسب نظام

الرتب والألقاب في ذلك الوقت .

(٥) في الأصل : تحريضا .

الآفاق سائحاً ، أقرب إلى السلامة ، وأبعد عن الندامة ، فأقترح على علماء الدين صاحب ألموت إعانتته بما يحمله ويحمل أثقاله من الخيل ، فأعانه بثلاثمائة رأس أو أربعائة ، فخرج ، ووقعت عليه طائفة من العساكر المركوزة حول ألموت مقدم الطواشي جنبه ، السلاح دار<sup>(١)</sup> ، فلاحقوه ببعض حدود همدان ، وكادوا يمسكونه لولا أن جهان بهلوان إيلجى كان قد كمن من وراء خان<sup>(٢)</sup> ، يقرضهم<sup>(٣)</sup> ذات اليمين وذات الشمال ، فخرج من الكمين وردهم ، وأسر جماعة منهم ، ونجا غياث الدين إلى كرمان ، وبها الحاجب براق نائبه ، فسار إليه طمعاً في وفائه . فأول قبيح عامله به أنه تزوج بوالدته على كره منه ومنها ، ثم إنه شنع عليهما بعد حين أنهما أرادا يسقياه سماً زعافاً ، ويشفيا الغيظ منه انتصافاً ، فقتلها وقتل معها الوزير كريم الشرق ، وجهان بهلوان إيلجى ، وحبس غياث الدين ببعض القلاع .

واختلفت الأقاويل في خاتمة أمره ، فقيل إن براقاً قتله بعد حين ، وقيل إنه تخلص من الحبس إلى أصفهان ، وأن جماعة من نساء أهل القلعة رثين له فاتفقن على تخليصه ، فجمعن له الحبال وأدلينه من القلعة وقتل بأصفهان بأمر السلطان . وما أنا إلا شاك<sup>(٤)</sup> في الأمر ، متعجب منه ، فإني قد وقفت على كتاب لبراق الحاجب إلى شرف الدين نائب العراق إلى السلطان ، والسلطان بتبريز ليقف عليه ، يذكر فيه سوابق خدمته ولو احقها ، فيعد في جملتها أنه قتل أعدى عدو السلطان ، يريد به غياث الدين ، ثم يذكر فيه ماذا يضر السلطان لو قرئني وأنا شيخ كبير على ماتحت يدي . ثم وصلت إلى الري في سنة ست وعشرين وستائة ، فبشرت بخلاصه إلى أصفهان ،

(١) راجع صفحة ٥٦ حاشية ه .

(٢) في الأصل : ورا خان .

(٣) أى يوليهم . قال تعالى : وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين ، وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه . سورة الكهف ، آية ١٧ .

(٤) في الأصل : بشاك .

وقد ضربت البشائر بجميع بلاد العراق . ثم شنع بعد أيام أن صيداً تركانيا  
كان تزيماً بزیه ، وتسمى باسمه ، وجاء إلى أصفهان ، والوزير شرف الدين  
غائب ، فلم يعرفه الناس واعتقدوا أنه غياث الدين ، فقدموه إلى أن عاد  
الوزير وعلم أنه قد زور فأمر به في الأسواق وضرب . وبقى من العجائب  
خفاء حاله على أهل أصفهان ، وقد كان سلطانهم وأقام بها ثلاث سنين ،  
والله أعلم بحقيقة الحال .

## ذكر الفدائية الذين سيرهم علاء الدين صاحب الموت إلى السلطان إظهاراً للهوالة<sup>(١)</sup>

لما كان السلطان مقبياً بالرى والعساكر مقتفية آثار التاتار صوب خراسان، ورد رسول من علاء الدين صاحب الموت بتسعة من الفدائية، تقربا إلى السلطان على أن يجهنهم إلى من شاء من أعدائه فيقتلونهم. ثم شاور السلطان في أمرهم وجوه أصحابه وذوى الرأى، فأشار أكثرهم بقبول ذلك، وتعيين الأعداء لهم، ما خلا شرف الدين نائب العراق فإنه قال: ما مراد علاء الدين من ذلك إلا استنباط نية السلطان واستطلاعها على مكنون ضميره فيتقرب حتى يطلع على ذلك إلى ما تعين له من الأعداء. فأعادهم السلطان إليه وقال: ليس يخفى عليك وعلى غيرك معاندنا ومعاهدنا، ومخالفنا ومخالفنا، فإن شئت أن تفعل ذلك فافعل، ولا حاجة إلى التعيين. ونحن إن شاء الله ما نخرجك إلى هذه الكلفة وإن في الصوارم الماضية، والقشاعم<sup>(٢)</sup> الضارية لغنية عن السكاكين والفدائية.

وخرج غياث الدين عقيب عودهم من الموت مزاح العلة بقدر الكفاية من الدواب والأسلحة. واستوحش السلطان من علاء الدين لتجهيزه إياه ورجوعه عما كان قد ضمن له من رده وأولاه، واستمرت الوحشة إلى أن وجهنى إليه سنة ست وعشرين وستائة في معانبات نذكرها، ومخاطبات نشرحها في موضعها، إن شاء الله تعالى.

(١) كانت طائفة الإسماعيلية في ذلك الوقت قد فقدت سلطانها القديم في أقاليم الشرق الإسلامى، ولم يعد لها تلك الهيبة التي كانت تتمتع بها من قبل. ويرجع ذلك إلى أسباب كثيرة منها ازدياد شوكة جلال الدين منكبرتى واتساع نفوذه في أقاليم العراق العجمى وفارس وأذربيجان وأران وغيرها، مما جعله يحيط بأملاك الإسماعيلية جنوبى بحر قزوين. ومنها أيضا ما يرجع إلى زوال الخطر المغولى عن بلاد الشرق الإسلامى إلى حين مما ترتب عليه إطلاق جلال الدين لنفسه العنان في هذه البلاد، وضعف تلك العلاقة التي كانت أشبه ما تكون بالتحالف بين الإسماعيلية والمغول، فلا عجب إذا ما حاول قادة الإسماعيلية أن يسلكوا في هذه الفترة سياسة المسالمة مع الخوارزميين. (٢) القشاعم: الأسود، يعنى بها الشجعان.

## ذكر عزل صفى الدين محمد الطغرأتى

عن وزارة خراسان

وإقامة تاج الدين محمد البلخى المستوفى مقامه بها

كان صفى الدين محمد الطغرأتى ، من قرية كليجرد من رستاق تمشيش<sup>(١)</sup> ابن رئيسها ، وكان أكبر أدواته حسن الخط ، فرفته الاتفاقات الحسنة ، وساعدته المقادير بأنها ساقته إلى الهند مضطراً ، وحين شمل الغرق معظم أصحاب السلطان بماء السند ، على ما شرحناه ، سلم وانضم إلى شرف الملك ، وواظب على خدمته إلى أن ملك السلطان البلاد . ودانت له الممالك وعادت الأمور إلى قواعدها .

وكانت عنایات شرف الملك تشتمل حال المذكور فولاه الطغراء فتمول المذكور وتجمل<sup>(٢)</sup> ، وأكثرت الخدم والخول ، إلى أن استولى الكرج ثانياً على تفليس ، والسلطان بخلاط ، وقد شرحنا ذلك . فرجع ناقماً عليهم لإحراقهم تفليس ، ولت الصفى وزارة شكى وقبلة من مدن شروان<sup>(٣)</sup> عند احتداد جمرتهم ، وضم إليهم قشقرا بملوك الأتابك أزبك واليا وحامياً ، فلكاهما ، وأخذ الصفى يجبي الأموال إلى أن هم الكرج بطردهما ، فشل قشقرا عن الثبات ووجل ، وطاش للعود واستمجل ، وأقام الصفى فخاصره الكرج أياماً ، ورجعت لقرب السلطان خوفاً من حنوفه إليهم فى ألوفه ،

(١) تمشيش : ناحية من نواحي نيسابور . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ص ٣٧٦ .

(٢) فى الأصل : تجمّل .

(٣) مما يذكر أن « أنوشروان » هو الذى بنى هذه المدينة ولذا سميت باسمه . انظر ياقوت معجم البلدان ، ج ٥ ص ٢٥٨ ، والقلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٣٦٤ . وانظر أيضاً خريطة الدولة الخوارزمية فى أقصى اساعها .

واحترازاً من بأس يأتهم بيئاتاً وهم نائمون ، فسلم الصفي وسلبت الأموال التي جباها ، ووقعت خدمته موقعاً مرضياً ، ووافق عوده إلى الباب قتل الإسماعيلية أورخان مقطع خراسان بكنججة . فولى الصفي وزارة خراسان وأجريت في جملة الخاص فأقام بها سنة أو أكثر . فنقلت على أهلها وطأته وسامت (١) فيهم سيرته (٢) ، وخشنت في السياسة أحكامه ، وفي القضايا ناقضه وإبرامه . فاتفتى إذ ذاك مضي السلطان إلى العراق لالتقاء التاتار ومقامه بالرى ، على ماشر حنا ، وترادفت متظلمة خراسان إلى بابه مستغيثين ، وانفقت كربة أكبرها ومشاهيرها وذوى الأقوال المقبولة من معارفها ومشايخها على تقييح الصورة ، وتفويض المساوى المستورة . فاستدعاه السلطان إلى الرى فقدم ، وقدم من التقادم ما استكثر ، فلم تغن قتيلا (٣) ، ولم (٤) تفتح إلى الخلاص سييلا ، وأمر بالقبض عليه ، فقبض وحملت أمواله وتحملاته إلى الخزانة ، ودوابه إلى الاسطبلات ، وكانت ثلاثمائة رأس ، وقبض على ممالিকে وغلانته ، ونجا غلامه على السكرمانى إلى قلعة فيرابه ، وهى من أمهات قلاع خراسان ، فكان الصفي قد عمرها بالذخائر ، وبها دوره وحرمه فتحصن بها وحفظها .

واستوزر السلطان تاج الدين البلخى المستوفى بخراسان ، وسلم إليه الصفي ليستصفي ماله ويتسلم القلعة . وكانت بين الصفي والمذكور ضغينة قديمة ، وإحنة في الصدور مقيمة . فتتابعت كتبه إلى السلطان تتضمن أن الطغرائى لا يكاد يسلم القلعة ، وأنه يوصى غلامه سرأ بعلا مات كانت بينهما على المحافظة ، ويحذره تسليمها . ولم يزل يغريه به إلى أن تقدم إليه بإحضار الطغرائى تحت القلعة ، وإنذار أصحابه بقتله ، فإن أبوا إلا الاصرار يضرب غنقه . وقد كان الطغرائى أرضى (٥) المتوكل يصدر من المال ودفعه إليه سرأ

(٢) في الأصل : سيرته .

(٤) في الأصل : فلم .

(١) في الأصل : وسامت .

(٣) في الأصل : قتيلا .

(٥) في الأصل : أرضا .

ووعده الموساة والمساواة بما يسمح به الدهر من جاه ومال ، وانتظام أمر وسعة حال ، على أنه مهما أحس بالشر وعلم أنهم يريدون إهلاكه يخاطبه ويصعد به إلى القلعة . فحين تحقق أنهم عزموا على إزهاق<sup>(١)</sup> نفسه وإيداعه في رمسه ، فعل ذلك .

ولما أمن الطغراني جانب البوار والخلاص عن مصرع الهلاك ، طفق يكتب أرباب الدولة في استعطاف السلطان وترقيق قلبه ، متصلا بما عُرِي<sup>(٢)</sup> إليه من العسف . وكانت بيني وبينه صداقة مؤكدة ، بالخلوص مؤبدة ، فقامت في أمره قيام من طب لمن أحب ، إلى أن أصلح الأمر واستتب<sup>(٣)</sup> . وأخذت له خط السلطان بالأمان ، فورد الباب بادي الفقر ، ظاهر العسر فواسيته بما وصلت إليه القدرة من عين<sup>(٤)</sup> وثياب ودواب وخيام ، موساة الشركة ، إلى أن استقامت حاله ، وأمريت<sup>(٥)</sup> رحاله . وشددت وسطى ، وشمرت ذيلي في طلب الثأر له من قصده في نفسه ، ونازعه في منصبه بأمره حتى استوفيت ، واشتفيت ، فكاد يتولى أمر خراسان نائبا لولا الصاخة<sup>(٦)</sup> العظمى من حادثة التاتار أتت ، فحالت بيننا وبين كل مراد .

ومما يستدل به على محارفة أرباب تلك الدولة وجسارتهم في أموال سلطانهم ، أن الطغراني لما قبض عليه بالرى حضره حميد الدين الخازن<sup>(٧)</sup> يوما وهو محبوس يقول له عن السلطان : إن كنت تريد أن أعفو عنك وأرضى عليك ، فابعت إلى ما جمعته من الجوهر ، واحمل إلى الخزانة

(١) في الأصل : إزهاق . (٢) في الأصل : متصلا مما عرى .

(٣) في الأصل : استتب . (٤) عين : مال نقد ذهب أو فضة .

(٥) في الأصل : أمرت . وأمريت ، بالعين المهملة ، أخصبت وسمت .

(٦) الصاخة : الكارفة .

(٧) الخازن أو الخازندار : هو الذي يعرف على ديوان المال : ويساعده موظفون مختصون . يقومون بتسجيل الوارد والمنصرف من الأموال . انظر كتابنا : الدولة الخوارزمية والفول ،

ما خبيته لشرف الملك من الذهب . فأحضره أربعة آلاف دينار كان أودعاه  
بعض التجار باسم شرف الملك ، وسبعين فصاً ما بين ياقوت وبلخشاني<sup>(١)</sup>  
وزمرد وفيروزج . وتسلمها الخازن ولم يسلم شيئاً منها إلى الخزانة ، ظناً منه  
بأن الصفي لا بد مقتول ، لعلمه بسخط السلطان عليه ، وأراد الله تأخير أجله  
فعاد إلى الأبواب السلطانية ، وفتش عن دفاتر كتاب الخزانة ، فلم يجد  
للفصوص والذهب فيها ذكراً ، ولا عندهم منها علماً . فراسل الحميد مهدداً  
واستقر الحال بينهما على أن يكتب الصفي جنائته ، ويأخذ منه كل شهر مائتي  
دينار معونة<sup>(٢)</sup> له على إخراجاته ، إذ كان حينئذ يخالي الوعاء ، فارغ الأعمام  
إلى أن وفي<sup>(٣)</sup> له أربعة آلاف دينار . وأما الجوهر فقد تعذر بعد الابتلاع  
رده ، فنسى عهده .

---

(١) بلخشاني : نسبة إلى بلخشان ، وهو اسم أطلقه العامة على المكان الذي يوجد فيه  
معدن الباخش المقام للياقوت ، ويوجد في الجبال على هيئة عروق ، لكن الجيد منه قليل .  
وقد سبق ذكره في مواضع أخرى بلخشاني . وهي تسمية صحيحة لهذا المعدن أيضاً .  
(٢) في الأصل : ومعونة . (٣) في الأصل : وفياً .



## ذكر تقليدي وزارة نساء

## وما جرى بيني وبين ضياء الملك بسببها

كان ضياء الملك علاء الدين محمد بن مودود العارض النسوي من بيت  
الرياسة ، يقر له بالفضل<sup>(١)</sup> من لا يوده ، ويعترف له بالسيادة من هو  
ضده . وقد رمته الداهية الدهيا ، والخطة الكبرى ، من حادثة التاتار ،  
واستيلائهم على الديار ، إلى غزوة . فأقام بها مسلوب الإرادة ، ينتظر صبح  
السعادة ، إلى أن عاد السلطان إليها ، على ماسيق ذكره ، فاستمر في الخدمة  
وتولى ديوان الإنشاء والعرض ، واستناب فيهما من قبله نوابا ، وتمكن  
حتى كان شرف الملك يتوهم من جهته مزاحمة له على صدر الوزارة . فلما  
وردت من نساء رسولا ، على ما ذكرته ، وتعذر العود ، جذبتني<sup>(٢)</sup>  
جذبات العناية فارتقيت من حالة إلى أخرى ، إلى أن تقلدت كتابة  
الإنشاء<sup>(٣)</sup> ، وضاق الأمر على ضياء الملك فلم يختار المقام بالباب السلطاني ،  
فحرص على الاستطراف واستناب في ديوان العرض المجدي النيسابوري ،  
وتولى وزارة نساء على ضيق رقعتها ، وأقطع السلطان له بها إقطاعا بعشرة  
آلاف دينار مضافة إلى منافع الوزارة ومعاشها ، فسار إلى نساء وانبسطت  
أحكامه فيها لإحراق السلطان أمره بأمره ، وفيما يتأخها لكبر قدرة<sup>(٤)</sup> ،  
وحملته الشحنة<sup>(٥)</sup> على المبالغة في أذية من له أدنى تعلق بي من قرابة أو  
صداقة أو خدمة . وانضاف إلى ذلك انقطاع الجمول الراتبية عن الخزانة

(١) في الأصل : الفضل .

(٢) في الأصل : حدثني .

(٣) راجع ما جاء عن ديوان الإنشاء في صفحة ٥٧ حاشية ٦ .

(٤) في الأصل : الشحا .

(٥) في الأصل : بالكبر قدره .

السلطانية ، فلم أزل أعالج الأمر ، مطمعا للسلطان في تكثير أموالها ، وتشمير أعمالها ، إلى أن فوض إلى وزارتها مشروطة بأن لا أفارق الباب ، بل أستنيب فيها من أثق به ، ففعلت ، وعاد ضياء الملك إلى الباب معزولا عن المنصب ، مغبونا في الصفتين . ولما وصل ، اتفق معه شرف الملك على الربيعة<sup>(١)</sup> على ، والوقية بي . فبذر ضياء الملك ما جمعه<sup>(٢)</sup> بالخدم والبراطيل ، وواطأة شردمة من الخواص ، وحلف له شرف الملك على المساعدة ، نخلت بالسلطان وعرفته أن الحاكم نوى أن يعدل ، لكن عن الحق . والأمر عزم على أن يثبت ، لكن ما حسدت عليه من الرزق . وأبيت أن أحاكمه إلا إلى السلطان ، فوعد بأن يسمع مقالتنا . ولما أراد شرف الملك أن يحاكم إليه استحضرنا السلطان ، وتحاكمنا إليه ، فكان العاقبة أن أخرج ضياء الملك مدحورا<sup>(٣)</sup> مطرودا ، فخرج وحما للوقت<sup>(٤)</sup> ، وانتقل إلى جوار ربه ، ودار كرامته ، بعد أيام . اللهم أرض عنه وأرض عنا ، وتجاوز عنا فيما أخطأنا برحمتك .

(١) في الأصل : الدقية .

(٣) في الأصل : منجورا .

(٢) في الأصل : جامعه .

(٤) في الأصل : حم الوقت .

## ذكر بعث السلطان القاضي مجير الدين إلى بغداد في استخراج ما دفن بها من السحر

لما كان السلطان بالعراق ، وصل شخص خوارزمي هرب من التاتار ،  
وذكر له عن الصدر العلامة سراج الدين أبي يوسف يعقوب السكاكي -  
وهو من أفاضل خوارزم صاحب فنون بارعة ، وقدم لأعلام العلوم  
قارعة - وكانوا يعتقدون المذكور سحر بعض السكوك فدّها عن  
مسراها ، ويسد المياه بنفثاته في مجراها ، لما كان عندهم من كمال فضله ،  
وإله في سائر الفنون تصانيف يراها آيات البراعة ، ومعجزات الصناعة .  
وقد تمكن عند السلطان الكبير<sup>(١)</sup> لما قصد بغداد<sup>(٢)</sup> كان قد عمل له تمثالا  
من السحر يدفونه ببغداد فيقال مراده منها . وكان السلطان الكبير قد سلمها  
إلى مجير الدين القاضي حين أرسله إلى بغداد فدفن التمثال في الدار التي أنزل  
فيها ، وهو الآن يعتقد أن المقصود الذي قصد بذلك السحر وقع بالعكس ،  
فعادت مضرتة إلى السلطان ومنفعتة إلى الخليفة ، فإن كان المجير باقيا  
يسيره<sup>(٣)</sup> إلى بغداد ليحتمل في استخراج ذلك التمثال ، ثم في إحراقه .  
وصدقه المجير فيما قال ، فوجه السلطان المجير إلى بغداد رسولا في بعض

(١) علاء الدين محمد خوارزم شاه : ٦١٧/٥٩٦ = ١٢١٩/١١٩٩ م .

(٢) كان علاء الدين محمد خوارزم شاه ، عندما اعتلى عرش الخوارزميين ، قد عول على  
أن يسير في سياسته الخارجية وفق سياسة أبيه من قبل ، أي أن يحتمل ما كان للسلاجقة من  
سلطان على الخلفاء المباسيين في بغداد . فلما فشل في الوصول إلى هدفه بالطرق السلمية ، عزم  
على غزو بغداد ، واتجه إليها بجيشه سنة ٦١٤ هـ ( ١٢١٧ م ) . انظر كتابنا : الدولة  
الخوارزمية والمنول ، ص ٣٥ - ٤٦ .

(٣) في الأصل : يسيره .

الأشغال وأمره باستخراج التمثال . فلم يمكن من الوصول إلى تلك الدار  
التي نزل بها المرة الأولى ، واحتال بكل طريق فلم يقدر عليه . فلا أدرى  
من أيهم أتمجج ، من اعتقاد ذلك الفاضل ، أو في اعتزاز هؤلاء بما ينسك  
عليهم ؟ فهل أمنت دولة من زوال ، أو دامت الدنيا على حال ؟ فكم من أمة  
تقطع بهم الأسباب ، يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب .

## ذكر الحوادث بأران وأذربيجان

لما رحل السلطان إلى العراق ، استصحب شرف الملك إلى أن وصل إلى نخوم همدان . ثم تردفت الأخبار من صوب أذربيجان بأن المماليك الأتابكية — مثل ناصر الدين أقش المعروف بكوجك ، وسيف الدين بن سنقر جاه<sup>(١)</sup> الدويدار ، وسيف الدين بكلك السديدي ، وأمة أخرى منهم — اجتمعوا على التظافر ، واتفقوا على التساعد والتوازر ، وخيموا بظاهر تبريز ، يريدون تحريف الكلمة وتبديل الأمور المنتظمة ، ناوين<sup>(٢)</sup> إحياء دولة نبيذتها نواحيها ، ومحت آثارها روايحها<sup>(٣)</sup> . وكانوا قد عزموا على أن يخرجوا ولد الملك خاموش بن الأتابك أزيك بقلعة قوطور معوقاً فيجعلوه ملواحاً لهم يدعون إليه ويحتمعون للفتنة عليه ، انتهز آ لحاضر الفرصة واغتناما لخلو العرصة . فأعاد السلطان شرف الملك إلى أذربيجان ذاباً ومحامياً ومناضلاً دونها ومرامياً ، فاستعفى من ذلك إلى أن أذن له أن يتصرف في أران وأذربيجان خاصها ومقطعها تصرف الملاك ، يعطى من يشاء ويحرم من يشاء إن كانت الحاجة تدعو إلى ذلك ، وإلا فتبقى الأموال مضبوطة بمجموعة برسم الخزانة .

فلما وصل إلى مراغة ، بلغه أن الأتابكية<sup>(٤)</sup> بظاهر تبريز نازلون ، وقد

(١) قرأ هوداس Houdas هذا الاسم في موضع آخر « سنقرجا » انظر صفحة ٢١٨ . ولعل هذا خطأ في النسخة الخطية لم يتنبه إليه هوداس ، ولكن الغريب أنه لم يتنبه إلى هذا الخطأ في الترجمة الفرنسية أيضاً ، إذ كتب هذا الاسم مرة Sonqord a ، ومرة أخرى Sonqordjâh . انظر الصفحتين ١٢٦ ، ١٥١ من الأصل العربي لطبعة هوداس ، وانظر أيضاً الصفحتين ٢١٠ ، ٢٥١ من الترجمة الفرنسية . ويبدو أن صحة الاسم هو « سنقرجا » لاذ ورد على هذا النحو في الصفحات التالية .

(٢) في الأصل : وروايحها .

(٣) في الأصل : ناوين .

(٤) في الأصل : الأتابكية .

انضوى<sup>(١)</sup> إليهم من طلاب الفتنة حشد كبير ، فانتشر جرادهم ، وكثر عيهم  
وفسادهم ، وأن غوارتهم تضرب يميناً وشمالاً . فجرد شرف الملك عسكره  
للقائهم ، وقدم على العسكر حاجبه الكبير مملوكة ناصر الدين قشتمر فالتقوا  
بين ددهخوارقان ،<sup>(٢)</sup> وتبريز على حرب تحطمت فيها الصفاح ، وتقصدت<sup>(٣)</sup>  
الرماح . ثم شاعت الهزيمة في الأتابكية ، فولوا على أدبارهم نفوراً ، وكان  
أمر الله قدراً مقدوراً . وأسر أقش وبكك وسنقرجاه ، وسائر رموس  
الغوغاء<sup>(٤)</sup> ، فسيقوا على الاقتاب إلى الباب . فلما أقيموا بين يدي شرف  
الملك وبخهم ، وذكر إحسانه إليهم .

ومن جملة أنه خلع على بكك بكسجة من خزائه ، خلعة قومت حياتها  
المرصعة بأربعة آلاف دينار . ثم رحل إلى تبريز وجلس ثانی يوم وصوله  
إليها في الإيوان الذي بناه السلطان بميدان تبريز ، وبني<sup>(٥)</sup> خلفه دوراً  
وقصوراً ، إذ كان لا يختار أن يسكن داخل المدينة ، واستحضر القاضي  
والمشايخ والأعيان ، ثم أمر بإحضار أقش وبكك ، فأحضرا يحجلان<sup>(٦)</sup>  
في قيدهما ، فأقيما بين يديه . ثم قال مخاطباً القاضي : ما قولكم فيمن يخرج على  
مثل هذا السلطان في مثل هذا الوقت ، وهو الجنة الواقية<sup>(٧)</sup> ، والسد الحائل  
بين المسلمين وبين التاتار ؟ فقرأ القاضي : وإنما جزاء الذين يحاربون الله  
ورسوله ويسعون في الأرض فساداً ، الآية<sup>(٨)</sup> . فأمر بنصب جذعين في الميدان  
فصلبا أحسن ما كانا من غصني بان ، ورضيحي لبان ، وقرين طلعا من  
الجنوب ، وخسفا بالذنوب .

(١) في الأصل : انضوى .

(٢) ناحية من نواحي مدينة مراغة . (٣) تقصدت : صارت قسداً ، أي تكسرت .

(٤) في الأصل : الغوغاء . (٥) في الأصل : وبنا .

(٦) في الأصل : يحجلان . (٧) في الأصل : الواقية .

(٨) إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا  
أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ، ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة  
عذاب عظيم . سورة المائدة ، آية ٣٣ .

وصفت أران وأذربيجان بمن يمد إلى الفتنة تليلاً<sup>(١)</sup> ، ويضل في الطاعة  
سبيلاً ، وقبض شرف الملك على القاضي المعزول قوام الدين الحدادي ابن  
أخت الطغرائي . فصادره على عشرة آلاف دينار . وكان المتولى للقضاء  
يومئذ اتهمه بالماليك الأتابكية إفكاً بيناً ، وكذباً صراحاً . وأما سنقرجاه  
الدويدار ، فعفا عنه وقرببه وقدمه ، وحققت شفاعته حسنه دمه .

---

(١) التليل : العنق .

## ذكر حال الملكة بنت طغرل وعاقبة أمرها

كان السلطان لما ملكها مدينتي سلما وأرمية بأعمالها<sup>(١)</sup> مضافين إلى خوى ، ندب<sup>(٢)</sup> شرف الملك الباخري<sup>(٣)</sup> لوزارته نيابة عنه ، وتقدم باستخراج عشر بلادها محمولا إلى خزائنه شهراً بشهر أسوة بكافة<sup>(٤)</sup> نوابه بسائر الإقطاعات ، وأراد المذكور التحكم عليها والتمكن منها بحيث لا تتصرف إلا بتصرفه ، وأن تطيعه في جملة تكاليفه ، فكان إذا منعه بعض ذلك يكاتب شرف الملك بما يوغر صدره عليها ، إلى أن انطوى لها على دام دفين وغيظ في القلب كمين .

فلما رحل السلطان صوب العراق ، وجد ما كان يرتقبه من الفرصة في استئصالها ، فأخذ يكاتب السلطان بأن بنت طغرل كانت محرصة<sup>(٥)</sup> للأتاكية ، مطمعة لهم في الملك . ثم راسلها من تبريز رسالة من يريد التنفير لا النجاح ، ويقصد التحذير لا الإصلاح ، ليصدر منها عند نفرتها ما يفضي إلى استئصال شأقتها ، ويزيد في توحشها ومخافتها . وعقب هذه الرسالة ، رحل صوب خوى ، وقد فارقتها إلى قلعة « طلاء » ، ومن صفتها أنها قلعة على شاطئ بحيرة أذربيجان ، بنيت على أعلى سقيف ، يحيط الماء بها إلا من صوب

(١) في الأصل : بأعمالها . راجع صفحة ٢٠٧ الحاشيتين ٤ ، ٥ .

(٢) في الأصل : وندب .

(٣) نسبة إلى باخرز . راجع ص ١٨٠ حاشية ٦ .

(٤) في الأصل : كافة . (٥) في الأصل : محرصة .



واحد . وحين وصل شرف الملك إلى خوى نزل بدارها ، واستخرج من دفائنها وخزائنها أموالاً ينوء بها الظهور ، وقد نضدتها السنون والشهور . فحوت<sup>(١)</sup> من نفائس الجوهر ، وعتيق الثياب الفاخرة<sup>(٢)</sup> ، ما لم ير مثله ، ونقل<sup>(٣)</sup> أقار جواربها وتصرفت فيهن تصرف مالكي الرقاب ، وأخذ يستعد أسباب الحصار زيادة في تنفيرها . ثم ورد عليه السيد الشريف صدر الدين العلوي برسالة عنها تتضمن الاستعطاف والعود إلى ما هو أقرب إلى التقوى ، وأحمد في البدء<sup>(٤)</sup> والعقبى ، فلم تزده رسالته إلا إصراراً أو عتواً ، واستكباراً وعلواً . غير أنه أكرم صدر الدين إكراماً يقتضيه فضله ، ويستدعيه نسبه وأصله . وتكررت مراجعتها بعد يأسها من عاطفته وانقطاع رجائها من رأفته أن يخلى لها الطريق لتتوجه إلى السلطان ليرى فيها رأيه ، فأبى<sup>(٥)</sup> شرف الملك جميع ذلك وقال : لا بد لها من النزول على حكيم . ثم أوردف ذلك بأنه سيّر تاج الدين صاحب ابن الحسن - وكان المذكور من أشرار دركجين<sup>(٦)</sup> ، وحالهم في الشر ما سارت به الركبان - رسولاً إليها منفراً ، فحين فارقتها ونزل من القلعة ساق جسام خيلها<sup>(٧)</sup> إلى شرف الملك ، علاوة على جذب<sup>(٨)</sup> ، وسبباً جمع إلى سبب . فعلمت إذ ذاك أن الضراعة غير ناجعة ، والشفاعة ليست بنافعة ، فكاتبته<sup>(٩)</sup> الحاجب علياً نائب الملك الأشرف موسى بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب بخلاط تستدعيه ، لتنفس من خناقها ، ويسعدها على استطلاقها ، على أن تسلم إليه ما تملكه من القلاع والبقاع .

(١) في الأصل : فحوت .

(٢) في الأصل : وعتق الثياب الفاخرة .

(٣) في الأصل : ونقل .

(٤) في الأصل : فأبى .

(٥) في الأصل : فأبى .

(٦) دركجين : إحدى القرى بجوار مدينة همدان . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ص ٤٠٤ .

(٧) خيل مجسرة : أي مرعشة . والجاسر : الشجاع ، وجمه جَسَّار . وفي الأصل : جَسَّار .

(٨) الجذب : النجعة تكون في رأس النخلة بكشط عنها الليف فتؤكل .

(٩) في الأصل : كاتبته .

وكان شرف الملك مقبياً بمرج سلهاس يستعد لحصارها ، غير مفكر في معاداة معاند ، ولا يبالي بمضادة<sup>(١)</sup> معاد، معتقداً خلو الجو من كل وازع، وصفاء الملك من كل منازع . فورد عليه الخبر بقرب الحاجب عليّ ووصوله إلى سكا ناباذ فيمن اضطمّت عليه خلاط ونواحيها من العساكر الشامية ، والاحتفال لشرف الملك بما تدعو إليه الحاجة في ملاقاته العدو . وقد كان أذن لجماعة من المقاطع في التفرق إلى إقطاعاتهم ، فرحل للوقت صوب تبريز وولى ، وأهمل أذربيجان وأخلى ، ووصل الحاجب عليّ إلى قلعة طلا ، فاستصبحها<sup>(٢)</sup> ، وتسلم طلا ورجع .

(١) في الأصل : مضادة .  
(٢) أى وصلها في الصباح .

## ذكر عماد الدين الرسول الواصل من الروم

لما كان شرف الملك مقيماً بظاهر خوى ، ورد عليه شخص يلقب بعماد الدين رسولا بكتاب من وزير علاء الدين كيقباز بن كيخسرو<sup>(١)</sup>. وكانت رسالته تقتصر على إظهار الموالاتة ، وتمهيد قواعد المصافاة . وقد ذكر أن السلطان إن كان شرف للغزاة ، فإن صاحبه أيضاً قد غرب للغزاة . وقد فتح عدة قلاع كانت لسكباش الكافر في هذه السنة ، وأن طوائف<sup>(٢)</sup> حولك بمصايد للفتنة ، تحذمهم أنفسهم في هذا الوقت بكراذب الظنون ، وجوالب المنون . وأراد بذلك ما عزم عليه الحاجب علي من قصد أذربيجان بإغراء الملكة إياه ، وهانحن بالقرب منك ، فإن ناديت ناديت مجيئاً ، وإن دعوت دعوت قريباً ، ولا فرق بين الدولتين ، فإن نبض [إلى] الزحام نابض ، ونهض إلى الحسام ناهض ، أنجدناك بمن يُغمد<sup>(٣)</sup> سيفه ، بل يرغم أنفه ، ونعجل عليه حتفه . فأكرمه شرف الملك أتم الإكرام ، وقابل مقدمه بالإعظام . ثم شاور فيما يعتمد عليه من جوابه ، فأجمع من حوله ، والدركجيني يومئذ مالك عنانه ، على أن يلتبس صدرأ من المال ، إذ عنده من الرجال من لو ارتجى عونهم<sup>(٤)</sup> ، حصل الغنائم عنهم .

فحين زينوا له هذا الرأي ، وتحققت أن ليس له عما نواه محيد ، وأن رده عما زين له بعيد ، قلت له : إن كان لا بد من هذا الاقتراح فأقرنه بتواضع وخضوع ، ولطفه باستكانة وخشوع ، وإن لترقيق اللفظ وتلطيف العبارة لتأثيراً في تنجس الحاجة . ومثل الملوك مثل الجبال إن لا ينتها

(١) أحد سلاطين السلاجقة الروم : ٦١٦ / ٥٦٣٤ (١٢١٩ / ١٢٣٦ م) .

انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ١٦٣ ، Lane-Poole : Op. cit., p. 155 .

(٢) في الأصل : طوائف . (٣) في الأصل : يتغمد .

(٤) في الأصل : من لو ارتجت عليهم .

بالخطاب لاينك<sup>(١)</sup> صداها بالجواب . فقبل ذلك وفعل ، وبالغ في التواضع حرصاً على المال . وقال في جملة ما قال : ليس يخفى عليكم أن مفرق الجموع ، ومستجلب الدموع ، من خادثة التاتار كيف فرقت ما جمعتها القرون من خزائن السلاطين ، وإن هذا السلطان قد خرج بعد موت والده لايمالك غير سيفه ، فإن عاملتموه في هذا الوقت بما يقتضيه علم المروسة لا يخفى عنده أثره . ويخلد على وجه الدهر خبره ، وطول وتذلل حتى ندمت على ما لقتنه من التواضع . ثم خلع على الرسول خلعة على قدر همته التي كانت تجارى<sup>(٢)</sup> السمك سموا ، والسما رفعة وعلواً بالطوق والسخت<sup>(٣)</sup> والسرفسار<sup>(٤)</sup> ، وأعطاه ألف دينار ، فوعدت هذه الرسالة عند السلطان علاء الدين موقماً حسناً ، فوجه إليه تحفاً وألطافاً أصنافاً ، للسلطان أولاً وله ثانياً ، فلم تصل للوانع التي يأتي شرحها في موضعها إلا بعد حصار خلاط .

(١) في الأصل : لا يتتك .  
(٢) في الأصل : تجارى .  
(٣) في الأصل : السخت .  
(٤) راجع صفحة ٧٧ حاشية ٦ .

## ذكر فتح شرف الملك أذربيجان وأران

## والسلطان بالعراق

كان شرف الملك لما تخلف عن السلطان وأقام بأذربيجان ، صرف همته إلى افتتاح القلاع العاصية ، فاستمال قلوب من بدزمار<sup>(١)</sup> من المقدمين والأجناد ، بالوعد بما استعجل إنفاذه إليهم من النقد ، إلى أن أجابوه إلى تسليمها ، فسار إليها وأفاض عليهم يوم تسليمها من الخلع والذهب والمواهب ما لم يف به ملك للملك ، ولا أمير لأمير<sup>(٢)</sup> . وقبض على ناصر الدين محمد — وكان موسوماً في الدولة الآتابكية بالحجبة الكبيرة ، وقد اعتزل إذ ذاك ببعض بلاد نصرة الدين محمد بن بيشتكين مظهر آ نسكا ، ومسرأ ملكا — وصادره على مال جليل . وألزمه تسليم قلعة كهرام وكان<sup>(٣)</sup> الوالي بها من قبله فتسلمها . ثم نعى إليه سيف الدين قشقر الآتابكي ، وكان والياً بكنجة من قبل السلطان ، فنهض إليها وتسلم من نائبه شمس الدين كرشاسف قلعتي هزل وجازيرد<sup>(٤)</sup> من أعمال أران ، وكان المذكور يدل عليه بخدمته أيام صاحبه فيعد ما لا يام شدته ذخراً ، وبين أكفائه وقرنائه<sup>(٥)</sup> : فوضع عليه المعاصير حتى هُرت من ذى<sup>(٦)</sup> يديه . واستخرج صليب العظام من بين جنبيه ثم لاطف مستحفظ قلعة درادز<sup>(٧)</sup> حتى سلمها إليه . ورتب

(١) دزمار : قلعة بالقرب من تبريز . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ص ٥٨ .

(٢) في الأصل : ولا ضير أمير . (٣) في الأصل : كان .

(٤) لم يرد اسم كل من هاتين القلعتين في النسخة الخطية منقوطة ، لذا تحتمل قراءتهما

هرل ، جازيرد .

(٥) في الأصل : وقرنائه .

(٦) في الأصل : هرب من دى يديه . وهرته بالرميح أى طعنه .

(٧) يحتمل قراءتها دزادز ، إذ لم ترد منقوطة في النسخة الخطية .

طائفة من الخيالة والرجالة على رويين دز<sup>(١)</sup> فطال حصارها . ثم رغبت صاحبها زوجة الملك خاموش في مناكحته ، لتسلمها إليه بعد الزفاف ، وحصول الائتلاف ، فأجابها إلى ذلك . وكان الخاطبون يترددون بينهما ، إذ عاد السلطان من العراق قبل إتمام ما هممًا به ، وعزما عليه . فرغب السلطان في خطبتها لنفسه ، فانتقض عليه ذلك التدبير وبطل الحصار .

وسير السلطان بعد زواجها خادمة الخاص سعيد الدين الدويدار إلى القلعة والياً عليها ، بعد أن زفت عليه باستدعاء من قدمائها ، وكانت القلعة تشتمل على ألوف من الدور سكانها القدماء ورثوها عن آبائهم<sup>(٢)</sup> ، فهم الخادم بإخلاصها وتنظيفها ، إذ لا يملك بها حلاً ولا عقداً . واستعجل فيما دعتة همته إليه ، وأسأه التدبير فيما عزم عليه ، وعادت إلى ما كانت من زواجها<sup>(٣)</sup> ، وعسر علاجها .

وقد كان شرف الملك حاصر قلعة « شاهق » بطائفة من عسكره ، ومن صفتها أنها في جزيرة وسط بحيرة أذربيجان بنيت على قبة كأنها قبة معمولة ، فوقها شقيف دائر ، والماء محيط بها من جميع جوانبها ، وحوها قرى قليلة يحصل منها ما يحتاج إليه من الذخيرة . فلما عاد السلطان وخطب على خطبة شرف الملك ، استعاد أصحابها المحاصرين<sup>(٤)</sup> لها حر دأ<sup>(٥)</sup> ، وبقيت على عصيانها .

(١) رويين دز : مكان حصين بالقرب من تبريز .

(٢) يبدو من هذا النص أن الحروب المستمرة التي سادت عصر الخوارزميين كان لها أثرها في تشييدهم للقلاع داخل المدن ليلجأ إليها السكان المدنيون والعسكريون إذا ما هدد المدينة خطر خارجي ، ولذلك لم يقتصر الأهالي على تشييد الكنائس العسكرية فيها ، بل امتلأت هذه القلاع بالمنازل التي أعدت خصيصاً لإيواء الأهالي إذا ما دعا الداعي ، وكان غالبية السكان من أترياء المدينة وقراياتها على كون المنازل في هذه القلاع .

(٣) الرتاج : الباب العظيم المغلق ، والمراد أنها ممتنعة محصنة .

(٤) في الأصل : لمحاصرين .

(٥) نقلها هوداس عن النسخة الخطية حر دأ ، ثم عدلها في الطبعة الفرنسية جر دأ ، والقراءة الأولى هي الصحيحة . أما الحر د فهو الغضب .

## ذكر قتل شرف الملك تجار الإسماعيلية بأذربيجان والسلطان بالعراق

كان السلطان كاتب شرف الملك من أصفهان يعلمه أن رسولا من التاتار توجه إلى الشام صحبة تجار الإسماعيلية وقد عبروا على بغداد ، فعليك أن توصل عن كل قافلة قافلة (١) من صوب الشام ، أو عائدة من جهة الروم للإسماعيلية . فإذا ظفرت برسول التاتار ، احبسهم عندك وأعلمنا به لنرى فيه رأينا . فكان عرض السلطان من ذلك تركيب الحججة على الملوك ومعاتبه الديوان العزيز في مراسلتهم (٢) .

وقد ورد في هذا المثال تاج الدين علي بن القاضي جاندار (٣) ، وكان من جملة الخواص (٤) ، فأخذ شرف الملك يقتش عن القوافل ، ووكل بالطرق من يحفظها إلى أن وصلت قافلة للإسماعيلية من صوب الشام فيها

(١) المقصود بكلمة « قافلة » الأولى جماعة المسافرين ، وأما الثانية فالمقصود بها عائدة .  
(٢) نستطيع أن ندرك مما ذكره النسوي في هذا المقام كيف أن سياسة جلال الدين منكبرتي في الفترة التي عاد فيها إلى أقاليم الدولة الخوارزمية ، لم تؤد إلى أكثر من اكتساب عداء جيرانه أجمعين ، إذ خشيت الخلافة على هيبتها وكيانها فمادت إلى سياستها القديمة ، وبدأت تكتاب المغول وتحثهم على إعادة غزو الدولة الخوارزمية ، كما نستطيع أن ندرك أيضا كيف أن طائفة الإسماعيلية ، وقد حل بها الضعف من كل جانب ، أخذت تعاون المغول في تحقيق مآربهم في البلاد الإسلامية . ومن المحتمل أيضا أن يكون هدف رسول المغول في البلاد الشامية هو الاتصال بالصليبيين هناك لتأليف حلف ضد المسلمين .

(٣) جاندار : نسبة إلى الجاندارية ، وهي فئة من ممالك السلطان والأمير . والكلمة مكونة من مقطعين فارسيين أحدهما جان ومعناه سلاح والثاني دار ومعناه ممسك . أما الجندار فوظف آخر مهمته لباس السلطان أو الأمير ثيابه وأصله « جاما دار » ، ويتكون من مقطعين فارسيين « جاما » ومعناه الثوب ، ودار ومعناه ممسك . انظر المقرئزي : السلوك ، ج ١ قسم ١ ص ١٣٣ حاشية ١ .

(٤) الخاصكية : فئة من ممالك السلطان .

نيف وسبعون رجلاً ، جهّز إليهم شرف الملك من قتلهم صبراً ، غير مبال بما وراء ذلك من توجّه اللوم ، وثوران القوم ، طالما (١) ساجدهم بالمال والجاه ، حتى أمن عاديّتهم ، وسلم من شرّهم . وسيقت الأحمال على الجمال بالذى وقرت إلى خزائنه ، فسلّط عليها جوده العزيزى ، وسخاه الطبيعى ، فأتلفها تبذيراً ، ولم يذخر من السكشير إلا يسيراً .

فلما عاد السلطان إلى أذربيجان ، ورد أسدالدين مودود من علاء الدين ملك الإسماعيلية رسولا على ما صدر من شرف الملك معاتباً ، وبما احتجن من الأموال مطالباً . فأمر السلطان برد ما أخذ من القتلى ، وأنكر عليه فعله ، ونعى إليه عقله . ونص بالتماس الرسول على طوطق بن أيناخ خان ، وهو الحاجب الخاص وإليه شحنكية الديوان (٢) ، أن يكون ملازماً له متقاضياً ، إلى أن يردّ ما أخذ من الأموال . وأما ماسفك من الدماء فالعذر فيها عذر العجاء ، فصار المذكور كالموكل به يحسن العبارة إلى أن أدى منها ثلاثين ألف دينار ، وأعاد عشرة أفراس عربية ، وهدرت بقية الأموال كالدماء حين ورد الخبر بأن غياث الدين انفصل عن الموت ، على ما شرحناه . فانظر إلى بعد حالتى هذا الوزير ، تذلل للقدائية بعد حادثة أورخان ، وعوده بين أيديهم مهيناً ، وتسليمه نفسه مستكيناً (٣) ، وإسقاطه لهم عشرة آلاف دينار عن الاتاوة المقررة فى كل سنة فداء عن نفسه ، ثم إقدامه على قتل خمسة وسبعين نفساً منهم حرصاً على المال . فسبحان من جعل الفكر هادياً ومضلاً ، وقسم العقل مكثراً ومقللاً .

(١) فى الأصل : ظلماً .

(٢) أى رئيس الشرطة .

(٣) فى الأصل : مستكيناً .



ذكر كبسة الحاجب على الأشرفي ، شرف الملك بحورش<sup>(١)</sup>  
 في سنة أربع وعشرين وستمائة ، وامتداد شرف الملك إلى أران  
 بعد انتقاضه من أثقاله وتشتت رجاله ، وما جرى له  
 بأران إلى أن عاد فاستوفى عليه الثأر وزاد

ولما رجع الحاجب إلى خلاط واستصحب المملكة بنت طغرل ، على  
 ماسبق شرحه ، انزعج لذلك شرف الملك ، فسار نحو أران ، إذ هي مثار  
 الأموال ومحتشد التركان . فأقام بموقان وفرق عماله في قبائلهم لجباية  
 الحقوق ، فكان الذي سار إلى خيل قجب أرسلان شخص يعرف بالسراج  
 الخوارزمي ، فاستصحب أوباشاً وأخذ يكلّفهم أن يذبحوا للضيافة ما يقارب  
 كل يوم ثلاثين رأساً . وانضفت إليها تكاليف أخرى لم يطيقوها ، فضجوا  
 لها وضجروا ، وقالوا له : ارجع أنت إلى صاحبك ونحن نحمل ما يجب  
 علينا من الحقوق إلى الخزانة ولا حاجة إلى جبايتك . فرجع المذكور  
 وبالغ في الشكوى حتى هاجه عليهم ، فركب من موقان وعبر نهر أرس في  
 المراكب . وكانت أيام زيادته وكبس حلة التركان ، وساق مواشيهم إلى  
 بيلقان ، وكانت زهاء ثلاثين ألف رأس ، وأتبعهم نساء التركان . وكنت  
 أعتقد أنه إذا وصل إلى بيلقان يردها عليهم على مال معلوم غرامة عن  
 خيانتهم . فلما وصل إليها ، فرسّقاها على أصحابه واستبقى لخاصته منها أربعة  
 آلاف رأس ضانية يتبعها خرفانها . وكلها كان السلطان نزل بظاهر بيلقان  
 في عبوره مشرفاً أو مغرباً يكتب على يدي رقعة إلى السلطان بغلات  
 وأغنام برسم الضيافة ، فيذكر فيها من الغنم الحلال كذا رأساً ، وهو يدرى  
 معرفتي بأصل ذلك الغنم .

(١) حورش : قرية من قرى أرمينية .

ثم إنه عاد إلى موقان وقد تواصلت حملات الجهات ، فأزاح علل العسكر وجمع التركان ، وراسل شروانشاه يطالبه بحمل الأتاوة (١) المقررة عليه للسلطان ليحملها إليه ، وهي خمسون ألف دينار . فتوقف في قضاء أربه ، ولم يسعف بمطلبه ، ظناً منه بأنه إذا قبضها وساطط عليها يد الإملاق ، على جرى عادته في التبذير والإسراف ، لم يحسب له . وقد أخطأ في ذلك ، إذ كان الذي أتلفته أيدي إنفاقه ، وفرقتة (٢) خطرات بذله وإطلاقه ، أعظم من ذلك فدرأ . فغضب شرف الملك لتوقفه في ذلك ، ورحل إلى حافة نهر كبير (٣) ، وجرّد زهاء أربعة آلاف فارس ليغيروا على بلاده ، فلم يظفروا بطائل ، وعادوا من غير حاصل ، إذ كان شروانشاه قد جفل (٤) بلده ، ورحل شرف الملك صوب أذربيجان .

وكانت الملكة بنت الأتابك بهلوان صاحبة نخجوان قد ربت بمولوكا له اسمه ايطغمش حتى نشأ وكبر واتخذته ولداً ، ففارقها إذ ذاك إلى شرف الملك وطفق يعادها بعد انسلاله عن قماط يتمه ، كالفحل السوم ينزو على أمه . ولم يزل يطمع شرف الملك في نخجوان وأعمالها ، ويزين له انتزاعها من يدها وتسليمها إليه على مال معجّل ، وآخر في كل سنة مؤجّل ، إلى أن انجرّ في جريرة (٥) . فلما رحل صوب أذربيجان ، أصبحه جماعة من خواصه ليدخلوها على ركون منها إليه ، فيقبضوا عليها ، وقيموا ايطغمش في مقام من ربته في حجرها ، وأنشته في كفّ رأتها وبرها . ولم يعلموا أن لها على ايطغمش عينا يعسد طارى أنفاسه ، ويعلمها بما باض الشيطان في راسه .

(١) في الأصل : الأتاوة . (٢) في الأصل : فرقتة .

(٣) هونهر الكور Kur الذي يصب في بحر قزوين . وقد ورد ذكره في صبح الأعشى باسم الكر . انظر القلشندى : صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٤٠٢ ، وانظر خريطة «وسط آسيا» في كتاب Bretschneider : Op. cit., vol. i.

(٤) جفل : هجر .

(٥) في الأصل : جريره .

فلما قاربوا نخبجوان ، خرجوا إليهم ممانعين ، وناوشوا القتال ، وكبروا  
في وجوههم فعادوا بخبيبتهم ، خجلين في أوبتهم .

ووصل شرف الملك عقبيهم فنزل بالمرج بظاهاها ، وبوجهه عثير<sup>(١)</sup>  
المكر ، وميسم الخديعة والغدر ، نادماً ولا ندامة الفرزدق على نوار<sup>(٢)</sup> ،  
كليل اللسان عن كل اعتذار . واعتقد أنها تخل بالمعهود من ضيافتها ، فأتمته  
حاجبتها بالإنزال والإقامات ، زيادة في التخجيل ، وعلاوة على التشوير .  
ثم أتته ثانية معاتبة على ما دبّر عليها ، وقالت في جملة رسالتها : ألم يقنعك  
صر في ماتغله نخبجوان وأعمالها كل سنة إلى تقاديمك وإقامتك ، مضافاً إلى  
ذلك ضعفه<sup>(٣)</sup> مما ورثته عن أسلافه ، حتى هممت بهتك<sup>(٤)</sup> ستري ، وخذلي  
من وراء حجابي بشعري . فإن كان الحامل على ذلك رغبتك في نخبجوان ،  
فابعث إليها من يجبي أموالها سنة بعد سنة ، لتعلم ان الذي يصل إليك مني  
برسم الخزائنة وعلى سبيل التقدمة ضعف حاصلها . فما زاد على عذر عن  
الصدق بعيد ، ولسان في إقامة العذر نكيد . ثم رحل صوب قلعة شميران<sup>(٥)</sup> ،  
فنزل من عملها بقرية تسمى حورش .

وكانت القلعة للملك الأشرف ، تسلمها نوابه ممن كان مستحفظاً من قبل  
الأتانك ، قبل أن تملك السلطان أذربيجان ، وتحصن أهلها بقلعة لهم بنيت  
على تل لدفع الغوارة ، وغلبان العسكر قد انتشرت في البيوت ، فجز<sup>(٦)</sup> أهل  
الضيعة رأس غلام من الخاشية ، وبلغ شرف الملك ذلك فاستشاط غضباً ،

(١) عثير : غبار .

(٢) في الأصل : ندار . ومما هو جدير بالذكر أن نوار هي امرأة الفرزدق الشاعر العربي

وقد طلقها ثم ندم ، وقال فيها :

تدمت ندامة الكسعي لما غدت مني مطلقاً نوار

وكانت جنتي فخرجت منها كآدم حين أخرجها الضرار

(٣) في الأصل : ضعفه . (٤) في الأصل : تهتك .

(٥) شميران : إحدى قلاع أرمينية . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ص ٢٩٧ .

(٦) في الأصل : فجر .

وقضى من تجاسرهم عليه عجباً ، وألا يرحل (١) حتى يخرجهم فيذيقهم حرّ الإنكار . ولما أصبح وأحاط العسكر بالتل ، وأخذت النقوب من كل جانب ، وضجّت الرعية يستغيثون فلا يغيث ، ويستختبون فلا يعتب ، وهو يسمع صياحهم بالأمان الأمان ، بأذن صمّاء عن نذائهم ، متغافلة عن دعائهم فإذا بأصوات الكوسات (٢) والنقارات (٣) ، وإدا بأعلام صفر وراها أعلام حمر ، وإذا بالخيل أترن نقماً (٤) ، فوسطن جمعاً فعجلوه عن إنذار أصحابه ، وترتيب أطلا به ، بل عجلوا المرء (٥) عن عوده إلى غلبانه ، ووصوله إلى دوابه ، فليجأ كل منهم إلى الوحي ورأى النجاة في النجا ، وشرف الملك واقف في شزيمة يسيرة من صغار ما ليك بوجه وقاح ، وناصية كأنها تحت من صفاح (٦) ، إلى أن أخذت عنائه وجذبت به ، وقلت : قد جاوز الخرق عن الرفو ، والفتق عن الرتق ، فأنج بنفسك . فولى منهزماً ، وترك معسكره بالأموال يفيض والدواب يموج .

وكان أول من وصل إلينا من عسكر الشام نحر الدين شام (٧) حلب ، وحسام الدين خضر صاحب سرمارى . وكان قد نزع يده عن الطاعة حين امتدت رايات السلطان صوب العراق محتججا بعجزه عن القيام بتكاليف شرف الملك . وقد ظفر المذكور في هذه الكبسة بآلات مجلس شرف الملك ومصاغة الذهبية والفضية .

(١) في الأصل : وألا أن لا يرحل .

(٢) الكوسات : صنوجات من نحاس شبه الترس الصغير ، يدق بأحدها على الآخر بإيقاع مخصوص ويسمى الذي يضرها « كوسى » . انظر الفلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٤ ص ١٣٤٩ .  
(٣) النقارات : جمع نقارة ، وهي من الآلات الملصكية المختصة بالمواكب العظيمة . وكانت تحمل على عشرين بغلا ، على كل بغل ثلاث ، وتسير في الموكب اثنتين اثنتين . وكانت النقارات تحمل في ركاب السلاطين إلى الحرب ، فتستخدم في إصدار الأوامر وفي الإيذان ببدا القتال . انظر الفلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٣ ص ٤٧٥ ، المقريزى : السلوك ، ج ١ قسم ٣ ص ٨١٩ حاشية ٢ .

(٤) أترن نقماً : هيجن غباراً .

(٥) في الأصل : لمرء .

(٦) صفاح : حجارة وصخور .

(٧) كذا في الأصل ، ولعلها نائب حلب .

## ذكر ملك الحاجب على الأشرف في لبعض بلاد أذربيجان

وما جرى بينه وبين شرف الملك بعد السكبسة

وامتد الوجيف بشرف الملك والطلب وراهه إلى مرند<sup>(١)</sup> فبات بها ، ثم رحل عنها صوب تبريز ، وساق الحاجب إلى خوى وشحنتها<sup>(٢)</sup> يومئذ ناصر الدين برقا مملوك شرف الملك ، فأخلاها حين سمع بالوقعة ، وفتحت أبوابها للحاجب ، ونهب أصحاب الحاجب بعض محالها نهباً شديداً أفضى إلى هتك الحرم ، إلى أن نودي بالسكف عنها . ثم سار الحاجب إلى نخبجوان فسلمت إليه ، تم إلى مرند فدخلها ، إذ سورها غير مانع ، ورتب بها يزكه<sup>(٣)</sup> صوب تبريز وشرف الملك مقيم بها في قل من العدد ، فكان يزكه يصل إلى قرية صوفيان من أعمال تبريز .

وضجر شرف الملك من طول المقام بحيث لا يرجى بها ارتياش ، ولا يمكن انتعاش ، ومهما هم بالرحيل صوب أران لم الشعث وجبر السكسر وإصلاح ما فشا في عسكره من كلوم السكبسة . رده أهل تبريز عما هم به ونواه ، مستشفعين بالصدر ربيب الدين وزير الأتابك أزيك وكان مقبياً بها متمسكاً ، وبالله وعبادته متمسكاً ، وما كان يحمل أهل تبريز على رده عن الرحيل عنهم إلا النظر في العواقب ، والاحتراز من استيلاء الحاجب . ثم تركب حجة السلطان عليهم وضيق مجال العدو يومئذ ، فلم يأمنوا سخطه إذأ ، ولم يخل عاقبته من أذى . فكان كلما احتج شرف الملك بالضائقة والعجز عن

(١) مرند : مدينة من مدن أذربيجان على مسيرة يومين من تبريز . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٨ ص ٢٩ . وقبل إنها قرية في الشمال الشرقي من تبريز . انظر القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٣٦٠ .

(٢) راجع ص ٢٣٩ حاشية ه . (٣) راجع ص ١٦٢ حاشية .

الإقامة ، حمل (١) أهل تبريز إليه ما يعينه على المقام عدة أيام ، إلى أن تكاثفت خيل الربيع على الثلوج ، فطردتها عن المروج ، وخضب (٢) الجبال مشتعل مشيبها ، وفتحت أيدي الصبا جوز طيبتها ، مضى صوب أران فجبي الأموال ، وجمع الرجال . وحط على قلعة مردانقيم (٣) في مسيرة يومين ، وكانت لختين الوزير ربيب الدين المذكور ، وهدده بالحصار ثم دخلتها ورحلته عنها على أربعة آلاف دينار حملها إليه . ثم ساق فنزل بقرب قلعة خاجين ، وبها جلال الدين ابن أخت إيوان الكرجي ، وأخذ يوعده ويهدده ، إلى أن صالحه على عشرة آلاف دينار بربرة (٤) ، وإطلاق سبعمائة أسير من المسلمين استوسر أقديماً وحديثاً ، فكان فيهم من أسر وهو طفل وأطلق وهو شيخ . ولما استنزل الأسرى ، واستوفى بعض المال ، ورد عليه الخبر بأن بغدى يملك الأتابك أزبك وصل إلى أذربيجان هارباً من الشام . وكان المذكور مستوحشاً من السلطان لإساعات (٥) سبقت له ، وهي أن كل من طوحته الطوائح ، ونبذته الخطوب الكواحل من العساكر الخوارزمية مبدأ خروج الملاعين إلى أذربيجان قتلهم صبراً ، وأهلكهم (٦) غيلة وغدرأ ، بغضاً في السلطان ، وانجراراً في شطر الشيطان ، حتى قيل إنه قتل في نهار واحد منهم بيده أربعائة نفس .

فلما ملك السلطان أذربيجان ، استوبل (٧) جانب المقام ، وعلم أن في ذلك خطراً ، وأن في قر به منه غرراً (٨) . ففر (٩) لايولى على أحد إلى أن

(١) في الأصل : حمل . (٢) في الأصل : وخضب .

(٣) مردانقيم : قلعة في أذربيجان ، عبر نهر أراس .

(٤) بربرة : لفظ لعسله مشتق من كلمة hyperperum ، وتطلق على العملة الذهبية اليزنطية .

(٥) في الأصل : لاسآت . (٦) في الأصل : هلكهم .

(٧) في الأصل : استومل . (٨) الغرر : التعرض للهلاك . يقال : إنه منه على غرر .

(٩) في الأصل : قفز .

اتصل بالملك الأشرف ، ثم انفصل عنه في هذا الوقت من غير استيبار ،  
وتوجه إلى أذربيجان لما بلغه من تعرضها للختطفة ، وما بها يومئذ من  
الآرام المختلفة . وظن أنه يتوسطها فيشد من الدولة الأتابكية ما انبثق به  
السكر ، ويلتم من اندراسها ووهى أساسها ماتم به الجهر ، وإن يصلح العطار  
ما أفسد الدهر . فلما قارب تخوم خوى ، وبلغ الحاجب خبره ركب إثره  
طالباً ، وفاته بغدى فقطع نهر أرس ناجياً وهاربا . ثم وقف له على حافة  
النهر فكلمه ، وقال : أنا ملوك الملك الأشرف وعبد إحسانه . وغدّي (١)  
نعمته ، فحيث كنتُ فعلى ولائه وطاعته ، وما جئت إلا لنصرة دعوته .

ورجع الحاجب ، ودخل بغدى بلد قبان (٢) — وهي ذات قلاع بأيدي  
أمرام (٣) عصاة ماداسوا بعد بساط السلطان ، ولا شوهد من علامات  
طاعتهم إلى ذلك الوقت إلا التقاديم والخدم — وطفق بغدى يستحلفهم  
على إظهار الدولة الأتابكية ، ويدعوهم إلى ابن الملك خاموش ، على أن  
يخرجوه من قلعة قوطور (٤) فيجلسوه على سرير الملك ، نفخا فيما ظهر خموده  
وتعويلا على ما غابت سعوده . فأقلق شرف الملك ذلك ، وحبس عليه نجم  
ما دبّر ، وانحل عليه نظر ما فكر فيه وقدر . وردف ذلك وصول طائفة من  
المنهزمين بظاهر أصفهان ، مخبرة بانهمزام السلطان واختفاء خبره ، ففت  
في عضده ، وزاد في كرده ، وارتكب حزنا على حزن ، ووهنا بعد وهن .  
وهو مع ذلك كله يضرب البشائر ، بأن السلطان ظافر ، وأن الإسلام على  
التكفر ظاهر

ولما فرغ بغدى من استحلاف أمرام قبان ، سار إلى الملك نصره الدين  
محمد بن بيشتكين يدعوهُ إلى مساعدته ، واتباع إرادته ، فلاطفه وأحسن  
ضيفاته ، وكتب إلى شرف الملك بحاله ينهى إليه ما التفقت عليه الكلم ،

(١) في الأصل : وعدى .

(٢) قبان : مدينة من مدن أذربيجان ، بالقرب من تبريز . ياقوت : معجم البلدان ج ٧ ص ٢٣ .

(٣) في الأصل : امرام .

(٤) قوطور : قلعة بالقرب من تبريز .

واجتمعت عليه الهمم . فسير إليه شرف الملك سرأ يأمره أن يدعو بغدياً إلى طاعته ، ويضمن له عنه ما يرضيه من الرغائب ، التي تملأ فارغة الحقائب ، والاقطاعات الخالصة من الشوائب .

وترددت الرسل في ذلك بينهما أياماً ، حتى لانت عريكته ، وتمت بيعته . ووافى الملك نصره الدين ببغدى حضرة شرف الملك وهو بحافة نهر أرس فتلقاه ، وأكرم مشواه ، ووعد له بما يهواه ، وخاع عليه وعلى أصحابه مائة وخمسين خلعة ، في جملتها عشرة مكملة بالساخت والسرفسار والبطوق<sup>(١)</sup> ، وأقطع له باقتراحه أرميه بأعمالها ، وحلف له أن لا يمكن أحداً من الخوارزمية من مطالبته بدماء قتلاهم . ولما أمن عائلة بغدى واستظهر به ، ووردت<sup>(٢)</sup> الأخبار من ناحية العراق بعود السلطان إلى أصفهان سالماً ، ورجوع التاتار عنها خائباً ، وزكوب السلطان أكتافهم طالبا ، رحل صوب أذربيجان واستصحب بغدى وابن بيدشتكين شاحداً عن يمينه ، ومصمماً سريره<sup>(٣)</sup> لطلب الثأر من الحاجب . فلما وصل إلى مرند ، اتصل به ثلاثة من أمراء الميسرة السلطانية ، وهم كوج يكنى بهلوان ، والحاجب الخاص خان بردى ، وأوداك أمير آخور ، نجدة سيرها السلطان إليه .

وكان من عادة السلطان أنه إذا ظهر من بعض أصحابه في بعض الحروب هروب ، وفي بعض الوقائع تقصير ، يكلفه الأخطار ، ويحشمه المشاق ، إلى أن يبدو منه من الخدمة المرضية ما يرخص دنس تقصيره فيرضى عليه . وكانت هذه سنة التاتار وحدها تسد للتقصير باباً ، فاتخذها داباً . ولما كانت هذه الثلاثة لم ينج من أمراء الميسرة في الحرب بظاهر أصفهان سواهم ، كلفهم إنجاد شرف الملك ، فوصلوا وقوى بهم . وساق إلى خوى ، وبها نائب

(١) راجع ص ٧٧ حاشية ٦ .

(٢) في الأصل : وردت .

(٣) في الأصل : سريره .



الحاجب بدر الدين ابن سرهنك<sup>(١)</sup>، فلم يقربها، وسلك طريقا لم يقربها ذات اليمين، لم يطلب غير الحاجب، وهو إذ ذاك بنو شهر<sup>(٢)</sup>، فحين سمع الحاجب بحفوفه نحوه في ألوفه، تأخر إلى بركرى<sup>(٣)</sup>، وأقام بظاهرها إلى أن وصل شرف الملك فالتقيا ثانيا يوم وصوله، فلم يكن إلا حملة واحدة حتى انجملت المعركة عن هزيمة الحاجب ودخوله بركرى وتحصنه بها، وكثر القتل في أصحابه. وأصاب تاج الملوك بن الملك العادل نشابة فمات بها بعد حين.

وجمع شرف الملك كوساتهم ونقاراتهم وأعلامهم وبيارقهم وسيرها إلى أصفهان صحبة ميسرة السلطان<sup>(٤)</sup>. وتفرقت عساكره للغارات، وأقام هنالك في أقل من مائة فارس ثلاثة أيام، والحاجب بركرى لم يفارقه من عسكره إلا من قضى نحبه في حومة الحرب، أو ضمته حباله الأسر. ولم يجسروا أن يخرجوا فيأخذوه برقبته، فمالسكسور طائش القلب، مسلوب اللب، إن صادف أعزل<sup>(٥)</sup> لا يطمع فيه، وإن لاقى<sup>(٦)</sup> بطالا لا يكافيه.

ثم كتب الحاجب إلى أوداك أمير آخور كتابا يلتمس فيه إصلاح ذات البين، ورفع أسباب الخلف. وكان حاجب أوداك أمير آخور قد قارب السور فكلمه، فدفع الحاجب الكتاب إليه فأوصله إلى صاحبه، فحضر إذ ذات بكتاب الحاجب، فغضب شرف الملك لذلك، وغالظه في الكلام، وحذر حاجبه أن يقرب السور ثانيا، وقال: لم أرض من الاشتفام بالحاجب إلا بقتله، وهأنذا عن قريب<sup>(٧)</sup> عائد إليه بما يخرب دياره، ويمحو آثاره. وعادت العساكر بغاراتها متفرقة إلى أذربيجان، ورحل شرف الملك

(١) سرهنك: إحدى الرتب العسكرية.

(٢) نوشهر: اسم معناه المدينة الجديدة، ويطلق على مدينة نيسابور.

(٣) بركرى: مدينة قريبة من خلط، (٤) في الأصل: مبشره للسلطان.

(٥) في الأصل: أعزلا، (٦) في الأصل: لانا.

(٧) في الأصل: ها أنا عن قريب.

عقبهم ، فلما قارب خوى أخلاها نائب الحاجب إلى قلعة قوطور ، إلى أن  
أنزل بعد عود السلطان، وخلصت أذربيجان عن الحاجبية وأنصارهم والمتسمين  
بشعارهم . ولما دخل شرف الملك مدينة خوى ، بسط يده في المصادرات ،  
فلم يترك بها ذا دار<sup>(١)</sup> إلا أدى حلقه ، وألصق بظهره بطنه . وولاهم بوكه  
ناصر الدين بوقا ورحل صوب مرند ، ففعل بها ما فعل بجارتها ، وهكذا  
بنخجوان وعامة بلاد أذربيجان ، حتى كبسها عن يسارها وظهرت آثار  
إعسارها . ثم ورد الخبر بنخفوق الرايات السلطانية صوب أذربيجان ،  
فاستقبلها إلى أوجان<sup>(٢)</sup> ، فلقى بها شاه خاتون بنت السلطان تكش عمه السلطان  
وسنجقان خان وقد سبقا السلطان إليها ببعض العساكر ، وسائرهما قد أحاطوا  
بتخوم الموت مترصدين خروج غياث الدين عنها ، على ما سبق ذكره .

ومن عجيب ما اتفق من الموت المفاجيء أن سنجقان خان ، وكان حاكم  
يولق السلطان ، وهو ديوان المظالم باصطلاح الترك ، جلس ذات يوم على  
العادة في خيمة اليولق بأوجان مستنذا إلى العمود ، فأطرق أثناء الحديث ،  
وظن الحاضرون أنه نعس ، فحمل ميتا . ووصل السلطان بعدهما ، ثم وصلت  
محنة ملكة فارس بنت الأتابك سعد ، وقد زفت إلى السلطان أيام مقامه  
بأصفهان ، إذ كانت أختها المزوجة بالسلطان قد ماتت بكمحنة يوم  
قتل أورخان .

(١) في الأصل : ذا در .

(٢) أوجان : إحدى مدن أذربيجان .

ذكر عز الدين بلبان الخلخالى<sup>(١)</sup>

## وماختم به أجله

كان المذكور من جملة المالك الأتابكية ، وقد استولى على خلخال وقلاعها ، وجل همه إخافة الطرق وقطع السابلة بين العراق وأذربيجان . فتواترت الشكاية ، وكثرت النكاية ، والشواغل كانت ترد السلطان عن إضفاء تلك الناحية ، وإطفاء تلك النائرة . وقد ازداد عيئه وفساده عند اشتغال السلطان بالتاتار ، واشتغال جنود الحاجب بأذربيجان . فخط عليه السلطان منصرفه من العراق ، وحاصره بقلعة فيروز أباد<sup>(٢)</sup> أياما ، إلى أن استأمن فخرج إلى السلطان بسيف وكفن ، فسكن بالعفو روعه<sup>(٣)</sup> ، وأزال بالتجاوز روعه<sup>(٤)</sup> . وتسلم منه قلعتي بلك<sup>(٥)</sup> وفيروز أباد ، فلك فيروز أباد حسام الدين تكين تاش مملوك الأتابك سعيد ، وسلم بلك إلى بعض مشايخ الترك . ثم خلف خزانته وحرمه وأثقاله بموقان ، وسار بعسكره المجرّد صوب خلخال ، لما

(١) نسبة إلى خَلْخَال ، إحدى مدن أذربيجان وتقع على مسيرة يومين من مدينة أربيل . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ص ٤٥٤ .

(٢) فيروز أباد : قلعة حصينة من أعمال أذربيجان ، على مسيرة فرسخ واحد من مدينة خلخال . ياقوت : معجم البلدان ، ج ٦ ص ٤٠٩ — ٤١٠ . وهناك بلدة أخرى تسمى بهذا الاسم بالقرب من شيراز . انظر القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٣٤٥ .

(٣) روعه : قلبه .

(٤) روعه : خوفه .

(٥) بلك : قلعة بالقرب من مدينتي خلخال وزنجان . ويذكر هوداس Houdas في الترجمة الفرنسية أنه من المحتمل أن يكون اسمها يلك إذ لم ترد منقوطة في النسخة الخطية . غير أننا لا نميل إلى الأخذ بهذا الرأي إذ قد وردت «بلك» في مواضع أخرى . راجع الصفحات ٢٢١ ، من طبعة هوداس العربية ، ٢٧٩ ، ٣٦٧ . من الترجمة الفرنسية ، وانظر أيضا الكشاف في هذه الطبعة .

في نفسه من الحاجب . فلما وصل إلى أرجيش<sup>(١)</sup> ، توالت الثلوج واشتد البرد فساق إلى طوغطاب وقد أخلاها أهلها من ربد الأحقاب ، فتقاسمتها أيدي النهاب . وأقام بها عشرة أيام ، والغوارة تضرب يمينا وشمالا ، وتطأ سهولا وجبالا . ووصلت طائفة منهم إلى أرزن الروم ، فساقت الغارات من بابها وورد على السلطان أيام مقامه بطوغطاب كتاب من علام الدين صاحب الروم يغريه بمعادة بني أيوب ، ويعده المساعدة عليهم ويقول : إنه كان اشتغل في سنته تلك بمن يتاخمه من الكفرة ، ففتح عدة حصون لهم ، كما أن السلطان اشتغل بالتانار فردم على أعقابهم ، ولم يبق الآن إلا صرف الهمم إلى هؤلاء الفئة الباغية ، والشرذمة الطاغية . وبالغ حتى إنه ذكر : رجعتنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر . وكان قد طوى كتابه على كتاب ورد عليه من سراج الدين المظفر بن الحسين نائب علام الدين صاحب الموت بناحية الشامية ، إذ كان السلطان بالعراق يذكر فيه أن جلال الدين المخدول قد قتل في المصاف بظاهر أصفهان ، وتفرقت عساكره أيدي سبأ<sup>(٢)</sup> ، وأن أخاه غياث الدين لجأ إلى الأبواب العلائية منخرطا في سلك الطاعة ، وكذلك الأتابك قزل أرسلان ، يعني الملك خاموشا ، صار من المشيخين بعبابها ، والمنتظرين جذباتها ، وأن ملك العراق قد صفا لعلام الدين عن كل مزاحم ، هذا ومثاله .

فناولني السلطان السكتاب لأقرأه عليه ، فلما وقفت عليه وجدته حديث خرافة ، ينطوى على كل آفة وعاهة . وكان المجلس غاصا<sup>(٣)</sup> بالخانات والأمرام ، قلت : هذا مما ليس يصلح أن يقرأ بين يدي السلطان ، فألح في قراءته<sup>(٤)</sup> ، وقال : ما عليك منه ؟ قلت : إن كان لابد من قراءته<sup>(٥)</sup> ففي الخلوة . فخرج

(١) أرجيش : إحدى مدن أرمينية الكبرى ، وهي قريبة من خلاط . ياقرب : معجم البلدان ، ج ١ ص ١٨١ .  
(٢) أيدي سبأ : في طرق مختلفة .  
(٣) في الأصل : غاصا .  
(٤) و (٥) في الأصل : قراءته .

الناس و خلا المجلس . ثم قرأته عليه فأخذه مني وختمه ووضعته في كيسه .  
نعم ، و هرب بلبان الخنخالي من طوغطاب إلى خلاط ليلا . ولم يدربه  
إلا بعد الفوات . فحسزه الحاجب إلى أذربيجان معتقداً أنه إذا توسط البلاد  
السلطانية يشير من الفتن ما يشغل السلطان عن قصده خلاط ، فلا يتقص ذلك  
من عزمه ، إذ كان بلبان أصبح بعد تسليم القلاع منه كالطير قص جناحه ،  
والمقاتل قصم سلاحه . ففضى إلى جبال زنجان ، فأخاف الطرق مستأنفاً ، وشق  
العصا مخالفاً ، إلى أن قتل بأصفهان ، وسير رأسه إلى السلطان ، على ما سنذكره  
في موضعه إن شاء الله تعالى . ثم رجع السلطان من طوغطاب إلى خرتبرت (١)  
وفعل بها ما فعل بطوغطاب من النهب والتخريب وسوق الأبقار ، فكان خمس  
ماسيق منها سبعة آلاف رأس ، ما خلا سائر الأجناس . وخربت أعمال  
خلاط بهذه الغارة ، والفتنة نائمة (٢) لعن الله من أيقظها .

---

(١) خرتبرت : إحدى قلاع أرمينية الكبرى ، على مسيرة يومين من ملطية . ياقوت  
معجم البلدان ، ج ٣ ص ٤١٥ . وقد جاءت في القلقشندي ، خرت برت ، وذكر أنها  
تعرف بمحصن زياد . انظر صبح الأعشى : ج ٤ ص ٣٥٥ - ٣٥٦ .  
(٢) في الأصل : بآتمه .

## ذكر ورود نجم الرازي<sup>(١)</sup> وركن الدين بن عطف رسولين عن الامام الظاهر بأمر الله

قد وردا والسلطان بتبرين ، مبشرين بانتصاب الإمام الظاهر بأمر الله منصب آباءه الخلفاء ، مشفوعة رسالتهما بمواعيد جميلة ، ووعود لأصناف الأمانى كفيلة<sup>(٢)</sup> . وقد أمر ابن عطف أن يقيم بحضرة السلطان ، ويعود الرازي بمن يصحب من الرسل ليستصحب<sup>(٣)</sup> الخلع والتشريفات التي كانت الدواعي تمد إليها أعناق الانتظار ، وتعد<sup>(٤)</sup> لها ساعات الليل والنهار ، فتعوضها سوابق<sup>(٥)</sup> المقادير ، وتتركها وراء حجاب التأخير ، فأصبحه السلطان بالقاضي مجير الدين . فعاد بالخلع ، ولحقهم نعي الظاهر بأمر الله ، رضوان الله عليه وعلى آباءه الراشدين ، قبل الوصول ، فأعيدت الخلع إلى بغداد ، وحمل السلطان الأمر في ردها إلى بغداد لتغدير النية في حقه إلى أن تحقق السبب .

(١) نجم الدين الرازي هو أحد رجال الصوفية في عصره ، وقد رحل بعد الغزو المغولي إلى بلاد الروم ، وهناك ألف كتابه المعروف باسم « مرصاد العباد من المبدأ إلى المعاد » ، وهو كتاب بالفارسية ويبحث في عقائد التصوف ، وقد توفي الرازي سنة ٦٤٥ هـ ( ١٢٤٧ م ) . انظر كتاب الدكتور رضا زاده شفق : تاريخ الأدب الفارسي ، ص ١٩٧ .

(٢) كان جلال الدين منكبرتي ، منذ عاد من بلاد الهند ، قد ناصب الخلافة العباسية العداء ، ولما أخفق في محاولته غزو بغداد في عهد الخليفة الناصر ، بل لما أخفق في سياسته التي كانت ترمي إلى تأليب القوى الاسلامية ضد الخليفة العباسي ، اضطر إلى مهادنة الخلافة . ومن جهة أخرى نرى أن الخلافة العباسية أخذت تميل بدورها إلى مصالحة الخوارزميين وخاصة منذ تولى الخليفة العباسي الظاهر بأمر الله سنة ٦٢٢ هـ ( ١٢٢٥ م ) .

(٣) في الأصل : ليستصحب . (٤) في الأصل : ويعد .

(٥) في الأصل : سوابق .

## ذكر إقامة السلطان بأذربيجان مثمتياً

وعشوره على عشرات لشرف الملك غيرت رأيه عليه

ثم إن العساكر رجعت بما أثقلها من القارات إلى موقان ، وأقام السلطان  
بجوى شهرا ، فأفاده مقامه بها عشوره على ماتم على أهلها من المصادرات  
القالعة ، والمعاملات القارعة ، وشعوره بأسباب نُفرة<sup>(١)</sup> الملائكة بنت  
طغرل بن أرسلان السلاجوقى ، وبراءتها<sup>(٢)</sup> من ذنوب نسبورها إليها ، وما  
قد اقتنى شرف الملك من أقدار دارها وشموس أستارها . ثم انتقل أثناء الشتاء  
إلى تبريز فوجدها كأختها بأشر حال . وانضاف إلى ذلك أنه نزل بقربة  
كوز كنان<sup>(٣)</sup> من أعمال تبريز ، وكانت تحصل للديوان منها مال طائل ، وكلما  
نزل السلطان بها يقوم الرئيس بضيافته من كل ماتحتاج<sup>(٤)</sup> إليه المطابخ والمخابز  
والاصطبلات ، وهكذا كان يحسن ضيافة الخواص وأرباب المناصب ، فلم  
يجد الرئيس حاضرا فى هذه المرة ، وأنهى إليه أنه مسك على دم ، وها هو  
بتبريز مطالبا بألف دينار ، وقد أطلقها شرف الملك لمملوكه ناصر الدين بوقا ،  
وسيف الدين طغرل الجاشنكير<sup>(٥)</sup> .

- (١) فى الأصل: نفذة .  
(٢) قرأها هوداس فى النسخة الخطية « كوزة كنان » . وكوز كنان قرية كبيرة من  
نواحى تبريز ، بينها وبين تبريز مرحلتان ، ومعناها صناع الكيزان . انظر ياقوت : معجم  
البلدان ، ج ٧ ص ٢٩٤ .  
(٣) فى الأصل : يحتاج .  
(٤) الجاشنكير : هو الذى يقوم بذوق أصناف الطعام والشراب المختلفة قبل أن يأكل منها  
السلطان خوفا من أن يكون هذا الطعام أو الشراب مسموما . وترك هذه الكلمة من لفظين  
فارسيين ، « جاشنا » ومعناه الذوق ، والثانى « كير » ومعناه التعاطى . انظر القلقشندى :  
صبح الأعشى ، ج ٥ ص ٤٦٠ ، وراجع ص ١٦٠ حاشية ٤ .

ووصل السلطان إلى تبريز ، وأمر بالقبض على من تسلمها من غلبانها ، فقبضنا وتسلم<sup>(١)</sup> منهما ما أخذاه<sup>(١)</sup> من الدية ، وأخذ دوابهما<sup>(٢)</sup> ، وطردهما<sup>(٣)</sup> إلى موقان رجالة ، وحين رأى السلطان ضعف حال تبريز وزراعتها ، عزم على إراحتها ، وإمالة الأذى عن مساحتها . فأسقط عنها خراج ثلاث سنين ، وكتب لهم توقيعا بذلك . وتواترت الظلامات ، وكثرت الشناعات ، سرأ بما جرى عليهم من العسف مدة غيبته ، إلى أن من الله عليهم بأوبته ، وهو يسمع ذلك وينطوى لشرف الملك على غيظ مكثوم . وكانت كتب شرف الملك ترد عليه بالمهام فلم يكتب لها جوابا . وحين رأى ان تبريز تعجز عن علق اصطبلاته ، وأن ليس للخاص بها غلة ، فتح هرى<sup>(٤)</sup> شرف الملك ، وأمر بصرفها إلى الخازن والاصطبلات .

ورجم الناس إذا ذاك بالظنون<sup>(٥)</sup> ، وقدروا المقادير ، وقالوا : قد انقضت أيام شرف الملك ومضت . فلما عاد السلطان إلى موقان ، واجتمعوا بها ، لم يغير عليه شيئا كأن لم يودع غيظ<sup>(٦)</sup> درعة<sup>(٦)</sup> ، ولا قرع موحش سمعه . وقد كان شرف الملك يأخذ عشر البلاد في السنين الماضية من المقطع والخاص أسوة<sup>(٧)</sup> بمن تقدمه من الوزراء ، لكن على سبيل الخفية ، بل كان يأخذها بجاهة من غير أمر سلطاني ، ومن منع ذلك لم يحاققه ، إذ كان السلطان لم يطلق له ذلك . فعند ذلك برز الأمر السلطاني بأن يتناول عشر الخاص والمقطع بجميع المالك ، وكتبت له بذلك توقيعا . وكانت الرسالة وردت على لسان داعي خان وأطلس ملك أميري<sup>(٨)</sup> اليولق<sup>(٩)</sup> ، فأعطاهما شرف الملك خمسة آلاف

- (١) في الأصل : أخذوه .  
(٢) في الأصل : طردهم .  
(٣) في الأصل : الظنون .  
(٤) غيظ : اسم رجل كان قد استودع آخر درعة .  
(٥) في الأصل : أسوة من .  
(٦) في الأصل : أمراء .  
(٧) اليولق : ديوان المظالم باصطلاح الترك . راجع ص ٢٧٦ .  
(٨) في الأصل : دوابهم .  
(٩) هرى وجمه أمراء : مخازن الغلال .



دينار حق الرسالة ، فكان بعد ذلك يحصل لشرف الملك من عشر العراق  
وحدها على مناعة شرف الملك على ، وقلة احتفاله به كل سنة ما يندف على  
سبعين ألف دينار . وأما الإقطاعات فكان<sup>(١)</sup> أصحابها يرون مداراته حتما ،  
فيقاسمهم حواصلها ، ولم يجسر أحد منهم أن يثب بالشكوى<sup>(٢)</sup> ، فرتب مع  
كل ديوان ديوانا من قبله لجباية العشر بعامة الممالك .

---

(١) في الأصل : فكانوا . (٢) في الأصل : بالسوى .

## ذكر وصول كوركا إلى خدمة السلطان

كانت قبائل قفجاق تميل إلى ذلك البيت ولاء ومحبة<sup>(١)</sup>، إذ لم يولد لهم ولد في قديم الزمان وحديثه إلا وأمه من بنات ملوك قفجاق، زفتت إليه بالخطبة والنكاح. فلهذا بالغ جنكزخان وأولاده في استئصال قفجاق، إذ كانوا مادة قوتهم، وأصل شوكتهم، والسبب لكثرتهم.

ولما عاد السلطان من العراق بعد المصاف بظاهر أصفهان، وقد هال عسكره ما رأوه من أمر التاتار وشدة بأسهم، رأى أن يستظهر بقفجاق وقبائلها، فسيّر سرجنكشى، وله في قفجاق أصل وبيت، يرغبهم في الامتداد إليه، ويريهم أن صلاح أنفسهم في انفاقهم على الأعداء، وأنهم لا يأمنون على التفرق استئصال الطائفتين، وانقلاع الفتنتين<sup>(٢)</sup> فوجدهم المذكور مسرورين<sup>(٣)</sup> برسالته، راغبين في مشايعته. وبادرت إلى دربند قبائل منهم في زهاء خمسين ألف خركاه<sup>(٤)</sup>، فلم يمكن العبور، فأناخوا بقرية، وركب البحر كوركا، وهو ملك من ملوكهم، في ثلاثمائة من قريبيه وقريباته<sup>(٥)</sup>، واتصل بشرف<sup>(٦)</sup> الملك وهو بموقان، إلى أن خلت الطرق عن قطاع الثلج، وقارب خيل الربيع بالفلج، رجع السلطان إلى موقان

(١) امتلأت الدولة الخوارزمية بمسدد كبير من الأتراك الذين ينتمون إلى قبائل القفجاق في شمال البحر الأسود، فقد نزع عدد كبير من أفراد هذه القبائل إلى أراضي الدولة الخوارزمية بل وصاهروا الخوارزميين. وعلى الرغم من ذلك فقد كانت هذه العناصر مصدرا من مصادر الاضطراب السياسى والاجتماعى في قلب الدولة. ومما هو جدير بالذكر أن اسم قفجاق يكتب في المصادر التركية « قيجاق ». انظر كتاب عثمانى تاريخى لأحمد راسم، ص ١٢٩ وغيرها. وانظر أيضا كتاب لغات تاريخية وجغرافية لأحمد رفعت ج ٦ ص ٦ وغيرها من الصفحات.

(٢) في الأصل: الفيتتين. (٣) في الأصل: سارين.

(٤) خركاه: كلمة فارسية معناها خيمة. انظر القرزى: السلوك، ج ١ قسم ١

ص ٣٢، حاشية ٥.

(٥) في الأصل: قرابية وقريباته. (٦) في الأصل: اتصل شرف.

فاستقبله شرف الملك ومعه كوركا ، واستعفى المذكور عن منزل الخدمة ،  
اكتفاء منه بوروده ، وبذله في الخدمة غاية مجهوده ، فلم يعف عن ذلك  
حتى نزل وقبل يد السلطان ثم خلع السلطان عليه وعلى من صحبه بعد أيام ،  
ورده عن وعد (١) بفتح طريق دربند (٢) .

وكادت دربند تحصل ، لولا سوء التدبير ، وذلك أن كوركا لما  
انفصل عائدا على ميعاد الاجتماع عند افتتاح دربند المشهور بباب الأبواب ،  
راسل السلطان صاحب دربند ، ولما كان طفلا يدبر أمره أتاك له يلقب  
بالأسد ، فرغب في إختتام مرضاة السلطان ، واكتساب عنايته ، وبادر  
بنفسه إلى بابه ، فأكرمه السلطان ، وخلع عليه ، وعين باسمه واسم الطفل  
صاحبه إقطاعا تتضاءل (٣) دربند في جنبه ارتفاعاً على أن يستصحب من  
قبل السلطان من يتسلها منه . فجهز معه ستة آلاف فارس ، منهم إينام خان ،  
وسكر خان ، وخاص خان . فلما انفصلوا عن الخدمة ، قبضوا على الأسد وقيده  
بعد أيام ، وشنعوا (٤) عليه أنه هم أن يفارقهم من غير إذن ، ثم شنعوا على  
بلدة (٥) دربند خارج السور غارات ظهرت فيها آثار الخراب والدرس ،  
فصارت كأن لم تغن بالأمس .

واستعمل الأسد من الحيلة ، ما أسلمه من الغيلة ، فعاد إليها كالظبي  
مذعوراً ، والأسد مجروحاً ومضروباً ، وصار أمر دربند — بما أساؤوا

(١) في الأصل : عن موعوداً .

(٢) دربند أو باب الأبواب : مدينة على الشاطئ الغربي لبحر قزوين قبالة نغليس . وتسمى  
أحياناً بباب الحديد . انظر ياقوت : ج ٢ ص ٥٦٤ ، والقلقشندي : ج ٤ ص ٣٦٤ . ولكلمة  
دربند معان أخرى سبق شرحها راجع من ٣٦ حاشية ٧ .

(٣) في الأصل : ينضأل .

(٤) قرأها هوداس Houdas في النسخة الخطية شنعوا ، ثم عدلها في الترجمة الفرنسية إلى  
شيعوا ، والواقع أن القراءة الأولى هي الصحيحة .

(٥) في الأصل : بلد .

من التدبير مرتجياً (١) ، فلم يبق في افتتاحها مرتجياً (٢) . ولو أراد الله افتتاحها كان شرف الملك متعيناً لذلك ، إذ مثل هذه (٣) الصعاب لا تدال إلا ببذل الأموال . ثم بلين مصون عن خرق (٤) وبذل مقرون برفق . والمذكور ماجراً دلت على أن لا نفذ وحده وبرى وقده ، ولا أفرد في أمر إلا أوفى على الذروة والغارب ، وحاز منية الطالب ، ورغبة الراغب .

---

(٢) مرتجياً : أمل .  
(٤) الخرق : الحماقة .

---

(١) مرتجياً : مغلقاً .  
(٣) في الأصل : هذا .

## ذكر ما صدر من شرف الملك بموقان

حين بلغه تغيير رأى السلطان عليه وعثوره على عثراته

كانت الأخبار تأتيه بتغيير رأى السلطان عليه ، فتسوهه . ثم رأى إرضاءه بخدمة في غيبته ، تقوم مقام الأرش<sup>(١)</sup> عن جنائته ، ويستجد ما كانت تخصه من عنايته . فركب في عسكره وبعض عسكر السلطان فعبّر نهر أرس في المراكب ، واستولى على ناحية كشتاسني<sup>(٢)</sup> ، وطرد عنها عمال شروانشاه ، وضمتها في سنته تلك بمائتي ألف دينار بربرة<sup>(٣)</sup> ، ومن صفتها أنها ناحية بين نهري أرس وكُر<sup>(٤)</sup> ، لا يعبر إليها إلا في المراكب ، ذات غدران كثيرة ، وأموال تحصل من طير الماء والسمك غزيرة ، وربما تباع مائة إوزة<sup>(٥)</sup> بها بدينار .

وحين عاد السلطان إلى موقان أقطعها لجلال الدين سلطانشاه بن شروانشاه ، وكان أبوه قد سلمه إلى السكرج فنصروه على أن يزوجه ببنت الملكة رسودان ابنة تامار<sup>(٦)</sup> . وحين فتح السلطان بلاد السكرج خلص اليتيم من غم الاعتقال ، وخلص معه ابن صاحب أرزن الروم ، فارتد في خاوة<sup>(٧)</sup> الكفر ، وهرب عائداً إلى السكرج ، على انحطاط قدره عندهم ، وعلى أن الملكة قد تزوجت عليه وطلقتة .

(١) الأرش : الدية .

(٢) كشتاسني : ناحية من نواحي شروان على الشاطئ الغربي لبحر قزوين .

(٣) راجع ص ٢٧٢ حاشية ٤ . (٤) راجع ص ١٩٧ حاشية ٨ .

(٥) في الأصل : وزّة .

(٦) في الأصل : بامار . راجع كتاب :

Brosset : Histoire de la Géorgie, tom. i, p. 431 et suiv.

(٧) كذا في الأصل ، ولعلها هاوية .

وأما ابن شروان شاه فكان كدر يقيم خلق في أحسن تقويم ، ورباه  
السلطان فأحسن تربيته ، وطهر بتطهير الملوك أولادهم ، ثم ملكه كشتاسني  
قسطاً مما خلفه أبوه ، فقد وجدته يتيماً فأواه ، ضالاً فهداه ، عائلاً فأغناه ،  
سنّة الله قد خلت من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلاً . فكان شرف الملك  
قد أفرد لنفسه من نهر أرس سواقي<sup>(١)</sup> وسمّاها الشرفي ، والفخري ،  
والنظامي . وعمّر عليها ثلاث نواح<sup>(٢)</sup> تغل أحمالاً كثيرة<sup>(٣)</sup> . فلما أحسن بتغيير  
رأى السلطان عليه ، جاء إلى نهر أرس بعد العود من كشتاسني ، والزمان  
شتاء ، والأرض جامدة ، فكان يأمر بالأخشاب ، والغياض قريبة ، فتقطع  
ثم ترمي على خط الساقية ، فتضرب النار فيها فتلين الأرض تحتها ، فتحفر .  
إلى أن أفرد من النهر ساقية لاتخاض وسمّاها سلطان خوي ، وضممتها تلك  
السنّة بشانين ألف دينار ، ولم يزرع بعد شيء ، بل هذه الجملة حصلت من  
ضمان غدرانها .

(٢) في الأصل : نواحي .

(١) في الأصل : سواقياً .

(٣) في الأصل : حلا كثيرة .

## ذكر قدوم شروانشاه أفريدون بن فريبرز

كان السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان<sup>(١)</sup>، لما ملك أران مضافة إلى سائر ممالكة الفسيحة<sup>(٢)</sup>، حضر بابه شروانشاه زمانه، بعد غارات تتابعت على بلاده، ووقعات أفنت معظم أجناده. وتقرر أن يحمل كل سنة إلى الخزانة السلطانية مائة ألف دينار. فلما ملك السلطان أران سنة اثنتين وعشرين وستمائة، راسل شروانشاه أفريدون بن فريبرز مطالباً بالأتاوة المقدرة لخزانة ملكشاه، فاعتلّ بضعف بلاده، وخروج أكثرها من يده، مثل شكى<sup>(٣)</sup> وقبلة<sup>(٤)</sup>، وتغلب السكرج على الأطراف، وامتدت مراجعات الرسل في ذلك حتى تقرر على خمسين ألف دينار يحملها كل سنة إلى الخزانة الجلالية.

فلما عاد السلطان في هذه المرة إلى أران قدم عليه شروانشاه أفريدون ابن فريبرز من غير استدعاء، بل رأى أن يجعل تقبيل باسطته، ودوس

(١) في الأصل: رسلان.

(٢) تعتبر الفترة الواقعة بين دخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧ هـ (١٠٥٥ م) وبين وفاة السلطان ملكشاه سنة ٤٨٥ هـ (١٠٩٢ م) من أزهى عصور الشرق الاسلامي، إذ استطاع السلاجقة أن يوحّدوا بلاداً لم تكن بالأمس غير أجزاء متناثرة متعادية، ثم أخذوا يوسعون أملاكهم شيئاً فشيئاً، فاستطاع طغرل بك أن يمد نفوذه على بلاد الجزيرة وأرمينية، كما استطاع خلفه ألب أرسلان أن يوسع أملاكه على حساب الدولة البيزنطية حتى وسع نفوذه الأقاليم الممتدة حتى بحر مرمرة بعد هزيمة الامبراطور البيزنطي رومانوس Romanus في موقعة ملاز كرد. ثم تمكن ملكشاه من أن يتوج هذا كله بإخضاع سوريا وجورجيا في الغرب وبحارى وسمرقند وخوارزم في الشرق. انظر:

Defremery : Histoire des Seldjoukides. Extraits du Tarikhi Guzideh, ou Histoire Choisie d'Hamdullah Mustaufi, p. 437. (J. Asiat., Avril—Mai, 1848).

(٣) شكى: ناحية من نواحي أرمينية الكبرى. انظر ياقوت: معجم البلدان، ج ٥ ص ٢٨٦.

(٤) قبلة: ناحية من نواحي أرمينية الكبرى، أستسبها قباز الملك أبو أنوشروان.

انظر ياقوت: معجم البلدان، ج ٧ ص ٢٩.

بساطه ، للوقت افتخاراً ، وعلى حوادث الزمان استظهاراً ، ولأيام النوائب  
ادخاراً . وقدّم للسلطان خمسمائة رأس خيل تركية<sup>(١)</sup> وأشرف الملك خمسين  
رأساً . فاستحقرها شرف الملك لنفسه واستقلها ، وأخذ يشير على السلطان  
بالقبض على شروانشاه واستضافة بلاده إلى ما يليه<sup>(٢)</sup> . فأبى السلطان  
ذلك ، وردّه بالخلع والتشريفات ، وأمر فبكتبت توقيها له بتقرير ماتحت  
يده ، وإسقاط عشرين ألف دينار من الإتاوة المقررة ، وأعطاني شروانشاه  
عن حق الكتابة ألف دينار .

---

(١) في الأصل : رأس خيلا تركية .

(٢) في الأصل : يليها .



## ذكر مسير السلطان صوب مدينة لورى

## من بلاد الكرج

لما كان السلطان مقبياً بموقان عند انصرافه من أذربيجان ، نهض كوج  
أبه ككخان في عسكره وطوائف من الوثائق المتفرقة وافقته في نهضته  
بغير إذن من أربابها ولا مشورة ، فساق إلى بلد لورى فأغار عليها ونهب ،  
وجمع الغارات وكسب . فلما وصل بها إلى بحيرة بتاخ ، بات بعضهم غربي  
البحيرة ، وامتد البعض إلى شرقها ، فكبس الكرج من بغريتها ليلا فقتل  
وأسر . وكان فيهم إزبه طين فلم يعرف له خبر ، ولم يوجد في القتلى ، وسلم  
من بشرقيها فرجع بالغارات ، وغاز السلطان ما تم على عسكره من الكرج ،  
بعد أن رضوا بأن يسلموا في دورهم ، بمنابت شعورهم .

وورد الخبر عقيب ذلك بأن الملكة والإيوانى قد جمعا ، ووافقهم نجد اللكنز  
والألان<sup>(١)</sup> والسون<sup>(٢)</sup> ، فصاروا في أربعين ألف أو يزيدون ، وقد ملئوا  
بما حو لهم من أحطاب السعير وأوشاب<sup>(٣)</sup> النفير سروراً ، وما كان يعدمهم  
الشیطان إلا غرورا . فركب السلطان للوقت ، وخرج من محط الأثقال  
والرحال ، وطارت إليه الخيول زرافات ووحدانا ، إلى أن كثر سواده  
أنصاراً وأعواناً . فساق إليهم ، فلبس قارب البحيرة المذكورة تلاقى<sup>(٤)</sup>  
اليزكان<sup>(٥)</sup> ، وانهم بك الكرج ، وأتى نصر الله بالفتح<sup>(٦)</sup> ، وحضر منهم جماعة  
فأمر بضرب رقابهم ، وركب طالبا للعسكر وطاروا بأجنحة الفرار كالبعثات

(١) تكتب أيضا « اللان » . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ٢٠٧ .

(٢) اللكنز والألان والسون قبائل كانت تسكن بالقرب من مدينة دربند .

(٣) أوشاب : أخلاط . (٤) في الأصل : تلاقا .

(٥) راجع صفحة ١٦٢ حاشية ٢ . (٦) في الأصل : بالفاج .

أحسنت بالبراة تحوم، أو العقبان عن مراقبها تقوم . فتبددوا بدداً، وتشعبوا (١)  
طرائق قدا (٢) . وركب الطلب أكتافهم يؤزّونهم (٣) إلى أن يشقّفوهم (٤) ،  
ولحق بعضهم أثقال إيوانى فأخذها غنيمة .

ودلف السلطان صوب لورى، فنزل بظاهرها، وراسل من بها من الكرج  
مهدياً، وبحصارها موعداً . فطالبهم بإطلاق من أسر ليلة البحيرة من الأتراك،  
فأطلق ما خلا إزبه طابن - وكان السلطان يعتقد أنه أيضاً فى جملة المأسورين  
لما بلغه من إحاطة الكرج بهم حيث لا خلاص - فألح فى مطالبهم به، إذ  
كان المذكور لم يوجد فى القتلى، وتكررت المطالبات فى ذلك إلى أن حلفوا له  
إيماناً تغلظ عندهم أن ليس عندهم من الخوارزمية أسير. وذكروا أن الخوارزمية  
لما أحيط بهم قتل من قتل (٥)، وأسر من أسر، ولم يبق منهم إلا شخص واحد  
نثل كنياته (٦)، وأسند ظهره إلى حجر، فن قصده من الكرج رماه فأصماه  
حتى قتل منهم ثلاثة فرجعوا إذ ذاك عنه وتركوه، فكان الأمر كما ذكر .  
والمذكور الموصوف إزبه طابن، لما أحاطوا به ولم يقدروا عليه، مشى  
مترجلاً صوب أذربيجان فى غير جادة (٧)، حتى وصل إلى حدود بجنى،  
وهى قلعة من قلاع أولك بن إيوانى الكرجى، وجد هناك غنماً راعية،  
فقتل الراعى وساق الغنم إلى واد، فذبح منها رأساً وشوى وتزوّد، ووصل  
إلى نخجوان سالماً، وأقام بها إلى أن توجه إليها عند قصده حصار خلاط،  
والتقى مواكبه، وشرح صورة الحال فى خلاصه حسب ما ذكره الكرج  
من غير تفاوت .

(١) فى الأصل : تشعبوا . وتشعبوا ، أى صاروا شعباً .

(٢) قدا ، جمع قدة : الفرقة من الناس . وطرائق قدا : فرقا مختلفة الأهواء .

(٣) يؤزّونهم : يفرّونهم . (٤) ثقّفه : طمنه .

(٥) فى الأصل : أحيطوا بهم فقتل من قتل .

(٦) نثل كنياته : استخرج بنالها فنثرها .

(٧) الجادة : الطريق .

## ذكر حصار السلطان قلاع بهرام الكرجي

لما كان السلطان بالعراق، أصاب نواحي كنجة من تعدى بهرام الكرجي ضرر عظيم، وكثرت منه الشكاوى عند عود السلطان إليها، فركب إليه في الطم والرم<sup>(١)</sup>، والليل المدلم. وتفرقت العساكر بيوتها وأثقالها في نواحي ولاياته، تنهب وتحرق، وتقتل وتفرق، واستخرجت خباياهم ودفائنهم، واستنزهم عن عصم الجبال، وقن الرواسي والقلال<sup>(٢)</sup>.

وزحف السلطان على قلعة دشكان، ففتحها عنوة واقتداراً، وأضرم بها على الكسفر ناراً، ورحل عنها إلى قلعة دعليا باذ، وكانت للملكة تمسها<sup>(٣)</sup> بلسكور<sup>(٤)</sup>. فعبجل افتتاحها، وأذل جماعها، فقتل أهلها واستباحها. ثم أتى قلعتي كاك وكوارين، فحاصرهما ثلاثة أشهر، وضاق الحال بالكرج وطلبوا المودعة على مال يحملونه عاجلاً، وترددت الرسل في ذلك فتسلم المال ورحل، حرصاً على خلاط.

(١) الطم : البحر . ويقال جاء بالطم والرم أى بالمال الكثير .

(٢) القلة : أعلى الجبل . والقنة : أعلى الجبل، مثل القلة .

(٣) أوتمتا Thamtha، وهي ابنة ليوانى . انظر Brosset ; Op. cit., t. i, p. 250

(٤) لا شك أن هذا الاسم محرف عن بكتمر . انظر ابن الأثير، ج ١١ ص ٢٣٢ .

## ذكر قبض السلطان على اختيار الدين أستاذ الدار<sup>(١)</sup>

قد سبق ذكر الجمال الزراد ، وانفصاله من الزردخاناه<sup>(٢)</sup> السلطانية ببلاد الهند ، ثم عوده إلى الخدمة بعد عبور السلطان نهر السند خاسراً ، وعمایستر به ظاهر حاله حاسراً ، بما ذكرناه من الملبوس والماء كقول عند مساس الحاجة وشدة الافتقار ، وأن السلطان ولأه أستاذية الدار ، وتلقب باختيار الدين ، فخطى بالقبول ، وارتفع عن الخول . ومن وظيفة أستاذ الدار عندهم أن يحولوا إليه من وجوه الأموال من الخزانة وبالثروات من البلاد قدر ما معلوما ، ثم يصرف عنه ويطلق في رواتب الخبايز والمطابخ والاصطبلات وجرايات الحاشية وجامكياتهم<sup>(٣)</sup> وغيرها ، بوصولات مكلمة العلام ، فيأخذ علامة الوزير والمستوفى<sup>(٤)</sup> . والمشرف<sup>(٥)</sup> . والناظر<sup>(٦)</sup> وعلامة العارض أيضا فيما يتعلق بالحاشية دون البيوت وعلامتهم نوابهم جميعا . فتصير اثنتي عشرة علامة من علامات أصحاب المناصب ونوابهم . فكانت الأموال تحول إلى المذكور من حيث ملك السلطان العراق منضمها إليها<sup>(٧)</sup> سائر المملك على أخيه<sup>(٨)</sup> في سنة إحدى وعشرين وستمائة إلى سنة أربع وعشرين

(١) راجع صفحة ١٦١ حاشية ٤ (٢) راجع صفحة ١٦١ حاشية ١ .

(٣) الجامكيات : الرواتب بصفة عامة . انظر المقریزی : السلوك ج ١ قسم ١ ص ٥٢ ، حاشية ٢ .

(٤) راجع صفحة ١٨٣ حاشية ٥ .

(٤) المشرف هو الذي يتولى مراقبة الأمور المالية عامة في جهة معينة من قبل السلطان أو

الأمير . انظر المقریزی : السلوك ، ج ١ قسم ١ ص ١٢٧ ، حاشية ١ .

(٦) كان النظار في الدولة الاسلامية بصفة عامة ، يعاونون الوزراء في أعمالهم ، وقد

تنوعت ألقابهم بحسب الأعمال التي وكلت إليهم . فناظر الجيش هو الذي يتحدث في أموال الجيوش

وينظر في حسابها ، وناظر الخاس هو الذي ينظر في خاص أموال السلطان ، وناظر الدولة يشارك

الوزير في التصرف عامة والنظر في المالية وأرزاق أصحاب القلم من الموظفين خاصة . انظر المقریزی :

السلوك ج ١ قسم ١ ص ٥٣ ، حاشية ٤ .

(٧) في الأصل : متضمنا إليها .

(٨) في الأصل : اجبه . والمقصود هنا غياث الدين بن علاء الدين محمد خوارزم شاه .

ومستائة ، ولم يسترفع له حساب . ومهما (١) حضر إلى الديوان وذكر أن لم يبق عنده شيء حوّل إليه جملة أخرى ، إلى أن حاصر السلطان نلاع بهرام الكرجي أمر باسترفاع حسابه ، فجاءت البواقي عليه مائة وخمسين (٢) ألف دينار . وحين طوّل بها وعلم أن الأمر أمر ، وأن لا يقبل له دون الأداء عذر ، زعم أنه برطل إلى الوزير وسائر أرباب المناصب منها ستين ألف دينار تنجزاً لقضاء شغله في تحويل المال إليه ، وعين باسم كل واحد منهم قدراً معلوماً . وما كان فيهم من لم يتلوّث بذلك إلا صاحب الديوان شمس الدين محمد المعروف بموى دراز (٣) ، إذ كان المذكور مهذباً بالتجارب ، ناظر في العواقب ، سليم اللسان والقلم ، بعيد القدم عن مخاضات التهم . وقد خدم ديوان السلطان الكبير (٤) محرراً ثم نائباً للمستوفى ، ثم مستوفياً ، وسائر الجماعة كانوا أحياناً مجددين فسادوا بخلو الديار غير مسودين . فلما سمعوا بالرفيعة عليهم خوّفوا أستاذ الدار وهددوا ، وأبرقوا وأرعدوا ، فلم يزد (٥) على إصراره ، ليحرقهم بناره . فحين آيسهم رجوعه عن ذلك ، انفقوا على إسقاط ستين ألف دينار من الجملة الباقية ، فأسقطوها ، وأنهبوا إلى السلطان أن الذي يبق عليه مبلغ تسعين ألفاً (٦) . وأمر بالقبض عليه والمطالبة بالمال . واعتصم المذكور بالإفلاس ، ولجأ إلى خلو الأكياس ، وأحضر من موجوده سبعة وعشرين مملوكاً ، واثنين وعشرين جارية ، وخيلاً وجالاً . ولم يوجد له غير ذلك ، إذ كان مسرفاً في الإنفاق ، مبذراً في البذل والإطلاق .

وكنيت بسرماري ، وقد عبر عليها في مضميه إلى أبخاز ، فأنزل بدار في محلتها حمّام ، وانفق أن شرف الدين أزدده صاحبها نزل الحمام بقر به ، فسوّير

(١) قرأها هوداس في النسخة الخطية «مما» ثم عدلها خطأ في الطبعة الفرنسية إلى «مهمي» .

(٢) في الأصل : خمسون .

(٣) في الأصل : موى دراي . أما «موى دراز» فعبارة تركية معناها ذو الشعر الطويل .

(٤) موى : شعر ، دراز : طويل .

(٥) أي علاء الدين محمد خوارزم شاه . والد جلال الدين منكبرتي .

(٦) في الأصل : فلم يرد . (٦) في الأصل : تسعون ألفاً .

إليه أستاذ الدار قيصا وسراويل (١) ، وقباء (٢) ، وكمة ، وفرجية زركش  
وحياصة ذهب ، وفسا بالساخت والسرفسار والطوق (٣) . فلبسها أزره  
ونظائرهما له كثيرة ، وفي باب المهرج معدود (٤) ، إذ كان بما له يجود قلبا  
طولب بالباقي وهدد بالعصر ، عمد إلى حلقة بسكينة كادت تهلكه ، لولا أن  
المتوكل به مسك يده فرده ، وأنهى إلى السلطان ذلك فأطلقه وأطلق له ذلك  
وقال : هذا مجنون لا يصلح للشغل . وهدرت الأموال ، وولى السلطان مكانه  
في أستاذية الدار شهاب الدين مسعود بن نظام الملك محمد بن صالح ، وكان  
أهلا له فعارض أولئك بزناد شجاح لا تفضى على اقتداح (٥) ، ولا يورى بسباح  
ولانجاح ، فتولاها في السنة المذكورة إلى منقرض الدولة .

---

(١) في الأصل : سراويل .  
(٢) في الأصل : قباء .  
(٣) راجم صفحة ٧٧ حاشية ٦ .  
(٤) في الأصل : معدوداً .  
(٥) في الأصل : بزند سجاح يفضى على اقتداح .

ذكر مسير السلطان إلى نخجوان  
وتسيير الأتقال بمعظم العسكر صوب خلاط  
على طريق قاقزوان<sup>(١)</sup>

لما قضى السلطان وطره من تفريق السكرج وبث سوادهم ، وإجلاتهم<sup>(٢)</sup> إلى أقاصى بلادهم ، واستخلاص من بلورى من الأسرى ، وجه الأتقال صوب خلاط على طريق قاقزوان ، وتقدم إلى الخانات والأمراء بالمسير معها ، على طمأنينة ، ونشرها صوب خلاط على هيئة ، وتوجه بنفسه صوب نخجوان وحث السير حتى سبق خبره إلى ناحيه بجنى ، وكمن بها ليلا في بعض الشعاب<sup>(٣)</sup> ومعه زهاء ألف فارس من خواص مماليكه وحجابه ، وشرف الملك في الصحبة ، حتى إذا أصبحت الرعية فأخرجت مواشيهم ، ضرب عليها وساقها إلى نخجوان ، فكان الثور الجيد يباع بدينار .

وكان سبب مسيره [جلال الدين] إلى نخجوان رغبة صاحبها في مناكلته ، فتزوجها وأقام بها أياما إلى أن قضى أشغال خراسان والعراق وماز ندران . فإن أصحاب دواوين هذه الأطراف المذكورة ، وأرباب مناصبها المشهورة ، وذوى ظلاماتها كانوا مجتمعين بالباب . وعلم السلطان أنه إذا حاصر خلاط ، تنقطع الطرق فلم يقدر واعلى العود ، فأمر بقضاء أشغالهم ، وردهم إلى ديارهم وأعمالهم ، وبرز المرسوم بالتوقيع فسكتبتها . وقد حصل لى في ذلك النهار من منافع السكتابة ألف دينار وكسر ، وأما مادون ذلك في سائر الأيام فمادة لا تنقطع .

(١) كذا في الأصل ولعلها « الفاقزان » ، وهي ثغر من نواحي قزوین . انظر ياقوت :

معجم البلدان ، ج ٧ ص ١٦ .

(٣) الشعاب : الطارق في الجبال .

(٢) في الأصل : الجاهم .

نعم ، وكنا بنخجوان إذ ورد على<sup>٣</sup> من أخبرني بوصول حسام الدين صاحب سرمارى إلى مرج نخجوان، وكانت الصداقة بيننا قد تآكدت على تغيير الزمان ، واختلاف الحدثنان ، فتحيرت حين سمعت بقدمه ، ومخاطبته نفسه في هجومه ، لعلى بغیظ. شرف الملك عليه ، لما سبق له من الاتفاق مع الحاجب على كبسه وإزالة الحشمة ، وإضاعة الحق والحرمة ، وظفروه دون أصحاب الحاجب بآلات مجلسه وهى جملة طائلة . وما كنت أخشى عليه من جهة السلطان خشيتى عليه من شرف الملك ، إذ كان السلطان أطوع شكيمة ، وألين عريكة منه . فأشرت على المذکور بالتوقف ببعض تلك القرى ريثما أصلح حاله مع شرف الملك فأزيل شماسه، وأدبر بالترام بعض ما أخذ منه راسه . فدخلت عليه ولم أخبره بوصوله ، بل أريته أنه كاتبنى ملتتمسا لإصلاح الحال ، بصدر من المال ، إلى أن رضى أن يغرم خمسة آلاف دينار عن المجلس المنهوب ، ثم يرد الباب آمنا . واستحلفت شرف الملك على تجريد العناية فى حقه إذا حضر ، والتناسى عما جرى له من الزلة ، وإزالة ما ثبت فى قلب السلطان منه من الوحشة . فحلف بجميع ذلك ، ثم أعلنه بوصوله وقربه فضحك ، وقال : خدعتنى . ثم أمر خواصه وحجابه باسقباله فاستقبلوه صحبتي ، واصلحت حال حسام الدين<sup>(١)</sup> وتجردت عنايته فى حقه ، ووفى<sup>(٢)</sup> له بجميع ما ضمن عنى .

(١) فى الأصل : واصلحت حسام الدين . (٢) فى الأصل : ووفى .



## ذكر مسير السلطان إلى خلاط وحصارها

واستيلائه عليها (١) .

كانت العساكر سبقت السلطان إلى تخومها ، وأقامت على مسيرة يوم منها ، إلى أن عاد السلطان من نخجوان واتصل بهم . ثم ورد عليه رسول من عز الدين أيك — وكان نائب الملك الأشرف موسى بها ، وقبض على الحاجب علي — وكان الرسول شيخاً تركيا عاقلاً غاب عن اسمه . وكانت زبدة الرسالة الخضوع والطاعة ، وبذل النخس بلسان الضراعة ، وأن الملك الأشرف ما أمره بالقبض على الحاجب إلا لإسمائه الأدب مع السلطان والتخطي إلى بلاده ، من غير أمر صدر إليه . وهاهو الآن قد ولاني خلاط مأموراً بطاعة السلطان واتباع مراده ، معدوداً في جملة أعوانه وأنجاده ، أسوة بسائر (٢) أجناده بعامة بلاده . وبالغ في ملاطفته واستعطافه ليرده عن إلحاحه وإلحافه ، فلم يزد على جواب (٣) مغالط مدافع ، وعمما عزم عليه غير راجع . وقال في جملة ما قال : إنك إن أردت مرضاتي فابعث إلى الحاجب عليا . فلما وصل الرسول بهذا الجواب قتل الحاجب علي ، ورحل السلطان فنزل على خلاط وحاصرها ، ونصب عليها اثني عشر من جنجيقا ، كانت العمالة منها ثمانية .

(١) كان جلال الدين منكبرتي قد عمد إلى الاستيلاء على مدينة خلاط من صاحبها الملك الأشرف بن الملك العادل أيوب ، منتهزاً فرصة ذلك الشقاق الذي ساد البيت الأيوبي في ذلك الوقت . فقد وقع خلاف بين ثلاثة من أمراء الدولة الأيوبية من أبناء الملك العادل أيوب ، وهم الكامل محمد صاحب مصر ، والأشرف موسى صاحب بلاد الجزيرة وخلاط وميفارقين ، والمعظم عيسى صاحب دمشق وبيت المقدس وطبرية وما جاورها . فقد سار الأشرف لزيارة أخيه الكامل في مصر دون أن يصحب أخاه المعظم معه ، فظن المعظم أن أخاه يرمي من وراء هذه الزيارة إلى تكوين حلف ضده . لذلك لم يأل جهداً في السكيد لأخويه بمهاجمة أملاكهما تارة وتأييب بعض الحكام عليهما تارة أخرى . فأرسل إلى جلال الدين يرض عليه تكوين حلف منهما يكون هدفه الأول الاستيلاء على مدينة خلاط ، وهي من أملاك الأشرف موسى . وقد صادف ذلك قبولا حسناً لدى جلال الدين وأرسل الهدايا إلى المعظم في دمشق ، كما اعتر المعظم بذلك الحلف إلى درجة أنه أصبح لا يقسم إلا برأس جلال الدين . انظر ابن الأثير: الكامل ، ج ١٢ ص ٢١٣ — ٢١٤ . وانظر أيضاً ، D'ohsson : Op. cit., t. iii, p. 18.

(٢) في الأصل : أسوة ساير . (٣) في الأصل : فلم يزد إلا على جواب .

## ذكر الحوادث مدة حصار خلاط

منها أن الاصفهيد<sup>(١)</sup> نصره الدين صاحب الجبل كان قد زوج أوترخان بأخت له لأب . فساكن المذكور أعم الخانات منزلة عند السلطان في هذا الوقت ، فركن الاصفهيد إلى هذه المصاهرة ، ووثق بأوترخان ، وقصد الخدمة اقتداء بشروانشاه وخذوا على منواله ، راجيا أن تشمله من العناية السلطانية ماشمل ذلك . فلما حضر وقدم التقاديم ، وأكثرها الجواهر الثمينة ، مال عنه أوترخان إلى شقيق لخليته<sup>(٢)</sup> ، وحمل السلطان على قبضه وإقامة شقيقها مقامه ففعل . وقيد الاصفهيد وهتكت حرمة ، وانتهت نعمته ، وبق زمانا محبوسا إلى أن من الله عليه بالإطلاق عند عود السلطان من الروم منهزما ، ووجدت<sup>(٣)</sup> مواد خدمة أخيه ناقصة عن المعهود ، بل منقطعة ، فاطلق ، فعاد إلى بلاده وملسكها على أخيه في أسرع وقت .

وقد بعثنى السلطان إليه وهو محبوس بظاهر خلاط ، إذ كان قد استدعى على لسان المتوكل به ثقة من أصحاب السلطان يبدئ إليه سرا ، فلما حضرته أخذ يشكو ما يقاسيه من شدة الحبس وثقل القيد ، وينتجز ما بينه وبين السلطان من جميل الوعد . ثم عد على ما أخذه أوترخان منه من الأموال والجواهر ، على أنه يحملها إلى السلطان ساعيا في خلاصه ولم يحمل . فأعدت حديثه على السلطان ، ورفقت عليه قلبه ، ووجدته نادما على ما صدر منه من إخفار<sup>(٤)</sup> ذمته ، وهتك حرمة ، لا بما لمن أشار عليه بذلك . وعلمت حينئذ أن خلاصه قريب ، وعرفته ذلك .

ومنها أن خان سلطان ، أكبر بنات السلطان محمد ، كانت أسرت حين

(١) أى مقدم الخيالة .

(٢) فى الأصل : لخليته . وخليته أى زوجته .

(٣) فى الأصل : وجدت .

(٤) فى الأصل : احتار ، وأخفره : نقض عهده وغدر .

أسرت ترکان خاتون ، واستخصها دوشی خان<sup>(١)</sup> لنفسه واستولدها ، ثم مات دوشی خان فكانت تنهى إلى أخيها السلطان أخبصار التانار ومتجدداتهم وأحوالهم . فسيرت والسلطان محاصر خلاط خاتما من خواتيم والدهما فيه فص فيزوج منقوش عليه اسم السلطان محمد ، علامة مع القاصد الوارد من جهتها ، تعرف أخاها أن الخاقان قد أمر بتعليم أولادها القرآن ، وقد بلغه أخبار شوكتك وسكتك ، واتساع باعك ، وبسطة رباعك<sup>(٢)</sup> ، فعزم على مصاهرتك والمهادنة معك ، على أن يشاطر الملك على نهر جيحون ، فيكون لك مادونه وله ماوراه . فإن كنت تجد من قوتك ما يقاومهم فتنقم ، وقائلهم فتظفر ، فشأنك وما أردت ، وإلا فاغتنم المسالمة حال رغبتهم فيها . فتشاكل عنها بخلاط وتغافل ، فلم يعود لها جوابا يتضمن صوابا ، ويفتح للصلح بابا . ولا كلاما يقضى صلاحا ، ويشمر نجاحا .

كتاركة بيضها بالعرام وملبسة بيض أخرى جناحا<sup>(٣)</sup>

ومنها قدوم ركن الدين جهان شاه بن طغرل صاحب أرزن الروم الحضرة السلطانية . ومن قبل كان يخطب للملك الأشرف معلنا بطاعته وولائه ، موافقا للحاجب على<sup>٤</sup> على عداوته للدولة وبغضائه<sup>(٤)</sup> ، كل ذلك عنادا لابن عمه علام الدين كيتباز بن كينخرو صاحب الروم . وكانت قد سبقته في الدولة الجلاية ذنوب كان يحذر عواقبها من إنجاده الحاجب عليا على شرف الملك ومنعه التجار أن يصلوا إلى المعسكر السلطاني وقتله السيد المرید رسول السلطان عائدا من الروم . فلما رأى أن الدولة قد انتشر شعاعها ، واتسع باعها ، وأن خلاط قد أشرفت على الأخذ ، راسل السلطان في طلب الأمان ، فأعاد رسوله وحقق بالنجح ما موله .

(١) هو جوجى بن جنكيزخان . (٢) الرباع : الديار ، كناية عن سعة الملك .

(٣) البيت لابن هرمة .

(٤) فى الأصل : موافقا للحاجب على<sup>٤</sup> عداوته للدولة وبغضا به .

وكان الوارد شمس الدين الحكيم البغدادي ذا ظرف وفكاهة ، وأدب  
وبداهة ، وقد أنشدني أبياتا ذكر أنها من شعره وهي :

ولا تمة لي في الغلام عسوفة      يزيد على مر الزمان ملامها  
تفندني في عشق من كلها رنا (١)      بغنج لحاظ لم يفتني سهامها  
إذا لسبت (٢) قلبي عقارب صدغه      وبلج بنفسى في هواه غرامها  
فترياقها من ريقه البارد الذي      يزول به تعذيبها وحمامها  
تقول وقد أبدت قطوبا وغيره      وقام على ساق العناد خصامها  
إليك فقد أغضبت كل خريده      منعومة الأطراف حلو لثامها  
فأنشدتها والقلب عنها مشرد      ونفسي في كف الحبيب زمامها  
إذا رضيت عنى كرام عشيرتى      فلا زال غضبانا (٣) على لثامها

وقدم ركن الدين فأمر السلطان شرف الملك بالتقائه مسيرة يوم في  
أصحاب الديوان ، فالتقاه وبات عنده بالمنزلة حافة بحيرة نازوك ، وهي بين  
خلاط ومنازجرد (٤) ، وجمعهما مجلس الشراب تلك الليلة بخيمة ركن الدين ،  
فقدم لشرف الملك حين طابا ، من التقاديم ما يذيف على عشرة آلاف دينار .  
والتقاه الخانات يوم وصوله إلى خلاط على مراتبهم ، ووقف السلطان له  
في الميدان تحت الجتر (٥) ، فلما دخل جهانشاه الميدان نزل وقبيل الأرض ،  
وتخطى عدة خطوات راجلا ، ثم التقاه الحاجب الخاص بدر الدين طوطق  
ابن أيناخ خان يأمره عن السلطان بالركوب . فركب وأخذ يخدم إلى أن  
وصل ، فعانقه السلطان وقبيل جهانشاه يده ، وأشار السلطان إليه بالوقوف  
تحت الجتر فوقف عن يمينه ، وتداعت إذ ذاك دعائم الجتر وقضبانها التي تنشر

(١) في الأصل: رنى . (٢) لسبت : لدغت .

(٣) في الأصل : غضبان .

(٤) ويقال لها أيضا مناز كرد وملازجرد ومنزكريت ، ونقع بين خلاط وبلاد الروم وتعد في  
أرمينية وأهلها أرمن وروم . انظر ياقوت : معجم البلدان ج ٨ ص ١٦٤ .

(٥) الجتر : المظلة ، راجع ص ٥٤ حاشية ه . ويتعدى استعمال هذا اللفظ أيضا إلى  
ما يعرف بالسرادق .

عليها وتساقطت، وتطير الناس لذلك فكان طائرهم عليهما، وصار اجتماعهما سبب هلاكهما، على مايجيء شرحه .

ثم إن جهانشاه أقام في الخدمة أياما ، واستأنس السلطان به ، وخلع على أصحابه الخواص مائتي خلعة، ثمانية عشرة<sup>(١)</sup> خلعة منها بالساخت والسرفسار والطوق<sup>(٢)</sup> . وأذن له في العود إلى بلاده ، وأمر أن يسير إلى خللاط مايقدر عليه من آلات الحصار، فسير منجنيقا كبيرا سموه «قرابغرا»، وسير تروسا<sup>(٣)</sup> وجنويات<sup>(٤)</sup> ونشابا كثيرا .

ومنها موت ابن السلطان قيمقار شاه ، وكانت التي قد قامت عنه أخت شهاب الدين سليمان شاه ملك الأبوية . وسبب زواج السلطان بها أنه لما رجع من بغداد سنة إحدى وعشرين وستائة ، بعد شن الغارات على نواحيها على ما سبق ذكره ، وصل إلى قلعة المذكور متجردا عن حرمه ، فنزل بظاهرها ، وسير إليه يطلب منه جارية تصلح لفراشه ، وكانت الرسالة على لسان خادم يعرف بسراج الدين محفوظ ، فعاد بالجواب أنه يقول : ليس عندي من تصلح لفراش السلطان إلا كريمي . وكان رحمه الله نكوحا لا يقف عند ذلك في قيد الكفاة ، فأجاب إلى المناكحة وسلمت إليه تلك الليلة . ورحل السلطان وخلفها هناك ، ووصل خادمها بعد مدة مخبرا بأنها

(١) في الأصل : ثمانية عشر . (٢) راجع صفحة ٧٧ حاشية ٦ .

(٣) الترس : صفحة من الفولاذ مستديرة تحمل في اليد ، يتلقى بها ضربة السيف ونحوه . وقد اُفتن المسلمون في صنع الأتراس ، ونقشوا عليها الآيات والحكم والأشعار ؛ وقد تميزت أتراس كل بلد بشكلا خاص ، فمنها الترس الدمشقي والعراقي والغرناطي وغيرها . انظر كتاب السلاح في الاسلام للقاءمقام عبد الرحمن زكي ، ص ١٦ .

(٤) قرأها هوداس خطأ عن النسخة الخطية « جنويات » . أما الجنويات فجمع جنوية وتطلق على نوع من الحسك ، وهو عبارة عن قطعة من الحديد ذات شعب تطرح حول المعسكرات أو أمام الخيل لعرقتها . انظر كتاب السلاح في الاسلام للقاءمقام عبد الرحمن زكي ، ص ٢١ ، ٢٢ . وقد ترجم كترمير Quatremère هذه الكلمة إلى civière أى النقالة التي تستخدم لنقل الجرحى والموتى ، كما ترجمها دوزي Dozy إلى palissade أى السياج الذي يعمل من مخارق الحشب . انظر المقرئى : السلووك ، ج ١ قسم ٣ ص ٧٥٧ حاشية ٢ .

حبلت تلك الليلة ، فاستحضرها السلطان وولدت قيمقارشاه ، وعاش ثلاث سنين . وكان ذكيا ظريفا محبوبا ، ومات بظاهر خلاط ، واتهمت دايدة بنت السلطان التي قامت عنها بنت صاحب فارس أنها سقته فأوبقته (١) ، والله أعلم بذلك .

ومنها موت دوش خان بن أخش ملك . وكان أخش ملك ابن حال للسلطان ثبت في المصاف بظاهر أصفهان حتى استشهد ، ورى السلطان دوش خان تربية الوالد لولده ، والناس كانوا يعتقدون أنه ولد السلطان زغما منهم بأن السلطان وهب أمه لأخش المذكور ، فولدت دوش ، لدون تسعة أشهر . وبالجملة كان السلطان يفضل (٢) على أولاده ، ويقدمه (٣) عليهم في كل ما يدل على العناية والشفق ، فرفض بظاهر خلاط . ومات ، ورفض السلطان في مصيبيته الناموس ، ورأيت أنه قد خرج من سرادقه ودخل الخيمة التي فيها التابوت . ومنها ورود سعد الدين الحاجب رسولا من الديوان العزيز (٤) في عدة ملتزمات إذا قضيت وفق مراده يستصحب من أجلاء أصحاب السلطان وخواص حضرته من له خبرة بمراتب أرباب المناصب ليعاد بالخلع . فكان من جملة التماساتهم (٥) أن السلطان لا يحكم على بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ، ومظفر الدين ككبرى (٦) صاحب إربل ، وشهاب الدين سليمان شاه ملك الأبوية ، وعماد الدين بهلوان بن هزارسف ملك الجبال ، بل يعدهم في أولياء الديوان وأتباعه وأشياعه .

ومن جعلتها أن السلطان الكبير (٧) لما رجع من جبال همذان ولم يتم له مانواه من قصد بغداد ، أسقط خطبة الخليفة بعامة بمالكة واستمر الحال على ذلك ، فكان الخطباء بأران وأذربيجان والممالك

(١) أوقته : أهلكته .

(٢) في الأصل : تفضله .

(٣) في الأصل : تقدمه .

(٤) أي ديوان الخلافة .

(٥) في الأصل : التماساتهم .

(٦) يكتب هنا الاسم أيضا كوكبرى . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ١٩٤ .

(٧) علاء الدين محمد خوارزم شام ، والد جلال الدين منكبرتي .

لمستجدة في هذا الوقت لا يذكرون<sup>(١)</sup> الخليفة داعين لأيامه جرياً على العادة، إذ كانت مما تملكها السلطان بعد والده . وأهل سائر الممالك القديمة استمروا على تركها كما أمروا ، والسلطان قد شغلته الشواغل عن ذلك ، فلما خاطبه رسول الديوان فيه ، أصدر تواقيعه إلى عامة بلاد الممالك بالدعاء للإمام أبي جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين رضوان الله عليه وعلى آبائه الراشدين .

فلما انقضت الأشغال وفق مراده ، وأجابهُ السلطان إلى إعادة الخطبة إلى معهود العادة في الأزمنة المتقدمة ، وعدّ أولئك المذكورين في جملة الأولياء ، أحسبه الحاجب بدر الدين طوطق بن أيناخ خان ، وكان عديم المثل في الترك ذا دهاء وظرف ، وكياسة ولطف ، وجودة خط ، ومعرفة بالشعر العجمي ، والتميز بين الجيد والردى ، وخبرة بقوانين الحجوبية وآدابها ، على صغره وحدائثه سنه وربعمان<sup>(٢)</sup> عمره . وأمرني السلطان بتذكرة أكتبها بين يديه إلى المواقف الشريفة مشتملة على عدة فصول . فكان آخر فصل منها التماسه إحضار الحاجب الخاص لدى المواقف الشريفة تمييزاً له عن سائر الملوك بمزيد الإكرام ، ومزية الاحترام ، فأجيب إلى ذلك .

وحدثني الحاجب الخاص [ قال ] : وكان السلطان وصاني إذا حضرت الديوان لأقبل<sup>(٣)</sup> يد الوزير مؤيد الدين القمي<sup>(٤)</sup> ولا أوفه<sup>(٥)</sup> حق التعظيم ، لأمر كان ينقمها عليه<sup>(٦)</sup> ، ففعلت ذلك امتثالاً لما أمر . فلما مضت أيام ،

(١) في الأصل : في هذا الوقت يذكرون .

(٢) في الأصل : ربعمان . (٣) في الأصل : لم أقبل .

(٤) ولد مؤيد الدين القمي في مدينة قم إحدى مدن العراق العجمي ، ونشأ في بغداد وتوفي بها . وقد تولى الوزارة في عهد الخلفاء العباسيين الناصر والظاهر والمستنصر ، وتوفي سنة ٦٢٩ هـ (١٢٣١م) في عهد الأخير . انظر ابن طباطبا: الفخرى في الآداب السلطانية ، ص ٢٨٥ - ٢٨٧ .

(٥) في الأصل : ولم أوفه . (٦) في الأصل : تنقمها .

إذا (١) بحراقة (٢) في بعض العشيات وصلت إلى منزلي بحفاة دجلة ، وإذا بسعد الدين بن الحاجب قد دخل وقال : استعد بخدمة أمير المؤمنين ، فركبت الحراقة وركبها سعد الدين معي . ثم إنه كلم (٣) الملاح بكلمات غريبة لم أفهمها ، وقفز من الحراقة إلى حراقة أخرى غيرها وتركني متفرداً فيها ، فسأله عن ذلك ، فقال : ما كنت أعرف أن تلك من المراكب الخاصة وقد سيروها لك تشريفاً . فقمتم ، وخدمتم ، وشكرت ، ودعوت . وسقنا إلى أن وصلنا إلى باب كبير فدخلت ، وتأخر سعد الدين ولم يتعد من هناك ، فقلت له : هلا تدخل معي ؟ فقال : وما منا إلا له مقام معلوم ، ليس لي أن أتعدى هذا المقام . وكان خلف الباب خادم فأوصلني إلى باب آخر ، ودق الباب ففتح ودخلت ، وإذا أنا بخادم شيخ جالس على دكة فصاحني ، وكان بين يديه مصحف وشمعة ، فأجسني ورحب بي (٤) إلى أن جاء خادم آخر أبيض لطيف حسن الصورة ، فصاحني ولاطفني بالعجمي ، ثم أخذ بيدي يمشي ويقول : ليس يخفى عليك أن الذي يريد تحضر بين يديه ، من هو ، وجلالة المقام وعظمته ، مستغنية عن الوصف . فانظر ماذا تعمل من حسن أدبك في خدمة المواقف الشريفة ، وتقبل الأرض حيث أشرت إليك . وما كان يحمله على هذه المبالغة في الوصية إلا ما بلغهم من إخلالي بشرايط الخدمة في الديوان . فقلت : لا تستجهلني ، فأني وإن كشت رجلاً تركياً أعرف مواضع الخدمة ومحالها ، وأمين مكان التواضع عن محل الترفع ، فلو عفرت وجهي في التراب على العتبات الشريفة ألف مرة لم أعد روجي

(١) في الأصل : فاذا .

(٢) الحراقة : مركب حربي قديم كان يستعمل في حمل الأسلحة النارية كالنار الاغريقية ، وبها مدافع خاصة تقذف النيران ، وقد حلت محله اليوم المدمة ، وجمعها حراريق . وكانت تستخدم في مصر لحمل الأمراء ورجال الدولة في التنقلات النهرية ، كما عرفت في نهر دجلة . انظر كتاب السلاح في الاسلام للقائم مقام عبد الرحمن زكي من ٢١ ، وانظر أيضا القريري : السلوك ، ج ١ قسم ٢ ص ٣٠٦ حاشية ٣ .

(٣) في الأصل : تسكلم . (٤) في الأصل : ترحب بي .



إلا من المقصرين في الخدمة ، إذ عاجل فوائدها الدرجات الفاخرة ، وآجلها الفوز في الآخرة . قال فاستحسن كلامي وأثنى علي .

فلما طلعتنا الدرجة وصاغت عيني الستر الأسود<sup>(١)</sup> ، قبلت الأرض قبيل أن ينهني عليه ، فأثنى الخادم عليّ ، ورأيت بستاناً من كثرة الشموع ، كأنه في الليلة الظلماء عكس الفلك في الماء ، ورأيت الوزير واقفاً حذاء الستر ، والستر مرخي ، وجاء خادم فرفع الستر فمكثت أمشي وأقبل الأرض إلى أن قاربت الوزير ووقفت<sup>(٢)</sup> ، فإذا أمير المؤمنين جالس على سرير ، فكلم الوزير بكلمة عربية ، فتقدم خطوات وأشار إليّ بالوقوف حيث كان هو واقفاً<sup>(٣)</sup> أولاً ، فتقدمت وقبلت الأرض ووقفت موقفه . ثم قال أمير المؤمنين : كيف الجناب العالي الشاهنشاهي ؟ يعني السلطان . وهكذا كان خطابه للسلطان في السكتب إذ ذاك . فقيلت الأرض ، وأردف ذلك بكلمات تنبي عن المواعد الجميلة ، وشمول العنايةات أحوال السلطان ، وأنه يريد تقديمه على سائر ملوك زمانه ، وسلاطين أوانه . فلم أزد في جواب ذلك على تقبيل الأرض . ثم علم عليّ كتاب العهد الذي كتب للسلطان وناولني الوزير ، فوضعتة على رأسي وقبلت الأرض ورجعت .

نعم وخلع على المذكور خلعة سنية ، ووصل علي ما قيل بعشرة آلاف دينار ، ولكنني لم أسمعها منه . وأصحاب بالأمير فلك الدين بن سنقر الطويل ، وسعد الدين بن الحاجب ، ومعهما خلعة السلطنة . فوصلوا إلى خلاط في الشتاء ، والسلطان محاصرها ، وكان يضرب لفلك الدين الدهليز ، وتضرب له البوقات عند ركوبه ونزوله . وكان سعد الدين بن الحاجب ، مع رفيع منزلته ومعمور محله في الديوان العزيز ، يتحجب بين يديه إقامة للناموس . وهأنذا<sup>(٤)</sup> أذكر ما استصحبوه من الإنعام والخلع مفصلة ، وهي : ١ - خلعتان للسلطان

(١) شعار العباسيين . (٢) في الأصل : وقفت .

(٣) في الأصل : كان هو واقف . (٤) في الأصل : وها أنا .

الواحدة منهما جبة وعمامة وسيف هندي وقد رصع نجاده ، والأخرى قباء  
وكمة وفرجية وسيف قراجولي يحلى بالذهب مغرق الحياصة بالدانير، وقلادة  
مرصعة ثمينة . ٢ - وفرسان بالساخت والسرفسار والطوق ، أثقل ما يكون  
وأنهى ، وثمان تطبيقات طبقت على حوافهما عند التسليم وزن كل تطبيقه  
منهما مائة دينار . ٣ - وترس ذهب مرصع بنفائس الجواهر فيه واحد<sup>(١)</sup>  
وأربعون فصا من ياقوت وبدخشاني<sup>(٢)</sup> في وسطه فيروزج كبير .  
٤ - وثلاثون فرسا من الخيل العربية مجللة بالأطلس الرومي مبطنة الجلال  
بالأطلس البغدادي ، وعلى رأس كل جنيب مقود حرير وقد ضربت عليه  
ستون ديناراً<sup>(٣)</sup> خليفية<sup>(٤)</sup> وثلاثون أو عشرون مملوكا بالعدة والمركوب .  
٥ - وعشرة فهود بجلال الأطلس وقلائد الذهب . ٦ - وعشرة صقور  
مكللة الكام بصغار الحب . ٧ - ومائة وخمسون بقجة<sup>(٥)</sup> في كل واحدة  
منها عشرة ثياب . ٨ - وخمسة أكر من العنبر الأشهب مصلعة بالذهب .  
٩ - وشجرة عود طولها خمسة أذرع أو ستة تحمل بين رجلين .  
١٠ - وأربع عشرة<sup>(٦)</sup> خلعة برسم الخانات كلها بالخيل والساخت والسرفسار  
والطوق ، وحوايص الذهب والسكبايش التفليسية . وأراد تمييز بعضهم  
فنجيت<sup>(٧)</sup> السكبايش لإمن أربعة رموس ، وهي لداعي خان ، وألغ خان ،  
وأوترخان ، وطغانخان . ١١ - وثلاثمائة خلعة برسم الأمراء كل خلعة قباء  
وكمة فحسب . وكانت خلعة شرف الملك عمامة سوداء وقباء وفرجية وسيفا

(١) في الأصل : أحد .

(٢) في الأصل : بدخشاني . راجع ص ٢٥٠ ، حاشية ١ .

(٣) في الأصل : دينار . (٤) في الأصل : خليفية .

(٥) البقجة : العدة من القماش ، يوضع بها الثياب أو النقود أو الأوراق الخاصة ، وهي  
فارسية الأصل وتجمع على بقج . انظر القريري : السلوك ، ج ١ قسم ٢ ص ٢٧١ ، حاشية ١ .

(٦) في الأصل : أربعة عشر .

(٧) نجيح : فصل بعضها عن بعض . وفي الأصل : فنجت .

هنديا<sup>(١)</sup> وأكرتي<sup>(٢)</sup> وعنبر وخمسين<sup>(٣)</sup> ثوبا وبغلة . ١٢ - وعشرون خلة<sup>٤</sup>  
برسم أصحاب الديوان كل خلعة منها جبة وعمامة ، وقد خصصت من سائر  
أرباب الديوان ببغلة شهباء جيدة وعشرين ثوبا أكثرها من الأطلس  
الرومي والبغدادى .

ولما قرئت النسخة الواردة بها من الديوان على السلطان ، وكان قد ذكر  
في أولها «الجناب العالى الشاهنشاهى» ، وبعده «الاجل شرف الملك» ، ثم  
ذكرت بعدهما ولم يذكر أحد من سائر أصحاب الديوان تلقيا ولا تسمية ،  
بل أطلقوا لفظ المستوفى ، والمشرف ، والعارض ، والناظر ، وأمثال ذلك  
وما سير لهم إلا الجبة والعمامة . وقد كان شرف الملك حينئذ قليل العناية بى  
متغير الرأى فى حق ، لسرعة استحالاته وإعارته السمع ، لما يبلغه من تضريب  
وسعاية ، فوجد بذلك التخصيص مطعنا ، ولما قرئت النسخة على السلطان ،  
قال<sup>(٤)</sup> : ما سبب تقديم فلان على صاحب الديوان<sup>(٥)</sup> ؟ وهلا سوا بينهما  
فى الخلعة والإنعام ؟ فقال السلطان : السبب فى ذلك بى ، وذلك أنه يحسن  
التأدب<sup>(٦)</sup> معهم فى المخاطبة ، ويحفظ ما يتعلق بئاموسهم فى المكاتبة . ثم إن  
رسلمهم شاهدوه عندنا بالحضور المشورة ، وليس صاحب الديوان بهذه  
المثابة ولا مدخل له فيما يتعلق بالتدبير إنما وظيفته استيفاء الأموال الديوانية  
وإثبات الحاصل والمصروف ولا مساس بينهم وبين ذلك ، فلم يصب للغرض  
ما رماه شرف الملك من قصده .

وقد كان رسولا دار الخلافة ينتظران السلطان يحضر خيمتهم التى ضربت  
للخزانة فيلبس الخلعتين فلم يفعل ذلك ، بل ضرب خيمة بقرب الخزانة

(١) فى الأصل : سيف هندى . (٢) فى الأصل : وأكرتا .

(٣) فى الأصل : وخسون . (٤) أى شرف الملك .

(٥) كان يسمى صاحب هذا المنصب أيضا بمتولى الديوان .

(٦) فى الأصل : التأدب .

السلطانية ، ونقلت إليها الخلع ، وركب السلطان مرتين فدخلها ولبس الخلعين في نهار واحد ، ولبس الناس بعده . ثم خاطبها السلطان متشفعين في أمر خلاط وإزالة الحصار عنها ، وبثقلص<sup>(١)</sup> الخناق . فلم يرد عليهما<sup>(٢)</sup> جواباً شفاهاً ، بل سيرني إليهما<sup>(٣)</sup> بعد عودهما إلى منزلها معاتباً ، وقال : قد ذكرتما فيما بلغتني عن أمير المؤمنين أننا نريد إعلام أمرك ، وإجلال قدرك وتعظيم شأنك ، وتحكيمك على ملوك زمانك . ثم تشيران عليّ بإزالة الحصار عن خلاط ، بعد أن الفتح قد ورد بشيره ، والنجاح قد أسفر تباشيره ، وهذا مما ينافي ما ذكرتماه من عنايات أمير المؤمنين . فقالا : صدق السلطان والأمر كما ذكر ، غير أننا نحذر أن يتعذر افتتاحها ، ويستمر جماحها فيرحل السلطان عنها من غير إشارة تصدر إليه من الديوان ووساطته فإن كان ولا بد من الرحيل فهو ساطة الديوان أسلم من مطاعن المستعجزين وأشبه بحال الفاترين فقبل عذرهما واستمر الحصار . وكان أهل خلاط كفوا عن الشتمة أيام حضور الرسل ، حتى إذا تحققوا أنهم ما شفعا ، وحن للرسول أن يرجعوا استأنفوا فيها بكل معنى غريب ، ولفظ عجيب .

ومنها ورود رسول الملك المسعود صاحب آمد ، وكان شخصاً تركيا يعرف بعلم الدين قصب السكر ، ورسول الملك المنصور صاحب ماردين صحبته ، وكان خادماً أسود ، والرسالتان تشتملان على عرض الخدمة والطاعة . وأصحابهما السلطان رسولاً من جهته يأمرهما بالخطبة له في بلادهما اختباراً على محك الأصدقاء ، ما كانا يزعمانه من الوفاق والاتفاق وأحسب الرسولين بالفقيه نجم الدين الخوارزمي ، فأبطأ المذكور عندهما إلى أن عاد السلطان من الروم على الوجه الذي لا يروم .

ومنها أن خلاط لما عظم بها البلاء واشتد الغلام ، وكسدت الدنانير ،

(١) ثقلص الشيء : انضم وانزوى . وفي الأصل : وثقلص .

(٢) في الأصل : عليهما . (٣) في الأصل : إليهم .

وأكلت الكلاب والسنائير ، خرج منهم في يوم واحد قرابة عشرين ألف إنسان ، وقد تغيرت صورتهم بالجوع حتى أن الأخ لا كان يعرف أخاه ، ولا الوالد ولده ، فكان شرف الملك يطعمهم فيذبح كل يوم عدة أبقار لهم فما سرت النفوس الناحقة ، والأرماق التالفة ، ومات أكثرهم وتفرق الباقيون أيدي سبأ .

ومنها أن السلطان الكبير<sup>(١)</sup> كان مدفونا بالجزيرة على ما سبق من ذكر وفاته وورده وديعة حياته ، فسمح للسلطان وهو محاصر خلاط أن يبني له مدرسة بأصفهان فينقل إليها تابوته من الجزيرة فسيّر مقرب الدين مهتر مهتران - وكان مقدم الفراشية<sup>(٢)</sup> - إلى أصفهان ، وهو الذي تولى غسل السلطان الكبير ليبنى بها مدرسة فيها قبة للتابوت يحتوى على سائر بيوت المرافق مثل بيت الثياب ، وبيت الفرش<sup>(٣)</sup> ، وبيت الطشت<sup>(٤)</sup> ، وبيت الركاب<sup>(٥)</sup> وغيرها وأصحابه ثلاثين ألف دينار للشروع في عمارتها . وتقدم إلى الوزير بالعراق بإطلاق ما يحتاج إليه تمام العبارة من وجوه الديوان ، وأن يستعمل لها آلات

(١) علاء الدين محمد خوارزم شاه والد جلال الدين منكبرتي .

(٢) راجع ص ١٠٨ حاشية ٣ .

(٣) بيت الفرش : ويسمى أيضا الفراش خاناه ، وخاناه لفظ فارسي معناه البيت . ويؤخر المضاف على المضاف إليه على عادة المعجم في ذلك . ويشتمل هذا المسكان على أنواع الفرش المختلفة من بسط وخيام وغير ذلك . ويعمل فيه أعداد من الغلمان يسمون بالفراشين ، وهم من أمهر الغلمان وأنهمهم ، ولهم دراية فائقة في نصب الخيام . انظر القلقشندي : صبح الأعشى : ج ٤ ص ١٠ - ١١ .

(٤) بيت الطشت : ويسمى أيضا بالطشت خاناه ، وقد سمي بهذا الاسم لاحتوائه على الطشت الذي تغسل فيه الأيدي والطشت الذي يغسل فيه القماش . وهو يحتوى على ما يلبسه السلطان من السلكوتة والأقبية وسائر الثياب والسيف والخنجر وغير ذلك ، كما أنه يحوى ما يجلسن عليه السلطان من المقاعد والمجاد الذي يصلى عليه وما شاكل ذلك . انظر القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ص ١٠ - ١١ .

(٥) بيت الركاب : ويعرف أيضا بالركاب خاناه ، ويشتمل على عدد الخيل من السروج واللاجم الخ . انظر القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ص ١٢ .

الذهب من الشمعدان والطشت والإبريق ، وأن تقام بالباب فرس النوبة بالطوق والساخت والسرفسار . فسار المقرب إلى أصفهان وشرع في العبارة ، ووصلت إليها بعد أربعة أشهر ، فوجدتها قد طلع بنيانها قدر قامة .

وكتب السلطان عمته شاه خاتون صاحبة سارية من أعمال مازندران (١) - وكان أبوها تنكش قد زوجها بملك مازندران أردشير بن الحسن وتوفي عنها - بأن ترك بنفسها ومن بمازندران من الملوك والأمراء والصدور ، فتنقل التابوت من الجزيرة إلى قلعة أردهن ، وهي أعصى قلاع الأرض ، إلى أن تم عمارة المدرسة بأصفهان فينقل إليها . ولعمري كنت أكتب هذا التوقيع كارها ، ولآرائهم مسفها . ونفشت إلى المقرب بنبذ من أفكارى ، وأظهرت له بعض إضمارى ، إذ كنت أعرف أن جشته ، بردها الله بالنسيم ماسلت من إحراق التاتار إلا لتعذر الوصول إليها . ولقد أحرقوا عظام كل سلطان مدفون بأى أرض كان ، معتقدين أنهم بنو أب يجمعهم أصل واحد ، حتى أن عظام يمين الدولة محمود بن سبكتكين (٢) ، رحمة الله عليه ، قد أخرجت من قبره بغزته وأحرقته . فلم يعجب مقرب الدين ما كتبت من هذا القبيل ، فاستقلته من هذا القبيل . وكان الأمر كما خمنت ، فإن التاتار لما فرغوا (٣) من السلطان بحدود آمد ، على ما يجيء شرحه ، حاصروا (٤)

(١) جاء في ياقوت ، ج ٥ ص ٨ ، أنها من أعمال طبرستان .

(٢) النطق الصحيح لهذا الاسم هو ما يتفق مع الكتابة الفارسية : سبكتكين . ومحمود ابن سبكتكين هو سابع حكام الدولة الغزنوية وأهمهم جميعا . وقد حكم من سنة ٣٨٨ / ٥٤٢١ = ٩٩٨ / ١٠٣٠ م . وترجع أهميته في تاريخ الشرق الاسلامى بوجه عام وفي تاريخ الدولة الغزنوية بوجه خاص إلى أنه استطاع أن يوسع أملاكه في بلاد الهند حتى شملت إقليم البنجاب بما في ذلك لاهور ومولتان وغيرها كما وسع أملاكه في فارس حتى شملت العراق المعجمى بما في ذلك الرى وأصفهان . وقد بلغ من عظم شأنه أن الخليفة العباسى القادر سماه يمين الدولة وأمر بنقش اسمه على السكة . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ص ٦٠ ، ٧٠ ، ٧٧ ، ٥٤ وغيرها . وانظر أيضا كتابنا : الشرق الاسلامى قبيل الغزو المغولى ص ٣٠ - ٣١ وراجع كتابى St. Lane-Poole : Op. cit., pp. 285 - 290 Zambaur : Op. cit., p. 282.

(٣) فى الأصل : فرغ . (٤) فى الأصل : حاصر .

القلعة المذكورة ، فأخرجت الجملة ، وسيروها (١) إلى الخاقان فأحرقها .

ومنها أن مجير الدين يعقوب بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب قرع سور خلاط يوما ، والتس حضور السلطان ليكلمه ، فأجابه إلى ذلك ، ظناً منه أنه ربما يتكلم فيما يعود إلى حصول الغرض . فلما حضر ، قال مجير الدين : إن البلاد قد نزع ، والضرر قد اتضح ، الطائفتان قد هلكتا . فهل لك أن تبارزني (٢) فيعود الأمر إلى فيصل ؟ فقال له السلطان : ومتى يكون ذلك ؟ فقال : الميعاد بكرة غد . فلبس السلطان لامة حربه صباح غد . وبلغ شرف الملك ذلك ، فسارع إليه وقال : ليس مجير الدين من أقران السلطان وأكفائه (٣) وليس يليق بالسلطان أن يبارزه ، ولو علمت أن السلطان إذا أهلكه حصل مقصوده لرضيت به ، لكنني أتحقق أن ليس يحصل بهلاكه مطلوب ، وأنه مع اتسابه في بيت الملك في جملة الأتباع محسوب . فقال السلطان : هو كما ذكرته ، لكن كيف لانقاتل (٤) من يقاتل ؟ وما عذري إذا دعوا نزال فلم أك أول نازل ؟ ثم ركب وحده وساق إلى باب بدليس (٥) على الميعاد ووقف وأعلم بحضوره ، فشتموه وأمطرت عليه السهام ، ولم يخرج مجير الدين فرجع .

ومنها أن السلطان استحضر في ليلة من الليالي ، فوجدت عنده عجوزاً داهية خُدعة (٦) قد خرجت من خلاط برسالة مزورة عن الزكي العجمي ، وكان من ذوى الحظ عند الملك الأشرف ، والسلطان يعبر عن لسانها

(٢) في الأصل : تنازرتي .

(١) في الأصل : سيرها .

(٤) في الأصل : لم .

(٣) الأكفاء : النظراء .

(٥) بدليس : بلدة من نواحي أرمينية قرب مدينة خلاط ، وقد سمي باسمها أحد أبواب مدينة خلاط ، وكانت كما يقول ياقوت ، ج ٢ ص ٩٠ ، تشتهر ببساتينها الكثيرة . وهي مدينة مسورة تحيط بها الجبال ، كما أنها شديدة البرد كثيرة الثلوج . انظر الفلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٣٥٥ .

بثلاث لغات : بالتركية والفارسية والآرمينية. وخوى<sup>(١)</sup> الرسالة أن زكي الدين استدعى من السلطان خمسة آلاف دينار يفرقها في المندفاكية<sup>(٢)</sup> والأجناد، فيجلب أهواءهم إلى السلطان فيرضيهم على تسليم خلاط، ثم يفتح باب الوادي صباح غد فيدخل السلطان. فلما شاورني في ذلك وجدني لم أهش له، فتعجب وقال: مالي أراك متوقفاً في هذا الأمر؟ وكان حرصاً على خلاط وأخذها، وقد عزم على تسليم المبلغ المطلوب إلى العجوز. قلت: إن المملوك قد اجتمع بزكي الدين وكلبه عن قضايا حين ورد عن صاحبه رسولاً على السلطان، فوجده من دهاة عصره، وكفاة دهره<sup>(٣)</sup>، ومن لا يخفي عليه الخطأ والصواب، وبعيداً من مثل ذلك الرجل العاقل الدخول في مثل هذا المحذور المحذور. ثم إن كانت سعادة السلطان اقتضت تميله إلى الدولة، وترغيبه عن صاحبه في هذه الوهلة، فكيف يخاطر بنفسه في أمر يكون إتمامه موقوفاً على إرضاء طائفة مختلفي الأهواء، متباعدي الآراء، يستمال بال، أو يفرق بمنال؟ وماذا يؤمنه أن يبوح بالسر واحد منهم فيهلك هذا إن كان المال قد طلبه لغيره، وإن قالت إنه طلبه لنفسه، فليس يخفى عليه أن خلاط إذا سلمها للسلطان يحصل له من الإنعام والإقطاع ما يكون هذا المقدار في جنبه زوراً. فقترت عن يمينه في ذلك حين<sup>(٤)</sup> سمع كلامي. ثم إن حرصه على أخذها حمله على تسليم ألف دينار إليها إضاعة محضنة، وقال لها: إن بان لنا صدقك بعلامة أخرى سلمنا إليك تئمة خمسة آلاف دينار. ورجعت ليلاً ودخلت خلاط، وما كان للحدث أصيل. وشاع الخبر في العسكر، ودخل بعض الخلاطية فأخبر عز الدين أبيك بأن الزكي يكاتب السلطان فقتله من غير ذنب صدر منه. ولما ملك السلطان خلاط، ظفر بالعجوز بعض السرهنكية، فأخرجوها<sup>(٥)</sup>

(١) في الأصل: نجوى .

(٢) المندفاكية : اسم لبعض فرق الجند ، وقد سميت بهذا الاسم نسبة إلى القبيلة التي تنتمي إليها

(٣) كفاة : جمع كاف ، وهو ذو الكفاية .

(٤) في الأصل : فأخرجها .

(٥) في الأصل : حتى .



من مدبغة ومعها زوجها شيخ هرم ، وأحضرت الذهب ، وقد نقصت منها ثلاثمائة دينار . وقيل إنها خنقت ، وكانت فائدة التزوير هلاكها وهلاك زكي الدين .

ومنها أن مترجمة عز الدين أيبك كتبها إلى الملك الأشرف ، وأخرى كتبها إليه مجير الدين يعقوب مسككتا في الطريق ، وناولى السلطان كليهما ، وساعدتني همته على حلها . وكان مضمونهما الشكوى ، بما ابتلوا به من الضائقة والبلوى . وقد ذكرنا فيهما أن العدو قد سحر فلم يقع ثلج بحدود خلاط في هذه السنة . وأخذت مترجمة أخرى كتبها الملك الأشرف إلى عز الدين متولى خلاط ، وكانت تتضمن أن الذى ذكرتم من سحر العدو ، وإقشاع السماء ، دلّ على ما ملأكم من الرعب ، وإلا فن المعلوم أن هذا الأمر لا يقدر عليه إلا الله . غير أن الشتوات تختلف (٢) ، فتارة يتأخر الثلج فيها ، وتارة يتقدم . وهما نحن عن قريب واصلون فى العساكر لكشف البؤس ، وإزالة الضرر ، وسنظر دهم إلى ما وراء جيحون .

ومنها وفاة صاحب الديوان شمس الدين محمد المستوفى الجوينى ، وكان من كبار الصدور ، إذا توصل فى مراعى الكفافية وصل ، وإذا فوضل فى سوامى الكتابة بين أمثالها فضل ، عجم عود الدهر ، ولبس برود العمر ، وقد تقلد صحابة الديوان للسلطان الكبير (٣) فى آخر عمره . ولما حضر الباب قلده السلطان صحابة الديوان فتقلدها سليم اللسان والقلم ، جيد القدم عن مخاضات التهم . وانتقل إلى جوار الله ودار كرامته والسلطان محاصر خلاط ، وكان قد جعلنى وصيه ، وكفلىنى مصالح أيتامه ، وأوصانى بأن ينقل تابوته إلى جوين من نواحى خراسان بمسقط رأسه ، ومحط أساسه ففعلت ، ولم يتعرض السلطان إلى شىء مما خلفه ، وسيرتها صحبة ثقاتى وثقاته إلى ورثته ، وتولى بعده صحابة الديوان الجلال على العراق ، وكان قبل ينوب عن شرف الدين

(١) فى الأصل : فأخرجها . (٢) فى الأصل : تختلف .

(٣) علاء الدين محمد خوارزم شاه والد جلال الدين منكبرى .

وزير العراق في بعض أشغال الديوان بها ، واتفق حضوره لمهمات صاحبه موت صاحب الديوان ، وكان السلطان إذ ذاك ينسب إلى الوزير ذنوباً من القصور والتقصير ، وتحقق أن المشرف<sup>(١)</sup> يسرق ، والخازن<sup>(٢)</sup> خان وأراد أن يبليهم بوقح لا يعرف المجاملة والمداراة ، فأقام الجمال مقام صاحب الديوان استبداداً عن سيد حصور<sup>(٣)</sup> ، بأسد هصور<sup>(٤)</sup> ، وعن نجم لامح برجم راح ، فنى منه بخرط وشماس ، وتلون واعتراض ، حتى صار الواحد من أرباب الديوان يبذل جملة من المال خدمة ليعفى عن المنصب . وطالما بذلوا الأموال في تحصيله ، وكان معظم آثار كفايته منع الحقوق ، واحتباس الإدارات ، وقطع التسويغات التي أجريت من قديم الزمان . وما كل نجيرة<sup>(٥)</sup> لها كفاة في مناكحة الآداب ، ومتاجرة الكتاب . وما كل مسك يصلح للمسك وعاء ، ولا كل ذرور للعين كحلا<sup>(٦)</sup> ، وأضيق الشيء عقد في جيد خنزير ، وخذ<sup>(٧)</sup> بكف ضرير ، ونقش على بنان فاجر شرير .

لله در أنوشروان من رجل ما كان أعرفه بالدون والسفل  
نهام أن يمسا بعده قلما وأن يذلوا بنى الأحرار بالعمل<sup>(٨)</sup>

فأول ماشوهد من وقاحته ، وظهر من علامات وتاحته<sup>(٩)</sup> ، أن الحجاب لما أحضروه إلى الديوان ليجلسوه مقام صاحبه ، انفق أن شمس الدين الطغرائي كان قد حضر الديوان ليسلم على شرف الملك ، وقعد بجنبه ، فلما دخل الجمال أخذ بيد شمس الدين ، فبعده عن الوزير وجلس بينهما ، فقال الطغرائي : أما تستحي ؟ فقال : هذا منصبى أقاتل من زاحنى عليه .

- (١) راجع صفحة ٢٩٤ حاشية ٤ .  
(٢) راجع صفحة ٥٨ حاشية ١ .  
(٣) حصور : عف محجب .  
(٤) هصور : شديد البأس .  
(٥) نجيرة : أصيلة الحسب .  
(٦) في الأصل : حلا .  
(٧) حد : سيف .  
(٨) في الأصل : بنوا الأحرار .  
(٩) الوتاحة : الحسة .

ومنها إحصار وزير علاء الدين صاحب آلموت (١) أسيراً ، وسبب ذلك أنه قد جاء إلى الجبل المشرف على قروين ، كعادته في كل سنة ، بالرعية المسخرة لحصد الحشيش وإدخاره للشمام ، وكان أمراء العراق قد تحققوا بتغيير رأى السلطان عليهم من حين أخلفوا الوعد في إعادة غياث الدين أخيه إلى الخدمة (٢) ، فساق إليها بهاء الدين سكر مقطوع ساوة ، وكبسه بالجبل ، وأسر الوزير وسيره إلى خلاط ، فحمل إلى قلعة دزمار (٣) وحبس إلى أن نفذ فيه محتوم القضاء ، وأذنت مدته بالانقضاء ، فقتل بعد أربعة أشهر .

ومنها ورود رسل الروم وكان السلطان علاء الدين كيقباز بن كيخسرو (٤) وجه إلى السلطان ، شمس الدين التون أبه الجاشنكير (٥) ، وكال الدين كامباز ابن إسحق قاضى أرزنجان (٦) ، بهدايا وألطف يرتمن بها رضاه ، وفيها ثلاثون بغلاً موقرة أحمالا من الأطلس والخطابي والقندس والسمور وغيرها ، وثلاثون أو عشرون مملوكا بالخييل والعدة ، ومائة فرس ، وخمسون بغلة بالجلال . فلما وصلوا بها إلى أرزنجان تعذر وصولها إلى السلطان ، إذ كان ركن الدين جهانشاه بن طغرل صاحب أرزن الروم بمعاودة الدولتين مجاهراً ،

(١) هو علاء الدين محمد الثالث بن جلال الدين حسن الثالث ، ٦١٨ / ٦٥٣ هـ =

١٢٢١ / ١٢٢٥ م . انظر كتابنا : الفرق الاسلامي قبيل الغزو المغولي ، ص ١٦٥ .

(٢) راجع ما جاء عن الخلاف بين جلال الدين منكبرتي وبين أخيه غياث الدين في ص ٢٣٩ -

٢٤٥ . وانظر ص ٢٤٣ حاشية ٣ بوجه خاص .

(٣) دزمار : قلعة قريبة من تبريز . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٧ ص ٥٨ .

(٤) هو علاء الدين قيقباز الأول بن كيخسرو الأول سلطان السلاجقة الروم . وقد حكم

من سنة ٦١٦ / ٦٣٤ هـ = ١٢٣٦ / ١٢١٩ م . انظر Lane-Poole : Op. cit. , p. 155 .

(٥) راجع ما جاء عن وظيفة الجاشنكير في ص ٢٨١ ، حاشية ٥ .

(٦) أرزنجان : إحدى مدن أرمينية بين سيواس وأرزن الروم وبينها وبين كل من المدينتين

أربون فرسخا ، وكان غالب أهلها من الأرمن وفيها مسلمون ، وهم أعيان أهلها ، وتسمى أيضا

أرزنسكان . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ص ١٩٠ ، والقلقشندی : صبح الأعشى ،

ج ٤ ص ٣٥٤ .

وبمؤالة الأشرف مظاهراً ، فأقام بأرزنجان إلى أن حوصرت خلاط ، وانتظم صاحب أرزن الروم في سلك الخدمة ، حضروا بما أصبحوا من التحف والألطف ، فألزموا بأن يقدموها كما تقدم تقاديم الرعية من الأمرام وغيرهم ، فيقف شمس الدين ألتون أبه مع الحاجب الخاص في موقف العرض ويبرك على ركبتيه ، ثم يعد الحاجب ما أحضروه على ملا<sup>(١)</sup> من الناس مفصلاً ، غير راضين بأن ينزلوا صاحبه منزلة الأكفاء ، ولاناظرين إلى مارغب فيه من خالص الود والولاء . فجاوزه بما يليق ، وكلفوا الرسول ما لا يطيق . وانضاف إلى ذلك أنهم كانوا خطبوا ابنة السلطان لابن صاحبهم ، تأكيداً للألفة ، وإزالة للفرقة ، فما أجابوهم إلى ذلك . ثم إنهم ذكروا ماجرى لصاحب أرزن الروم معهم من سوابق الوحشة ، والتسوا أن يأذن السلطان لهم في أخذ أرزن الروم منه ، وأن يسلم صاحبها إليهم ليشفوا منه ما أوغر صدورهم من المضاغنة والمخاشنة ، فغاض السلطان اقتراحهم ذلك ، وقال : هذا المذكور المطلوب ، وإن هتك معي ستر الأدب ، ورفع حجاب الحشمة فقد دخل على دخول العرب ، وقبيح بمثل إحقار حق مقدمه ، وتسليمه إلى من يعطش إلى دمه .

ودخلت على شرف الملك يوماً فوجدت زسل الروم عنده جلوساً ، وهو يخاشنهم في الكلام ويقول : لو أذن لي السلطان لدخلت بلادكم وحدي ، وفتحتها بجندي ، وكلمات أخرى تناسب هذا المعنى . فلما خرجوا قلت له : ما سبب هذه المخاشنة ، وقد بدا صاحبهم بالإحسان محبة وولاء ، ووردت<sup>(٢)</sup> رسله تباعاً وولاء . قال : جميع ما جاءني معهم من التقاديم لم يبلغ ألفي دينار . وعادت رسل السلطان علام الدين بأجوبة غير مرضية ، وأشغال غير

(٢) في الأصل : وردت .

(١) في الأصل : ملا .

مقضية. وأصحابهم السلطان بجمال الدين فرج الطشت دارالرومي<sup>(١)</sup>، وسيف الدين طرت أبه أمير شكار<sup>(٢)</sup> وفتية خوارزمي يلقب بركن الدين. فلما توسطوا بلاد الروم، سبقتهم الرسل العلانية إلى صاحبهم، فأعلموه بأن الذي سعى فيه من إصفاء الموارد، وتجديد المعاهد، ومال إليه من التعاضد والتساعد، ضرب في حديد بارد. فقال إلى الملك الأشرف<sup>(٣)</sup>، وأرسل إليه كمال الدين كأمياز يعلمه بأن الذي رغب في مخالسته، وهم بمعارضته، ليس يبق على الرطب واليابس، وأنه رجع عما كان ينتظره منه كالآيس، وأن رده بغير السيف بعيد، والسعي في إرضائه غير مفيد. وليس الآن إلا اتفاق الكلمتين والذب عن الدولتين. فنال من الملك الأشرف نفساً مرتاحة لإجابته، تواقفة إلى موافقته، فاتفقا<sup>(٤)</sup>. ولم توصل رسل السلطان إلى علاء الدين صاحب الروم إلا بعد عود كمال الدين كأمياز من جهة السلطان الأشرف، والاستيثاق منه لصاحبه.

(١) راجع ما كتب عن وظيفة الطشت دار في ص ٦٨ حاشية ١.

(٢) يتحدث صاحب هذه الوظيفة على الجوارح السلطانية من الطيور وغيرها، وعلى سائر أمور الصيد. وشكار لفظ فارسي معناه الصيد، وعلى ذلك فقلعني المراد هو أمير الصيد. وهناك وظيفة أخرى متعلقة بالصيد وهي حراسة الطير، وموضوعها أن يكون صاحبها متحدثاً على حراسة الطيور في الأماكن والمزارع التي ينزل بها السلطان. انظر الفلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤ ص ٢٢. والمقريزي: السلوك، ج ١ قسم ٢ ص ٦٤٤ حاشية ٢.

(٣) وهو صاحب خلاط التي يحاصرها جلال الدين منكبرتي.

(٤) كانت المعاملة السيئة التي عومل بها رسل سلطان السلاجقة الروم وبالأعلى جلال الدين منكبرتي، إذ حدث بعد ذلك أن استولى جلال الدين على مدينة خلاط من صاحبها الأشرف موسى الذي عمل على استعادتها بشتى الوسائل، فكان سنة ٦٢٧ هـ (١٢٣٠ م) حلفاً ضد الخوارزميين كان في طلبه علاء الدين قيقباز سلطان السلاجقة الروم، وهو صاحب تلك الهدية التي رفضها الخوارزميون. وقد تمكنت الجيوش المتحالفة من إزال الهزيمة بجمال الدين قرب مدينة خلاط، كما تمكن الأشرف موسى على أثرها من دخول المدينة بعد أن فر جلال الدين وجيوشه إلى أذربيجان. انظر ابن الأثير: الكامل، ج ١٢ ص ٢٢٧. وانظر أيضاً كتابنا: الدولة الخوارزمية والغول، ص ١٨٤.

## ذكر ملك السلطان خلاط

في أواخر سنة ست وعشرين وستمائة<sup>(١)</sup>

ولما طال مدة الحصار ، وتلفت الأنفس بالغلاء ، واقتسمت بأيدي البوار ، وأكلت بها الكلاب والسنانير ، وذلت الدراهم والدنانير ، فصارت خلاط كلا<sup>(٢)</sup> لمن يأخذها ، ووبالا على من يملكها ، أدلى اسماعيل الإيواني بعض أصحابه ليلا من السور ، فحضر السلطان وأعلمه بأن اسماعيل الإيواني يلتمس من السلطان تعيين إقطاع له بأذربيجان ، ليسلم إليه المدينة ، فأقطعه السلطان سلباس<sup>(٣)</sup> وعدة ضياع بأذربيجان متفرقة ، وحلف له على تقريرها بيده .

وعاد الرسول وحقق السول ، ولبس الناس لأمة حربهم<sup>(٤)</sup> ، فأدلى اسماعيل الحبال ليلا ، فطلعت أعلام ورجال ، واستعد الناس للزحف . فلما أصبح الناس ، زحفوا على الثلثة حذاء المنتجنيق ، فقاتل من بخلاط من بقايا الأجناد القيمرية<sup>(٥)</sup> قتالا شديداً ، فكادوا يخرجونهم . على أنهم ينظرون إلى الأبراج فيرون أكثرها مملوءة<sup>(٦)</sup> بالرجال والأعلام السلطانية . لولا أن الذين كانوا في الأبراج زحفوا من ورائهم فولوا منهزمين ، وأسر

(١) ذكر ابن الأثير أن استيلاء جلال الدين منكبرتي على مدينة خلاط كان في يوم الأحد الثامن والعشرين من جمادى الأولى سنة ٦٢٧ هـ ، أي في الثاني من شهر أبريل سنة ١٢٣٠ م كما يقول ديفرمري . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٢ ص ٢٢٦ . وانظر أيضاً

Dépremercy : Fragments de Geographes et d'Historiens Arabes et persans Inédits, pp. 499 — 500. (J. Asist. Nov. — Déc. 1849).

(٢) الكل : الثقيل لا خير فيه . (٣) راجع ص ٢٠٧ حاشية ٤ .

(٤) لأمة : درع .

(٥) نسبة إلى قيمر ، وهي قلعة بين الموصل وخراسان . انظر ياقوت : معجم البلدان ،

(٦) في الأصل : مملوءة .

ج ٧ ص ١٩٩ .

الأمراء جميعاً كالقيصرية ، والأسد بن عبد الله وغيرهم ، إذ كانوا لم يفارقوا موافقهم من الأبراج . وتحصن عز الدين أيبك<sup>(١)</sup> الأشرفي ، وبجبر الدين وتقي الدين ابنا الملك العادل أبي بكر بن أيوب بالقلعة .

ثم إن السلطان أراد أن تحمي<sup>(٢)</sup> خلاط من النهب فغلبوه على رأيه فيها ، وحضرت الخانات والأمراء ، وقالوا : إن تطاول مدة الحصار قد أضعف عسكرك وأفنى خيلهم ودوابهم ، فإن منعتهم النهب ، فقد بهم الضعف عن لقاء عدو يتحرك ، ولعل الضعف يفضي بهم إلى تشتت الشمل ، وانتشار الحبل . فنفثوا عليه من هذا القبيل لسحت شرهوا إلى احتجانه ، حتى أرخى عنانهم في النهب ، فنهبوا ثلاثة أيام تباعا<sup>(٣)</sup> فكان قرحاً<sup>(٤)</sup> على قرح ، وملحاً فوق الجرح . واستخرجوا دفائن أهلها وخبائهم بالمعاصير ، فن وقع بيده واحد من الخلاطية عنده أنواع العذاب . والذي شاع عند الناس أنه أمر بقتل من بها حتى استولى عليها فغير صحيح<sup>(٥)</sup> . لکن جماعة كثيرة هلكوا بالعقوبات ، وكان الغلام قد أفنهم ، فنزل بجبر الدين وتقي الدين ، وطلب الأمان لعز الدين أيبك فأمنه ، ونزل ثاني يوم نزولها ، فأبى السلطان أن يمكن عز الدين أيبك من تقبيل يده استخفافاً به ، وغيظاً عليه . وأجاب بعد مراجعات إلى أن يمكنه من تقبيل رجله ، وقال للسلطان بعض من كان يتعصب لعز الدين أيبك من الترك ، إن بجبر الدين وتقي الدين كانا تحت حكمه وفي خدمته وقد قبلا يد السلطان . فقال السلطان : إن هوى صاحبه

(١) في الأصل : الأيبك . ومع أنه سبق ذكر هذا الاسم صحيحاً في مواضع متعددة ، فلم يقننه هوداس إلى كتابته صحيحاً في هذا الموضع . بل إن هذا الخطأ في الطبعة العربية قد انتقل أيضاً إلى الترجمة الفرنسية . انظر ص ١٩٩ من طبعة هوداس العربية ، ص ٣٣١ من الترجمة الفرنسية .  
(٢) في الأصل : أراد تحمي .  
(٣) في الأصل : تباع .

(٤) القرح : أثر السلاح في البدن .

(٥) لعل النسوي يشير إلى ما ذكره ابن الأثير في هذا المقام إذ قال : فلما ملك البلد سعد من فيه من الأمراء إلى القلعة التي لها وامتنعوا بها ، وهو منازلهم ، ووضع السيف في أهل البلد ، وقتل من وجد به منهم . . . . انظر ابن الأثير : السكامل ، ج ١٢ ص ٢٢٦ .

فيه حكمه على إخوته، وليس فيه هوى فنرد الأمور إلى أصولها، وترك الناس بأهويتهم. وكانوا يحضرون كل يوم السباط، فيجلس مجير الدين وتقي الدين، ويقف عز الدين<sup>(١)</sup>.

ثم إن علم الدين سنجر أمير جاندار<sup>(٢)</sup> الملك الأشرف موسى، وكان محبوسا، راسل السلطان على لسان المتوكل به يقول: قد بلغني أن السلطان أخذ يفرق عساكره إلى كور خلاط ليحاصروها مثل بركري، ومنازجرد، وبدليس، وولاشيجرد<sup>(٣)</sup>، ووان<sup>(٤)</sup>، وقسطانة<sup>(٥)</sup> وغيرها، ولا حاجة إلى ذلك، وما يحوجه إلى تجشم الكلف والمونات وبين عز الدين أيبك وبين كل واحد من الولاة المستحفظين بالمواضع المذكورة علامة؟ فإذا أعطاهما للسلطان ملكها من غير تعب ولا نصب، وهو إلى الآن يكاتبهم مشجعا، ويصغر عندهم أمر السلطان مشبها، ويمنيهم حركة العساكر الشامية فأصغى السلطان إلى كلامه، وطالب عز الدين أيبك بالعلامات فأنسرها، فلم يقبل منه، وألزمه مكاتبته بالتسليم. فكانت مأمورا، وأبي<sup>(٦)</sup> أو أمك التسليم. فحين أيس السلطان من حصول الغرض بمكاتبته، قبض عليه وقيده، ونقل

---

(١) يجدر بنا أن نشير هنا إلى أن زوجة الأشرف موسى صاحب خلاط كانت من بين النساء اللاتي وقعن في الأسر، فتزوج بها جلال الدين منكبرتي في نفس الليلة التي دخل فيها المدينة. انظر. D'ohsson : Op. cit., t. iii, p. 42.

(٢) إن موضوع وظيفة أمير جاندار السلطان « أن صاحبها يستأذن على دخول الأمراء للخدمة ويدخل أمامهم إلى الديوان ».... وهو الذي « يقدم البريد مع الدوادار وكاتب السر..... وإذا أراد السلطان تعزير أحد أو قتله، كان ذلك على يد صاحب هذه الوظيفة..... وصاحب هذه الوظيفة هو الذي يطوف بالزفة حول السلطان في شهره. انظر القلقشندي : صبح الأعشى، ج ٤ ص ٢٠.

(٣) كذا في الأصل، ولعلها ولاستجرد، وهي مدينة من أعمال همذان. انظر ياقوت : معجم البلدان، ج ٨ ص ٤٣٢.

(٤) وان : إحدى المدن القريبة من خلاط. انظر ياقوت : معجم البلدان، ج ٨ ص ٣٩٠.

(٥) قرأها هوداس Houdas في النسخة الخطية خطأ «وسطان». وقسطانة أو قسطانة، قرية قريبة من الري في طريق ساوة. انظر ياقوت : معجم البلدان، ج ٧ ص ٨٦.

(٦) في الأصل : وأبوا.



إلى قلعة دزمار<sup>(١)</sup> وبقى محبوسا إلى أن عاد السلطان من الروم بشمل مبدد النظام ، منحل العراق والأوذام<sup>(٢)</sup> ، وأخذت رسل الملك الأشرف تتردد في الصلح ، أمر بقتل أبيك في محبسه كيلا يتكلموا في إطلاقه ، وحل وثاقه ، وتنفيسه من ضيق خناقه ، فقتل تشفيا لما أوغر صدره بتصريحه الشتائم ، وضر به نوبة ذى القرنين محاكاة للسلطان وتشبها به ، إذ كان يضرها اقتداء بوالده .

وأما حسام الدين القيمرى ، فقد حبس بداره بالمدينة من غير قيد ، فاستأذن المتوكلين به يوما في دخوله دار النساء ، فأذن له ، فدخل ، وقعدوا بالباب . وكان<sup>(٣)</sup> أصحابه نقبوا الجدار من وراء الدار وأحضروا له خيلا ، فركب ونجا إلى الملك الأشرف . ولما هرب المذكور ، قتل الأسد بن عبد الله المهرانى .

وأما حسام الدين طغرل صاحب أرزن ديار بكر ، فقد كان سأل السلطان على لسان المتوكل به أن يبعث ثقة من ثقاته إليه ليكلمه ، فأمرنى السلطان بالحضور إليه ، فمضيت واجتمعت به ، فقال لى : قبّل الأرض عنى بين يدى السلطان وقل له : أنا رجل غريب من أهل الشرق ، وقد طوّح الزمان بأسلا فى إلى هذه البلاد ، وداريت القوم ، يعنى ملوك بنى أيوب ، بكل طريق حتى سلمت منهم ، وكنت معهم فى ليل مظلم أنتظر طلوع صبح النجح من جهة الشرق ، فحين طلعت الشمس وأضاءت الأرض ، تركت موضع رحلى<sup>(٤)</sup> مظلمًا ، ولى ابن أخ بأرزن قليل العقل ، طائش اللب ،

(١) انظر ص ٢٦٣ حاشية ١ .

(٢) فى الأصل : وكانوا .

(٣) الوذم : رباط الدلو .

(٤) فى الأصل : رحلى . والرحل هو مسكن الرجل وما يستصعبه من الأثام . وبشير

النسوى هنا إلى قول الشاعر :

كيدر أضاء الأرض شرقا وغربا

وهو وضع رحلى منه أسود مظلم .

ومن المهم أن نشير فى هذا المقام إلى أن هوداس - إذا كان قد قرأ هذه العبارة قراءة -

سفيه الرأى ، وأخشى أنه إذا سمع بقلة اعتناء السلطان بى يبيع بيتى بأبخس الأثمان . فإن كان السلطان نوى انتزاع ما كانت تحويه يدي عنها ، فهو أولى بها من غيره ، فيسير إليها من يتسلمها ، قبل تمكن العدو فيه ، ووقوع ما يعسر تلافيه ، وإلا فيصدر إليه توقيعاً بتطبيب قلبه . وإن أرزن وأعمالها مقررة على صاحبها ، موعوداً بما يتأخنها بغيرها ، إذا أطلت عليها الرايات السلطانية فأجابها السلطان إلى ذلك حين أعدت رسالته ، وشرحت مقсалته . وأمر بإزالة التوكيل عنه ، وأن يحضر كل يوم مجلس السلطان عند الإذن العام ، فيقف من صوب مجير الدين ، وتقى الدين من صوب . ثم إنه خلع عليه خلعة تامة وردة إلى أرزن ، وكتب له بها منشورا ، وسيجيء ذكر مجير الدين وتقى الدين وما آل أمرهما فيما بعد .

ولما ملك السلطان خلاط ، وبرزت الأوامر بإصدار توابع البشارة إلى كافة مدن المملك ، استخرجت إذنه فى أن أجعل طغراء التوابع مثل طغراء توابع السلطان الكبير والده ، وصيغتها : « السلطان ظل الله فى الأرض أبو الفتح محمد بن السلطان الأعظم تكش برهان أمير المؤمنين » . فأنكر ذلك ولم يرض به ، وقال : متى صرت مثل واحد من كبار ممالك السلطان الكبير بالعسكر والخزانة ، أذنت لك أن تجعل طغراء توابعى مثل طغرائه (١) ، فحجلت وسكت . ولقد أنصف فيما قال فإنه لم يخط من عظم شأنه بمعشار ، ولم يسبق عبارته عند الفخار بمضمار .

---

== خاطئة فى الأصل الخطى نتيجة لعدم فهمه المعنى الذى يقصده النسوى بهذا التشبيه ، فإن هذا الخطأ قد انعكس أيضا على الترجمة الفرنسية ، فجاءت مطابقة للقراءة العربية الخاطئة ومخالفة لما يقصده النسوى ، إذ قال :

La place qu'occupaient mes pieds est restée néanmoins dans l'obscurité.

انظر ص ٢٠١ من طبعة هوداس العربية ، ص ٣٣٥ من الطبعة الفرنسية .

(١) راجع ما كتبناه عن الطغراء فى ص ٥٧ حاشية ٥ .

## ذكر سيرة السلطان بخلاط

بعد أخذها ونهبها وإقطاعه نواحيها

فلما استولى السلطان عليها وجرى من النهب ما ذكرناه، شغف بعمارتها وحرص على رأب صدعها، ولم شعها، وندم على ما أطلق عليها من النهب والتخريب. وأين من الندامة نفوس مدروسة، وأجساد تحت أطباق الثرى مطموسة؟ فأطلق من الخزانة أربعة آلاف دينار ليحدد ما خربتھا المجانيق<sup>(١)</sup> من السور، فعمر في أسرع وقت. وأقطع الكور من أعمالها الخانات والأمراء، واسترعى<sup>(٢)</sup> أورخان إقطاع سرمارى فأجابه إليها استخط منه على شرف الدين أزره، صاحبها، وسبب ذلك فتوره في وظائف الخدمة، وقصوره عما كان يلزمه من الملازمة مدة الحصار على خلاط. وقد حضر في مبدأ حصارها فلم تمض إلا أيام قلائل حتى طلب الإذن بالعود فأذن له، على إنكار مظهر، وسخط مضمهر.

وأقام حسام الدين خضر ابن عمه مدة الحصار، وسار إلى مدينة أرجيش<sup>(٣)</sup>، فحاصرها ودعا أهلها إلى الطاعة، فأجابه إلى الانقياد قبل استيلاء السلطان على خلاط، وأمتار<sup>(٤)</sup> العسكر منها أيام الضائقة، ووقعت خدمته تلك موقعا مرضيا. فحين برز الأمر إلى بإقطاع سرمارى لأورخان، ضاق صدرى لحسام الدين خضر، لما كان بينى وبينه من أكيد أسباب الاتحاد، ووثيق أساس الوداد. فدفعت<sup>(٥)</sup> ذلك النهار بتوقيع<sup>(٦)</sup> أورخان ولم أكتبه، وعبرت<sup>(٧)</sup> على حسام الدين فى عودى من الديوان<sup>(٨)</sup>، فشرحت له

(١) فى الأصل: المناجيق. (٢) فى الأصل: استدعى.

(٣) أرجيش: مدينة قديمة من نواحي أرمينية الكبرى قرب خلاط، أكثرها أرمينى نصارى. انظر ياقوت: معجم البلدان، ج ١ ص ١٨١.

(٤) أمتار: جبل الميرة، وهى المؤنة. (٥) فى الأصل: فدفعت.

(٦) فى الأصل: بتوقيع. (٧) عبرت: مررت به. (٨) فى الأصل: عن الديوان.

الحال، فقامت عليه القيامة، وحصل عنده من الاكتتاب ما كاد يبكيه، وقال: هي مقابر آبائي<sup>(١)</sup>، وموات أحيائها أسلافي، فما الرأي؟ قلت: إنك قد خدمت السلطان بقدر قدرتك وغاية جهدك، ولم أشك في مرضاته عليك، واعتنائه بك. فإن شئت أن يسلم بيتك فاطلبه لنفسك لا يردك. فأطرق طويلًا ثم قال: ليس يمنعني عما ذكرته إلا حقوق سلفت لشرف الدين أزدره علي، وقدر باني تربية الوالد الرؤوف، والآب العطوف، ومع ذلك أبيت<sup>(٢)</sup> الليلة التدبير، وأخبره الرأي والتفكير، وغداً أخبرك بما تنتج الفكرة. وفارقنا، ثم أتاني بنفسه صباح غد راغباً وخاطباً، وقد خدعته الدنيا فأنسته الحقوق، وعلمته العقوق. وحين علمت أن المقصود لا يحصل إلا بإرضاء شرف الملك، أشرت عليه بذلك، فدخل الأمر من بابه، واتفق الحال على أن كتب خطه بعشرة آلاف دينار بربرة<sup>(٣)</sup> يوصلها إلى خزائنه عند تملكها.

وانجزَّ شرف الملك في جرير المساعدة ودخل على السلطان، ودخلت معه، وقضينا الشغل، وبرز الأمر بإقطاعه سرماري، وتمليكه إياها<sup>(٤)</sup> بنواحيها وقلاعها، على أن يحتال في قبض شرف الدين أزدره وابنه حسام الدين عيسى. وفارق باب السلطان إلى غيق<sup>(٥)</sup> لإقطاعه القديم. واتفق أن السلطان وجهني بعد انفصالي عن الخدمة بأيام قلائل إلى العراق في عدة مهام يجيء شرحها فيما بعد، فوجدته بغيق، فضيَّفني وأحسن ضيافتي، وقدم لي خيلاً وبغالا وقاشا ومملوكا وبازياً<sup>(٦)</sup>، وذكر أنه استحضرهما بعلّة تطهير أولادي، فلا يحضرا، وقال لي: ما بقي إلا عونك وإسعادك في إتمام الأمر. ورأيت

(١) في الأصل: آباءي.  
(٢) بيت الأمر: دبره.  
(٣) راجع ص ٢٧٢ حاشية ٤.  
(٤) في الأصل: تملكها إياه.  
(٥) جاء هذا الاسم في قول البيهقي الجهنّي:  
ونحن وقمنا في ممزينة وقعة غداة التقينا بين غيق وعيها  
انظر ياقوت: معجم البلدان، ج ٦ ص ٣١٨.  
(٦) في الأصل: بازي.

أصحاب شرف الملك يأتونه بالوصولات يطلق لهم ما عليه مما ضمن له أن  
يوصلها إليه بعد تملك سرمارى، قلة إنصاف، وتجاهلا مشربا باستخفاف .  
فأرسلت إليهما بعض أصحابي وقلت لهما : إن رأى السلطان قد تغير عليكما ،  
لتهاونكما في خدمته، وعودكما عن نصرته، وقد شافهت الأمير حسام الدين  
خضر بما يتلافى الخلل، ويمحو الزلل . فأحضرا لديه ، وأسما ما أمليت عليه،  
واتفقا معه على حكم ما تقتضيه<sup>(١)</sup> المصلحة في إرضاء السلطان . ورحلت  
صوب العراق، فحضرا حين بلغتهما رسالتي، وقبض عليهما، وملك سرمارى،  
وورد الخبر بذلك وأنا بتبريز .

---

(١) في الأصل : يقتضيه .

## ذكر ورود رسل الديوان العزيز بعد ملك خلاط

وكان السلطان لما لبس الخلعة الواصلة صحبة فلك الدين وسعد الدين رسول الديوان العزيز (١) أصحابهما (٢) رسولين من عنده ، وهما نجم الدين أوداك أمير آخور ، وجمال الدين علي العراقي ، في شكر ما أنعم به عليه ، وأصحابهما خيلا تانارية برسم التقدمة . وكانت تلك الخيل أشرف أمواله وألطف هداياه في زعمه ، فأصحابا في عودهما بمجى الدين بن الجوزي وسعد الدين بن الحاجب ، وأمروا بأن يتفرقوا في طريقهم فرقتين ، فيعود رسل السلطان إلى بابه سالكين طريق أذربيجان ، ويتوجه رسل الديوان إلى الملك الأشرف صوب حران ، ففعلوا .

ووصل رسل الديوان بعد ملك السلطان خلاط ، وكانت حينئذ مكتنوسة عن كل مأكول ، حتى عجزوا عن ضيافة الرسل . فشاورنا السلطان في ذلك متفقين ، وذكر ناله العجز عن واجب ضيافتهم ، فقال : نحن نقضى شغلهم ونودعهم في سبعة أيام ، فاحملوا إليهم عن ضيافتهم في هذه المدة ذهابا من الخزانة ، وابتسطوا فسعروها بين يديه ، فجاءت أنبي (٣) دينار تقريبا ، فأمر السلطان بأن يحملوا إليهم ألفين وخمسمائة دينار ، فحملت على يدي ويد مختص الدين ابن شرف الدين (٤) نائب السلطان بالعراق .

وقضى السلطان شغلهم قبل سبعة أيام . وكانا قد تسكلا في مجير الدين وتقى الدين ابني الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، وتشفعا (٥) في إصحابهما إياهما إلى الديوان ، فما رأى السلطان ردهما في المطلوب كله (٦) وأصحابهما (٧) تقى الدين وحده وودعهما . وركب إلى منازجرد ، فرتب على حصارها شرف الملك وعسكري العراق ومازندران .

(١) راجع ما جاء في الفصل السادس والثمانين ص ٣٠٧ — ٣٠٩ عن هدايا الخليفة العباسي لجلال الدين منكبرتي . (٢) في الأصل : وأصحابهما . (٣) في الأصل : ألفا . (٤) في الأصل : مختص الدين ابن أشرف الدين . (٥) في الأصل : نشفعا . (٦) في الأصل : كلمة . (٧) في الأصل : فأصحابهما .

## ذكر مسير السلطان إلى الروم

ومصافه بها ، وانهزامه من عسكري الشام والروم

لما ملك السلطان خلاط ، وسار إلى مناوجرد لترتيب المحاصرة ، وصل ركن الدين جهانشاه بن طغرل صاحب أرزن الروم ثانياً (١) ، فأعلم السلطان باتفاق ملوك الشام والروم عليه ، وقال : إن الرأي في مبادرتهم قبل أن يجتمعوا فيصير الأمر خدعة ، وإن قصد كل واحد منهم قبل الاستعداد ، على حال التفرق والبعاد ، أولى من تخليتهم وإتمام ما عزموا عليه من الاجتماع . فصوّب السلطان رأيه ، وعرف نصحه ، واتفقا على أن يرحل ركن الدين للوقت صوب أرزن الروم فيتجهز بها ، ويرحل السلطان بعده بخمسة أيام في عساكره ، فيسوقا إلى نواحي خرتبرت (٢) فيقيان بها منتظرين حركة العسكرين (٣) ، فأينما تحرك أولا ساقا إليه قبل اتصاله بصاحبه .

واستحضرنى السلطان عند تخمين هذا الرأي ، وقال لى : اكتب لأخى (٤) ركن الدين توقيعا بناحيتى كنعين وخريشين من أعمال خرتبرت ،

(١) كان صاحب أرزن الروم ابن عم لعلاء الدين قيقباز سلطان السلاجقة الروم ، وكان بينه وبين ابن عمه عداوة مستحكمة . كما أنه كان أحد الذين أعانوا جلال الدين منكبرتى على حصار مدينة خلاط بعد أن دخل في طاعته . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ٢٢٧ .

(٢) راجع ص ٢٧٩ حاشية ١ .

(٣) أى عسكر كل من علاء الدين كيقباز سلطان السلاجقة الروم وكان يتألف من عشرين ألف فارس ، والأشرف موسى وكان يتألف من خمسة آلاف ممن أحسن تدريبهم على أعمال الحرب . ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ٢٢٧ .

(٤) كلمة «أخى» هنا بمعنى الصديق .

فككتبت وناولت السلطان فعلم عليه ، فقام ركن الدين وقبّل يده وودعه للوقت وركب .

ورى السلطان أمراء العسكر على أيدي الجاوشية<sup>(١)</sup> والبهلوانية بسهام حمر هي عندهم علامة الاستنفار، يأمرهم بالاجتماع. ورحل صوب خرتبرت وأقام بها ينتظر اجتماع العساكر، فرض بها مرضاً شديداً سقط فيه على الفراش، وأيس من الانتعاش. وكان الأمراء والخانات يحضرون الياب أيام مرضه على الرسم، متحملين للتفرق في أطراف الممالك، فلو نعى السلطان لهم تسوّق كل واحد منهم إلى جهة منها فيملكها. وتواترت كتب ركن الدين صاحب أرزن الروم محرضة على الحركة، معلمة بتحريك العسكرين على نية الاجتماع، والسلطان في شغل عن مطالعتها والوقوف عليها. وحين خف عنه المرض، ركب بعد اجتماعهما استمراراً على سوء التدبير، ولقد أحسن من قال :

إذا كان جد المرء في الأمر مقبلاً      تأتت (٢) له الأشياء من كل جانب  
وإن أدبرت دنياه عنه تعذرت      عليه وأعيته وجوه المطالب

فترك شرف الملك بعسكره وعسكر العراق على منازل جرد، وتكين مقطع خوى على بكرى. وقد كان بعض العساكر الآرانية والأذربيجانية والعراقية والمازندرانة أذن لهم في العود إلى أوطانهم فلم يستحضرهم، قلة احتفال وعدم مبالاة، وسار يطوى المنازل طياً، ولم يلو على شيء لئسا. ووجد أمامه أوترخان في زهاء ألفي فارس برسم اليزك، فصادم بيأسجمان عسكر أرزنجان وخرتبرت، فالتقاهم بكل أسمر كأن عاليته سبقت بالسموم، بحال طعنته الحيزوم<sup>(٣)</sup> زاعف الخيشوم<sup>(٤)</sup>. فشاعت الهزيمة في الروم فقتلوا .

(١) في الأصل : الجاوشية . (٢) في الأصل : باتت .

(٣) الحيزوم: وسط الصدر وما يقوم عليه الخزام. وحيزوم أيضاً اسم فرس من خيل الملايكة .

(٤) الخيشوم : أقصى الأنف .



وسمعت الملك المظفر شهاب الدين غازى بن الملك العادل ، قال : كان السلطان علاء الدين كيقباز يقول عند اجتماعنا به : ليس هذا العسكر الذى<sup>(١)</sup> ترونه من العساكر الذين<sup>(٢)</sup> أتكل عليهم فى لقاء العدو ، إنما رجالى وأبطالى وعسكرى الذين عليهم أتكل على عسكر الشرق ، وأنهم واصلون . فلما وافاه الخبر المزعج بما جرى عليهم ، زال عنه التمالك ، وخانه التماسك ، فرأينا عنده ما ألقه وأكده ، وأضعف عن كل شىء قلبه ويده ، وعزم على العود ، واقتصرته همته على حفظ الدربندات<sup>(٣)</sup> التى وراءه . فقويننا جأشه مثبتين إلى أن جاشت نفسه إليه ، وتفرقنا على نية الاستعداد للبصاف ، ولم يعتقد أنه يصل عن قريب . فلم يرعنا ثانى يومنا ذلك إلا أطلابه متواصلة ، ونحن على غرة من ذلك ، فكانوا يصلون ويقفون ، فلو ساقوا على فورهم لأعضل الداء ، وعسر الثبات ، وعظم البلاد ، فركبنا ورتبنا العسكر .

نعم ، ولما تلاقى العسكران ، قويت ميمنة السلطان على ميسرتهم ، وملكت عليها تلا كانت قد سعدته ، فأردفت بطائفة من العسكر ، فأنزلت ميمنة السلطان عن التل وطرحت الوادى ، وتوالت الحملات عليهم فلم يثبتوا ، بل انهزموا كاليعافير<sup>(٤)</sup> الراعية راعتها الفوارس ، ووقعت فيها الذئاب النواهس ، وما كانوا يصدقون بانهم امهم ، بل حسبوها حيلة معمولة إلى أن تحقق العسكر ، وتوالى الأسر ، وانكشفت الهزيمة ، وترادفت الغنيمة ، وركبوا أكتافهم . فلم يزل الرماح تقضى منهم أوطارها ، والسيوف تبرد أوارها فى مجاهل لم يضرب عليها علم ، ولم يسلكها حافر ولا قدم . وهكذا إلى أن جنبحت الشمس للأصيل ، وأذن الطفل بالتطفيل<sup>(٥)</sup> ، ووقع خلق منهم فى سقيف<sup>(٦)</sup> متهاقتين من حر الطلب ، وركض الأتراك والعرب . وأسر الغخان ،

(١) فى الأصل : الدين .

(٢) فى الأصل : التى .

(٣) جمع دربند . راجع ص ٣٦ حاشية ٧ ، ص ١٠٢ حاشية ٦ ، ص ٢٨٥ حاشية ٢ .

(٤) اليعافير جمع يعفور ، وهو ظي بلون التراب .

(٥) الطفل : الشمس قرب الغروب . والتطفيل : دنوها للغيث .

(٦) كذا فى الأصل ، ولعلها سقيف أى مكان مسقوف لجأوا إليه ليجمعهم القارة .

وأطلس ملك ، وعدة من المفاردة ، فأمر علام الدين صاحب الروم بضرب رقابهم . وأسر صاحب أرزن الروم بعد أن أحاطوا به ، فقاتل عن نفسه أشد قتال ، وأمر بتقييده وحمل على بغل ، إلى أن جرسعه الزمان مر كاسه ، وقضى الأجل بانقطاع أنفاسه ، فقتل مظلوما ، ودفن مرحوما (١) .

هو الدهر لا تعجب من طوارقه ، ولا تنكر هجوم بوائقه (٢) ، عطاؤه في ضمان الارتجاع ، وحبائوه في قران الانتزاع . بينما يمنح المرء حتى يسلب (٣) ويبنى حتى يخرب . فاللبيب يستشعر الفعجية ، حتى يؤدي (٤) الوديعة ، ويشتمل فقدان ساعة تصافح الوجدان .

(١) ذكر ابن الأثير أن جلال الدين « مضى منهزما هو وعسكره ، لا يلوى الأخ على أخيه وتفرقت أصحابه ، وتمزقوا كل ممزق ، وعادوا إلى خلاط فاستصحبوا معهم من فيها من أصحابهم ، وعادوا إلى أذربيجان فنزلوا عند مدينة خوى » . أما المقرئ فقد ذكر أن جلال الدين تقمقر في عدة من أصحابه إلى تبريز .

انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ٢٢٧ . والمقرئ : السلوك ، ج ١ قسم ١ ص ٢٤٠ .

(٢) البائقة : الداهية . وفي الحديث الشريف : لا يدخل الجنة من لا يأمن جأزه بوائقه ، أى ظلمه وعشيمه ، أو كما يقول الكسائي غوائله وشره .

(٣) في الأصل : يمنح المرحى يسلب . (٤) في الأصل : يؤدي .

## ذكر مسير الملك الأشرف إلى خلاط

ومراسلته للسلطان في أمر الصلح

وملاطفته في ذلك كرمأ غذى بليانه ، وعجن على مسكه وبانه

ثم ودع الملك الأشرف السلطان علاء الدين وفارقه ، واستصحب بعض عسكره إلى خلاط . وقد كان السلطان لما قذفته الجفلة إلى منازل جرد ، وجد شرف الملك قد ضايقها بالتخنيق ، ونصب عليها عدة مجانيق ، فأتى أهلها الفرج من حيث لم يحتسبوا . واستصحب السلطان شرف الملك بعسكره إلى خلاط ، فلما وافاها تحمّل ما أمكنه استصحابه<sup>(١)</sup> من الخزائن وأحرق الباقي ، لقلة الظهر ، وضيق الوقت ، وفارقها مغذاً السير<sup>(٢)</sup> إلى أذربيجان . فلما وصل إلى سكياناباذ ، خالف شرف الملك ومن كان معه من العراقيين هناك برسهم اليك ، ليكون حجاباً دونه ومن يقصده ، وأقام بخوى . وأما وجوه الترك وذوو<sup>(٣)</sup> الوفاء والحفيظة من الخانات فلم<sup>(٤)</sup> يعرج واحد منهم على الآخر ولا على السلطان ، وكانوا يخففون كل مرحلة ما أثقلهم من الأحمال ، حتى امتد بهم الوجيف<sup>(٥)</sup> إلى موقان ، وتركوا سلطانهم خلسة لكل طامع ، وأكلة لكل جائع .

ولما علم الملك الأشرف أن شرف الملك هو المقيم بسكياناباذ ، فاتحه بالمراسلة والملاطفة وقال : إن سلطانك سلطان الإسلام والمسلمين وسندهم<sup>(٦)</sup> ،

(١) في الأصل : استصحابها .

(٢) أى مسرعاً . وقد نقلها هوداس خطأ عن النسخة الخطية « معداً للسير » .

(٣) في الأصل : ذو .

(٤) في الأصل : لم .

(٥) في الأصل : الوجيف . وأما الوجيف فهو ضرب من سير الأبل والخيول وقد قال تعالى : « فأوجفتهم عليه من خيل ولا ركاب » أى ما أعلمتم . سورة الحشر ، آية ٦ .

(٦) لا يخفى . أمثله هذه العبارة من معان تدل على مبالغ ما وصلت إليه الخلافة العباسية في ذلك الوقت من ضعف .

والحجاب دونهم ودون التاتار وسدم<sup>(١)</sup>. وغير خاف علينا ماتم على حوزة<sup>(٢)</sup> الإسلام وبيضة الدين بموت والده<sup>(٣)</sup>، ونحن نعلم أن ضعفه ضعف الإسلام، وضرره عائد<sup>(٤)</sup> إلى كافة الأنام. وأنت قد جلبت الدهر أشطره، وعرفت نفعه من ضرره، وذقت حلوه ومره، فهلا ترغبه في<sup>(٥)</sup> جمع الكلمة ما هو أهدي سبيلا، وأقوم قبلا<sup>(٦)</sup>؟ ولم لا تدعوه إلى الألفة التي هي أحمد في البدو والعقبى، وأقرب إلى ما يقربه إلى الله زلفي؟ وها أنا ضامن السلطان من جهة علاء الدين كيتباذ وأخي الملك الكامل ما يرضيه من الإنجاد والإسعاد، وإصفاء النيات على حالتى القرب والبعاد، والقيام بما يزيل عارض الوحشة ويمحو سمة الفرقة.

ذلك وأمثاله، لطفاً منه غذاه الله بلبانته ودره، وأطر به بنشوة خمرة، وأريحية جبلت عليها خُمرة<sup>(٧)</sup>، وآيات في الكرم لا تتلها إلا سيرته، فوقعت الرسالة كل موقع حسن، وركن السلطان إليها، وأخذت الرسل تتردى إلى أن تم الصلح. وكان آخر رسول ورد من جهته في إتمام الصلح الشمس التكريتي<sup>(٨)</sup>. وكنت قد رجعت من خلاط بعد قضاء أشغال بعثت فيها، وسأذكرها في موضعها، فوجدت التكريتي بتبريز وقد فرغ من استحلاف

(١) كانت الدولة الخوارزمية في الواقع بمثابة حاجز منيع بين المغول في الشرق وبين أملاك الخلافة العباسية بوجه خاص وأقاليم غرب آسيا بوجه عام. ولم تكن هذه الحقيقة بخافية على أمراء المسلمين في ذلك الوقت، وليس أدل على ذلك من أنه لما قتل جلال الدين منكبرتي فيما بعد، ذهب بعض خواص الأشرف موسى يهتفون به بمقتل عدوه، فقال لهم: تهنون به وتفرحون! سوف ترون غيبه، والله لتسكون هذه السكسرة سبباً لدخول التتار إلى بلاد الإسلام. ما كان الخوارزمي إلا مثل السد الذي بيننا وبين بأجوج ومأجوج. انظر أبوالمحسن: النجوم الزاهرة، ج ٦ ص ٢٧٧.

- (٢) في الاصل: جوزة. (٣) علاء الدين محمد خوارزم شاه. (٤) في الاصل: عابدا. (٥) في الاصل: من. (٦) قرأها هوداس في النسخة الخطية « قبلا » ثم عدلها في الترجمة الفرنسية إلى « قبلا » والواقع أن القراءة الأولى هي الصحيحة. (٧) جبل فلان على كندا: طبعه. والخمرة: الرائحة الطيبة. وفي الاصل: خبلت. (٨) نسبة إلى مدينة تكريت، إحدى المدن الواقعة على نهر دجلة.

السلطان للملك الأشرف بما أراد من إزالة التعرض عن خلاط ونواحيها .  
ووقف السلطان في حلفه لعلاء الدين كيقباز ، وطال مقام التكريتي  
لذلك ، وعبر شهر من الزمان والسلطان مصر على إباته والتوائه ، يقول :  
قد حلفت لكم بجميع ما أردتم ، نفلوا السبيل بيني وبين صاحب الروم .  
والتكريتي يراجعه بالمطالبة باليمين ، فلم يحلف ، إلى أن تواترت الأخبار  
بوصول التاتار إلى العراق (١) ، خلف لصاحب الروم أيضا بالسكف عن بلاده .  
ولما كان السلطان حلف للملك الأشرف بإزالة التعرض عن خلاط  
ونواحيها ، استثنى سرماري ، لسكونها معدودة من أعمال أذربيجان قديما ،  
وأخ التكريتي في السؤال بالنزول عنها ، إذ كان صاحبها انضوى إلى الملك  
الأشرف تفاديا من تكاليف شرف الملك ، تصوتا من تحكاته . فأجابه  
السلطان بالنزول عنها ، على أن يكتب بها توقيعاً باسم الملك الأشرف .  
ورضى التكريتي بذلك ، وحين سُلّم التوقيع إليه ، حضر وقبل الأرض بين  
يدي السلطان .

---

(١) كان ذلك في عهد أجتاي «اكتاي» Ogotai بن جنكيزخان ٦٢٤/٦٣٩ هـ = ١٢٢٧  
/١٢٤١ م . فقد جهز أجتاي جيشا من ثلاثين ألف مقاتل وأسند قيادته إلى اثنين من أشهر  
قواده ما شيرماجون Churmagon وبيدشو Baidshu وسار هذا الجيش إلى إقليم خراسان  
وعبره في سرعة فائقة إلى الأقاليم الغربية من الدولة الخوارزمية ، واستطاع أن يستولى على الري  
ومهمذان وغيرها من مدن العراق العجمي . وما انبثق فجر سنة ٦٢٨ هـ ( ١٢٣١ م ) إلا وكان  
هذا الجيش المغولي قد وصل إلى حدود أذربيجان . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص  
٢٣٠ . وأنظر أيضا : Howarth : Op. cit., part 1, p. 130.

## ذكر مهمات بعثت فيها إلى العراق

منها أن رسولا من علاء الدين صاحب الموت يلقب بفلك الدين ، ورد الأبواب السلطانية بعد ملكه خلاط ومعه عشرون ألف دينار مما يجب حمله من الأتاوة المقررة عليهم ، وكان في كل سنة ثلاثون ألف دينار . وكان الواجب عليهم حق سنتين ، فحمل هذا المقدار ودفع بالباقي بحجج . فأرسلت إليها بالمال مطالباً ، وفي عدة قضايا معاتباً (١) .

ومنها أن السلطان لما حلف للديوان العزيز بأن يعد ملك الجبال عماد الدين بهلوان بن هزارصف ، وملك الأبوية (٢) شهاب الدين سليمان شاه من جملة أولياء الديوان ، وأن لا يحكم عليهم ولا يستنجد بهم ، ندم على ما فعل لإنكار شرف الدين نائب العراق على ذلك ، وتخطيئه (٣) رأى من أشار به إلى السلطان في إجابة الديوان العزيز . وكان ذلك من جملة تدابير شرف الملك ، وأوهم السلطان أن ملك العراق لا يستقيم لصاحبها إلا بطاعتها ، وأراد السلطان إعادتهما إلى ما كانا (٤) من الخدمة والطاعة ، ولم يكاتبهما إلى أن يختبر بواطنهما فيعلم رغبتهما في الدولة السلطانية أو ميلهما عنها . وحيث لم يركبتهما قبل اختبار ضمائرهما ، رأى أن يسيّر إلى أصفهان من إذا كاتبتهما عن نفسه بصدقانه ، فوَقَّعت قرعة الاختيار في ذلك على اسمي ،

(١) كانت طائفة الاسماعيلية قد انتهزت فرصة تلك الفوضى التي حلت بأقاليم الشرق الاسلامي عامة، والدولة الخوارزمية خاصة، على أثر الغزو المغولي وأخذت تعيث في البلاد فسادا. ولسكنها بدأت تنكش في قلاعها بعد عودة جلال الدين منكبرتي من الهند ، ثم أخذت تنقرب إليه بعد أن أحصل بها الهزيمة سنة ٦٢٤ هـ (١٢٢٧ م) ، وبعد أن أعمل التخريب في حصون الاسماعيلية ونهب أموالهم وقتل وسي واسترق عدداً كبيراً منهم . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ٢١٧ . وانظر أيضاً كتابنا : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ١٨٨ — ١٩١ .

(٢) في الأصل: الايوه.

(٤) في الأصل: كانوا .

(٣) في الأصل: تخطيئه .

ووجهني إلى العراق ، وتقدم إلى الماضي أولاً إلى أصفهان والاجتماع بها بنائب العراق ومكاتبه المملكين من هناك ، فإن رغبت في الخدمة ورجعاً إلى الطاعة ، استحضرتنجهما ، ونجدة<sup>(١)</sup> صاحب يزد ، فأسير بهم وبنائب العراق إلى قزوين ، ثم أدخل بنفسى آلموت وأطالب علاء الدين بالخطبة ، وما قد يبقى عليه من الآتاوة ، فإن توقف في أداء ما عليه منها ، يدخل العسكر ببلاده فيوسعها<sup>(٢)</sup> نهياً وإحراقاً ، وسفكاً وإرهاقاً . فتوجهت نحوها ، على كره مني لملك السفارة ، فلما حططت رحلي<sup>(٣)</sup> بقزوين ، التقاني حاجب من حجاب شرف الدين نائب العراق بكتاب منه إلى كافة النواب ببلاده على الجادة<sup>(٤)</sup> يأمرهم بتضييق وإكراحي ، ففعلوا ما أمر ، وبالغوا على ما اقتضاه مذهب المروءة ، وقد فاق صاحبهم فيها صدور زمانه ، وأكابر عصره وأوانه .

فلما نزلت بقريه سين<sup>(٥)</sup> ، وهي على مرحلة من أصفهان ، أتاني بعض حجابيه يشيرون<sup>(٦)</sup> عليّ بالتوقف ريثما يتجهز هو ومن بهامن الأكبر والعامه لتتحشم الاستقبال ، فلم أفعل . وركبت أسوق حائثاً في السير إلى أن أتاني من أصحابه من مسك عناني وأنزلي إلى أن وافاني شرف الدين والقاضي والرئيس والأمراء والصدور في السواد الأعظم . فدخلتها في الثامن والعشرين من رمضان سنة سبع وعشرين وستائة ، وأقمت بها إلى أن تراجعت الرسل

(١) أى فصائل من الجند .

(٢) أى يملؤها . وقد جاءت في الأصل : فيوسعها .

(٣) في الأصل : رحلي . راجع ص ٣٢٣ حاشية ٤ .

(٤) أى على طريق سفره . وفي الأصل : ببلاده الجادة .

(٥) ذكر هوداس في هذا الموضع من الترجمة الفرنسية أنها تحتل أن تقرأ « شين » Chîn ، ولعل ذلك يرجع إلى أنها وردت غير منقوطة في هذا الموضع من النسخة المطبوعة . وهذا قول مردود إذ قد سبق ذكرها « سين » في مواضع أخرى سابقة ، كما يؤيد بقوت كتابتها على هذا النحو . راجع ص ١٣٥ ، ٢١١ من طبعة هوداس العربية ، ص ٢٢٤ ، ٣٥٢ من الطبعة الفرنسية ، وانظر ص ٢٣٣ حاشية ١ من هذه الطبعة .

(٦) في الأصل : يشير .

من ما يكي الأبوية (١) والجبال ، وقد وجدوهما راغبين في الطاعة ، معاتبين على محو اسمها من دفاتر الجماعة ، ووصلت بعد أيام نجهدهما ، وحضر محمود شاه صاحب يزد بنفسه . ثم ورد كتاب من زوجته بذت براق المستولى على كرمان (٢) يذكر أن أباهما على قصد يزد اغتناما للمهزة الخلو (٣) ، ووصلا (٤) في شطن (٥) التمو والعلو ، وأبا لإلا على النفس الأمانة بالسوء (٦) وانفقت مع شرف الدين على الإذن له في العود إليها ، احترازاً من حدوث ما يعقب ملامة ، ويورث ندامة . ووصاني على يد وزيره صفى الملك ألف دينار وخيل وقماش . وسرت صحبة نائب العراق بهذه النجدة إلى قزوین ، وهي أقرب البلاد من آلموت ، وأقاموا بها ودخلت آلموت .

(١) في الأصل : الأيوه .

(٢) هو براق حاجب ، أحد النواد في دولة الخطا وقد دخل في خدمة علاء الدين محمد خوارزم شاه ، واتخذ من الفوضى التي أعقبت غزو جنكيزخان للشرق الاسلامي فرصة لتأسيس أتابكية له في كرمان سنة ٦١٩ هـ (١٢٢٢ م) . وقد ظلت هذه الأتابكية خاضعة للخوارزميين خضوعاً اسمياً في عهد جلال الدين منكبرتي الذي كان براق حاجب نائباً له . انظر ما كتبناه عن أتابكية كرمان في كتابنا : الشرق الاسلامي قبيل الغزو المغولي ، ص ١١١ . وانظر أيضا الجدول رقم ١٧ ص ١٦٩ من نفس الكتاب .

(٣) في الأصل : الخلو . (٤) في الأصل : وجلا .

(٥) الشطن : الجبل الطويل ، وجهه أشطان .

(٦) كذا وردت هذه العبارة في الأصل . والمعنى لا يستقيم بهذا الوضع ، وبصح القول إما « وإقبالاً على النفس » أو « وأبى إلا تزولاً على حكم النفس الأمانة بالسوء » .



## ذكر مسيرى إلى آلموت وكيفية الرسالة

كان السلطان مستشيطا غيظا من علام الدين صاحب آلموت ، لأسباب معظمها إخلاف الوعد في رد غياث الدين أخيه<sup>(١)</sup> ، وتجهيزه من آلموت فراد البلة<sup>(٢)</sup> بقدر الكفاية من الخيل والعدة ، فكانت الرسالة رسالة متعنت . وقد شرط السلطان على<sup>٣</sup> أن لا أدخلها إن لم يلزم علام الدين التقاى بنفسه ، وإني لا<sup>(٣)</sup> أؤبّل يده عند الاجتماع به ، بل أخالف جميع ما يقتضيه شرع الأدب من التظيم والاحترام في الجلوس وغيره .

فلما ذكرت لشرف الدين نائب العراق هذه الشروط قال : لك الخيار في جميع ما أمر السلطان به . وإن<sup>(٤)</sup> يقدرُوا أن ينكروا في شيء منها ما خلا أمر الالتقاء ، فأبهم ان<sup>(٥)</sup> يجيبوا إليه ، وذلك أن لهم أمدا معلوما ، لا<sup>(٦)</sup> تركب ملوكهم إلا بعد بلوغهم من العمر ذلك الأمد ، وصاحبهم هذا لم يبلغه بعد ، فلو شرطت عليهم هذه الشريطة وأبيت أن لا تدخل إلا بها لتعذرت الإجابة وتوقفت المصالح المتعلقة برسالتك غير أن أبعث إليهم من يذهبهم إلى<sup>(٧)</sup> ما أمر السلطان به من الالتقاء ، وأنت تتبع مبعوثي فتدخل من غير استنظار للجواب ، فإن أجابوا — وذلك بعيد — فهو المراد ، وإلا فلا تتوقف للأشغال المتعلقة بالرسالة .

ففعلت ودخلت ، والتقاى أ كابر دولته وكان الأمر كما ذكر شرف الدين على<sup>٤</sup> ، وأتاني الوزير عماد الدين المحتشم أولا ، وأراد أن أذكر له الرسالة ليثبت جوابها ملقيا لصاحبه ، فلم أفعل ، واجتمعت بعلام الدين بعد ثلاثة

(١) راجع ص ٢٤٣ حاشية ٣ .

(٢) يقول العرب : زاد الطين بلة ، أى أكثر مما يضر ويغضب . وفي الأصل : مزاج العلة .

(٣) في الأصل : لم .

(٤) في الأصل : لم .

(٥) في الأصل : لم .

(٦) في الأصل : يذهبهم على .

أيام ليلا في شاهق جبل ، وأوردت له الرسالة بما فيها من المخاشنة ، وهي عدة فصول : منها التماس الخطبة على ما كان في زمان السلطان الكبير<sup>(١)</sup> ، وكنت أعرف أنهم ينكرون خطبتهم ، وكان القاضي مجير الدين باقيا ، وهو الذي أرسله السلطان الكبير إلى جلال الدين الحسن والد علاء الدين محمد يأمره بالخطبة له فخطبت<sup>(٢)</sup> . فكنت أخذت خط المجير بذلك ، فلما عرضته عليهم كذبوه وبغضوه<sup>(٣)</sup> . وكان الوزير عماد الدين المحتشم جالسا على يمين علاء الدين ، فأجلسوني عن يساره ، والوزير يجيب عن كل فصل ، وعلاء الدين يتلقف ويعيد ما نذكره من غير زيادة ولا نقصان . وطال الكلام في أمر الخطبة فما زادوا إلا على الإنكار . وكان الأمر أظهر من أن يكتتم ، وما بالعهد من قدم ، وقد عرف المقيم والمسافر ، والمنجد والغاير ، بمائة ألف دينار بتر ، كانوا يحملونها إلى الخزانة السلطانية العلانية كل سنة أتاوة مقررة . ومنها أن بدر الدين أحمد ، بعض<sup>(٤)</sup> أصحاب علاء الدين كان قصد التاتار بما وراء النهر رسولا منه ، فقال السلطان في جملة الرسالة : إن علاء الدين يبعث المذكور لاستخبره عن كيفية الرسالة ، ثم أرى فيه رأي فكان جوابهم عن هذا الفصل أن السلطان يعلم أن لنا بلاداً متاخمة للتاتار ولا بد لنا من مداراتهم دفعا للأذى عنها ، فإن ثبت عند السلطان أن رسالته كانت في فساد

(١) علاء الدين محمد خوارزم شاه ، والد جلال الدين منكبرتي .

(٢) تولى جلال الدين حسن زعامة الاسماعيلية في فارس من سنة ٦٠٧ / ٦١٨ هـ = ١٢١٠ / ١٢٢١ م . ومما يذكر عنه أنه لما شعر بما أصاب طائفته من ضعف بحيث أصبحت لا تستطيع مقاومة دول الأتابكة عامة والدولة الخوارزمية خاصة ، عول على إرضاء المسلمين عامة بأن ترك تعاليم أسلافه وأمر بإقامة الشعائر الاسلامية في جميع القلاع التابعة له في كل من قوهستان وسوريا ، بل أرسل سفراءه إلى الخليفة العباسي الناصر وإلى علاء الدين محمد خوارزم شاه ، وإلى الحكام من الأتابكة يعلن رجوعه إلى الدين الحق . وأتبع ذلك باحراق ما خلفه له آباؤه من كتب تحمى تعاليم الدعوة السرية .

انظر . Von Hammer : Histoire de l'Ordre des Assassins , p. 219 .

(٣) فخره : رموه بالفجور .

(٤) كذا في الأصل ، ويحسن كتابتها « أحد أصحاب » أو « من أصحاب » .

يعود إلى الدولة ، فنحن المذنبون في ذلك لا هو ، فبين السلطان لنا ذلك ويخجلنا ، ثم يقابل ذلك بما يرى .

ومنها مطالبتهم بما قد بقي من الأتاوة المقررة ، وحملها<sup>(١)</sup> إلى الخزانة من غير نجس ، فقد زعموا في ذلك أن أمين الدين رفيق الخادم — وكان والياً بقلعة فيروزكوه<sup>(٢)</sup> — قد أخذ حملاً لهم قد حمل من قهستان إلى آلموت مبلغ خمسة عشر ألف دينار ، فقلت إن الذي أخذ أمين الدين كان قبل انعقاد الصلح وتأكد العهد . قالوا : في أي زمان كنا مخالفين ، ولهذه الدولة غير موالين ولا مضافين ، وقد جربنا السلطان على حالتي السراء والضراء ، وتارقي الشدة والرخاء . ألم يخدم السلطان أصحابنا بالهند وهو على أضعف أحواله بعد عبوره ماء السند ، ولما سمع السلطان ذلك ، اعترف بخدمتهم له في ذلك الوقت ؟ أولسنا<sup>(٣)</sup> قتلنا شهاب الدين الغوري على ولاء السلطان الكبير ومحبيه<sup>(٤)</sup> ؟ قلت : إن شهاب الدين الغوري قد خرب لكم بلاداً ، وسفك منكم دماً ، ومع ذلك كله لا تسقط الأتاوة بهذه الأسباب . ثم زعموا أن شرف الملك قد أسقط لهم من الأتاوة المقررة عليهم عشرة آلاف دينار مستمرة . وأحضروا الحججة مكتوبة بخطي معلة بعلامة شرف الملك . قات : إن المال مال السلطان ، وليس يسقطه إلا خط السلطان . قالوا : إن جميع أموال السلطان مطلوقة بخط شرف الملك ، وإطلاقاته في أي جهة

(١) في الأصل : حملها .

(٢) فيروزكوه : قلعة في إقليم طبرستان ومعناها الجبل الأزرق . وهناك قلعة أخرى تسمى بهذا الاسم بين مراة وغزنة . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٦ ص ٤١١ .

(٣) في الأصل : والسنا .

(٤) قتل شهاب الدين ملك الدولة الغورية سنة ٦٠٢ هـ ( ١٢٠٥ م ) . وقد ذكر ابن الأثير روايتين عن مقتله ، الأولى أنه قتل على يد الخطا بينما كان يتأهب لقتالهم . أما الرواية الثانية فهي القائلة بمقتله على أيدي الاسماعيلية الذين خافوا خروجه إلى خراسان وحصار قلاعهم فيها . ولما لتبيل إلى الأخذ بالرواية الثانية وخاصة بعد أن أيدها النورى في النسخ الذي نحن بصددده . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١٣ ص ٩٨ — ٩٩ .

شاه من غير تصديق عليه فيها ولا اعتراض. وإن حكمه نافذ حتى فيما يصرفه إلى شهوات نفسه، ولذات يديه، فهلا ينفذ فيما يتعلق بنا؟  
وتقرر الأمر على أنهم يزنون منها عشرين ألف دينار، ويمهلهم في العشرة الباقية ريثما يشاورون<sup>(١)</sup> فيها السلطان. فوزنوها ذهباً غياثية غورية<sup>(٢)</sup> أجد ما يكون من صنوف الركني، وقد جرى في هذا المجلس فصول أخرى فيها زيادة حاققة ومخاشنة، ولا حاجة إلى إعادتها.

وكان شرف الدين نائب العراق قد أخصني شخصاً من جهته يعرف بكال الدين المستوفى، وقد تولى وزارة سليمان شاه في مهمات تتعلق بالعراق فلما استؤذن عليه وأذن له أن يتكلم حصر وعي<sup>(٣)</sup>، وكان مشهوراً بطلاقة اللسان، وفصاحة البيان، فلما خرجنا قلت له: ما أصابك حتى حصرت<sup>(٤)</sup> وأنت أنت؟ قال: مخاشنتك عملاء الدين في الكلام - وهو الذي شق بطون الأكارسة، وقطع أوداج الجبابرة - تركني<sup>(٥)</sup> باهتا مدهوشاً. وأيم الله ما اعتقدت أننا نخرج من مجلسه سالمين.

وكان الأمر بخلاف ما توهم المذكور، فإن عملاء الدين قد خصني من سائر الرسل السلطانية بمزيد الاحترام والبر، فأجزل العطاء، وضاعف على المعهود في الصلوات والخلع، وقال: هذا رجل صحيح، والإحسان إلى مثله لا يضيع. وكان مبلغ ما أنعم عليّ به من الجنس والنقد قرابة ثلاثة آلاف دينار، منها خلعتان كل واحدة منهما قباء أطلس، وكمة، وفروة، وفرجية، غشاء الواحد منها أطلس والأخرى خطائي. وحياصتان<sup>(٦)</sup> وزنهما مائتا دينار، وسبعون قطعة ثياباً مختلفة، وفرسان بالسرج والساخت والسرفسار

(١) في الأصل: يشاوروا.

(٢) نسبة إلى غياث الدين ملك الدولة الغورية.

(٣) أي توقف عن الكلام من خوف أو ضيق أو خجل. وفي الأصل: حضر وعي.

(٤) في الأصل: حضرت.

(٥) في الأصل: وتركني.

(٦) الغياصة: سير يشد به حزام السرج. قاهوس المحيط للفيروزبادي، ج ٢ ص ٢٩٩.

والطوق ، والف دينار ذهباً وأربعة<sup>(١)</sup> رموس خيل<sup>(٢)</sup> ، بالجلال ، وقطار  
جمال بختيات<sup>(٣)</sup> ، وثلاثون خلعة برسم أصحابي .

وكنيت قد بنيت بقلعتي بخراسان خانقاه<sup>(٤)</sup> ، وهممت أن أشتري من  
آلموت أغناماً أسبيلها وقفاً على الخانقاه ، إذ كانت الأغنام بخراسان أفنتها  
غارات التتار . فلما علم علام الدين بذلك بعث إليّ يقول : قد باغني أنك  
تشتري الأغنام برسم الخانقاه ، ونحن نريد أن نشاركك في الثواب فنسيّر  
إليك منها ما يكفيك . فكففت عن شرائها غير واثق بإنجاز الوعد ، ظاناً  
بأنه أراد بذلك أن يمنعني عن شرائها بآلموت . فوصل بعض الجوانية<sup>(٥)</sup>  
بعد انفصاله عنه ومقامي بقزوين أياماً بأربعمائة ضانية عشرأ ، فسيرتها إلى  
القلعة ، ولم أدر ما حالها بعد الهرج والمرج ، ووقوع الاضطراب والهيج .  
وأصحبت من جهتهم بأسد الدين مودود رسولا ، وكان السلطان قال لي :  
إن أرادوا أن يبعثوا معك الأسد مودود فامنعمهم ولا تستصحبه . ولم  
أدر ما كان السبب في ذلك ، فهرقتهم ما قال السلطان عنه ، فلم ينزجروا  
لحرص الأسد على ذلك .

إذا أراد الله أمراً بامرئ<sup>(٦)</sup> وكان ذارأى وعقل وبصر  
وحيلة يعملها في كل ما يأتي به مكروه أسباب القدر  
أغراه بالجهل وأعمى عينه وسلته من عقله سبل الشعر

(١) في الأصل : أربع .

(٢) البخت : الإبل الخراسانية . انظر قاموس المحيط للفيروزابادي ، ج ١ ص ١٤٣ .

(٣) خانقاه : كـل فارسية معناها البيت ، وجمعها خواق . وهي معاهد دينية إسلامية للرجال  
والنساء ، كالأديرة في المسيحية ، غير أن تلك المعاهد لم تسكن يوماً لارهبنة ، وإنما أنشئت  
لإيواء المنقطعين للعلم والزهاد والعباد ، كما كانت أماكن يختلج فيها رجال الصوفية للعبادة والتصوف .

انظر القرظي : السلوك ، ج ١ قسم ١ ص ١٨٢ حاشية ٤ .

(٤) الجوانية : فئة من مماليك السلطان ، ويسمون أيضاً الخاصكية . انظر القرظي :

السلوك ، ج ١ قسم ٣ ص ٦٨٦ حاشية ٣ .

(٦) في الأصل : بامرء .

وذلك أنه لما رأى رسالة معرضة بشكوى شرف الملك ، وأنه يكدر علينا من يستصفيه من موارد العناية السلطانية ، ومخير علينا ما يستمحصه من خالص الثبة ، نقم عليه ذلك . واتفق رحيل السلطان من تبريز بختة لفاجيء خبر التاتار ووصولهم إلى زنجان ، فبقى المذكور بتبريز . فلما وصل السلطان إلى موقان ، ورد عليه كتاب من شرف الملك يذكر فيه أن رسول ألموت قد كتب كتابا إلى التاتار مشتملا على فصول ، منها حثهم على سرعة الوصول . فمسكت الكتاب وقتلته (١) ، وقتلت من صحبه ، فكان كما قيل :  
 محاسن ما قال ابن دارة أجمعها (٢)



(١) قتل الكتاب ، طواه . وفي الأصل : وقتلته .  
 (٢) هو سالم بن دارة أحد بني عبد الله بن غطفان ، ودارة أمه ، وكان قد هجا بعض بني فزارة فقال :  
 أبغ فزارة أتى لن أصلحها حتى ( ... ) زميل أم دينار  
 فاغتاله زميل وقال :  
 أنا زميل قاتل ابن دارة وراحم الخزاة عن فزارة  
 وفيه يقول السكيت :  
 أبت أم دينار فأصبح فرجها حصانا ودملتم قلائد قوزعا  
 خذوا العقل إن أعطاكم العقل قومكم وكونوا كمن سم الهوان فأرتما  
 ولا تكثروا فيه الضجاح فإنه محاسن ما قال ابن دارة أجمعها  
 والمقصود بقوله ، قلائد قوزع : الداهية والعار . انظر كتاب مجمع الأمثال للميداني ، ج ٢ ص ٢٠٨ .

## ذكر عز الدين بلبان الخلخالي ومقتله

قد سبق ذكر بلبان الخلخالي ، وأن السلطان حاصره بقلعة فيروز أباد فاستنزله على أمان بذله ، وقابل ذنوبه بالعفو والغفران ، ضنا منه بكل باسل ، وشجاع مقاتل . واستمر في الخدمة إلى أن نزل السلطان بطوغطاب ، فهرب ليلاً إلى الحاجب علي الأشرفي بخلاط ، فأهّسه وآواه ، وأكرم مقدمه وأعز مشواه . ثم سيره إلى أذربيجان ، فمضى إلى جبال زنجان<sup>(١)</sup> يخيف السابلة ، وينهب القافلة إلى أن وجهنى السلطان إلى العراق ، فكتب له توقيعاً مطويّاً على استمالة قلبه ، وإزالة رعبه ، يقول فيه : إنك لو اخترت المقام بالعراق ، فقد تقدمنا إلى نائبنا بها أن يعين لك ولأصحابك إقطاعاً يرضيك ويقنعك . وقال : إذا قربت جبال زنجان ، فابعث إليه أحد أصحابك بهذا التوقيع .

وكانت الموا عظ قبل تصدر إليه فلا تعمل في صدره ، والأمثال تقلب في عينه ، فلا تؤثر في قلبه ، حتى إذا بلغ للكتاب أجله ، انخدع بكتاب حجمه صغير ، وظاهره عند العقل تغرير . وكان المذكور قد ضجر بما كان فيه من مفارقة القرار ، ومقارفة الأوزار<sup>(٢)</sup> ، ومكابدة الأخطار ، ووصل سهر الليل بذات النهار ، فمال إلى الاستجمام<sup>(٣)</sup> بعد اظهار الفساد ، والجهار بالعناد .

هيئات لاتخذهم إيماضة<sup>(٤)</sup> والغیظ تحت تبسم الآساد  
فرکن إلى قول من راسلته إليه ، فقصد أصفهان ، وكان السلطان قد  
كتب إلى شرف الدين يأمره بحمل رأسه إليه إن قصد أصفهان ، ففعل .

(١) زنجان : إحدى المدن الواقعة في أقصى بلاد الجبل من ناحية الشمال ، وعلى الحدود الجنوبية لأذربيجان ، وتنسب إليها جبال زنجان ، وهي تسمى أيضاً زنكان . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ص ٤٠٧ . وانظر أيضاً القلشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٣٦٩ . وراجع خريطة بلاد فارس .

(٢) قارف الوزر : ارتكبه متعمداً .

(٣) في الأصل : الاستجمام .

(٤) إيماضة : بریق . يريد التبسم وظهور الثنايا .

## ذكر جهان بهلوان أزبك باين

### ووصوله من الهند إلى العراق

قد سبق ذكر جهان بهلوان أزبك باين مقدم عسكر السلطان بالهند ، وأن السلطان لما عزم على الطلوع من ديار الهند خلفه بها نائباً عنه فيما كان يملكه من هذه (١) ، فأقام بها هذه السنين وأحسن سياستها ، وانتشرت هيئته فيما يليها إلى أن قصده عسكر شمس الدين إيلتمش صاحب لاهور (٢) ودلّهي (٣) إلى ما يلي درب قشمير ، فطردوه عنها ، وتوقفته الخدمة السلطانية إلى قصد بابه ، فتوجه نحوه ، وتحاف أصحاب السلطان مثل الحسن قزلق الملقب بوفاء ملك وغيره ، وانضموا إلى إيلتمش .

ووصل جهان بهلوان إلى العراق ، وكنا بقزوين عند اشتغالي بأمر آل موت ، فمكثتني وكاتب شرف الدين نائب العراق معلماً بوصوله ومعه زهاء (٤) سبعمائة فارس لقاطات المنون ، ونفائات الحرب الزبون ، فشاورني شرف الدين في خمسة آلاف درهم يحملها إليه من مال العراق معونة له على نفقاته وعوارض حاجاته ، فاستحقرتها له وعرفته منزلته عند السلطان وحسن نيته في حقه ، وأنه إذا اتصل به لم يقدم عليه أحداً ، فحمل إليه عشرين ألف (٥) دينار .

وقد وصل توقيع سلطاني بعد أيام أن يحمل إليه من مال العراق

- (١) في الأصل: منها هذه .  
 (٢) في الأصل: نهاور .  
 (٣) في الأصل: دلي .  
 (٤) في الأصل: زها .  
 (٥) في الأصل: عشرون ألف .



عشرون ألف دينار ، وأن يشقى بالعراق ليزول ما به من وعشاء<sup>(١)</sup> السفر ،  
وما بدواب عسكريه من الضعف ، ثم يقصد الخدمة أو ان الربيع . وكان  
وصوله إلى العراق صادف عود السلطان من الروم على الوجه الذي سبق  
ذكره . فقد ورد ضمان إلى الارتياح<sup>(٢)</sup> بمشاهدته ، فلم يسدد القدر نحو  
المراد سهامه ، وحال التاتار بينه وبين ما رامه ، وقيل بعد انتشار التاتار  
بسكنا باذ في سنة ثمان وعشرين وستمائة .

---

(١) في الأصل : وعشا .

(٢) في الأصل : الارتياح .

ذكر مفارقتي شرف الدين نائب العراق بقزوين

وتوجهي إلى أذربيجان

حين لم أملك عنان الاختيار

ولما عدت إلى قزوين ومعى المال الذى قد تسلمته من ألموت والأسد  
مودود رسول صاحبها ، بصدر من التقاديم طائل ، ورد الخبر بوصول  
التاتار إلى اسفراين ، وهى كورة من كور خراسان ، وكان الملاعين لما  
بلغهم عود السلطان من الروم بجمع مفرق ، وشمل مبدد بمزق ، اغتتموا  
ضعفه وطلبوه<sup>(١)</sup> .

وودعنى شرف الدين لما سمع بخبرهم ، ورحل صوب الرى ليرتب  
أحوالها ، ويدبر فى أمرها ما يقتضيه<sup>(٢)</sup> الوقت . ووعدنى بأن يوجه إلى  
من هناك من يخفرتنى فى العراق ، إذ الطرق كانت قد تشوشت ، فصارت  
للصوص مصايد ، وللقطاع مراصد ، فعجله التاتار عن ذلك ، وهجموا عليه  
بالرى ليلا . فركب أكتاف الليل إليهم مجفلا لإجفال الظلم ، وسار إلى

(١) أورد ابن الأثير حوادث هذه الحرب ضمن ما تكلم عنه من حوادث سنة ٦٢٨ هـ  
(١٢٣١ م) . كما ذكر أن مقدم الاسماعيليه هو الذى أوعز إلى المغول بمهاجمة الدولة الخوارزمية .  
ويجدر بنا أن نشير هنا إلى أن هذه الحرب لم تكن الأولى التى وقعت بين المغول وبين  
الخوارزميين بعد غزو جنكيزخان ، فقد سبق للمغول أن خرجوا إلى البلاد الاسلامية فى حروب  
أشبه ما تكون بحروب العصابات ، فشنوا غارتين على البلاد الاسلامية فى سنتي ٦٢٤ ، ٦٢٥ هـ  
(١٢٢٧ ، ١٢٢٨ م) ، وحلت بهم الهزيمة فى المرة الأولى ، وكان النصر حليفهم فى الثانية .  
ومم ذلك فقد عادوا إلى حيث جاءوا ، مما يدل على أن غزؤهم هذا لم يكن نتيجة تدبير  
أو تنظيم . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ٢١٧ ، ٢٢٠ ، ٢٢٩ - ٢٣١ . وانظر  
أيضا D'ohsson : Op. cit., t. iii, p. 27 نقلا عما كتبه الجوينى فى كتابه  
جهان گشا .

(٢) فى الأصل : تقتضيه .

أصفهان وورد الخبر على ذلك وأنا بقزوين ، فاستظلمت ضوء النهار ، واستخسنت جانب القرار ، وقت من الحياة على شفا جرف هار . وكان الخبر قد شاع في العراق بما كان معي من حمل آلموت ، ومعى لخاصتى مثله أو دونه بقليل ، فخاطرت بنفسى فى قطع مكان مفسدى حلب وجولدى وغيرهما من العراق إلى أذربيجان .

ملاعب جنّة<sup>(١)</sup> لو سار فيها سليمان لسار بترجمان  
وانضم إلى نصره الدين أخو نظام الملك ناصر الدين محمد بن صالح ، وكان حينئذ وزيراً بماندران ومعه حملها ، وصفى الدين محمد الطغرائى وكان قد سير من الباب السلطانى لكشف ماندران ، فانفقنا على المسير ، ولم نعرف حمّاماً ، ولا برد المياه إلا لماماً ، إلى أن وصلنا إلى تبريز والسلطان بها ، والشمس التكريقى رسول الملك الأشرف حاضر ، فأمرنى السلطان بأن أحضر رسول آلموت بالمال عند حضور التكريقى ففعلت ، وقدمت الحمل على رموس الأشهاد وهو حاضر يسمع ويرى ماجرى .

(١) فى الأصل : خنة ، والبيت للمتنبى .

## ذكر وصول مقدمة التاتار إلى تخوم أذربيجان

ورحيل السلطان من تبريز إلى موقان<sup>(١)</sup>

كان السلطان قد جرد يرغو أحد بهلوانيته ليكشف بالعراق خبر التاتار . فلما وصل مرج شروان<sup>(٢)</sup> ، وهو بين زنجان<sup>(٣)</sup> وأبهر<sup>(٤)</sup> ، صادم يرك التاتار ، ومعه من أصحابه أربعة عشر نفسا ، فلم ينبج غيره ، فرجع المذكور إلى تبريز بالخبر المزعج ، وكان السلطان معتقداً أن التاتاريشتي بالعراق ولن يتعدى<sup>(٥)</sup> إلى أذربيجان إلا في الربيع ، يعني نفسه بأمل كاذب ، وظن خائب ، ففاجأه هذا الخبر بعد عوده من الروم ، وقبل رمّ الشعث ، ورأب الصدع ، وأسو مافشا في عسكريه من كلوم السكسرة ، فرحل من تبريز إلى موقان ، إذ كانت عسكريه بها متفرقة في مشاتها .

فودع التكريتي وأصحابه بمختص الدين بن شرف الدين علي نائب العراق رسولا من جهته ، وعجلته الحادثة من أن ينظر في أمر حرمه وأعزته ، فيسيرها إلى بعض قلاع الحصينة ، خلفها بتبريز مقدرا أن يومه

(١) أورد ابن الأثير حوادث وصول المغول إلى أذربيجان وهو في معرض الحديث عن حوادث سنة ٦٢٨ هـ (١٢٣١ م) .

انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ٢٣٠ - ٢٣١ .

(٢) المرج : الأراضي الواسعة فيها نبت كثير توج فيها الدواب أي تذهب وتجي . وأصل المرج القلق ، ويقال مرج الخاتم في يدى مرجا إذا قلق . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٨ ص ١٥ .

(٣) راجع ص ١٤٩ حاشية ٢ .

(٤) أبهر : إحدى مدن بلاد الجبل ، وتقع بين قزوین و زنجان وهمدان . وتسمى أيضا أوهر وقيل إن هذه الكلمة تتكون من مقطعين « آب » وهو الماء و « هر » وهو الرجا ، وعلى ذلك فعنها ماء الرجا . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ص ٩٦ ، القلقشندی : صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٣٦٩ .

(٥) في الأصل : لم يتعد .

ذلك آخر عهده بأعزته ، وخلف شرف الملك بتمبريز ، وسار فيمن معه من خواصه ، متوجهاً إلى مرقان حائماً في السير ليجمع بها متفرق عساكره ، ومشتت أجناده . ولم يستصحب يومه ذلك من أبناء جنسي غيري .  
 وكان مجير الدين يعقوب بن الملك العادل يلزمه في الطريق ويكلمه ، فرأيته إذا غاب مجير الدين عنه تنحدر الدموع من عينيه على خديه لما يتوهمه من زوال ملكه ، ويتوقعه (١) من هاسكه ، ولما فرقه الأهل والأعزة على بأس من الاجتماع ، وتركه إبانهم بالعراب (٢) معرضة للأعداء فلما وصلنا إلى قرية أرمينان ، نزل وعلقوا على الخيل ، فاستدعاني إلى بين يديه فحضرته ، فناولني كتاباً ورد عليه من وإلى قلعة بلك (٣) ، وهي من حدود زنجان ، يذكر فيه أن التاتار الذي صادم يرغو بين أهر و زنجان قد أقام بمرج زنجان ، وقد بعثت إليهم من عدهم فكانوا سبعاة فارس ، فسر بذلك وخف مابه من ثقل اللهم ، وقال :

قد ظهر أن هذه الطائفة ما جهزت إلى زنجان إلا لتمسكها وتقيم (٤) بها . فقلت : قد يمكن أن يكون هذه الشرذمة يزكا للتاتار ومعظم العسكر وراهم فلم يعجبه ذلك ، وقال : لا يجرد التاتار إلينا يزكا في سبعاة فارس ، بل في سبعاة آلاف فارس ، وما كان يختار حينئذ أن يحاقق ، بل يقال ما يخفف عن قلبه اللهم .

ورحل من هناك صوب موقان فوصلها ، ووجد عساكره متفرقة ، منهم من أقام بها ، ومنهم من اختار لمشتاه شروان ، ومنهم من امتد إلى المتكور . فوجه إليهم البهلوانية بقداح كانت علامات الاستنفار والاستحضار ، وقد هجم التاتار قبل اجتماعهم فانتفض نظم ذلك التقدير وانحل فتل ذلك التدبير ، وإذا أراد الله بقوم سوءاً (٥) فلا مرد له وما لهم من دونه من وال .

(١) في الأصل : ويتوهمه .  
 (٢) في الأصل : بالعراب .  
 (٣) راجع ص ٢٧٧ حاشية ٥ .  
 (٤) في الأصل : واقامتهم .  
 (٥) في الأصل : سوء .

وكان قد ركب يوما للصيد بموقان ففقال لي : اسبقني إلى ذلك التل ،  
وأشار إلى تل كان قدامه ، واكتب توقيعا إلى نائب شرف الملك بأردويل ،  
وتزقيعا إلى حسام الدين تسكين تاش بقلعة فيروزآباد ، بأنا قد وجهنا  
للأمير يغان سنقر شحنة خراسان ، وللأمير أرسمان بهلوان شحنة  
مازندران ، يزكا يكشغان خبر التاتار ، وقد أمرناهما أن يرتبا خيلا  
بأردويل ، وخيلا بفيرزآباد ، فيقوما بكل ما يحتاج إليه الخيل المرتبة في  
هذه المدة ويرجحا عليهما . فسمعت إلى التل ، وكتبت التوقيع قبل وصوله إلى  
وناولته ، فعلم عليه ، وانفصل<sup>(١)</sup> المذكوران على أن يرحلا الوقت . وبلغني  
أنهما أقاما في بيوتهما إلى أن كبس التاتار السلطان بموقان على غرة منه ،  
واتكالا على يزكه ، واعتمدا على أن الأخبار تأتيه من صوبهما<sup>(٢)</sup> .

#### (١) في الأصل : وانفصلا .

(٢) صور ابن الأثير ما كان عليه جلال الدين من ضعف في الفترة التي عاود المغول فيها غزو  
أراضي الدولة الخوارزمية ، وعلل ذلك بسوء سياسته التي سار عليها منذ عاد من بلاد الهند .  
إذ بدلا من أن يعمل على اكتساب رضا جيرانه في الخارج ويكون حلفا إسلاميا يقف في وجه  
المغول ، وبدلا من أن يعمل على كسب محبة رعيته حتى يضمن ولاء الأهالي إذا ما ظهر الخطر  
المغولي ، بدلا من ذلك نرى سوء سياسته تؤلب عليه جيرانه ، إذ اعتدى على أملاك الخليفة  
وأملك الأمراء المسلمين في بلاد ما بين النهرين ، كما أنه غزا أذربيجان وجورجيا ، وناصب طائفة  
الاسماعيلية العداء ، تلك الطائفة التي ألبت عليه أعداءه وشجعت المغول على إعادة غزو الدولة  
الخوارزمية ، وحيث لم يجد جلال الدين من بين الحكام المسلمين من يؤازره ضد المغول .  
انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ٢٣٠ . وإذا كان جلال الدين قد ظهر في ثوب الحاكم  
المستبد في دولته ، فإن هذه السياسة قد أدت إلى أن ينفض كبار رجال دولته من حوله ، بل إلى  
إحاطته بشبكة من الدسائس والمؤامرات . انظر . Howarth : Op. cit., t. i, p. 130 .

## ذكر كبسة السلطان محمد شيركوت ، كبسه التاتار

لما انفصل اليزك ، وحث السلطان البهلوانية في جمع العساكر ، اشتغل (١) بالصيد ، وهو إذ ذاك في قل من العدد زهاء ألف فارس من خواصه ، فنزل ليلة بقرب شيركوت ، وهي قلعة بنيت على تل بموقان يحيط بها خندق بعيد القعر ، متسع العرض ، ينبع الماء منه فيفيض فيسقي البلد ، لا يعبر (٢) إليها إلا بجسر (٣) يرفع عند الاستغناء عنه ، وكانت قد خربت في مبدأ خروج التاتار فعمرها شرف الملك حين أفرد السواقي لنفسه من نهر أرس ، على ما ذكرناه .

وكان دكجك نوين الساسلح دار قد سيره السلطان من خلاط عند حصارها إلى خوارزم يزكا يكشف أخبار التاتار ، فكبس المذكور طائفة منهم ببعض تخومها ، فقتل أكثرهم وأحضر البعض معه إلى خلاط . وكان فيمن أحضر شخص تاتاري أبقى عليه السلطان وحده فلم يقتله . فلما نزل حذاء قلعة شيركوت ، أمر بالقبض عليه احترازاً من أن يقفز إليهم في ذلك الوقت فيعلمهم بحال السلطان وتفرق عسكره . وكان أهله وولده عندهم بخوارزم ، وسلمه إلى وقال لي : اصعد به إلى قلعة شيركوت فقيده بها وسلمه إلى من هو الوالي عن شرف الملك بها . ففعلت ، وهجم الليل ، فبت بالقلعة وليس معي من أصحابي إلا ثلاثة وشاقية (٤) ، وسائر أصحابي وما كنت أستصحبه في تلك السفرة من دوابي وأسيابي بالخيتم . فلما أصبحت ، قصدت الخدمة فوجدت الخيام عنهم خالية ، والأمتعة مطروحة ، والفهود مربوطة ، والبراة على القفا فيز مشدودة .

كأن (٥) لم يكن بين الحجون إلى الصفاء (٦)

أنيس ولم يسمر بمكة سـامر

(٢) في الأصل : لا تعبر .

(٤) في الأصل : ثلاث .

(٦) في الأصل : الصفاء .

(١) في الأصل : اشتغل .

(٣) في الأصل : الجسر .

(٥) في الأصل : كأن .

فعلبت أن المخدور قد وقع ، وأن السلطان قد كبس ليلاً ، ولست أعلم  
بسلامته ، ولم أشك أن قلعة شيركبوت لا تثبت على حصار التاتار (١) .  
فطفقت أتبع السلطان والتاتار وراه (٢) ، وقد ضاقت على الأرض بما رحبت ،  
وانتفضت عن جميع ما كسبت يدي ، فأسير متحققاً أن طائفة منهم التي  
كبست السلطان قد آوى ومعظم عسكرهم ورأى . فوصلت إلى «سلطان خوى» ،  
وهو النهر الذي أفرده شرف الملك للسلطان من نهر أرس ، فوجدت  
هناك من أغنام التركان على جسره ما لا يحصى كثيرة ، فلم أجد للعبور مسلماً ،  
فخاطرت بنفسى ، ورميت الفرس فى النهر ، وأزاد الله بسلامتى فعصرت  
وجئت إلى ظاهر بيلقان ، فأخبرت أن شرف الملك بها ومعها حرم السلطان  
وخزائنه ، فلم أر الاجتماع به احترازاً من نشبة تورث ندماً ، وتعقب ألماناً .  
وكانت لى ببيلقان جملة من الخيل والقماش فحسبتها كأن لم تكن (٣) .  
وواصلت السير بالسرى حتى وصلت إلى كنبجة ، ووصل التاتار إليها ثانياً  
يوم وصولى ، وقد خالف الرأى غيرى من أصحاب الديوان من (٤) صاحب  
شرف الملك فى ذلك الوقت ، فإنه لما جاهر بالعصيان عند احتداد جمرة  
التاتار واشتداد أمرهم ، سلسكهم فى الأصفاد وطالبهم الأموال ، فعصروا  
وعذبوا ، لولا أن الله من عليهم بظهور السلطان ونزول شرف الملك من  
قلعة حيزان (٥) ، لكانوا معدودين فى زمر الهلكى ، وجملة القتلى .

(١) كانت هذه الحرب التى شنها المغول على أقاليم الدولة الإسلامية فى عهد أجتاي Ogotai  
ابن جنكيزخان . كما كان يتولى قيادتها اثنان من أمهر القواد المغول وهما شيرماجون  
Churmagon وبيدشو Baidshu . انظر Howorth : Op. cit., part i, p. 130 .

(٢) كان المغول لا يهتمون فى هذه الفترة بشىء سوى مطاردة جلال الدين منكبرتى بغية  
القبض عليه ، حتى إذا ما تم لهم القضاء على رأس الدولة الخوارزمية ، اطمانوا إلى إخضاعها فى سهولة  
ويسر . لذلك نرى أن حركات المغول وتنقلاتهم فى أراضى الدولة الخوارزمية فى هذه الفترة كانت  
مقيدة عما بمحركات جلال الدين وتنقلاته فيها .

(٣) فى الأصل : كأن لم يكن .

(٤) فى الأصل : من .

(٥) حيزان : إحدى مدن أرمينية ، وهى قريبة من شروان . ياقوت : معجم البلدان ،  
ج ٣ ص ٣٨١ . وتقع هذه المدينة وسط أرض جبلية وتمتاز بكثرة أشجارها ، وبخاصة شجر  
البنديق . انظر القلة شندى : صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٣١٩ — ٣٢٠ .



ذكر تسيير السلطان مجير الدين يعقوب إلى أخيه

الملك الأشرف موسى

قد ذكرنا أن السلطان قد استصحب مجير الدين عند مسيره من تبريز إلى موقان ، وقد استأنس به . وكان يركب معه أيام مقامه بموقان للصيد فيشتغلان به من أول النهار الناهر ، إلى أن ألفت ذكاه<sup>(١)</sup> يمينها في كافر ، ويحضره السلطان مجلس الشراب في الليل إلى أن كبسه التاتار ونجيا ، بأرعى إليه أن الذي دهمه من حادث التاتار ليس مما يختص به ، وبما يحويه من الملك بل لو مد لهم من طول المهلة لكانت بقية الإسلام في معرض الهلك ، فليمض إلى الملك الأشرف وليعلمه بأن الشر قد طارت شراره ، والبلاء قد تضمرت ناره ، وليس يردم إلا اجتماع الأمة واتفاق الكلمة ، وهيئات هل من راق ، وقد بلغت التراق<sup>(٢)</sup> ، وظن أنه الفراق ، والتفتت الساق بالساق .

ومن العجائب انتصاره بقلب جرحه بصوارمه ، واستظهاره بجناح بت بيده مصفوف قوادمه . فانفصل مجير الدين عن الخدمة ، وأصحابه من يوصله إلى شرف الملك . وتقدم إلى شرف الملك أن يصحبه رسولا يمل عليه ما يقتضيه حكم الحال ، فأصحابه وزيره معين الدين القمي<sup>(٣)</sup> برسالة تنافي أربه ، وتخالف ما طلبه ، إذ كان قد عزم على كفران النعمة ونوى خرق جلاباب الحشمة ، انجذاباً مع الشيطان في أشطان وسواسه ، وانفعالا لسوداء طبعها في رأسه . فرمى على نار الضغينة خطباً ، حتى زادها ضراماً ولهباً ، نقضاً للصالح ، وإعراضاً عن النصح . لاجرم صلبى بما تولى زنده ، فلم يفلح بعده .

(١) في الأصل : ذكا .

(٢) التراقى : جمع ترقوة .

(٣) نسبة إلى مدينة قم .

## ذكر حال السلطان بعد أن كبسه التاتار بموقان

كان السلطان لما كبسه التاتار بموقان ، على ما ذكرناه ، ساق إلى نهر أرس ، وأوهم التاتار أنه قطع النهر صوب كنجة ، وعطف عطفة إلى أذربيجان ، فأقام بماهان<sup>(١)</sup> ، وهي فضاء كثيرة الوحش من أنواع الصيد ، فشتا بها . وكان عز الدين صاحب قلعة شاهق بجاهر أ بالترد في سنين مضت بمضى شرف الملك إلى قلعته ، وكبسه ليلا من بالدر بند من أصحابه ، وإغارته على بلده . غير أنه خدم السلطان وقت مقامه بماهان أخلص خدمة ، فكان يبعث له ما يحتاج إليه من المأكل وغيره في المراكب ، ويكشف له أخبار التاتار ، فرضى عليه كل الرضا حتى كان يقول : لو استقام لنا الأمر واستراح الخاطر من جهة التاتار لجازيته عن خدمته ونصحه خير الجزاء ، وجعلته محسود الأقران والأكفاء .

فلما انقضى الشتاء ، أخبره عز الدين بأن التاتار قد ركبوا من أوجان<sup>(٢)</sup> لقصده ، وأنهم تحققوا الآن أن السلطان بماهان ، وأشار عليه بالعود إلى أَرَّان ، إذ كانت العساكر متحصنة بجبالها وأجامها ، وبها من التركان من إذا حشروا فسكان<sup>(٣)</sup> الثمل محشور<sup>(٤)</sup> والجراد منشور . فرحل صوب أَرَّان ، فلما قارب حيزان ، وكان شرف الملك قد عمرها وصرف إلى عمارة قلعتها في هذه المدة اليسيرة مالا يضمن بمثله<sup>(٥)</sup> همم الملوك ، وقد كانت في القديم من أحسن قلاع الأرض نخرتها الدهور ، ومضى على خرابها السنين والشهور . فحين فرَّق شرف الملك بيوت السلطان وخزائمه في قلاع حسام الدين قلعج

(١) ذكر ياقوت ، ج ٧ ص ٣٧٤ ، أن هناك مدينة بهذا الاسم في إقليم كرمان .

(٢) أوجان : إحدى مدن أذربيجان . (٣) في الأصل : مكان .

(٤) في الأصل : محسور . (٥) في الأصل : بمنلها .

أرسلان ، وهو أكبر أمراء التركان بأران ، اختار لحرمة منها قلعة سند  
سوارخ ، وهي مغارة على شقيف عال وفيها عين ماء تدير الرحي (١) تحتها ،  
والرحي (٢) محفوظة لإشراف القلعة عليها ، وهي على ما قيل المغارة التي ظفر  
بها كينخسرو ملك الفرس بجده لأمه أفراسياب ملك الترك ، وفرغ خاطره  
من جهة أولئك .

وتسحب [ شرف الملك ] صوب حيزان وهي متروكة فعمرها ، وجاهر  
بالعصيان لأسباب : أحدها جذب السلطان عنانه في السنتين الأخيرتين (٣)  
في الإطلاقات المتجاوزات حد الإنصاف ، المتناهية التبذير والإسراف ،  
والفطام عن المألوف شديد . والثاني أنه اعتقد عند هجوم التاتار وكبسهم  
السلطان بموقان أن تلك الجفلة تنتهى (٤) به إلى الهند ، وأن الواقعة تحول  
بينه وبين الجند ، فرأى مكاتبة الملوك وإصلاح حاله معهم على أن يملك  
أران وأذربيجان لنفسه ، ثم يقيم الخطبة بها لهم . فلما باض الشيطان في رأسه  
وفرخ (٥) ، وشوى السوداء في رأسه وطبخ ، كاتب علاء الدين كيةباز  
والملك الأشرف باذلا لها حسن الطاعة ، وناعتا سلطانه بالظالم المخدول في  
كتبه . فوقعث منها ، وبما كاتب بها النواب بالأطراف ، كتب بيد السلطان .  
وانضاف إلى ذلك قبضه على كل من عبر بحدود قلعته من أصحاب السلطان  
في تلك الجفلات ووضع عليهم المعاصير ، حتى فرغت أكياسهم ، وظهر  
إفلاسهم . وكان قد كاتب حسام الدين قليج أرسلان يأمره بالاحتراز على  
ماعدنه من حرم السلطان وخزائنه ، وأنه إن حضر السلطان بنفسه لم يسلمها  
إليه ، ونعت السلطان أيضا في كتابه بالظالم المخدول .

فاجتمعت هذه الالطيفة عند السلطان ، وكانت كتب السلطان

(١) في الأصل : الرحا .

(٢) في الأصل : الأخرتين .

(٣) في الأصل : رأسه فرخ .

(٤) في الأصل : ينتهى .

تصل في تلك المدة إلى الوزراء والأمراء والولاة بالأطراف يحذرهم الإغترار به والامتثال لأمره ، ويسميه في كتيبه تلك «بلدوجن» ، وكان شرف الملك قد لقب به زمن خموله تلقب تسخيف ، وتأكدت الوحشة . فلما قارب السلطان قلعة<sup>(١)</sup> ، راسله في النزول وقال : ما سبب بطئك<sup>(٢)</sup> في الوصول ، وتأنيك في المثول ، متغافلا عما سبق له من الهنات ، يريه أن الذي ظهر له من الإسماء<sup>(٣)</sup> ، وانكشف له من السيئات<sup>(٤)</sup> ، مجهول ، وأن السلطان يغيرها من الخطوب مشغول . فنزل للوقت والكفن على رقيبته ، جهلا وغباوة . والعجب كل العجب سرعة استحالتة إلى العصيان تغايبا عن العواقب ، ثم سرعة رجوعه إلى الطاعة تحسكا بمحذور النواب ، ولو ثبت تلك الليلة كان السلطان يرحل بكرقة غد ، لعلمه أن التاتار طالبون<sup>(٥)</sup> له . فلما نزل، سقاه الخمر مخالفا للعادة، فإن وزراءهم<sup>(٦)</sup> وإن كانوا يشربون لم يحضروا مجلس السلطان . ففرح المذكور بذلك ، وظن أنه أزيد بذلك قدراً ، وتضاعف بالقرب له شرفاً وثغراً ، ومن كان عنده حظ من التجربة علم أنه لا يستوزره فيما بعد . ورحل السلطان بعد نزوله صوب أران ، وإذا سنج مسيهم لم يحضره المشورة ولم يستأمنه في أمر .

(٢) في الأصل : بطوك .  
(٤) في الأصل : السيئات .  
(٦) في الأصل : وزراءهم .

(١) أي قلعة حيزان .  
(٣) في الأصل : الاسماء .  
(٥) في الأصل : طالبة .

## ذكر سيرة شمس الدين الطغرأى بتبريز في هذه المدة

قد سبق ذكر شمس الدين الطغرأى وتحكمه في رقاب أهل تبريز فضلا عن أموالهم، ولام منهم ابنت المذكور محضا وهوى، جعلت مشايعهم له فرضا. فحين زالت الهيبة والناموس، وأظهرت بواطنها النفوس، اجتمعت العامة ببابه طائعين، ولأوامره ونواهيها سامعين. ثم همست عامة تبريز بقتل من بها من أتباع الخوارزمية تقربا إلى التاتار، وتشفياً من الأحقاد والأوتار. وواطأهم على ما هموا به بهاء الدين محمد بن بشير ياربك الذي كان السلطان استوزره بها بعد نكبة الطغرأى، وعدة وزراء آخرين. فكان المذكور من جملة عوامها، فلم يمكنهم الطغرأى ومنهم عما اجتمعوا عليه من الفساد أشد منع، ودفع الأوباش عن الدماء والأموال أحسن دفع، حتى إن العامة ثارت في بعض الأيام فقتلت شخصا من الخوارزمية سبقت له إساءات (١) معهم، فخرج بنفسه وأمر بقطع رأسين من رموس الأوباش، ورعى بها في الشارع، ونادى عليهما بأن هذا جزاء (٢) من يهتك ستر الخشمة، ويخرج على السلطان راعي الأمة وولى النعمة. فحقن من الدماء ما كانت في سائر البلاد هدرأ، ومن الأموال ما قصدت أكياسا وبدرا. واحتفل في تحصين تبريز وحراستها كل الاحتفال وشحنها بحفظة الرجال. وكانت كتبه لا تنقطع (٣) عن السلطان، على اختلاف حالاته، في عطفاته وأوبانه، علاوة على أسباب الحمد تكميلا، ونشوز لمن أزال نعمته بالافتراء عليه وتخجيلا. وكان هذا دأبه إلى أن أتاه الداعي، وقام به النساعي، ففضى نخبه مشكورا، ولقي ربه مغفورا، فسلمها نائب الدولة وعوامها إلى التاتار كسائر البلاد (٤).

(١) في الأصل: إساءات. (٢) في الأصل: جزائي. (٣) في الأصل: لم تنقطع.  
(٤) استولى المغول على تبريز سنة ٦٢٨ هـ (١٢٣١ م)، وهي السنة التي توفي فيها جلال الدين منكبرتي. وقد افتدى سكان هذه المدينة أنفسهم بكثير من الأموال والمدايا الثمينة. وقد ساعد المغول على الأجهار على مدينة تبريز وغيرها من مدن أذربيجان، هزيمة جلال الدين منكبرتي في هذه السنة، وتفرق جيوشه، واختفاء أخباره في ذلك الوقت، كما ساعدتهم أيضا قيام الثورات ضد الخوارزميين في كل من أذربيجان وأران والتي أشعل لهيبها حكام هذه البلاد تقربا إلى المغول. انظر ابن الأثير: الكامل، ج ١٢ ص ٢٣٤، D'ohsson: Op. cit., t. iii, p. 52.

## ذكر عودى إلى خدمة السلطان وخروجه

## من كنجة

قد سبق ذكر انقطاعى عن خدمة السلطان بموقان ضرورة ، ووقوعى إلى كنجة ، فأقت بها ثلاثة أشهر نائى<sup>(١)</sup> الجفن عن الغرار ، نائى<sup>(٢)</sup> الجنب عن القرار ، شوقا إلى خدمة السلطان ، ولم يمكنى<sup>(٣)</sup> الوصول إليه إذ كانت أران تموج بالتاتار . فلما انقضى الشتاء ، وأقبل الربيع فى حليلته الخضراء ، وحليلته الزهراء ، ورد توقيع سلطانى باستحضارى إلى الخدمة . وقد ذكر أن العبور على أران كان يتعذر لمكان التاتار بها ، فتسير نحو إيوانى الكرجى فإننا كانبناه بإيصالك إلى خدمتنا .

ففكرت فى الأمر ، فلم أر المسير إلى الكرج ، ولم آمن غدومهم . وكان أهل كنجة إذ ذاك قد ظهرت منهم إمارات الشر ، وعلمت أن المدة إن طالت يتعدى الأمر بها إلى هلاك خلق كثير من متعلقى الدولة ، فلم أزل مدة مقامى بالقلعة فى بعض دور السلطنة خوفا من غوغا العوام وحدوث فتنة لانتصين الذين ظلموا منكم خاصة<sup>(٤)</sup> . فلما خرجت منها ، حدث ما كنت أحذره وأخشاه ، وأخافه وأتوقاه ، فقتل من بها من الغرباء ، وحملت رموسهم إلى التاتار ، وأظهروا العصيان ، وكذا العوام متى لم تر جانبا منيما انهمكت فى شهواتها وتداركت على شرعاداتها ، وقد قال الله تعالى : لا تتشأم أشد رهبة فى صدورهم من الله ، ذلك بأنهم قوم لا يفقهون<sup>(٥)</sup> . وإلى هذا المعنى يلتفت قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه : يزع<sup>(٦)</sup> الله بالسلطان أكثر مما يزع<sup>(٧)</sup> بالقرآن .

(١) فى الأصل : نائى . (٢) فى الأصل : ولم يمكنى .

(٤) اقتباسا عن قوله تعالى : واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ، واعلموا أن الله شديد العقاب . سورة الأنفال ، آية ٢٥ .

(٥) سورة الحشر ، آية ١٣ . (٦) فى الأصل : تزع .

(٧) فى الأصل : تزع .

فنهضت متوكلا على الله ، أسير ليلا ، وأستخفى نهاراً ، إلى أن وصلت إلى قلعة زبطرة<sup>(١)</sup> ، وكان بها منكطوى شاه بن السلطان ، وداية خاتون ، وسراج الدين محفوظ الخادم ، وتاج الملك مشرف المالك<sup>(٢)</sup> ، فصعدت إلى القلعة لأخذ أخبارهم للسلطان ، فناولوني السكتب الواردة على صاحب القلعة حسام الدين قلعج أرسلان من شرف الملك عند استعصائه ، وسألوني أن أستصحبها فأعرضها على السلطان ، فاستعفيت ذلك ، وقلت : إن أيام شرف الملك قد انقضت ، وأن الذي ارتكبه من العصيان ، وكتبه من الهديان<sup>(٣)</sup> سيورثه وبالا وخطبياً لا يطبق به استقلالاً ، ولست أختار أن أكون علة هلاكة أو جزمها . فسَيَّروه إلى السلطان بماهان ، فصادفته بتخوم<sup>(٤)</sup> قلعة زاريس ، وأعلمته أن أران مائجة بالتاتار ، هائجة بأفواج الكفار ، وقد كنت أسير البارحة ونيرانهم تمتد عن يسارى ، وكادت لقربها تتم باليسارى ، وتتوج بالطارق الطارى .

فحين سمع بناقضة العزيمة وقاصمة الهمة<sup>(٥)</sup> ، نزل ولم يسق إلى خيمة السبق ، فنصب خركاة<sup>(٦)</sup> صغيرة ، ونزل فظفّق يسألني عن أحوال أران وما ظهر في أيام الشدائد من خفايا البواطن ومستودعات الضمائر . ثم أمر بتوقيع أكتبتها إلى الأطراف يتضمن بعضها ذكر شرف الملك ، فلم أذكره .

(١) زبطرة : بكسر الزاى . وقد ذكر ياقوت ، ج ٤ ص ٣٧٤ ، أن هناك مدينة بهذا الاسم بين ملطية وسميساط في طرف بلاد الروم .

(٢) نقلها هوداس عن النسخة الخطية « مشرف المالك » ، وقد وردت صحيحة في مواضع أخرى . أما وظيفة مشرف المالك نهى إحدى الوظائف المعروفة فى البلاط الخوارزمى . والذي يستحق النظر فى هذا المقام أن الخطأ فى القراءة عن النسخة الخطية قد انتقل أيضاً إلى الترجمة الفرنسية ، فقد ترجمها هوداس مرة *intendant des mamlouks* ، ومرة أخرى *inspecteur des provinces* . راجع ص ١٤٣ ، ٢٢٨ من طبعة هوداس العربية ، ص ٢٣٨ ، ٣٨١ من الطبعة الفرنسية ، وراجع أيضاً ص ٢٥٠ من هذه الطبعة .

(٣) فى الأصل : الهديان .

(٤) فى الأصل : بنجوم .

(٥) قسم الشيء : كسره . وفى الأصل : بناقضته للعزيمة وقاصمته الهمة .

(٦) راجع ص ٢٨٤ حاشية٤٤ .

إلا بفخر الدين الجندى . وحملت التواقيع إليه ليعلم عليها ، فخرج بعض الخواص إلى يقول : هلا ذكرت شرف الملك بنبعته المذكورة ببلدوجن ، وأنت تعلم أن السلطان لم يذكره هذه المدة إلا به ؟ فقلت : لأمرين ، أحدهما أنه نزل من القلعة وانتظم في سلك الخدمة ، وهو يعتقد أن السلطان منحه الرضا ، ومضى الذى مضى ، فإن أخبر أنه ينعت ببلدوجن أخشى أن يفارق إلى بعض الأعداء فيثير فتنة أخرى . والثانى أن للقادح أن يقول : كيف أهله للوزارة بعد أن كان منعوتاً بهذا النعت الخسيس . فلما أعيد على سمعه ما ذكرته ، سكت وعلمت على التواقيع .

واستدعاني عصر ذلك النهار ، وعنده طائفة من خواصه وقد تفاوضوا على أن السلطان يوجهني إلى أران لجمع العساكر المتفرقة ، وسوقهم إلى مراكز الريات السلطانية ، وحشد التركان إليها . فلما حضرته قال : ما الرأى؟ قلت : الرأى رأى السلطان . قال : قد رأينا أن نبعث إلى أران من يجمع إلينا العساكر ، ويحشد التركان ، وعند اجتماعهم نسوق إلى كنجة ، فنضرب مع الملاعين بظاهرها رأساً ، فإما لنا وإما علينا . غير أننا نريد من يمضى إلى التركان فيستميل قلوبهم في هذا الوقت ولا يطمع في مال أو منال ، ولست أثق بمن حولى من الأتراك أن يفعلوا ذلك . وأخذ يعيد هذا الحديث على أن عرف أن يريده أن أتولى هذا الأمر بنفسى ، وأخاطر فيه برأى<sup>(١)</sup> وكان يعتقد أنى لا أرغب<sup>(٢)</sup> فى ذلك ، فقلت : ما مثل الخدم والماليك إلا مثل العدة ، فتارة تتكسر وتارة تسلم .

فكتبت التواقيع باسمى ، ورحلت بالليل ، وعبرت إلى طائفة من الخانات والأمراء وخيل التركان ، فإذا وجهت إليه طائفة سلكت الجبال إلى أخرى ، وعدت إلى الخدمة بعد أيام فوجدت العسكر قد عاد إلى رونقه المألوف ، وماج بالآلوف . ولما سمع التاتار المقيمون<sup>(٣)</sup> بأران باجتماعهم ،

(١) فى الأصل : برأى . (٢) فى الأصل : لم أرغب . (٣) فى الأصل : المقيم .



عادوا<sup>(١)</sup> إلى معظم جمعهم ومزدهم أفواجهم بأوجان ، وكان التاتار قد أرسلوا إلى نضر الدين حمزة النيسابوري وإلى السلطان بديلقان يدعونه إلى الطاعة . فلما نزل السلطان بوادي قرقاز ، بعث المذكور رسول التاتار إليه ، وهو الطهير المرید وزیر یاتماس اللعین ، ایسأله أخبار التاتار ثم یرى فیہ رأیه . فلما وقف تحت الأعلام ، أمر فی السلطان بالاجتماع به وسأله عن كمية من جرّد فی هذه الثوبة مع جر ماغون<sup>(٢)</sup> اللعین من رجال اللقاء ، وذوی الشقاء<sup>(٣)</sup> ، وقال له : إن صدقتنی فیما أسألك وهبت دمك . فسألته ذلك فقال : لما أراد جر ماغون أن يتجرّد<sup>(٤)</sup> للقاء السلطان عرض المقاتلة ببخارا ، فكتب عشرين ألفاً غیر أن السواد كثير . فلما أعدت على مسامع السلطان ما سمعته منه قال : استعجلوا فی قتله قبل أن یسمع أصحابنا بكمية التاتار فیحشوا ويفشلوا .

(١) فی الأصل : عاد .

(٢) المقصود به شیرماجون Churmagon وهو أحد فائدين أرسلهما أجتای Ogotai بن جنكيزخان فی لائر جلال الدين منكبرتي . انظر Howorth : Op. cit., part i, p.130

(٤) فی الأصل : أراد جر ماغون يتجرّد .

(٣) فی الأصل : الشقا . .

## ذكر حبس السلطان شرف الملك بقلعة جاريبرد

## وقته بعد شهر أو أكثر

كان السلطان لما قارب قلعة جاريبرد، وهي من مضافات أران، وقد عزم على أن يحبس شرف الملك بها، ركب إليها لينظر في حالها، وعلم أن شرف الملك لم يتخلف عنه، فلما صعد القلعة، صعد معه شرف الملك واجتمع السلطان بوالها سملان سلك بك وهو شيخ تركي ظالم شرير، وتقدم إليه سرأ بأنه إذا نزل منع شرف الملك من النزول ويحبسه بها ويقيده، وكان يخشى أنه إن لم يحبسه يفارقه إلى بعض الجهات لما عنده من التوهم، فيثير فتنة، وكان يقول: يحبسه إلى أن يفرغ الخاطر مما دهم من التاتار<sup>(١)</sup> ثم يخرج فيفوض إليه أمر الوزارة من غير تقرير عشر البلاد، بل يقرر باسمه كل شهر ألف دينار أسوة بوزير<sup>(٢)</sup> الخليفة، ولا يطلق يده في الإطلاقات. فحبس بها ونزل الوالي بعد حبسه بأيام إلى مفصل الظلامات<sup>(٣)</sup> صارخين كما تقيق في الجو بنات الأعداد، وجهور في الشعب حجيج البلاد<sup>(٤)</sup> فكثرت<sup>(٥)</sup> شكاياتهم والسلطان ساكت لم يسأل حالهم، لإبقاء<sup>(٦)</sup> على الشيخ الظالم في ذلك الوقت. غير أن الشيخ توهم أن السلطان نوى عزله وعزم على الاستبدال به، فعاد إلى القلعة من غير استئذان.

(١) في الأصل: مما دهم أمر التاتار.

(٢) في الأصل: أسوة وزير.

(٣) قرأها هوداس خطأ عن النسخة الخطية في موضع آخر «مفصل الطلعات»، انظر ص ١٨٤ حاشية ٧. كذلك يبدو أنه تنقص بعض العبارات في هذا الموضع.

(٤) راجع ص ١٨٤ حاشية ٨. (٥) في الأصل: فكثرت.

(٦) في الأصل: انقاء.

وقد أمر السلطان لما قبض على شرف الملك بضم مماليكه<sup>(١)</sup> الذين أمرهم، إلى أوترخان وكان كبيرهم ناصر الدين قشتمر، فدخل يوماً على أوترخان بخاتم شرف الملك، كان الشيخ الوالي سيره إليه يقول: إني قد واطأت صاحبك على أن أطلقه، وتصلح السكرج متوازين على الخلاف، بارزين مكثوم الشر من الخلاف، فمن رغب منكم في خدمته فليأت القلعة.

فلما سمع السلطان بذلك، سقط في يده وفث في عضده، وذهب عليه أمره، وأبهم عليه رأيه. وكان ابن الشيخ في جملة بهلوانية السلطان وجماداريتيه<sup>(٢)</sup>، فأحضره وسيره مقبحا على أبيه فعله، وناعياً إليه عقله، بعد عليه إحسانه الذي شمل حاله، وحصل له آماله. وأن الذي هم به من كفران النعمة والخيانة في الوديعه، لم يعرف له سبباً موجباً. فرجع الغلام وأخبر أن أباه قد عاد عما نواه، وبدا له فيما أبداه، وعلم أنه يقضى إلى رده، وأن السلطان إن لم يعر سمعه<sup>(٣)</sup> لظلامه المتظلم، ولم يعزله عما ولاه لم يجده إلا عبداً طائعا، ولأوامره ممتثلاً سامعاً، وأنه عما سبق من الهنات معتذر<sup>(٤)</sup> وبخده في التراب معتفر. فقال السلطان: مصداق هذا الحديث أن يبعث إلى برأس شرف الملك. ووجه صحبة ابن الوالي إلى القلعة خمسة من السلاحدارية، فأهلكوه، وأهلكوا هلاكه الكرم.

وحدثني فراش له يعرف بمحمد أخى، وكان يخدمه أيام حبسه، قال: لما دخلوا عليه وعلم أنهم قاتلوه، استمهلهم ريثما يتوضأ<sup>(٥)</sup> فيصلى ركعتين، قال: فسختت له ماء ولم يهن عليه أن يغتسل بمام بارد على عمله أنه بعد ساعة هالك، فاغتسل وصلّى ركعتين ثم قرأ جزءاً<sup>(٦)</sup> من القرآن، ثم أذن لهم بالدخول وقال: هذا جزاء من يعتمد على قول الكفيرة. فقالوا له: ماذا تختار،

(١) في الأصل: ضم مماليكه.

(٢) الجملة. حد موظف ديوان الخاس السلطاني، وكان موكولاً به توزيع الجوامك على المماليك السلطانية. انظر المقرئى: السلوك، ج ١ قسم ٣ ص ٦٩٩ حاشية ١.

(٣) في الأصل: يعد سمعه.

(٤) في الأصل: متعذر.

(٥) في الأصل: يتوضىء.

(٦) في الأصل: جزأ.

الخنق<sup>(١)</sup> أو السيف ؟ فقال : السيف أولى . فقالوا : إن الملوك لا تقتل  
 بالسيف ، والخنق أهون عليك . فقال : شأنكم وما تريدون . فخنقوه ،  
 وخرجوا حتى يبرد ثم يدخلوا فيقطعوا رأسه ويحمله إلى السلطان .  
 فلما دخلوا عليه وجدوه جالسا وقد أفاق ، فضربوا عنقه ، وانتقل إلى جوار  
 ربه . ومحا السيف ذنوبا ، وكشط من الزلات ما كان مكتوبا . فقد زال  
 طود الملك بزواله ، وذل عن مراسيه بزواله ، فكانت ما عناه مؤيد الدين  
 إسماعيل الطغرائي بقوله :

تداعت عروش المجد فيه وثامت  
 فإيا آل فضل الله هلا وقتكم  
 أما لكم في آل برمك أسوة  
 أرى بعدكم طرف المكارم خاضعا  
 ولو أنصفت حامت عليكم ودافعت  
 لانزعتم الدنيا ندى فأفضتم  
 وخالفتم في الناس آثار عرفكم  
 ولكننه دهر يضيّع ماوعى<sup>(٥)</sup>  
 وما هو إلا مثل قاطع كفه  
 وقد زاد طيبا ذكركم مذ محنتم

وأضحت ركاب الجود حسرى وظلما<sup>(٢)</sup>  
 أيادكم صرف الزمان المفجعا  
 أناخ بهم ريب الزمان فجعجا  
 وخذ الليالي أربد<sup>(٣)</sup> اللون أضدعا<sup>(٤)</sup>  
 فراع الأعداى عنكم ما تدفعا  
 صنائع عز لم يصادفن مصعا  
 فصارت كهجرى السيل أصبح مرتعا  
 وينقص ما أوعى ويهمل مارعى<sup>(٦)</sup>  
 بكف له أخرى فأصبح أقطعا<sup>(٧)</sup>  
 كذا العود إن مسته نار تصوعا<sup>(٨)</sup>

(١) في الأصل : تختار من الخنق .  
 (٢) في الأصل : أضدعا .  
 (٣) أي متغيرا مطلقا . وفي الأصل : أزيد .  
 (٤) في الأصل : اصروا .  
 (٥) في الأصل : مارعى .  
 (٦) في الأصل : مارعا .  
 (٧) في الأصل : قطعا .  
 (٨) في الأصل : تصوعا .

## ذكر نبذة من سيرة شرف الملك

كان جواداً كريماً ، ليس للمال عنده محل ، وربما كان يأخذ من غير موضعه ، ويضيع في غير أهله . وكان يحترم العلماء والزهاد ، ويحسن جائزتهم ، ويكثر الإدارارات والصلوات لهم . وكان رقيق القلب ، يبكي بكاء شديداً إذا وعظ وقرأ القرآن . وقد كثرت (١) في زمانه الإدارارات حتى كادت تستغرق أموال الديوان لولا أن السلطان جذب عنانه في ذلك آخر عهده . ومن عاداتهم إمضاء الإدارارات القديمة والتوسيعات العتيقة حتى إدراتات أعدائهم ، ولا يرون قطعها إلا بدعة منكرة ، فكانت إدراتات محمود بن سبكتكين (٢) ، ومن بعده من بني سلجوق (٣) جارية إلى زمان السلطان يتوارثها الناس بنامه على ما أسسوه ، وسقياً لما غرسوه ، ومضياً على ما مثلوه ، واهتداداً بما أنلوه (٤) . فكاد ما جدد شرف الملك من الإدارارات في زمانه يزداد على إدراتات المتقدمين على طول المدد .

وقد أتاه الشيخ الفقيه زين الدين أبو حامد القزويني وهو ببيلقان مستعطياً ، فأحضرته بعض مجالس خلواته ، فوعظه بكلمات أبكتته ، ثم قال

(١) في الأصل : كثر .

(٢) في الأصل : محمد بن سبكتكين . وقد سبق أن ورد هذا الاسم صحيحاً في موضع آخر . انظر ص ١٩٣ من طبعة هوداس العربية . كما سبق لنا أن أوردنا نبذة عن أهمية محمود بن سبكتكين في تاريخ الدولة الغزنوية ، راجع ص ٣١٢ حاشية ٣ . وإذا كان الأصل الخطي ليس في متناول يدينا ، لذا فإننا نرجع سبب ورود هذا الاسم خطأ في هذا الموضع إلى أحد أمرين إما إلى خطأ في النقل عن النسخة الخطية ، وإما إلى خطأ في النسخة الخطية وفات هوداس أن يحققه . والثابت في تاريخ الدولة الغزنوية أنه لا يوجد من بين حكامها من يسمى محمد بن سبكتكين ، اللهم إلا إذا كان النسوي قد قصد الإشارة إلى جلال الدولة محمد بن محمود بن سبكتكين الذي حكم بضع شهور من عام ٤٢١ هـ (١٠٣٠ م) ، وهذا بعيد الاحتمال . انظر ابن الأثير الكامل ، ج ٩ ص ١٦٦ — ١٦٧ . وانظر أيضاً .

S. Lane—Poole ; Op., cit., pp. 289 — 290.

(٣) إن ورود هذه العبارة على النحو يفهم منها أن بني سلجوق إنما هم من سلالة محمود بن سبكتكين ، ولذا يحسن كتابتها على النحو الآتي : ومن بعده إدراتات بني سلجوق .

(٤) أنلوه : أصلوه .

الشيخ : قد ولدت لي بنتٌ إمام الدين المعروف برافعان - وكان أفقه العراق وله شرح الوجيز تصنيف مستحسن - ثلاث بنات وابنين ، وقد بلغوا<sup>(١)</sup> النكاح ، وليس عندي من المال ما أجهزهم به ، فأطلق لكل بنت على مال الديوان بقرون مائتي دينار ، وكتب لابنيه توقيعا بمائة دينار يتناولونها إدراراً كل سنة . فلما رأى الشيخ سعة الصدر ، وسهولة الأمر قال : فما ذنب الشيخين الوالد والوالدة<sup>(٢)</sup> ؟ فكتب لها بمائة دينار أخرى إدراراً .

هذا وإن كان يستتبع من جهة التدبير في مال الديوان وقطع النظر عما عليه مدار أمراء الدولة ، لكن الجود مستحسن في نفس الأمر ، وأمثال ذلك ونظائرها كثيرة . غير أنه كان قليل الحظ من أدوات الكتابة ، وآداب الكفاية ، خالياً عن معرفة الحساب ، وما يجب على الوزراء والكتابة ، إذا كتب سطرًا بالفارسية يوجد عليه عدة سقطات . وكان سريع الاستحالة ، لا يثبت لصديق ولا عدو ، على حال من المصادقة والمعادة ، شديد الميل إلى الأتراك ، فصيحاً في اللغة التركية . وكان لا يعلم الكبر ما هو ، ولا الملامة ما هي ، وكانت علامته على التواقيع السلطانية « الحمد لله العظيم » ، وعلى التواقيع الديوانية التي طرفها الديوان الأعلى « يعتمد ذلك » ، وعلامته على توقيعه إلى بلاده الخاصة « اعتماد كنيدي »<sup>(٣)</sup> بالعجمية وطرفها « أبو المكارم علي بن أبي القاسم خالصه أمير المؤمنين » ، وعلامته على الوضولات « صحيح ذلك » . وكان السلطان في مبادئ أمره يركن إلى كلامه ، ويصغى إلى قوله ، ولا<sup>(٤)</sup> يفعل إلا بما يشير عليه ، لا يشاركه أحد في التدبير . وقد بقى زماناً بين أصبعيه يلقيه كيف يشاء ، فلو ترك الهوى في آرايه<sup>(٥)</sup> ووجوه مقاصده والحباية ، وصرف همته إلى ما تقتضيه السيادة ، ويهدى إليه السعادة ، وعنده من رأس مال النمو مثل ذلك الليث الحادر والعقاب الكاسر ، لكان الأمر بخلاف ما وقع ، لكن قضاء الله أغلب ، وأمره أنفذ . وإن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ، وهو الفعال لما يريد .

(١) في الأصل : بلغوا . (٢) في الأصل : الولدة . (٣) أي يعتمد . (٤) في الأصل : ولم . (٥) في الأصل : آرايه .

## ذكر رحيل السلطان صوب كنجة وتملكها باينا

كانت أوباش كنجة ، لما قتلوا من بها من الخوارج زمية وظاهروا بالفساد ، وجأهروا بالعناد ، ملك زمامهم شخص يعرف ببندار ، وأطاعته الأوباش والأوشاب ، فبسط يده في المصادر ، واقتصرت أذيته على من لم يدخل معهم في العتو والعلو ، ولم يطع النفس الأمانة بالسوء . فوجهني السلطان والحاجب الخاص ، خان بردى ، إليهم وأمر أن تنزل بكورة شتر<sup>(١)</sup> ، وهي قرية منهم ، وندعوهم إلى الطاعة ، ونحذرهم عواقب المخالفة . فأقننا بتخومها أياماً نكاتهم محذرين ، ونراسلهم منذرين ، ونعرفهم أن في قرع باب البغي تعرضاً للبلاد ، واستئذاناً على سوء القضاء . وإنما يصبر على الكفاح من لم يجد وجهاً للصلاح ، وأما من كان في فسحة من الرأي ، وندحة من الاختيار ، فإنه ينفس بنفسه عن التغير<sup>(٢)</sup> بها في مباشرة القتال ، ومغامسة الأهوال . فليتصوروا ما يتبع الخلاف من ركوب المصاعب التي تسلب العيون منامها ، والنفوس حمامها ، والأموال<sup>(٣)</sup> المذخورة نظامها ، ولما فيه من التحكك<sup>(٤)</sup> بمحذور النوائب ، والتعرض لمكروه العواقب . فكانت الموعظة إذا ألقيت عليهم جعلوا أصابعهم في آذانهم ، واستغشوا ثيابهم ، وأصروا واستكبروا استكباراً . وخرج الرئيس جمال الدين القُسمى بأولاده إلينا ، وأيسنا من العوام . ووصل السلطان ، ونزل ببعض بسايتها ، وأخذت الرسل تتردد في بذل الأمان ، والوعد بالعمو والإحسان . فكادت الصخرة تلين لما أوردت عليهم ، ولا نأثير لها في نفوسهم لما في رموسهم . ولم يزد بندارهم إلا استمراراً على جهله ، استكباراً في الأرض ومكر السيء ، ولا يحق المكر السيء إلا بأهله . ثم لم يقتصروا على ذلك حتى خرجوا في بعض الأيام مقاتلين ،

(١) شتر : قلعة من أعمال أران بين بردعة وكنجة . انظر ياقوت : معجم البلدان ،

ج ٥ ص ٢٣٦ . (٢) في الأصل : بنفسه عن التغير .

(٣) في الأصل : والاموال . (٤) في الأصل : إن ما فيه من التحكك .

وبالجفاء<sup>(١)</sup> مقابلين ، ووصلوا إلى حائط البستان ، ورموا إلى خيمة السلطان عدة سهام ، فركب للوقت فيمن حضر من خواصه ، وعلم أن لا يثنيهم<sup>(٢)</sup> عن عتوهم وعظ ولا عدل ، وأن المواعظ لها أهل ، وأن حلم الفتى في غير موضعه جهل . فحمل عليهم في كتيبة<sup>(٣)</sup> من خواصه ، كأنها أجمة الساحل تأويها شياطين الإنس فرماناً ، وعفاريت الترك مرداً وشبساناً ، قد جعلوا الدروع وقاية الأجسام ، وظاهروا عليها بالقلوب حرصاً على الانتقام ، قايسون<sup>(٤)</sup> بمباشرة القتال ، واستثارة المنايا عن مرابض الآجال ، وحملوا عليهم ، فأنجحت الهزيمة عن مساقط أجسام وأبدان فوق هام ، وها موعلي وجوههم كأنهم قطعان الغنم راعتها الذئاب ، أو بغاث الطيور<sup>(٥)</sup> انقضض عليها العقاب<sup>(٦)</sup> . واختلط الفارس بالراجل ، والتارس<sup>(٧)</sup> بالنابل<sup>(٨)</sup> .

ودخل السلطان معهم إلى المدينة ، إذ كان ازدحام العوام ، وغص أبوابها بالزحام ، ومنعهم أن يخلقوها . وهم العسكر بنهبها فتمعوا ، واستحضر السلطان أكابر المدينة ومعارفها ، وبرز الأمر إليهم بأن يكتبوا أسامى رءوس الغوغاء<sup>(٩)</sup> ومثري الفتنة ، فعينوا منهم ثلاثين نفساً . على أن الفتنة أشركت الصالح والطالح ، وجمعت الخاسر في الدولة والراجح ، ومثل العوام مثل السوام<sup>(١٠)</sup> تنبع ألافها ، ويجر<sup>(١١)</sup> الواحد منها آلافها . فأمر السلطان بضرب رقاب أولئك الثلاثين على باب القصر ، وجروهم بأرجلهم إلى أبواب المدينة ورءوس المحال . وأما بندار ، فكان قد بالغ في الفساد وكسر سرير السلطنة ، وكان قد وضعه بها محمد بن ملكشاه ، فقتل تنكيلا ، وفصّل تفصيلا . وأقام السلطان بكنجة سبعة عشر يوماً ينتظر ما يسفر عنه التدبير حتى اتفق المسير . وأجمعوا على الاستنجاد بالملك الأشرف موسى على التاتار .

(١) في الأصل : وبالجفاء .

(٢) في الأصل : كتيبة .

(٣) في الأصل : فأيشون .

(٤) بغاث الطير : شرارها ومالا يصيد منها .

(٥) العقاب : طائر من الطيور الجارحة .

(٦) التارس : حامل الترس .

(٧) في الأصل : النوغا .

(٨) النابل : الضارب بالنابل .

(٩) في الأصل : وتجر .

(١٠) السوام : الماشية الرابعة .



وكان أوترخان وجماعة من الجبناة (١) يشيرون على السلطان بذلك وهو مخالفهم باطنا ، وموافقهم ظاهراً ، فسار إلى خلاط من طريق كيلكون ، والغارات تغلب بلاد الكرج وأرماقهم بطنا لظهر ، والسلطان يتابع رسله للملك الأشرف مستنجداً ، والعقل ينكر ذلك مستبعداً ، وهيهات إن الضغينة (٢) إذا تمكنت من القلوب تلبث ، وربما تورث . وإن المستعين على العدو بذى ثائرة كالمستجير من الرمضاء بالنار .

ولما علم الملك الأشرف بتوجه الرسل إليه مستمدين ، وعلى الأعداء مستعدين ، توجه إلى مصر وأقام بها ما كثا (٣) ، ولم يتمكنوا رسل السلطان بالمضى فيجتمعون بدمشق ، والسكتب ترد عليهم من الملك الأشرف بأننا واصلون من مصر بعساكرها خدمة للسلطان .

مواعيد كما لاح سراب المهمة القفر

فن يوم إلى يوم ومن شهر إلى شهر (٤)

نعم ولما وصل السلطان في وجهته تلك إلى قلعة بجنى ، وبها أواك بن إيوانى الكرجى ، وقف حذاء القلعة ساعة فخرج أواك من القلعة فقبل من بعيد الأرض ودخل وسير للسلطان تقاديم (٥) . ولما وصلوا إلى ولاشجرد ، (٦) وشكا الناس شدة الحر ، وانقطاع المطر والأذى الذى يحصل من الذباب للناس والدواب ، وأزمعوا على الاستمطار ، بما كان معهم من هاتيك الأحجار . وحقاً لقد كنا منكرين لها غاية الإنكار ، ثم شاهدنا مساعدة التقدير فعلهم عدة مرار ، ولعل ذلك فتنة وإضلال ، كما افتن الذين من قبلهم . فباشر السلطان العمل بنفسه أيام مقامه بفضاء ولاشجرد ، وتوالت الأمطار ، فداومت بالليل والنهار ، فمل الناس منها وضجروا حتى ندموا على ما سحروا .

(١) فى الاصل : الجبنا . (٢) فى الاصل : الطعينة .

(٣) وصل الأشرف موسى من دمشق إلى القاهرة فى العاشر من جمادى الأولى سنة ٦٢٨ هـ

(٤) ١٢٣١ م . انظر المقرئى : السلوك ، ج ١ قسم ١ ص ٢٤١ .

(٥) أورد هوداس هذين البيتين فى صورة بيت واحد على النحو الآتى :

مواعيد كما لاح سراب المهمة القفر فن يوم إلى يوم ومن شهر إلى شهر

(٦) فى الأصل : تقاديم . (٦) راجع ص ٣٢٢ حاشية ٣ .

وتعذر الوصول إلى خيمة السلطان للأحوال<sup>(١)</sup> الحائلة ، وسمعت دايدة خاتون تقول : قلت للسلطان كأنك باخداوند عالم — أي صاحب العالم ، وما كان خطاب الناس مواجهه إلا هكذا — لست بمسهر<sup>(٢)</sup> في صنعة الاستمطار فإنك قد آذيت الناس بكثرة أمطارك ، وغيرك ما كان يستنزها إلا بمقدار الحاجة . فقال : ليس الأمر كما تظنين<sup>(٣)</sup> ، بل إنها أثر همة ، ولا تقاس همتي بهمة واحد من غلمانى .

ثم ورد عليه كتاب من مختص الدين أكبر رسله الموجهين إلى الملك الأشرف ، يؤسسه من إنجاده ، ويقطع رجاءه من إبعاده ، وأنه لا يرجع من مصر إلا بعد انفصال أمر السلطان مع التاتار على إحدى الحالين : إما دولة ترجى وتها ، أو صولة تقطع فيها الأسباب . فليتنظر السلطان في شغله ، غير منتظر جواب رسله . فأرسلنى إلى الملك المظفر شهاب الدين غازى بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب<sup>(٤)</sup> استحضره بنفسه وعسكره ، ومن حوله من الملوك مثل صاحبي آمد وماردين ، وقال : عند حضورهم لا حاجة إلى نجدة الملك الأشرف . وقال لى : قل للملك المظفر هلم إلى مساعدى ، وفى حادثة التاتار معاضداً ، فإن الله جل ذكره إن كان ينصرنى عليهم ملكك من البلاد ماترى ، خلاط ونواحيها التى حسسك أخوك عليها فى قبالتها نذراً ، ولم تجد لها عنده قدراً<sup>(٥)</sup> .

هذه كانت رسالته والخطانات والأمراء حضور ، ولما خلا المجلس قال لى : نحن لانشك فى هؤلاء أبدأ ، لم ينجدوننا ولا يختارون ظهورنا على مزاحم ، ولا تنفع<sup>(٦)</sup> الشكوى إلى غير راحم . إن هؤلاء ، يعنى الترك من أمرائه ورتوت عسكره وكبرائه ، يطمعون أنفسهم فيما لا يكون تسويلاً بكواذب

(١) فى الأصل : للأحوال . (٢) فى الأصل : بما هو . (٣) فى الأصل : تظنون . (٤) تولى المظفر غازى بن الملك العادل أيوب حكم بعض بلاد ما بين النهرين منذ سنة ٦٧٧ هـ (١٢٢٠ م) حين أقطعه أخوه الملك الأشرف موسى مدينة خلاط وميفارقين وغيرها . وقد استمر فى حكم هذه البلاد حتى سنة ٦٤٣ هـ (١٢٤٥ م) . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ١٨٣ و Lane-Poole : Op. cit., p. 76-78 . (٥) الفتالة : الاسم من تقبيل العمل . والكتاب الذى يكتب على من يقبل عملاً . وفى الأصل : فى قبالتها نذراً ، ولم تجد لها عندها قدراً . (٦) فى الأصل : ينفع .

الظنون ، وتفادياً عن الحرب الزبون ، وقد شوشوا علينا بهذا الطمع وجه  
تدبيرنا فاخترت لك لهذه الرسالة لترجع من المبعوث إليه باليأس الذي  
لارجاء<sup>(١)</sup> بعده ، ولاتأميل عنده ، فنتفق على المسير إلى أصفهان إذ لا انتعاش  
إلا بها ولا ارتياش<sup>(٢)</sup> .

وكان [ السلطان ] قد جرد ستة آلاف فارس قبل انفصالي عن خدمته ،  
فأغاروا على بلد خرتبرت وأرزنجان وملطية ، وساقوا إلى العسكر من  
الغارات ما أعجزهم سوقها ، فبيعت عشرون غنما بدينار ، لما كان ينقم على علاء الدين  
كيقباز وتحريشه إياه بكتبه ورسائله المتتابعة بخلاط ، ثم ميله عنه إلى الملك  
الأشرف ، ولم يعلم بما خاطب الوزير رسله حتى تغلثت الضمائر ، وفسدت السرائر .  
ولما أديت الرسالة إلى الملك المظفر قال : إن اليمين التي حلفت بها للسلطان  
حلفت بمثلها لعلاء الدين كيقباز ، وقد بلغني ما ساقوا من غارات بلادهم إلى  
المخيم السلطاني ، فما الذي يؤمننا عن مثله واليمينان واحدة ؟ وعلى الحالات  
كلها ، فما أنا مستقل ترابي ، بل معدود في جملة نواب إخوتي ، فكيف يمكنني  
إنجاد السلطان إلا بأمرهم ؟ على أني أقول : ما مقدار أصحابي بين عساكر  
السلطان إلا بمقدار الخليج من البحر ، والفارس الواحد في العدد الدثر  
وأما صاحباً آمد وماردين فلا يسمعان مني ولا يمثلان أمري<sup>(٣)</sup> . وليس  
يخفي علينا أنهما كانا يكاتبان السلطان فيختبر السلطان عقائد هما في الاستحضار  
ويسير ضمائرهما في الإنجاد على التاتار ، ليعلم أن زعمهم نفاق ليس له مصداق ،  
وباطل ليس له حاصل . والملك الأشرف مهم بخدمة السلطان ، مقيم على  
عهده ، ولم يقصد مصر إلا لاستصحاب عساكرها خدمة للسلطان .

(١) في الأصل : رجا .

(٢) بالإضافة إلى ما ذكره النسوي في هذا المقام من محاولات قصد بها جلال الدين منكبرتي  
الاستنجاد بالأشرف موسى وأخيه المظفر غازي فضلاً عن صاحبي آمد وماردين ، ذكر ابن الأثير  
أن جلال الدين حاول في هذه الفترة الاستنجاد بالخليفة العباسي نفسه ، على أن المغول لم يتركوا  
له فرصة لتحقيق هدفه ، بل مجلوا بهزيمة بالقرب من مدينة آمد ، وأعملوا القتل والأسر في  
جيوشه وتفرق الباقون أيدي سباً . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ٢٣١ .

(٣) في الأصل : فلم يسمعا مني ولا يمثلان أمري .

ذكر وقوع البطاقة من خلاط إلى ميفارقين  
 مخبرة بأن التاتار قد عبروا على بركري طالبين<sup>(١)</sup> للسلطان  
 وانفصالي عن الملك المظفر عائدا

ولما ودعت الملك المظفر ، وقعت بطاقة من بركري تذكر أن التاتار  
 عبروا عليها كاشفين أخبار السلطان ، سالكين آثاره ، فسير الملك المظفر  
 إلى البطاقة وقال : إن القوم قد عبروا على نواحي خلاط يطلبون السلطان ،  
 ولا بد من الالتقاء في هذه الأيام ، فالرأي أن تقيم عندي فننظر ما يكون .  
 فقرأت : لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في  
 سبيل الله . ولست بأعز من السلطان ، ولا بمن اختار الحياة بعده .  
 ولما حضرته للوداع قلت له : لا بد من إحدى الحالتين ، إما للسلطان ،  
 وإما عليه . وأياً منهما كانت تعقبكم ندامة ، وتورثكم ملامة . قال : كيف  
 ذلك ؟ قلت : إن كان للسلطان وقد قعدتم عن نصرته ، فلو بذلتم خزائن  
 الأرض في طلب مرضاته لم ينفع ، وإن كان عليه فستذكرونه حين تباون  
 بمجاورة التاتار والأسف لم ينجح . قال : كلام لأشك في صحته ، ولكني  
 محكوم على<sup>(٢)</sup> . ثم فارقه وركبت صوب حاني<sup>(٣)</sup> ، فإن الأخبار كانت قد  
 قوازت بإطلال رايات السلطان على حدود جبل جور . فنزلت قبيل المغرب

(١) في الأصل : طالباً .

(٢) أي لا يستطيع أن يتخذ أمراً دون الرجوع إلى إخوته من أبناء البيت الايوي وخاصة  
 الكامل محمد صاحب مصر . والثابت أنه على الرغم من انقسام أقاليم الدولة الايوية بين أبناء  
 البيت الايوي ، فإن مصر كانت في الحقيقة رأس الامبراطورية الايوية وقلبها النابض ، كما كان  
 ولانها هم المحركين لسياستها ، وبخاصة في أيام المعادل سيف الدين والكامل محمد ، وذلك رغم  
 ظهور بعض أبناء البيت الايوي في ثوب الحكام المستقلين .

(٣) حاني أو آني أو حنا : مدينة بناحية ديار بكر . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣  
 ص ٢٠٢ . والقلقشندي : صبح الاعشى ، ج ٤ ص ٣٣٦ .

بضيعة تسمى مغارة لنعاق على الخيل، ثم نسرى طول الليل. فغفوت<sup>(١)</sup> فارى في منامى كأن رأسى فى حجرى ، وكان شعر الرأس واللحية قد زالا كأنهما قد احترقا . ثم فسرت المنام فى النوم فقلت الرأس السلطان ، فكأنه يعدم ولايسلم ، واللحية بما يتعلق بالحرم فكأن جوارى تؤسر ، وشعر الرأس دليل المال فكأنه يتلف . فهالنى مارأيته ، فانتبهت مذعورا ، فرحلت وعندى من الكمد ماسد نفسى ، فلم أتكلم طول ليلتى إلى أن وصلت إلى حانى ، فوجدت أثقال العسكر ونسأهم نازلة بأوديتها ، وأخبرت أن السلطان فى الكمين بجبل جور ، وأنه أخبر بوصول التاتار . وكان «كوكه يحكم» وهو أمير من أمراء التاتار مقدم ألف فارس<sup>(٢)</sup> قد فارقهم إلى السلطان ، لذنوب صدر منه خاف به على نفسه، وأخبره بتنميلهم دوابهم على قصده حيث كان، وأشار عليه بأن يترك الغارات على طريقهم ويكمن، حتى إذا اشتغلوا بالطعمة يدير عليهم كاسات الحمام، بأيدى الانتقام . وقد نصحه فيما أشار به عليه ، فجرد السلطان أوترخان — وكان يقربه خوولة ، وقد اعتقد فيه النصح والشجاعة ظناً لا يؤكده امتحان ، ولا يقوم بصحته برهان — فى أربعة آلاف فارس يزكا ، وأمره بأن التاتار إذا قربوا منه ينجر لينجذبوا إلى مرابض الأجال ، ويمتدوا إلى مكان الأوجال . فرجع المذكور وأخبر أن التاتار قد رجعوا من حدود منازجرد ، كذبا أملاه عليه خوره وجينه ووجهه ، ليأتى عليه قدره وأجله .

نعم ، ولما امتد خبر السلطان وكمينه بجبل جور توجهت إلى خدمته ، فصادفته فى وجهتى عائدا إلى الأثقال ، ففاتحنى فى الكلام وجواب الرسالة ،

(١) فى الاصل : فغفيت .

(٢) كان الجيش المولى قد نظم منذ أيام جنكيزخان بحيث قسم إلى فرق من عشرة آلاف رجل ، وهذه بدورها تنقسم إلى فرق من ألف ، ويتدرج هذا التقسيم إلى فرق من مائة و فرق من عشرة . وتبعاً لذلك نرى قائداً لكل فرقة من هذه الفرق الكبيرة أو الصغيرة ، انظر Eucy. Brit., Art. Mongol Campaigns و انظر أيضا Abulgasi : Op. eit., p. 348.

فأعدت عليه ما سمعته من الملك المظفر ، ثم ذكرت له حديث البطاقة وعبور  
التاتار على بكرى ، فأخبرني بوصول دكوكه يحكم ، وإعلامه إياه بركوبهم  
طالبين ، وقصّ على قصة الكمين وعود اليك معلماً بأن التاتار قد رجعوا (١)  
من منا زجرد . فقلت : ما عودهم بعد ركوبهم على نية الالتقاء إلا من  
العجب !! قال : ليس ذلك بعجب ، كأن القوم قد ركبوا ليلتقونا ببلد  
خلاط ، فحين علموا بتوسطنا بلاد الشامية واعتقدوا اتفاقهم معنا  
وانضواءهم إلينا رجعوا . فقطعت الحديث على إنكار باق ، واستبعدوا لعودهم  
قبل اللقاء .

---

(١) في الأصل : رجع .

ذكر نزول السلطان ببلد آمد وعزمه على المسير إلى أصفهان  
ورجوعه عن ذلك الرأي بعد ورود رسول الملك المسعود صاحب  
آمد وكبس التاتار إياه صباح ثلثي يوم نزوله بها

كان السلطان لما نزل ببلد حاني ، استحضر الخانات والأمراء ، واستعد  
جواب الرسالة ، فقرأت عليهم آيات الإياس ، وأعلنتهم بأنهم يضربون  
في حديد بارد ، فما من منجد ولا مساعد . فاتفقوا على أنهم يتركون أثقالهم  
بديار بكر ويتجردون<sup>(١)</sup> إخفاً بالأعزة من نسائهم وأولادهم إلى أصفهان ،  
إذ طال ماوردوها محسورين مكسورين ، فراشت الحسير ، وجبرت الكسير .  
فورد ثلثي يومهم ذلك علم الدين سنجر المعروف بقصب السكر ، رسول  
صاحب آمد برسالة تشتمل على عرض الخدمة والطاعة ، وزين له قصد  
الروم ، وطمعه في الاستيلاء عليها ، وقال إنها عرضة للسلطان ، مهما  
قصدها ملكها من غير منازع ، وضبطها من غير مدافع . والسلطان  
إذا استظهر بملك الروم ، واستند إلى قفجاق ، على موالاتهم له ورغبتهم  
إياه ، هابه التاتار ، وحصل الاستظهار . وذكر في جملة الرسالة أن السلطان  
إذا عزم على ذلك ، خرج<sup>(٢)</sup> بنفسه وأربعة آلاف فارس إليه ، ولم يفارق  
الخدمة إلا بعد استصفاء تلك المملكة وانضوائها إلى سائر الممالك السلطانية .  
وقد كان صاحب الروم قد أوغر صدر الملك المسعود صاحب آمد تلك  
السنة بعدة قلاع ملكها عليه .

قال السلطان إلى كلامه ، وعيدل عما كان نواه في المسير إلى أصفهان ،  
وعطف صوب بلد آمد ، ونزل بجسر بقرها ، فكان مثله مثل الغريق يتعلق

(١) في الأصل: يتجردوا .

(٢) في الأصل: نخرج .

بما تصل إليه يده ، وقد قصر عن السباحة وكده (١) . وشرب تلك الليلة فسكر ،  
فنالها من سكرة خماره دوار الرأس ، وقطع الأنفاس ، فلا صحوا إلا إذا نفخ (٢)  
في الصور ، وبعثر ما في القبور . وأتاه وهناك من الليل شخص تركاني وقال :  
إني رأيت في منزلك الذي (٣) كنت أمس نازلا به عسكراً زيمهم غير زى  
عسكرك ، بخيل أكثرها شهب ، فكذبته وقال : هذه حيلة من لا يختار توسطنا  
هذه البلاد ، وقضى بنشوته ناشية الليل إلى قريب الفجر ، وأحاط التاتار به  
وبعسكره مصبحين .

فستاهم وبسطهم حرير وصبحهم وبسطهم تراب (٤)  
ومن في كفه منهم قنساء كمن في كفه منهم خضاب  
فأسقطت الأجنة في الولايا وأجهضت الحوائل والسقاب (٥)  
فتفرقوا أيدي سبأ في الأقطار كشوارد الأمثال ، وكنت قد سهرت  
تلك الليلة للكتابة فغلبنى النوم في آخرياتها ، فلم أشعر إلا بالغلام يذبني ويقول :  
قم فقد قامت القيامة ، فلبست سريعاً ، وخرجت هربعاً ، وتركت في  
المنزل (٦) ما ملسكته جميعاً ، وقلت :

(١) يروى ابن الأثير أن جلال الدين قد سار في هذه الفترة إلى مدينة خلط ، وأرسل  
إلى نائب الأشرف موسى بها يذكر له أنه ماجء لابنية الاحتماء في المدينة . كما يذكر ابن  
الاثير أيضاً أن جلال الدين عزم على الاستجداد بأمرأ ديار بكر والجزيرة فضلاً عن الخلافة  
العباسية ، ويحذرهم عاقبة توانيهم في مساعدته . فلما دخل إلى خلط بلغه أن المغول يجيدون  
في أثره ، فسار منها إلى آمد وهناك داموه بظاهرها وشردوا جيوشه . انظر ابن الأثير :  
الكامل ، ج ١٢ ص ٢٣١ .

(٢) في الأصل : انفخ .

(٣) في الأصل : التي .

(٤) الشعر العتني .

(٥) الولايا : جمع ولية ، كساء يجعل تحت البرذعة . والحوائل : الاثني من أولاد الإبل .  
والسقاب : جمع سقب وهو الذكر من أولاد الإبل . يقول الشاعر ، لشدة فزعهم أجهضت النساء  
على ظهور الإبل ، وأسقطت نوقهم أولادها ذكوراً وإناثاً .  
وقد جاء البيت الثالث في الأصل :

فأسقطت الأجنة في الولايا وأخصت الولائد والسقاب  
(٦) في الأصل : المنزلة .



إذا نحن أبنا سالمين بأنفس كرام رجعت خير أشجاب رجاؤها<sup>(١)</sup>  
فأنفسنا خير الغنيممة، إنها تؤوب وفيها ماؤها وحيائها  
ولما استويت على الفرس، رأيت أطلاب التاتار قد أحاطت بخرقة<sup>(٢)</sup>  
السلطان وهو نائم سكران، وإذا بأرخان قد وصل في أعلامه وأصحابه،  
فحمل عليهم وكشفهم عن الخرقاة، ودخل بعض الخواص فأخذ بيد السلطان  
وأخرجه وعليه طاقة بيضاء وأركبه الفرس، فساق ولم يذكر في ذلك الوقت  
إلا ملكة فارس بنت الأتابك سعد فإنه أمر ددنز كيقو، ودطرت أبه،  
أمير شكار<sup>(٣)</sup> بالمسير في خدمتها إلى حيث ترميها الجفلة .  
فلما رأى [السلطان] أطلاب التاتار مجددة باتبعه<sup>(٤)</sup>، أمر أرخان أن  
يفارقه<sup>(٥)</sup>، بمن معه من العسكر ليتبع التاتار سواده، ويخلص هو بمفرده .  
ولقد أخطأ في ذلك، فإن أرخان لما فارقه انضوى إليه من شداد العسكر  
خلق، ووصل إلى إربل ومعه أربعة آلاف فارس، وساق إلى أصفهان  
وملكها زماناً إلى أن قصدتها التاتار، وأرخان إلى سنتنا هذه، وهي سنة  
تسع وثلاثين وستائة، باق محبوبس بفارس .

وحدثني غير واحد ممن كانوا مع السلطان بعد انفصاله عن أرخان مثل  
أوترخان وطلسب أمير آخور<sup>(٦)</sup> . ومحمود بن سعد الدين الجلاب<sup>(٧)</sup>، أن  
السلطان لما فارق أرخان ساق إلى باشورة<sup>(٨)</sup> آمد والطلب خلقه، وكانت  
آمد قد تشوشت وظن أهلها أن الخوارزمية أرادوا الغدر بهم، فضربوه،

(١) في الأصل: رجاءها .  
(٢) راجع ص ٣١٩ حاشية ٢  
(٣) في الأصل: امر ارخان يفارقه .  
(٤) راجع ص ٢٨٤ حاشية ٤ .  
(٥) راجع ص ٩٠ حاشية ٣ .  
(٦) راجع ص ١٠٠ حاشية ٦ .  
(٧) صاحب هذه الوظيفة هو الذي يتولى أمر شراء الممالك الذين يشتريهم السلطان لنفسه  
ويسمون الجلبان، أو الأجلاب . انظر المقرئى: السلوك، ج ١ قسم ٣ ص ٧٣٦ حاشية ٦ .  
(٨) الباشورة: الحائط الظاهري أو ما يرى منه، وتجمع على بواشير، ويقابلها في الفرنسية  
كلمة Bastion أو Guerite . انظر المقرئى: السلوك، ج ١ قسم ١ ص ١٥٠، حاشية ٤ .

وحجروه ، وردوه . فلما أيس من الدخول إليها تياسر عنها ، وانضوت عليه زهاء مائة فارس من الوشاقات (١) . ثم رمته الجفلة بهم إلى حدود جزيرة ، وبها الدربنندات المنبجة ، وكانوا يمانعونه في العبور ، وقد وقفت الطاعة في المضايق ، وقتل بعضهم سرير ملك ، شحنة همدان فأشار عليه أوترخان بالعود ، وقال : إن أسلم الطريق اليوم طريق سلكه التاتار إلينا . فرجع برأيه ليكون هلاكه من جميع الوجوه بتدبيره ، ووصل إلى قرية من قرى ميفارقين ، فنزل ببيدرها (٢) ، وسييت الخليل (٣) لتستوي في شعبها (٤) ، ثم ركب وفارقه أوترخان في ذلك الوقت ، جبيناً منه وخورا ، ووثوقاً بما كان بينه وبين الملك المظفر شهاب الدين غازي من مكاتبات تنبيه (٥) عن تأكيد العهد وخالص الود ، وتشهد بمرير العقد وصفاء الورد . فخبس إلى أن طلبه الملك الكامل سنة تملكه آمد ، فأحضر بين يديه ، ووقع بمصر من سطح فات . والسلطان أقام بالبيدر يستره الليل عن كل عدو حتى طلع عليه التاتار ، والفجر برداه ، فركب للوقت ، وعوجل أكثر الجماعة عن الركوب فقتلوا .

(١) في الأصل : الوثاقات .

(٢) البيدر : الموضع الذي تدرس فيه الغلال . المقرئى : السلوك ، ج ١ قسم ٢ ص

٤٤٢ حاشية ٢ .

(٣) في الأصل : الخليل .

(٤) في الأصل : شعبها .

(٥) في الأصل : تنبيه .

## ذكر ما آل إليه عاقبة أمر السلطان

لما فرقت الواقعة بيني وبين والسلطان ، رميتى الجفلة إلى آمد بعد اختفائي  
ببعض المغاير ثلاثة أيام ، ثم إلى إربل بعد تعويقي بآمد شهرين ممنوعاً من  
من الخروج ، ثم إلى أذربيجان بعد مصائب شتى (١) ونوائب تترى ،  
ثم إلى ميافارقين بعد مشقة وبؤس ، وفراغ كيس ، وعري (٢) لقطع أصابني  
عن الملبوس . فلم أنزل بمنزل من البلاد السلطانية إلا والناس يرجفون بأن  
السلطان باق ، وأنه جمع واحتشد ، واستمد واستعد ، أخاير زور وأمانى  
غرور ، يفترها الأهواء ويخلقها الود والولاء ، إلى أن عدت إلى ميافارقين  
وتيقنت هلاكه ، فكرهت حياتي ، ولمت القدر على نجاتي ، فظلمت أنتنفس  
الصعداء ، وأقول : ليت رب محمد لم يخلق محمداً . ولو أن في الآجال حيلة قاسمته  
عمرى ، وجعلت أنقص السهمين شطرى . وحيث أرى أن زمام الاختيار عن  
أيدي ذوى الأقدار ، مختلس أقول وفي الصدر شجى ، وفي القلب قبس :  
أنبت أن النار بعدك أوقدت واستبّ بعدك يا كليب المجلس  
وتحدثوا في أمر كل ملبسة لو كنت شاهدتهم بها لم يتبسوا (٣)

وكان الثاتار لما كبسوه بالقرية ، على ما سبق ذكره ، أخبرهم من  
أسر من رفقائه بأن هذا هو السلطان ، فجدوا إذ ذاك في طلبه ، وساق  
وراءه خمسة عشر فارساً منهم ، ولحقه فارسان فقتلها ، وأيس الباقون من  
الظفر به ، فرجعوا . ثم صعدا الجبل ، وكان الأكراد يحفظون الطرق  
لسحت يجمعونه ، فأخذوه وسلبوه كعادتهم بسائر من ظفروا به . فحين  
هموا بقتله ، قال لسكبيرهم سرأ : إننى أنا السلطان فلا تستعجل فى أمرى ،

(٢) فى الأصل : وعراء .

(١) فى الأصل : شتا .

(٣) الشعر للساهل .

ولك الخيار في إحضاري عند الملك المظفر شهاب الدين ، فيغنيك ، أو  
إبصالي إلى بعض بلادى فتصير<sup>(١)</sup> ملكا .

فرغب الرجل في إبصاله إلى بلاده ، ومشى به إلى عشيرته وحلته ،  
فتركة عند امرأته ومضى بنفسه إلى الجبل لإحضار خيله ، فبينما الرجل غائب  
إذ وافى شخص كردى من السفلة والأرذال ، ويده حربه ، فقال للمرأة :  
ما هذا الخوارزمى ، وهلا تقتلونه ؟ فقالت : لا سبيل إلى ذلك ، وقد أمته  
زوجى ، وعرف أنه هو السلطان . فقال الكردى : كيف تصدقونه بأنه  
السلطان ؟ وقد قتل لى بخلاط أخ خير منه . فضر به بالحربة ضربة أغنت<sup>(٢)</sup>  
عن الثانية ، وألحقتة بالنفوس الفانية<sup>(٣)</sup> . فأحقر الشقى حق مقدمه ، وأحل  
الأرض من حرام دمه ، فأضحى به جيب الزمان مشقوقاً ، وسكر الحدثنان  
مبشوقاً ، ولواء الدين مخفوضاً ، وبناء<sup>(٤)</sup> الإسلام منقوضاً . وأقشعت سماء  
شام أبناء الدين بوارقها ، وخاف أحزاب الكفر والجحود صواعقها .  
فكم فى أقاليم الأرض له من وقائع فات فيها أنياب المنايا ، وتخلص من أشدق  
البلايا ، حتى إذا حم القضاء<sup>(٥)</sup> كان هلاك الأسد الغالب ، على أيدي الثعالب  
فإلى الله تعالى المشتكى<sup>(٦)</sup> من صرف الزمان ، وريب الحدثنان .

نعم ، وبعث الملك المظفر إلى ذلك الجبل بعد مدة ، وجمع سلب السلطان  
والفرس الذى كان تحته ، والسرجه والسيف المشهور ، والعودة التى كان  
يشدها فى وسط شعره . فلما أحضرت شهد كل من حضر من خواصه الذين  
كانوا معه فى تلك الأيام مثل أوترخان ، وطلنب أمير آخور ، وجماعة أخرى

(١) فى الأصل : فتصير .

(٢) فى الأصل : اغتنت .

(٣) كانت وفاة جلال الدين منكبرتى فى منتصف شوال سنة ٦٢٨ هـ ( ١٥ أغسطس

سنة ١٢٣١ م ) . D'ohsson: Op. cit., t.iii, p. 62

(٤) فى الأصل : القضا .

(٤) فى الأصل : بنا .

(٦) فى الأصل : المشتكا .

بأن هذا سلبه ، وبعث فأحضرت عظامه ودفنت ، فقد ارتكب الشقي حق  
مقدمه خطباً عظيماً ، وترك الدنيا لفقده يتيماً (١) .

يامن أسال رقاب الكاشحين دماً      من بعد فقدك أبكيت العيون دماً  
لئن أباح (٢) صروف الدهر ساحته      فانظر إلى الملك والإسلام لاجرماً  
فالدين منثل ، والملك منهدم      وظل حبل العلي والمجد منجدماً (٣)

(١) اهم النسوى يتتبع أخبار جلال الدين متكبرتي في هذه الفترة دون أن يوجه عنايته إلى تتبع تاريخ المغول . وعلى كل فقد ظل المغول يلاحقون جلال الدين من جهة إلى أخرى حتى لقي حتفه ، ثم ساروا إلى أذربيجان واستولوا عليها ، ثم تقاتلت انتصاراتهم وتمكنوا من أن يضعوا أيديهم على بلاد أران وغالبية مدن جورجيا وأرمينية الكبرى ، كما زحفوا إلى الأقاليم الشمالية من العراق العربي ووصلوا حتى مدينة سامرا . وقد التحمت جيوشهم بجيوش الخليفة أكثر من مرة ، ولعلمهم كانوا في ذلك يختبرون قوة الجيوش العباسية تمهيداً للاجهاز على مركز الخلافة . انظر ابن الأثير: الكامل ، ج ١٢ ص ٢٣٤ . وانظر Howarth: Op, cit., part i, p. 132.

(٢) في الأصل : أتاح .

(٣) في الأصل : منجدماً .

ذكر نبذ من سيرة السلطان وصفته وتواقيعه  
وما خاطب به وخو طب من ذكر الخلافة وسائر الملوك

كان أسمر قصيراً (١) ، تركي الشارة والعبارة ، وكان يتكلم بالفارسية أيضاً . وأما شجاعته فخسبك منها ما أوردته من وقائعه ، فكان أسداً ضرغاماً أشجع فرسانه إقداماً ، وكان حليماً لا غضرباً ولا شتاماً ، وقوراً لا يضحك إلا تبسماً ، ولا يكثر كلاماً (٢) . وكان يحب العدل ، غير أنه صادف أيام الفتنة فغلب ، ويحب الترفيه على الرعية لولا أنه ملك في زمان الفترة فغصب . وكان [جلال الدين] يكتب إلى الخليفة مبدأ طلوعه من الهند والوحشة قائمة حدوا على منوال أبيه « خادمه المطواع منكبرتي بن السلطان سنجر (٣) ، ولما خلعت عليه خلعة السلطنة — على ما ذكرناه — بخلاط ، كتب إليه « عبدة » ، والخطاب « سيدنا ومولانا أمير المؤمنين ، وإمام المسلمين وخليفة رسول رب العالمين ، إمام المشارق والمغارب ، والمثيف على الذروة العليا من لوى بن غالب » .

وكان [جلال الدين] يكتب إلى علاء الدين بن كيقباد وملوك مصر والشام أجمع اسمه واسم أبيه مشعوتاً بالسلطان ، ولم يكتب شيئاً مما جرت

(١) في الأصل: قصير .

(٢) اختلفت نظرة المؤرخين في تحليل شخصية جلال الدين منكبرتي ، فاذا تركنا جانباً ما ذكره النسوي ، نرى ابن الأثير يصفه بقوله : كان جلال الدين سيء السيرة ، قبيح التدبير للملك ، لم يترك أحداً من الملوك المجاورين له إلا عاده ، ونازعه الملك وأساء مجاورته . ونرى دونسون يلقب عليه صفات الجندي أكثر من صفات الحاكم السياسي كما ذكر أنه كان يميل إلى الأبهة ، شديد الوله بالخير والموسيقى حتى في أشد ساعاته حرجاً . انظر ابن الأثير : الكامل ،

ج ١٢ ص ٢٣٠ و . D'ohsson : Op. cit., t. iii, p. 63

(٣) كان علاء الدين محمد خوارزم شاه قد اتخذ لنفسه اسم « سنجر » تيمناً باسم السلطان سنجر السلاجوقي الذي طالت مدة حكمه ، فقد حكم من سنة ٥١١ / ٥٥٢ هـ ( ١١١٧ /

١١٥٧ م ) انظر . Lane-Poole : Op. cit., p. 153

به العادة من خادمه أو محببه أو أخيه . وكانت علامته على تواقيعه ، النصر من الله وحده . ، فإذا كاتب بدر الدين صاحب الموصل وأشباهه ، يعلم بهذه العلامة عليه بأحسن خط ، وكان يشق قلم العلامة شقين لتجيم غليظة .

وقد خاطبوه من الخليفة مبدأ طلوعه من الهند بالجناح الرفيع الخاقاني ، ولم يزل يقترح عليهم خطابه بالسultan فلم يجب إلى ذلك ، إذ لم تجر العادة به مع من تقدمه من كبار الملوك . فلما كثرت إلحاحه خاطبوه <sup>(١)</sup> حين حملت إليه خلع السلطنة بالجناح العالی الشاهنشاهی .

وكانت واقعته في منتصف شوال سنة ثمان وعشرين وستمائة ، فأعظم بها من مصيبة ، لوشق الفجر لها جيبه لتحقيق ، وأجفعها من نازلة ، لو خدش لها القمر وجهه لجدير ، فحق للأفلاك أن تلبس ثوب الحداد ، والنجوم أن تجلس فيها على الرماد ، وأظنها لو صادفن ليلا لدعون ويلا ، وتناوين على المصاب جيلا فجيلا <sup>(٢)</sup> ، فكان المراد بقول أبي تمام :

ألا في سبيل الله من عطالت له	فجأج سبيل الله وانتغر الشجر
فيمات بين الطعن والضرب ميتة	تقوم مقام النصر إذ فاته النصر
وما مات حتى مضرب سيفه	من الضرب واعتلت عاياه القنا السمر
فأنبت في مستنقع الموت رجله	وقال لها من تحت أخمصك الحشر
غدا غدوة والحمد نسج ردائه	فلم ينصرف إلا وأكفانه الأجر
تردى <sup>(٣)</sup> ثياب الموت حمر أفأأتى	لها الليل إلا وهي من سندس خضر <sup>(٤)</sup>
مضى طاهر الأثواب لم تبق روضة <sup>(٥)</sup>	غداة ثوى إلا اشتهدت أنها قبر
عليك سلام الله وقفنا فإنتى	رأيت الكريم الحر ليس له عمر

(١) في الأصل : خطبوه .

(٢) في الأصل : تناوين على المصاب جيلا فجيلا .

(٣) في الأصل : تردا .

(٤) في الأصل : لها في الليل وهي من سندس خضر .

(٥) في الأصل : لم تبق بقعة .

فرحمه الله رحمة تبرد روحه ، وتنور ضريحه ، وعرف له مساعده في  
الذب عن دين الله ، والسعي في سبيل الله ، وأسهل عليه ذوق نعمه بدعاء  
يمليه خالص الود والولاء ، وبكاء ينيه (١) عن حسن العهد والوفاء  
خليلي على خالد خالد (٢) وصنف همومي طويل العناء  
أصبتنا بكبز الغنى والإمام أمسى مصابا بكبز الفناء (٣)  
الحدس حوى جثة المملحين لدن ثرى حال در الثراء  
وقد كان قبل يزين السرير والبهو يملأه بالدهام  
فكم غيب الترب من سوؤد وعال المنى من جميع البلاء (٤)  
الحمد لله الذى بنعمه تتم الصالحات ، وبأمره قامت الأرض والسموات ،  
صلى الله على سيدنا محمد وآله بأفضل الصلوات وأكرم التحيات ، وسلم  
تسلياً كثيراً إلى يوم الدين .. نجزت فى ... سنة سبع وستين وستائة .

- 
- (١) فى الأصل : يني .  
(٢) كذا فى الأصل ، وأولى أن يكون بكائى على خالد خالد . . . حتى يستقيم المعنى .  
(٣) فى الأصل : أصبتنا بكبز الغنى والإمام أمسى مصابا بكبز الفناء .  
(٤) نلاحظ أن بحر المتقارب مكسور الوزن فى الآيات الثانى والثالث والرابع .



المصادر، والكشاف، والفهرس

1920

## المصادر العربية

- ابن الأثير: ( + ٥٦٣٠ = ١٢٣٢ م ).
- (١) الكامل في التاريخ ( الطبعة الأزهرية ، ٥١٣٠٢ = ١٨٨٤ م ).
- (٢) تاريخ الدولة الأتابكية، ملوك الموصل ( طبعة Rec. Hist. Or. Cr. t. ii )
- البندارى :
- (٣) تاريخ دولة آل سلجوق . ( القاهرة ، ٥١٣١٨ = ١٩٠٠ م ).
- حافظ أحمد حمدي :
- (٤) الدولة الخوارزمية والمغول . ( القاهرة ، ٥١٣٦٨ = ١٩٤٩ م ).
- (٥) الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي . ( القاهرة ٥١٣٦٩ = ١٩٥٠ م ).
- (٦) المغول والعالم الإسلامي ؛ بحث في كتاب و مجموعة الاذاعات الثقافية ،  
نشرته وزارة المعارف سنة ١٩٤٧ .
- حسن ابراهيم حسن ، دكتور :
- (٧) النظم الإسلامية ، بالاشتراك مع الدكتور على ابراهيم حسن .  
( القاهرة ، ٥١٣٥٨ - ١٩٣٩ م ).
- (٨) تاريخ الإسلام السياسي ، ج ٢ . ( القاهرة ، ٥١٣٦٥ = ١٩٤٥ م ).
- (٩) ، ، ، ج ٣ . ( القاهرة ، ٥١٣٦٦ = ١٩٤٦ م ).
- ابن خلدون: ( + ٥٨٠٨ = ١٤٠٥ م ).
- (١٠) العبر وديوان المبتدا والخبر . ( القاهرة ، ٥١٢٨٤ = ١٨٦٧ م ).
- ابن خلكان: ( + ٥٦٨١ = ١٢٨٢ م ).
- (١١) وفيات الأعيان: ( بولاق ، ٥١٢٨٣ = ١٨٦٦ م ).
- الديار بكري: ( + ٥٩٦٦ = ١٥٥٨ م ).
- (١٢) تاريخ الخنيس في أحوال أنفس نفيس . ( القاهرة ، ٥١٢٨٣ = ١٨٦٦ م ).

رضا زاده شفق ، دكتور :

(١٣) تاريخ الأدب الفارسي . نقله من الفارسية إلى العربية الدكتور محمد

موسى هنداوى . ( القاهرة ، ١٣٦٦ هـ = ١٩٤٧ م ) .

زكى محمد حسن ، دكتور :

(١٤) فنون الإسلام . ( القاهرة ، ١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م ) .

(١٥) الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي . ( القاهرة ، ١٣٥٥ هـ = ١٩٤٠ م ) .

(١٦) الصين وفنون الإسلام . ( القاهرة ، ١٣٦٠ هـ = ١٩٤١ م ) .

(١٧) التصوير في الإسلام عند الفرس . ( القاهرة ، ١٣٥٥ هـ = ١٩٣٦ م ) .

(١٨) التصوير وأعلام المصورين في الإسلام ؛ بحث في كتاب « نواح مجيدة

من الثقافة الإسلامية » ، هدية المقتطف في أكتوبر سنة ١٩٣٨ .

السيوطى : ( + ٩١١ هـ = ١٥٠٥ م ) .

(١٩) تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائلين بأمر الله .

( القاهرة ، ١٣٥١ هـ = ١٩٣٢ م ) .

ابن شاكر السكتي : ( ٥٧٦٤ هـ = ١٣٦٢ م ) .

(٢٠) فوات الوفيات . ( القاهرة ، ١٢٨٣ هـ = ١٨٦٦ م ) .

أبو شامة : ( + ٦٦٥ هـ = ١٢٦٦ م ) .

(٢١) تراجم رجال القرنين السادس والسابع . ( القاهرة ، ١٣٦٦ هـ = ١٩٤٧ م ) .

الروضتين في أخبار الدولتين . ( طبعة R. H. O. C. ) .

ابن طباطبا :

(٢٢) الفخرى في الآداب السلطانية والدول الإسلامية .

( القاهرة ، ١٣٥٧ هـ = ١٩٣٨ م ) .

عبد الرحمن زكى ، القائمقام :

(٢٣) السلاح في الإسلام . ( القاهرة ، ١٣٧٠ هـ = ١٩٥١ م ) .

عبد الوهاب عزام ، دكتور :

(٢٤) الصلات بين العرب والفرس وآدابهما في الجاهلية والإسلام ؛ بحث  
في كتاب « نواح مجيدة من الثقافة الإسلامية » ، هدية المقتطف في  
أكتوبر سنة ١٩٣٨ .

ابن العبري : ( + ٥٦٨٥ = ١٢٨٦ م ) .

(٢٥) تاريخ مختصر الدول . ( بيروت ، ١٣٠٨ هـ = ١٨٩٠ م ) .

على ابراهيم حسن . دكتور :

(٢٦) مصر في العصور الوسطى . ( القاهرة ، ١٣٦٦ هـ = ١٩٤٧ م ) .

(٢٧) دراسات في تاريخ الممالك البحرية . ( القاهرة ، ١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م ) .

ابن العميد : ( + ٥٦٧٢ = ١٢٧٣ م ) .

(٢٨) تاريخ المسلمين . ( لندن ، ١٠٣٥ هـ = ١٦٢٥ م ) .

أبو الفدا : ( + ٥٧٣٢ = ١٣٣١ م ) .

(٢٩) المختصر في أخبار البشر . ( القاهرة ، ١٣٢٥ هـ = ١٩٠٧ م ) .

قدرى حافظ طوقان :

(٣٠) الأثر العلمي للحضارة الإسلامية وأعظم علمائها ؛ بحث في كتاب « نواح  
مجيدة من الثقافة الإسلامية » ، هدية المقتطف في أكتوبر سنة ١٩٣٨ .

القلقشندي : ( + ٥٨٢١ = ١٤١٨ م ) .

(٣١) صبح الأعشى في صناعة الإنشا . ( القاهرة ، ١٣٣٣ هـ = ١٩١٤ م ) .

ابن القلانسي : ( + ٥٥٥٥ = ١١٦٠ م ) .

(٣٢) ذيل تاريخ دمشق . ( بيروت ، ١٣٢٦ هـ = ١٩٠٨ م ) .

أبو المحاسن : ( + ٥٨٧٤ = ١٤٩٦ م ) .

(٣٣) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة .

( القاهرة ، ١٣٥٤ هـ = ١٩٣٥ م ) .

محمد جمال الدين سرور ، دكتور :

(٣٤) الظاهر بيبرس وحضارة مصر في عصره .

. (القاهرة ، ١٣٥٧هـ = ١٩٣٨م ) .

. (٣٥) دولة بني قلاوون في مصر . (القاهرة ، ١٣٦٦هـ = ١٩٤٧م ) .

. (المقريزي : ( + ٨٤٥هـ = ١٤٤١م ) .

(٣٦) السلوك لمعرفة دول الملوك . نشره الدكتور محمد مصطفى زيادة .

. (القاهرة ، ١٣٥٣هـ - ١٣٥٨هـ = ١٩٣٤ - ١٩٣٩م ) .

(٣٧) المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار .

. (القاهرة ، ١٢٧٠هـ = ١٨٥٣م ) .

. ابن ميسر ( + ٦٦٧هـ = ١٢٧٨م ) .

(٣٨) تاريخ مصر . (القاهرة ، ١٣٣٨هـ = ١٩١٩م ) .

النسوى :

(٣٩) سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي . (باريس ، ١٣٠٩هـ = ١٨٩١م )

النظامي العروضي السمرقندي :

(٤٠) چهار مقاله ؛ نقله من الفارسية إلى العربية الأستاذان عبدالوهاب

ويحيى الخشاب . (القاهرة ، ١٣٦٨هـ = ١٩٤٩م ) .

. ابن الوردي : ( + ٧٥٠هـ = ١٣٤٩م ) .

(٤١) تنمة المختصر في أخبار البشر . (القاهرة ، ١٢٨٥هـ = ١٨٦٨م )

. ياقوت : ( + ٦٢٦هـ = ١٢٢٩م ) .

(٤٢) معجم البلدان . (القاهرة ، ١٣٢٣هـ = ١٩٠٦م ) .

## المصادر الأجنبية

### **Abulgasi :**

1. Histoire Généalogique des Tatars. (Leyde, 1726)

### **Ameer Ali, Sayed :**

2. A Short History of the Saracens. (London, 1916)

### **Arnold, T. W. :**

3. The Preaching of Islam. (London, 1935)

### **Atiya, A. S. :**

4. The Crusade in the Later Middle Ages. (London, 1938)

### **Barker, E. :**

5. The Crusades. (London, 1925)

### **Barthold :**

6. Turkestan down to the Mongol Invasion. (London, 1928)

### **Bloch, E. :**

7. Introduction à l'Histoire des Mongols de Fadlallah Rashid Ed Din. (Leyden, 1910)

### **Boulger, D. C. :**

8. The Mongols and the Court of Kublai Khan. (Universal History of the World, vol. 5, pp. 2847-2860)

### **Bretschneider, E. :**

9. Mediæval Researches From Eastern Asiatic Sources. (St. Petersburg, 1887)
10. Recherches Archéologiques et Historiques sur Pékin et ses Environs. (Paris, 1879)

### **Browne, E. G. :**

11. A Literay History of Persia. (London, 1906)
12. Account of a Rare Manuscript History of Seljuqs. (London, 1906)

### **Cahun, L. :**

13. Introduction à L'Histoire de L'Asie, Turcs et Mongols, des origines à 1405. (Paris, 1896)
14. Gengis-Khan et L'Empire Mongol.

(Lavissee et Rambaud : Histoire Générale, tom. ii, pp. 917-953)  
(Paris, 1893)

**Curtin, J. :**

15. The Mongols' History. (Boston, 1908)

**Czaplicka :**

16. The Turks of Central Asia, in History and at the Present Day.  
(Oxford, 1918)

**Defremery, M. :**

17. Histoire des Seldjoukides; Extraits du Tarikhi Guzideh, ou Histoire  
Choisie d'Hamdullah Mustaufi.  
(Journal Asiatique : Avril-Mai, 1848, pp. 417-468)
18. Histoire des Seldjoukides. (Suite)  
(Journal Asiatique : Septembre-Octobre, 1848, pp. 259-376)
19. Fragments de Géographes et d'Historiens Arabes et Persans  
Inédits. (Journal Asiatique : Novembre-Décembre, 1849, pp.  
447-513)

**De Guignes, J. :**

20. Histoire Générale des Huns, des Turcs, des Mongols et des  
autres Tartares Occidentaux. (Paris, 1757)

**D'ohsson, M. Le Baron :**

21. Histoire des Mongols depuis Tchinguiz-Khan jusqu'a Timour  
Bey ou Tamerlan. (Paris, 1824)

**Douglas, R. K. :**

22. The life of Jenghiz-Khan, Translated from Chinese. (London,  
1877)
23. China, The Story of Nations. (London, 1912)
24. Jenghiz-Khan. (Encyclopædia Britannica, vol. 12, pp. 1000-1001).  
(New York, 1929)

**Dubeux, M. L. :**

25. La Perse. (Paris 1841)

**Eileen Power :**

26. Medieval People. (London 1939)
27. The Guilds and Medieval Commerce.  
(Universal History of the World, vol. 5, pp. 2897-2926)



**Fitzgerald :**

28. *China, A Short Cultural History.* (London, 1935)

**Fraser, J. B. :**

29. *Historical and Descriptive Account of Persia.* (London, 1833)

**Gibbon, E. :**

30. *The History of the Decline and Fall of the Roman Empire.*  
(New York, 1927)

**Giles, A. H. :**

31. *The Civilization of China.* (Cambridge, 1911)

**Grenard, F. :**

32. *Gengis-Khan.* (Paris, 1935)

**Hart, B. H. L. :**

33. *Mongol Campaigns.*  
(*Encyclopædia Britannica*, vol. 15, pp. 705—7.) New York, 1929.

**Heyd, W. :**

34. *Histoire du Commerce du Levant au Moyen Age.*  
(Leipzig, 1886)

**Hirth, J. :**

35. *China and the Roman Orient.* (Leipsic, 1885)

**Hirth & Rockhill, W. W. :**

36. *Chinese and Arab Trade in the Twelfth and Thirteenth Centuries.*  
Translated from Chinese. (St. Petersburg, 1911)

**Hitti, Philip :**

37. *The History of the Arabs.* (London, 1937)

**Howorth, H. H. :**

38. *History of the Mongols.* (London, 1876)

**Huntington, E. :**

39. *The Pulse of Asia.* (Washington, 1919)<sup>2</sup>

**Huzayyin, S. A. :**

40. *Arabia and the Far East. Their Commercial and Cultural Relations in Graeco-Roman and Irano-Arabian Times.* (Cairo, 1942)

- Jacobs, Joseph :**
41. The Story of the Geographical Discovery.  
How the World Became Known. (London)
- Lamb, Harold :**
42. Genghis-Khan; The Emperor of All Men. (London, 1934)
43. The Crusades ; The Flame of Islam. (London, 1931)
- Lane-Poole, Stanley :**
44. History of Egypt in the Middle Ages. (London, 1925)
45. Mediæval India Under Mobammedan Rule. (London, 1917)
46. The Mohammadan Dynasties. (Paris, 1925)
47. Catalogue of the Collection of Arabic Coins preserved in the  
Khedivial Library at Cairo. (London, 1897)
- Le Strange :**
48. Baghdad During the Abbasid Caliphate. (Oxford, 1900)
- Little, A. :**
49. The Far East. (Oxford, 1905)
- Loewe, H. M. J. :**
50. The Seljuqs.  
(Cambridge Medieval History, vol. iv, pp. 299-317) Cambridge,  
1927.
51. The Mongols.  
(Cambridge Medieval History, vol. iv, pp. 627-652). Cambridge,  
1927.
- Malcolm, J. :**
52. The History of persia, from the Most Early Period to the  
Present Time. (London, 1829)
- Marcel, M. J. :**
53. L'Egypte Depuis la Conquête Des Arabes Jusqu'a la Domination  
Française. (Paris, 1848)
- Muir, Sir William :**
54. The Caliphate, Its Rise, Decline and Fall. (Edinburgh, 1924)
- Nicholson, Reynold :**
55. A Literary History of the Arabs. (London, 1923)
- Nidhami-i-Arudi-i-Samarquandi :**
56. The Chahâr Maqala. Translated by E. G. Browne. (London, 1899)

**Nizam Al-Mulk :**

57. Siyâsat Namah. (Paris, 1891)

**Nöldéke, Theodor :**

58. The Abbasids.  
(The Historians' History of the World, vol. viii, pp. 209—232)  
(New York, 1926)

**Rashid-Eldin :**

59. Histoire des Mongols de la Perse. Edit. par M. Quatremere.  
(Paris, 1833.)

**Reinaud et Favé, M. M.:**

60. Du Feu Grégeois, Des Feux De Guerre, et Des Origines De la  
Poudre a Canon chez les Arabes, les Persans, et les Chinois.  
(Journal Asiatique : Octobre 1849, pp. 257—327)

**Sanallah, Mawlawi Fadil :**

61. The Decline of the Saljûqid Empire. (Calcutta, 1938)

**Ross, E. D. :**

62. The Empire of the Seljuk Turks.  
(Universal History of the World, vol. 5, pp. 2779—96)

**Skrine, F. H. & Ross, E. D. :**

63. The Heart of Asia. (London, 1899)

**Stevenson, W. B. :**

64. The Age of Eastern Imperialism : 1216—1303.  
(Universal History of the World, vol. 5)

**Sykes, Sir Percy :**

65. The Quest For Cathay. (London, 1936)  
66. A History of Persia. (Oxford, 1922)

**Vambery, A :**

67. History of Bokhara from the Earliest Period down to the Present.  
(London, 1873)

**Vladimirtsov :**

68. The Life of Chingis-Khan. (London, 1930)

**Von Hammer :**

69. Histoire de L'Ordre des Assassins. (Paris, 1833)

**Wells, H. G. :**

70. The Outline of History.

**Wiet, Gaston :**

71. Précis de l'Histoire d'Egypte. (Le Caire, 1932)

**Zambaur :**

72. Manuel de Généalogie et de Chronologie pour l'Histoire de l'Islam. (Hanovre, 1927)

نقله إلى اللغة العربية باسم «معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي» الأساتذة  
الدكتور زكي محمد حسن ، وحسن أحمد محمود ، والدكتورة سيدة إسماعيل كاشف، وحافظ  
أحمد حمدي ، وأحمد ممدوح حمدي ( مطبوعات جامعة فؤاد الأول بالقاهرة ، ١٣٧٠ هـ )  
= ١٩٥١ م .

## كشاف

(١) أسماء الرجال والنساء ، والقبائل والشعوب ، والفرق الدينية .

اختيار الدين كشكي ، أمير آخورد:	(١)
. ١٠٧ ، ٩٠	أبا قحان ، إيلخان فارس : ٢٢ .
أخش ملك : ٢٣٦ ، ٣٠٤ .	أبان ، أمير : ١٦٤ .
أدك خان : ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ،	الأتراك : ٤ ، ٥ ، ٢١ ، ٢٢ ،
. ١٧٦	٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٣ ،
آدم : ١٣ ، ٣٣ .	٤٥ ، ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٦٥ ، ٧٦ ،
أربزخان : ٦٦ .	٧٧ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٨ ،
أربن بن سعد الدين ، الحاجب :	٨٩ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ٩٩ ، ١١٢ ،
. ٧٩	١١٨ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ،
أرتق خان : ٢٣٦ .	١٤٦ ، ١٥١ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ،
أرخان ، أمير : ١٦٤ ، ١٩٨ ،	١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ٢١٧ ،
٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢١٦ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ،	٢١٨ ، ٢٢٣ ، ٢٤٣ ، ٢٨٤ ، ٢٩٢ ،
٢٣٦ ، ٢٤٨ ، ٢٦٦ ، ٢٧٦ ، ٣٢٥ ،	٣٠٥ ، ٣٣١ ، ٣٣٣ ، ٣٥٧ ، ٣٦٢ ،
. ٣٧٩	آتسز ، سلطان خوارزم : ٢ ، ٣٤ .
أردشير بن الحسن ، ملك مازندران :	أجتاي : ١٤ ، ١٥ ، ٢٠ ، ٤٦ ،
. ٣١٢	٩١ ، ٩٧ ، ١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٧٠ ،
أرسلان خان : ٤٣ ، ١٨٩ .	٢٢٣ ، ٣٣٥ ، ٣٥٤ ، ٣٦٣ .
أرسمان بهلوان : ٣٥٢ .	أجودا A-gu-da : ٣٩ .
الأرمن : ٢١٢ ، ٣٠٢ ، ٣١٧ ،	اختيار الدين خربوست : ١٥٢ ،
. ٣٢٥	. ٢٩٣
أزبك باين : انظر جهان بهلوان	اختيار الدين زنكي بن محمد بن
أزبك باين .	حمزة : ١٢٧ ، ١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ،
	. ١٨١

أطلس ملك، أمير اليولق : ٢٨٢ ،  
 ٣٣٢ .  
 الأعظم ، صاحب ترمذ : ٦٦ .  
 أعظم ملك ، صاحب بلخ : ١٥٤ ،  
 ١٥٥ ، ١٥٩ .  
 أغل حاجب : انظر أيتانج خان .  
 أغلش ، الأتابك : ٥٢ .  
 اقتنار جهان : ٩٤ .  
 افراسياب : ٣٥٧ .  
 أقسنقر السكوثي : ١٤٠ .  
 آق شاه : ٢ ، ٩٧ ، ١٢٠ ، ١٢١ ،  
 ١٢٢ ، ١٢٨ ، ١٢٩ .  
 الأكراد : ٢٠ ، ٣٨١ .  
 الألان ، اللان ، قبائل : ٢٩١ .  
 ألب أرسلان : ٦ ، ٨ ، ٦٠ ،  
 ٢٨٩ .  
 ألب خان ، قائد : ١٥٠ ، ٢٣٦ .  
 التون خان : ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ .  
 الخ خان : ٣٠٨ ، ٣٣١ .  
 الأمويون : ٥٧ .  
 أمين الدين الدهستاني : ٧١ .  
 أمين الدين رقيق الخادم : ٣٤١ .  
 أمين الدين الهروي : ٨٥ .  
 أمين ملك ، والي خوارزمي :  
 ١٣٣ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٨ .  
 أنوشروان : ٢٤٧ ، ٣١٦ .  
 أواك ، ابن إيواني السكرجي :  
 ٢٩٢ ، ٣٧١ .  
 أوترخان : لقب يكت ملك .  
 أودك ، أمير آخور : ١٧٦ ،  
 ٢٣٦ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ .

أذبة طارين ، قائد خوارزمي :  
 ٢٩٢ ، ٢٩١ .  
 أزلاخ شاه : انظر قطب الدين .  
 الاستوائ ، القاضي : انظر  
 أبو جعفر .  
 أستون نوين ، قائد مغولي : ١٧٠ .  
 أبو اسحق الشيرازي : ١٥٠ .  
 أسد الدين الجويني : ١٤٥ .  
 أسد الدين مودود : ٢٦٦ ، ٣٤٣ ،  
 ٣٤٨ .  
 الأسد بن عبد الله : ٣٣١ .  
 الأسد بن عبد الله المهراني : ٣٢٣ .  
 أسرك بهلوان : ٩٠ .  
 الأسكندر الأكبر : ١٧ ، ١٧٤ .  
 أسلبه خان : ٩١ .  
 الأشماعيلية : ٦ ، ٧ ، ٩ ، ١٩ ،  
 ٢٠ ، ٢٤ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٧٤ ، ٧٥ ،  
 ١٤١ ، ٢٠٦ ، ٢٢٤ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ،  
 ٢٣٦ ، ٢٤٣ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٦٥ ،  
 ٢٦٦ ، ٣٣٦ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٨ ،  
 ٣٥٢ .  
 إسماعيل الإيواني : ٣٢٠ .  
 إسماعيل بن جعفر الصادق : ٥١ .  
 أسن طغان نوين ، قائد مغولي : ٢٣٢ .  
 الأشرف موسى : ٢٠٩ ، ٢١٠ ،  
 ٢١٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦٩ ، ٢٧٣ ، ٢٩٩ ،  
 ٣٠١ ، ٣١٣ ، ٣١٥ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ،  
 ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٣ ،  
 ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٤٩ ، ٣٥٥ ، ٣٥٧ ،  
 ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٨ .

- الباخرزي ، نائب شرف الملك :  
 . ٢٥٨
- ياسور نوين ، قائد مغولي : ٢٣٢ .  
 الباطنية : انظر الاسماعيلية .  
 باقل ، يضرب به المثل في الهي :  
 . ٢١٠
- باقو نوين ، قائد مغولي : ٢٣٢ .  
 البامياتي ، أبو بكر محمد بن علي  
 ابن أحمد : ٣٦ .  
 بايندر ، قبيلة : ٥٠ .  
 بدر الدين أحمد ، رسول الموت :  
 . ٢٣٩ ، ٢٣٠ ، ٣٤٠
- بدر الدين طوطق : انظر طوطق .  
 بدر الدين العميد : ٩٢ .  
 بدر الدين لؤلؤ : ٣٠٤ ، ٣٨٥ .  
 بدر الدين هلال ، الخادم : ٩٦ ، ١٩٦ .  
 براق حاجب : ١٧٤ ، ١٧٥ ،  
 ٢١٣ ، ٢١٥ ، ٢٤٤ ، ٣٣٨ .  
 البرامكة : ٤ .  
 البرطاسي : ٩٠ .  
 برهان الدين ، رئيس أصحاب  
 أبي حنيفة بخوارزم : ٨٠ .  
 برهان الدين محمد بن أحمد بن عبدالعزيز  
 البخاري : ٦٨ .  
 برهان الدين محمد صدر جهان : ٩٤ .  
 بشار بن برد الشاعر : ١٨٩ .  
 بغدي ، مملوك الأتابك أوزبك :  
 . ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤
- بقرجن نوين ، قائد مغولي : ١٧٠ .  
 بكتمر : ٢٩٣ .  
 أبو بكر الخوارزمي ، الشاعر : ١٨٢ .

- أوزبك بن محمد ، أتابك أذربيجان :  
 ، ١٨ ، ٣٧ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ،  
 ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦١ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ،  
 ، ١٩١ ، ١٩٥ ، ١٩٩ ، ٢٠٧ ، ٢٢٣ ،  
 ، ٢٤٧ ، ٢٥٥ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ .  
 أولجايتو : ٢٢ .  
 إياز : انظر جهان بهلوان إياز .  
 أيبك الأندار : ١٤٠ .  
 أيبك الخريندار : ١٤٠ .  
 أي جيچاك ، والدة جلال الدين  
 منسكيري : ٩٦ .  
 أيدغدي كله : ١٤٥ .  
 أيدمر الشامي : ١٤٥ ، ١٤٧ .  
 أيسى خاتون : ١٤٥ ، ١٤٧ .  
 أيطغمش ، المملوك : ٦٨ .  
 أيفر ، قبيلة : ٥٠ .  
 إيل أرسلان : ٢ ، ٣٤ ، ٧٧ .  
 إيلان توغو : ٢٣٥ .  
 إيلجي بهلوان : انظر جهان بهلوان  
 إيلجي .  
 أيناام خان : لقب أبو بكر ملك .  
 أيناخ خان : ٤٨ ، ٩٠ ، ١٠١ ،  
 ، ١٢٢ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ،  
 ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٨٧ ، ١٨٩ ، ١٩١ ،  
 ، ٢٦٦ ، ٣٠٢ ، ٣٠٥ .  
 إيواني الكرجي : ٢٧٢ ، ٢٩١ ،  
 ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٣٦٠ ، ٣٧١ .  
 الأيوبيون ، الدولة الأيوبية :  
 . ٥٤ ، ٢٧٨ ، ٣٢٣ ، ٣٧٤ .
- (ب)
- باجي بك ، قائد مغولي : ١٧٠ .

(ت)

- تاتاك توين ، قائد مغولي : ٢٣٢ .  
• تاج الدين ، صاحب بلخ : ٦٥ ،  
• ٦٧ .  
• تاج الدين حسن ، السرهنك :  
• ١٠٧ ، ١٩٠ .  
• تاج الدين الحسين ، مقطع استر اباد :  
• ٢١٦ .  
• تاج الدين صاحب بن الحسن :  
• ٢٥٩ .  
• تاج الدين علي : ٢٦٥ .  
• تاج الدين علي شاه : ٢ .  
• تاج الدين عمر البسطامي ، الأمير :  
• ١٠٥ .  
• تاج الدين عمر بن مسعود : ١٨١ .  
• تاج الدين قليج ، الخادم : ١٩٦ ،  
• ٢٠٠ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢٢٦ .  
• تاج الدين قز : ١٨٠ .  
• تاج الدين بن كريم الشرق (٢)  
النيسابوري : ٧٢ ، ٨٢ ، ٢٤٢ ، ٢٤٤ .  
• تاج الدين محمد البلخي : ٢٤٧ ،  
• ٢٤٨ .  
• تاج الدين محمد بن صاعد ، الأمير :  
• ١١٣ .  
• تاج الملك نجيب الدين ياقوب  
الخوارزمي ، مشرف الماليك : ٢٤٣ ،  
• ٣٦١ .  
• تامار : ٢٨٧ .

- أبو بكر بن سعد بن زنكي : ٦٣ ، ٦٢ .  
• أبو بكر الصديق : ٥٧ .  
• أبو بكر ملك : ٢٣٨ ، ٢٨٥ .  
• بكشان جنكشي : ١٣٧ .  
• بكك السديدي : انظر سيف الدين .  
• بلكواي ، والدة غياث الدين : ١٧٨ .  
• بلبان الخالجي : انظر عز الدين .  
• بلقي ملك ، خال غياث الدين بير شاه :  
• ١٤٨ .  
• بلخمور خان : ٩٠ .  
• بلكا خان : صاحب أترار : ٦٨ ، ٦٦ .  
• بندار : ٣٦٩ ، ٣٧٠ .  
• بهاء الدين حاجي : ١٨٣ ، ١٨٤ .  
• بهاء الدين سكر ، مقطع ساوة :  
• ٣١٧ ، ١٤٥ .  
• بهاء الدين محمد بن بشير : ٣٥٩ .  
• بهاء الدين محمد بن سهل ، أمير نساء :  
• ١١٣ ، ١١١ .  
• بهرام شاه ، صاحب ترمذ : ٩٤ .  
• بهرام السكرجي : ٢٩٣ ، ٢٩٥ .  
• بوجي بهلوان (١) : ٤٨ ، ١٢٢ .  
• البوذية : ٤٣ ، ٤٧ .  
• البويهيون : ٤ ، ٥ ، ٧٦ ، ١٨٢ .  
• بياووت ، قبيلة : ٧١ ، ٩٩ ، ١٢٢ .  
• بيدشو ، قائد مغولي : ٣٣٥ ، ٣٥٤ .  
• البيزنطيون . الدولة البيزنطية :  
• ٢٨٩ ، ٦ .  
• ابن بيشتكين : انظر نصره الدين محمد .

(١) في ص ١٢٢ : « توخي بهلوان » .  
(٢) في ص ٧٢ : « كريم الشرف » .





- جهان بهلوان ، إياز : ٦٨ ، ٧٨ .  
 • جهان بهلوان ، ايلجى : ١٣٧ ، ١٦٤ .  
 • ١٨٠ ، ١٩٢ ، ١٩٨ ، ٢٣٤ ، ٢٤٣ .

(ح)

- حبش ، رجل من قرية كاهجة : ١١٧ .  
 • حرور ، أمير : ٩٠ .  
 • حسام الدين تكش : ٦٣ .  
 • حسام الدين تكين تاش : ٢٧٧ ،  
 • ٣٥٢ .  
 • حسام الدين خضر : ٢٠٠ ،  
 • ٢٠٢ ، ٢٧٠ ، ٢٩٨ ، ٣٢٧ ، ٣٢٥ .  
 • حسام الدين طغرل : ٣٢٣ .  
 • حسام الدين عيسى : ٣٢٦ .  
 • حسام الدين قليج أرسلان : ٣٥٦ ،  
 • ٣٥٧ .  
 • حسام الدين القيمرى : ٣٢٢ .  
 • حسام الدين مسعود : ٩٠ .  
 • حسن الثالث ، داعى دعاة  
 الاسماعيلية : ٢٢٤ ، ٢٢٩ .  
 • الحسن بن الصباح : ٨٠٧ .  
 • الحسن بن على : ١٣٠ .  
 • الحسن قرلق : ١٥٤ ، ١٦٩ ،  
 • ٣٤٦ .  
 • الحسين بن على : ١٣٠ .  
 • الحشيشية : انظر الاسماعيلية .  
 • الجمال المراغى : ٨٥ .  
 • حميد الدين ، الخازن : ٢٤٩ .  
 • الحنفيه : ٦٨ ، ٦٩ ، ١٠٩ .

- ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢٢٠ ،  
 • ٢٢٣ ، ٢٤٣ ، ٢٤٦ ، ٢٦٥ ، ٢٧٢ ، ٢٧٨ ،  
 • ٢٨٠ ، ٢٩٥ ، ٢٩٧ ، ٢٩٩ ، ٣٠٤ ، ٣١٥ ،  
 • ٣١٧ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢٢ ، ٣٢٩ ، ٣٣٢ ،  
 • ٣٣٤ ، ٣٣٦ ، ٣٣٨ ، ٣٤٠ ، ٣٥٢ ، ٣٥٤ ،  
 • ٣٥٩ ، ٣٦٣ ، ٣٧٣ ، ٣٧٨ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ،  
 • ٣٨٤ .  
 • جمال الزرّاد : ١٦١ .  
 • جمال الدين على العراقى : ٣٢٨ .  
 • جمال الدين عمر ، صاحب وختش : ٩٤ .  
 • جمال الدين عمر بن يوزدار : ١٤٥ .  
 • جمال الدين نجم الدين أبى القزوينى :  
 • ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ .  
 • جمال الدين فرج ، الطشت دار :  
 • ٢٤٣ ، ٣١٩ .  
 • جمال الدين القسّمى : ٢٠٥ ، ٣٦٩ .  
 • جنسكيز خان : ٣ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ،  
 • ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ،  
 • ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٥٩ ، ٦٦ ،  
 • ٧٠ ، ٧٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ،  
 • ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ،  
 • ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١١١ ، ١١٣ ،  
 • ١١٨ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣٣ ،  
 • ١٣٤ ، ١٣٨ ، ١٤٩ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ،  
 • ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ،  
 • ١٧٧ ، ١٩٢ ، ١٩٦ ، ٢٢٣ ، ٢٢٨ ، ٢٨٤ ،  
 • ٣٠١ ، ٣٣٥ ، ٣٣٨ ، ٣٤٨ ، ٣٥٤ ، ٣٦٣ ،  
 • ٣٧٥ .  
 • جهان بهلوان ، أزيك باين : ١٦٨ ،  
 • ١٦٩ ، ٣٤٦ .

(خ)

خواجه جهان ، لقب : انظر شرف ،  
الملك علي بن أبي القاسم الجندی .  
خاص خان : لقب تكشارق  
جنكشى .

خان بردى ، الحاجب : ۲۳۶ ،  
۲۷۴ .

خاموش ، ابن الأتابك أوزبك :  
۲۲۳ ، ۲۵۵ ، ۲۶۴ ، ۲۷۳ ، ۲۷۸ .  
خان جنكشى ، من ملوك الترك :

۹۹ .  
خان سلطان ، ابنة علاء الدين  
محمد خوارزم شاه : ۹۷ .

خداوند جهان ، لقب : ۹۹ .  
ابن خرميل : انظر نصره الدين  
محمد بن الحسن .

الخطا : ۳۶ ، ۳۹ ، ۴۳ ، ۴۵ ،  
۶۶ ، ۶۷ ، ۷۲ ، ۱۰۱ ، ۱۷۴ ، ۳۳۸ ،  
۳۴۱ .

الخانخالی ، انظر عز الدين بلبان -  
الحوارزمی ، مجير الدين عمر بن  
سعد : ۵۰ .

(د)

داعي خان ، أمير اليولق : ۲۸۲ ،  
۳۰۸ .

دانشمند ، الحاجب : ۹۳ ، ۹۷ ،  
۱۹۰ .

داية خاتون : ۳۶۱ ، ۳۷۲ .

الدرکجینی : ۲۶۱ .  
دکچک ، الأمير : ۵۶ ، ۳۵۳ .  
دمر ملك : ۱۲۶ .  
دنزکيقو : ۳۷۹ .  
دوش خان ، ابن آخش ملك : ۳۰۴ .  
دوشی خان : انظر جوجی .  
دولة ملك ، خال غياث الدين  
بيرشاه : ۱۴۶ ، ۱۴۷ ، ۱۴۸ .

(ر)

الراشد ، الخليفة العباسی : ۹ .  
رافعان ، إمام الدين : ۳۶۸ .  
رييب الدين أبو القاسم بن علي ،  
الوزير : ۳۷ ، ۵۴ ، ۵۵ ، ۵۷ ،  
۲۰۷ ، ۲۷۱ ، ۲۷۲ .

رستم ، من أبطال الفرس : ۱۳۶ .  
رسودان ، الملكة : ۲۸۷ .

الرشيد ، الخليفة العباسی : ۴ .  
رضی الملك ، مشرف ديوان جلال  
الدين منكبرتی بغزنة : ۱۵۲ ، ۱۵۳ .  
رکن الدين جهان شاه : ۳۰۱ ،  
۳۰۲ ، ۳۱۷ ، ۳۲۹ ، ۳۳۰ .

رکن الدين بن عطاف : ۲۸۰ .  
رکن الدين المغيشی ، القاضي : ۷۷ .  
رکن الدين غورشايحي : ۲ ، ۷۱ ، ۷۲ ،  
۷۳ ، ۱۰۴ ، ۱۴۰ ، ۱۴۱ ، ۱۴۲ ،  
۱۴۴ ، ۱۴۵ ، ۲۲۵ .

رکن الدين کبودخانه : ۱۰۶ .  
رکن الدين مسعود بن صاعد ،  
القاضي : ۱۷۶ ، ۲۲۵ .

٥٧ ، ٦٢ ، ١٤١ ، ١٤٩ ، ١٧٦ ، ١٩٠ ،  
 ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٩ .  
 سعد الدين علي ، الشربدار : ١٦٠ .  
 أبو سعيد ، إيلخان فارس : ٢٢ .  
 سكرخان : ٢٨٥ .  
 السلاجقة الروم : ٣٥ ، ٢١١ ،  
 ٢٢٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٥ ، ٢٧٨ ، ٣٠٠ ،  
 ٣٠١ ، ٣٠٣ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ،  
 ٣٢٣ ، ٣٢٩ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٥٠ ،  
 ٣٧٧ .  
 سلجوق ، السلاجقة : ٥ ، ٦ ، ٧ ،  
 ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٨ ،  
 ٦٠ ، ٧٦ ، ٨١ ، ٢٥٣ ، ٢٨٩ ، ٣٦٧ .  
 سلطان شاه ، ابن شروانشاه : ٢٨٧ .  
 سلطان شاه محمود : ٢ .  
 سلخر ، قبيلة : ٥٠ .  
 سليمان ، ابن آتسن : ٢ .  
 سليمان شاه : ٣٤٢ .  
 سملان سلك بك ، والى قلعة جاربيرد :  
 ٣٦٤ .  
 سنجر ، السلطان السلجوقي : ١١٨ ،  
 ٣٨٤ .  
 سنجر ، صاحب بخارى : ٦٦ .  
 سنجقان خان ، أمير : ١٦٤ ، ٢١٤ ،  
 ٢٧٦ .  
 سنقرجا ، سنقرجاه : انظر سيف الدين .  
 سنقرجق طايبى : ١٦٨ .  
 سنكرخان : لقب كتسنقر ملك .  
 السهروردي ، شهاب الدين : ٥٠ ،  
 ٥١ ، ٥٢ ، ٦٤ .

الروم : ١٧١ ، ١٩٤ ، ٢٨٠ ، ٣٠٢ ،  
 ٣٦١ .

رومانوس ، الإمبراطور البيزنطي :  
 ٢٨٩ .

### (ز)

زانه شتره ، صاحب جبل الجودي :  
 ١٦٢ ، ١٦١ .  
 زرادشت : ٢٠٥ ، ٢٠٧ .

الزكي الميجي : ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ .  
 زين الدين أبو حامد القزويني : ٣٦٧ .

### (س)

سالم بن دارة : ٣٤٤ .  
 بنو سام : ٢٣٩ .  
 سپر ، السلاحدار : ١٦٤ .  
 سبطي بهادر : انظر سوبوتاي .  
 السراج الخوارزمي : ٢٦٧ .  
 سراج الدين محفوظ : ٣٠٣ ، ٣٦١ .  
 سراج الدين المظفر بن الحسن : ٢٧٨ .  
 سراج الدين أبو يوسف يعقوب  
 السكاكي : ٢٥٣ .  
 سرجنكشي : ٢٨٤ .  
 سركنقو : ١٣٩ .  
 سعد الدين ، الدويدار : ٢٦٤ .  
 سعد الدين جعفر بن محمد : ١٢٩ .  
 سعد الدين الحاجب : ٣٠٤ ، ٣٠٦ ،  
 ٣٢٨ ، ٣٠٧ .  
 سعد بن زنكي : ٣٧ ، ٥٣ ، ٥٤ ،

شرف الملك نخر الدين علي بن أبي  
القاسم الجندی ، الوزير : ١٧٥ ، ١٧٦ ،  
١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٩١ ،  
١٩٤ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ،  
٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٣ ، ٢١٦ ،  
٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٢ ، ٢٢٦ ،  
٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ،  
٢٤٧ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٥ ،  
٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ،  
٢٦١ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ،  
٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ،  
٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٨٢ ،  
٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ،  
٢٨٨ ، ٢٩٠ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣٠١ ،  
٣٠٢ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١١ ، ٣١٣ ،  
٣١٦ ، ٣١٨ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ،  
٣٣٠ ، ٣٣٣ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٤١ ،  
٣٤٤ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ،  
٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٦١ ،  
٣٦٢ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٧ .  
شروانشاه ، أفريدون : ٢٦٨ ، ٢٨٧ ،  
٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٣٠٠ .  
شلوله السكرجي : ٢١١ .  
الشمس التكريتي : ٣٣٤ ، ٣٣٥ ،  
٣٤٩ ، ٣٥٠ .  
شمس الدين ألتون أبه ، الجاشنكير :  
٣١٧ ، ٣١٨ .  
شمس الدين إيلتمش : ١٦٥ ، ١٦٧ ،  
١٦٨ ، ٣٤٦ .  
شمس الدين الحكيم البغدادي : ٣٠٢ .  
شمس الدين الطغرائي : ١٩٥ ، ١٩٦ .

سوبوتاي ، قائد مغولي : ١٥ ، ٩٦ ،  
١٠٢ ، ١١٦ ، ١٤٣ .  
السون ، قبائل : ٢٩١ .  
سيف الدين بغراق الخلجي : ١٥٤ ،  
١٥٥ .  
سيف الدين بكلك السديدي : ٢١٨ ،  
٢٥٥ ، ٢٥٦ .  
سيف الدين سنقرجاه ، الدويدار :  
٢١٨ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ .  
سيف الدين طرت أبه ، أمير شكار :  
٣١٩ .  
سيف الدين طغرل ، الجاشنكير : ٢٨١ .  
سيف الدين قشقرق الأتابكي : ٢٦٣ .  
سيف الدين كيتارق : ١٤٥ .

### (ش)

الشافعي ، مذهب : ٧٠ ، ٧١ ، ١٠٩ ،  
١١٠ .  
شال الخطابي : ١٨٠ .  
شاهج شون ، الأسقف : ٢١ .  
شاه خاتون : ٢٧٦ ، ٣١٢ .  
شي نوين ، قائد مغولي : ١٥ ، ٤٦ ،  
٩٦ ، ١٠٢ ، ١١٦ ، ١٤٣ .  
شرف الدين ازدرة : ٢٠٠ ، ٢٩٥ ،  
٢٩٦ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ .  
شرف الدين علي بن الفضل التفرشي :  
٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ،  
٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ،  
٣٤٢ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٨ .

- ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٧ ، ٢٤٩
- صفى الملك ، الوزير : ٣٣٨
- صلاح الدين ، رسول الاسماعيلية : ٢٣١
- صلاح الدين الأيوبي : ٣٩
- صلاح الدين محمد النساي : ١٥٢ ، ١٥٣
- الصليبيون : ٦ ، ٢٦٥
- الصينيون : ٢١ ، ٣٩

### (ض)

- ضياء الدين البيبانكي : ٨٢
- ضياء الملك على الدين محمد بن مودود
- العارض النسوي : ١٥٩ ، ١٩٢ ، ٢٥٢ ، ٢٥١

### (ط)

- طرت أبه : ٣٧٩
- طغانخان : ٩٠ ، ١٤١ ، ٣٠٨
- الطغرائي : انظر شمس الدين
- الطغرائي : انظر صفى الدين محمد
- الطغرائي : انظر مؤيد الدين اسماعيل
- طغرل ، صاحب أرزن الروم : ٣٢٩
- طغرل الأعرس : ١٤٥
- طغرلبك ، أول سلاجقة العراق : ٥٠ ، ٦٠ ، ٥

- طغرلبك ، آخر سلاجقة العراق : ٤٩ ، ٥ ، ٦٥ ، ٩٤ ، ١٩٤ ، ١٩٥
- ٢٠٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦٧ ، ٢٨١
- طلسم ، أمير آخورد : ٣٧٩ ، ٣٨٢
- الطهيري المريد ، الوزير : ٣٦٣

- ٣٥٩ ، ٣١٦ ، ٢٠٩ ، ٢٠٨ ، ٢٠٣ ، ٢٠١
- شمس الدين العراقي ، أمير علم : ١٤١
- شمس الدين علي بن عمر : ١٨٠
- شمس الدين القمي : ١٩٩
- شمس الدين كرشاسف : ٢٦٣
- شمس الدين الكلاباذي : ٨٣
- شمس الدين محمد : ٢٩٥ ، ٣١٥
- شمس الدين محمود : ١٠٨
- شمس الملك شهاب الدين الباهروري :

- ٧٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٨٥
- شهاب الدين أبو سعد الخيوق ، الفقيه :
- ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١٢٤
- شهاب الدين سليمان شاه ، ملك الأبوية :
- ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٣٦

- شهاب الدين عزيزان المستوفي : ٢٢٥
- شهاب الدين غازي بن الملك العادل :
- ٣٣١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٦
- ٣٨٠ ، ٣٨٢
- شهاب الدين الغوري : ٦٦ ، ٦٧
- ٢٣٩ ، ٣٤١
- شهاب الدين مسعود بن نظام الملك
- محمد بن صالح : ٢٩٦
- شير ماجون ، قائد مغولي : ٣٣٥ ، ٣٦٣ ، ٣٥٤

### (ص)

- صدر الدين الجندي ، القاضي : ٧٧ ، ٧٨
- صدر الدين الخجندی : ١٤١ ، ١٤٦
- صدر الدين العلوي المراغي : ٢٠٤
- الصفي الأفرع ، الوزير : ٩٢
- صفى الدين محمد الطغرائي : ٢٤٧

عز الدين طغرل : ٨٠٠ .  
 عز الدين القزويني ، القاضي : ٢٠٧ ،  
 ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ .  
 ابن عز الدين كت : ٩٠ .  
 عز الدين كيخسروا : ١٠٦ ، ١١٣ ،  
 ١٤٥ .  
 عزيز الاسلام : ٩٤ .  
 عطار د ، نجم : ١٠٩ .  
 علاء الدولة ، صاحب يزد : ١٧٦ ،  
 ٢٣٦ .  
 علاء الدولة الشريف العاوي : ١٤٣ .  
 علاء الدين ، صاحب باميان :  
 ٩٤ ، ٦٥ .  
 علاء الدين ، صاحب قندز : ١٠١ .  
 علاء الدين عطا ملك الجويني : ١٨٠ .  
 علاء الدين كيقباز : ٢٢٠ ، ٢٦١ ،  
 ٢٦٢ ، ٢٧٨ ، ٣٠١ ، ٣١٧ ، ٣١٩ ،  
 ٣٢٩ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ،  
 ٣٣٥ ، ٣٥٧ ، ٣٧٣ ، ٣٨٤ .  
 علاء الدين محمد الثالث ، داعي دعاة  
 الاسماعيلية : ٢٢٤ ، ٢٢٩ ، ٣٣١ ، ٣٤٣ ،  
 ٣٤٤ ، ٣٤٦ ، ٣٦٦ ، ٣٧٨ ، ٣١٧ ،  
 ٣١٨ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ،  
 ٣٤٣ ، ٣٤٣ .  
 علاء الدين محمد خوارزم شاه : ٢ ،  
 ١٢ ، ١٤ ، ٢٥ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٣٩ ،  
 ٤٣ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٩ ، ٦١ ،  
 ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٧ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٨١ ، ٨٢ ،  
 ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٨ ، ٩١ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٩ ،  
 ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٠ .

طو طوق ، ابن آيتانج خان<sup>(١)</sup> : ١٨٩ ،  
 ١٩٨ ، ٢٦٦ ، ٣٠٢ ، ٣٠٥ .  
 طوغاج خاتون : ٤٤ .  
 طولن حربي : قائد<sup>(٢)</sup> : ١١٨ ، ١٧٠ .

### (ظ)

الظاهر ، الخليفة العباسي : ٢٨٠ ، ٣٠٥ .  
 ظهير الدين مسعود ، الوزير :  
 ٦٧ ، ١١٣ .

### (ع)

العادل ، أخو صلاح الدين الأيوبي :  
 ٣٠ ، ٢٠٩ ، ٢١٧ ، ٢٩٩ ، ٣١٣ ، ٣٢١ ،  
 ٣٢٨ ، ٣٣١ ، ٣٥١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٤ .  
 عباس ، جد الرسول : ٥١ ، ٥٢ .  
 العباسيون : ٤ ، ٦ ، ٨ ، ٩ .  
 عبد الحميد الكاتب : ٥٧ .  
 عبد الله بن ظاهر : ١٨٢ .  
 عبد الله بن غطفان : ٣٤٤ .  
 العتبي : ١٨٧ .  
 عثمان ، صاحب سمرقند : ٦٦ ، ٩٧ .  
 عز الدين ، صاحب قلعة شاهق : ٣٥٦ .  
 عز الدين أيبك : ٢٩٩ ، ٣١٤ ،  
 ٣١٥ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ .  
 عز الدين بلبان الخالجي : ٢٧٧ ،  
 ٢٧٩ ، ٣٤٥ .  
 عز الدين جلدك ، مقطع الجام و باخرز :  
 ٧٥ ، ٢٣٩ .

(١) في ص ١٨٩ : طو لوق .

(٢) في ص ١٧٠ : طولن حربي .

عماد الملك محمد بن الشهيد الساوي (١)  
 ٧٢، ١٠٤، ١٠٦ .  
 عمر خان ، ابن صاحب يازر : ٩٥ .  
 عمر بن الخطاب : ٤٩ ، ٣٦٠ .  
 عمر خواجه الآتراري : ٨٥ .  
 العميد سعد ، القاضي : ٩٢ .  
 العميدي ، ركن الدين : ٧٠ .  
 عنان النسوي ، لقب نقر الدين  
 حبش : ٩٠ .

(غ)

غازان ، إيلخان فارس : ٢٢ .  
 الغزويون ، الدولة الغزنوية : ٣١٢ ،  
 ٣٦٧ .  
 غورشايحي : انظر ركن الدين .  
 الغوريون : ١٣٤ ، ١٦٢ ، ١٦٥ .  
 غياث الدين بيرشاه : ٢ ، ١٨ ،  
 ٧٢ ، ٧٤ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ،  
 ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ،  
 ١٥١ ، ١٦٤ ، ١٦٩ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ،  
 ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨١ ،  
 ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٨ ، ٢٠٠ ، ٢١٢ ،  
 ٢١٣ ، ٢٢٥ ، ٢٣٤ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ،  
 ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٦٦ ،  
 ٢٧٦ ، ٢٧٨ ، ٢٩٤ ، ٣١٧ ، ٣٣٩ ،  
 ٣٤٢ .  
 غياث الدين الغوري : ٦٥ .

١١١ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٤٠ ، ١٥٩ ،  
 ١٨٠ ، ١٨٢ ، ٢٢٠ ، ٢٢٥ ، ٣٤١ ،  
 ٣٥٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٠١ ، ٣٠٤ ،  
 ٣١٥ ، ٣٣٤ ، ٣٣٨ ، ٣٤٠ ، ٣٨٤ .  
 علاء الدين محمد بن مودود العارض  
 النسوي : ١٩٢ .  
 أبو العلاء المعري ، الشاعر : ١٨٧ ،  
 ٢٤١ .  
 علاي الدين كرابه ، صاحب مراغة :  
 ٢٢٣ .  
 علجك ملك : ٩٠ .  
 علم الدين سنجر : ٣٢٢ ، ٣٧٧ .  
 علم الدين قصب السكر ، رسول صاحب  
 آمد ، ٣١٠ .  
 علم الدين قيصر : ١٥٠ .  
 علي بن أبي طالب : ١٣١ .  
 علي الأشرفي : ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٧ ،  
 ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ،  
 ٢٧٨ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠١ ، ٣٤٥ .  
 أبو علي الحسن الوخشي : ٩٠ .  
 علي خواجه البخاري : ٨٣ .  
 علي كوه دروغان : ١٢١ .  
 عماد الدولة نصره الدين محمد بن  
 كبودخامة : ١٣٩ .  
 عماد الدين ، صاحب بلخ : ٩٤ .  
 عماد الدين بهلوان بن هزارسف :  
 ٣٣٦ ، ٣٠٤ .  
 عماد الدين محمد بن عمر بن حمزة :  
 ١١١ .

(١) في ص ١٠٤ : عماد الدين محمد بن الشهيد الساوي .



قتلغ خان ، لقب ابوجي بهلوان (١) :

١٢٢ ، ٤٨ .

قجج أرسلان : ٢٦٧ .

قدبوقا نوين ، قائد : ١١٨ .

قراغز : ١٤٠ .

قرن خان ، ابن أمير ملك : ١٦٤ .

قزل أرسلان : انظر خاموش .

القزويني : انظر عز الدين .

القزويني : انظر زين الدين أبو حامد .

قشتمر : انظر ناصر الدين .

قصب السكر : انظر علم الدين سنجر .

قطب الدين أزلغ شاه : ٢ ، ٧١ ،

٨٠ ، ٨١ ، ٩٧ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ،

١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ،

١٣١ ، ١٤٠ .

قطب الدين محمد بن نوشتكين : ٢ .

قفجاق : ١٥ ، ٢٨٤ ، ٣٧٧ .

قليس بهادر : ١٦٠ .

قر الدين ، نائب قباجة : ١٦٢ .

قوام الدين الجداري (٢) : ٢٠٨ ،

٢٥٧ .

قيقو نوين ، قائد : ١١٨ .

قيمقارشاه : ٣٠٣ ، ٣٠٤ .

### (ك)

الكامل محمد ، صاحب مصر : ٢٠٩ ،

٢٩٩ ، ٣٣٤ ، ٣٧٤ ، ٣٨٠ .

### (ف)

الفاطميون : ٧ ، ٥٤ ، ٢٣٣ .

نغر الدين الجندى : ٣٦٢ .

نغر الدين حبش : ٩٠ .

نغر الدين حمزة النيسابوري : ٣٦٣ .

نغر الدين الدنوكي البخاري : ٨٥ .

نغر الدين الرازي : ١٨٧ .

نغر الدين السجلاري : ١٦٧ .

نغر الدين شام : ٢٧٠ .

أبو فراس ، الشاعر : ١٤٦ .

الفرزدق ، الشاعر : ٢٦٩ .

الفرس : ٤ ، ٢١ ، ٣٩ ، ١١٢ ،

١٧١ ، ٣٥٧ .

بنو قزارة : ٣٤٤ .

فلك الدين ، رسول صاحب الموت :

٣٣٦ .

فلك الدين بن سقمر الطويل : ٣٠٧ ،

٣٢٨ .

### (ق)

القائم بأمر الله ، الخليفة العباسي : ٥٠ .

القادر ، الخليفة العباسي : ٣١٢ .

قاضان نوين : ١٧٠ .

قباجة : ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ،

١٦٨ ، ١٨٥ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ .

قباد ، أبو شروان : ٢٨٩ .

(١) في ص ١١٢ : توخي بهلوان .

(٢) في ص ٢٠٨ : الجداري ، الحدادي .

وفي ص ٢٥٧ : الحدادي .

- ١٧٤ ، ٤٨ ، ٤٧ ، ٤٦  
 كوركا ، من ملوك القفجاق : ٢٨٤ ،  
 • ٢٨٥  
 كوكه يحكم ، أمير : ٣٧٥ ، ٣٧٦ ،  
 كولى خان : ٢٣٩ ، ٢٤٠ ،  
 كيخسروا ، ملك الفرس : ٣٥٧ ،  
 كين ، إمبراطورية : ٣٨ ، ٣٩ ،

### (ل)

- ابن لاجين جفرجة : ١٤٠ ،  
 اللر ، قبائل : ١٩٠ ، ٢٣٤ ،  
 اللسكنز ، قبائل : ٢٩١ ،  
 لى شى شانج : ٢١ ،

### (م)

- محمد الدين محمد النسوى : ٨٢ ،  
 محمد الدين مسعود بن صالح : ٦٩ ،  
 • ٧٠  
 المجد النيسابورى : ٢٥١ ،  
 مجير الملك تاج الدين أبو القاسم : ٨٢ ،  
 مجير الدين عمر بن سعد ، القاضى : ٨٢ ،  
 ١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢١٠ ، ٢١٨ ، ٢٥٣ ،  
 • ٢٨٠ ، ٣٤٠ ،  
 مجير الدين يعقوب ، ابن الملك العادل  
 أيوب : ٣١٣ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٤ ،  
 • ٣٢٨ ، ٣٥٥ ،  
 محمد ، النبي : ٣٣ ، ٥١ ، ٥٧ ، ١٦٦ ،  
 • ١٧١ ، ٣٨١ ، ٣٨٦ ،  
 أبو محمد ، من أقرباء علاء الدين محمد  
 خوارزم شاه : ٩٠ ،

- كانكالى ، قبائل : ٦٢ ، ٧٦ ، ٩٩ ،  
 • ١٢٢  
 كبروقه خان : ١٤١ ، ٢٣٦ ،  
 كتسنقر ملك : ٢٣٨ ،  
 كتك ، مقطع سمنان : ١٤٥ ،  
 كجيدك ، أمير آخور : ١٣٧ ، ١٣٩ ،  
 كزبرملك : ٧٢ ، ١٥٢ ،  
 الكرج : ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ١٩٤ ،  
 ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٢ ، ٢٠٥ ،  
 ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٨ ،  
 ٢٤٧ ، ٢٨٧ ، ٢٨٦ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ،  
 • ٢٩٧ ، ٣٦٠ ، ٣٧١ ،  
 كريم الدين الطيفورى : ٨٠ ،  
 كستاسف ، ملك الفرس : ١١٢ ،  
 كشلوخان : ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ،  
 • ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ،  
 كشلى ، أمير آخور : ١٠٠ ،  
 ابن كفرج بغرا : ٨٧ ، ٨٨ ،  
 كاخى شاه ، ابن علاء الدين محمد  
 خوارزم شاه : ٩٧ ،  
 كمال الدين ، مستوفى أتابك أذربيجان :  
 • ٢٠٨  
 كمال الدين ، مستوفى العراق : ٣٤٢ ،  
 كمال الدين ، مقدم الجاويشية : ٢٣١ ،  
 كمال الدين كامياذ بن اسحق ، القاضى :  
 • ٣١٧ ، ٣١٩ ،  
 كوج أبه ككخان : ٢٩١ ،  
 كوج تكين بلوان : ١٣٨ ، ٢٣٦ ،  
 • ٢٧٤  
 كوج قندى : ١٨٩ ،  
 كورخان ، لقب ملك الخطا : ٤٣ ، ٤٤ ،

- معين الدين القسيمي : ٣٥٥ .  
 مقرب الدين مهتر مهتران : ١٠٨ .  
 ٣١١ ، ٣١٢ .  
 ابن المقفع : ٥٨ .  
 الملاحدة : انظر الاسماعيلية .  
 ملك الإسلام : ٩٤ .  
 الملك المسعود ، صاحب آمد :  
 ٣١٠ ، ٣٧٧ .  
 ملكشاه : ٦ ، ٧ ، ٩ ، ١٠ ، ٣٤ .  
 ٢٨٩ .  
 الملك المنصور ، صاحب ماردين : ٣١٠ .  
 ملبان الأتابكي : ٦٣ .  
 المالك : ٥٤ .  
 مدوخان : ٤٣ .  
 منصور القاضي : ٩٢ .  
 منكطوري شاه : ٣٦١ .  
 منكلي بك طابن : ٢٣٦ .  
 منكوخان : ٢٢ .  
 الموبد ، الحاجب : ٦٢ .  
 مؤيد الدين اسماعيل الطغرائي : ٣٦٦ .  
 مؤيد الدين القسيمي ، الوزير : ٣٠٥ .  
 مؤيد الملك قوام الدين ، والي  
 كرمان : ٧٤ ، ٧٥ ، ١٣٢ ، ٢٣٩ .  
 موي دراز ، لقب شمس الدين محمد :  
 ٢٩٥ .

### (ن)

- ناجن نوين<sup>(١)</sup> : ٢٤ ، ١٢٥ ، ٢٣٢ .

- محمد بن صالح ، الوزير : انظر نظام الملك  
 ناصر الدين .  
 محمد بن قراقاسم النسوي : ٤٥ .  
 محمد بن ملكشاه : ٢٧٠ .  
 محمود الخوارزمي : ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ .  
 محمود بن سبكتكين : ٣١٢ ، ٣٦٧ .  
 محمود بن سعد الدين ، الجلاب : ٣٧٩ .  
 محمود شاه ، صاحب يزد : ٣٣٨ .  
 محيي الدين بن الجوزي : ٣٢٨ .  
 محتص الدين بن شرف الدين : ٣٢٨ ،  
 ٣٧٢ ، ٣٥٠ .  
 المسترشد بالله ، الخليفة العباسي : ٩٠ ، ٥٠ .  
 المستنصر ، الخليفة الفاطمي : ٧ .  
 المستنصر ، الخليفة العباسي : ١٨ ،  
 ٣٠٥ .  
 المستعلي ، الخليفة الفاطمي : ٧ .  
 مسعود ، السلطان السلجوقي : ٩ .  
 مسعود بن صاعد : ١٤٠ .  
 المسيحية : ٤٣ ، ٤٧ ، ٨٧ ، ١٩٩ .  
 المشتري ، نجم : ١٠٩ .  
 مظفر الدين بارد كز : ١٤٠ .  
 مظفر الدين ككبرى : ٣٠٤ .  
 مظفر ملك : ١٥٤ ، ١٥٥ .  
 المعتزلة : ١٠٤ .  
 المعتصم ، الخليفة العباسي : ٤ .  
 المعظم عيسى ، ابن الملك العادل  
 أيوب : ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢٩٩ .  
 معن بن أبي زائدة : ٢٤٢ .

(١) في ص ١٢٥ : ناخن نوين .

وفي ص ٢٣٢ : تاجن نوين .

- نصير الدين دولتيار : ٥٧ ، ٥٨ .
- نظام الدين ، كاتب الانشاء : ٨٢ .
- نظام الدين ، الاسفملار : ١٨٠ .
- نظام الدين ، وزير أصفهان : ٢٢٥ .
- نظام الدين السمعاني : ١٢٣ .
- نظام الدين محمد بن نظام الملك : ٧٦ .
- نظام الملك ناصر الدين محمد بن صالح ،  
الوزير : ٦٦ ، ٦٩ ، ٧٢ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ،  
٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٢٣٩ ،  
٢٩٦ ، ٣٤٩ .

- نمه نوين : انظر شي .
- نوار ، زوجة الفردق : ٢٦٩ .
- نور الدين جبرييل : ١٤٠ ، ١٤٥ .
- ابن نور الدين قران خوان : ١٤٥ .
- نوشتكين : ٢ ، ٣٤ .
- نوشي Nü·chi ، قبائل : ٣٩ .
- النيسابوري ، قطب الدين : ٧١ .
- نيمان ، قبائل : ٤٧ .

### ( ه )

- هزارسف : ٧٣ .
- هندوخان ، ٢ ، ٩٥ .
- هولاكو : ٢٢ ، ٣٤ ، ٥٦ ، ٢٠٧ .
- هيشون : ملك أرمينية الصغرى : ٦٦ .

### ( و )

- وفاء ملك : انظر الحسن قولق .

- ناصر الدين أقيش : ٢٥٥ ، ٢٥٦ .
- ناصر الدين بوقا ، المملوك (١) : ٢٧١ ،  
٢٧٦ ، ٢٨١ .

- ناصر الدين سعيد : ١١٢ .
- ناصر الدين قشتمر : ٤٥٦ ، ٣٦٥ .
- ناصر الدين محمد : ٢٦٣ .
- ناصر الدين ملكشاه : ٢ .
- الناصر لدين الله ، الخليفة العباسي :  
٤٩ ، ٥٠ ، ١٥١ ، ٢٢٠ ، ٢٨٥ ،  
٣٤٠ ، ٣٥٠ .

- نجم الدين أوداك ، أمير آخور : ٣٢٨ .
- نجم الدين الخوارزمي : ٣١٠ .
- نجم الدين الرازي : ٢٨٠ .
- نجيب الدين الشهرزوري : ١٨٣ ، ١٨٤ .
- نزار ، ابن الخليفة المستنصر الفاطمي : ٧ .
- النساءى ، الإمام أحمد : ٣٣ .
- نصره الدين ، صاحب الجبل : ٣٠٠ .
- نصره الدين أبو بكر بن سعد بن زنى :  
انظر أبو بكر .

- نصره الدين حمزة بن محمد بن حمزة بن  
عمر بن حمزة : ١٨١ ، ١٨٧ ، ١٨٩ ،  
١٩١ .

- نصره الدين محمد بن بيشتكين : ٣٧ ،  
٥٤ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٢٦٣ ،  
٢٧٣ ، ٢٧٤ .

- نصره الدين محمد بن الحسن بن خرميل :  
١٦٤ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ .

- نصره الدين محمد بن كبودجامة : ٢١٧ .
- نصره الدين محمد بن لز ، صاحب زوزن :

٧٤ ، ٧٥

(ى)

- يكت ملك : ٢٣٨ ، ٣٠٠ ، ٣٠٨ ،  
٣٣٠ ، ٣٦٥ ، ٣٧١ ، ٣٧٥ ، ٣٧٩ ،  
٣٨٠ ، ٣٧٢ .  
يلتاج ملك : ١٣٧ .  
يلتقو ، ، ابن ايليجى بهلوان : ١٨٠ .  
يل كوش ، قائد : ١١٣ ، ١١٤ .  
يمك ، قبيلة : ٧١ ، ٩٩ .  
يمه نوين : انظر شى .  
يمين الدولة : انظر محمود بن سبكتكين .  
ينال خان : ٨٥ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٠ ،  
٩١ ، ١٠٠ .  
يوسف كنگا الأترارى : ٨٣ .  
يولق خان : ٢٣٦ .  
يونس خان : ٢ .  
يى لو تا شى Ye-lü Ta-shi : ٢١ ،  
٣٦ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٦٦ .

- ياتماس نوين ، قائد مغولى : ٢٣٢ ،  
٣٦٣ .  
يحيى بن خالد البرمكى : ٥٨ .  
يحيى خورشاه : ٢ .  
يرغو ، أحد بهلوانية جلال الدين  
منكبرتى : ٣٥٠ ، ٣٥١ .  
يركا نوين ، القائد : ١١٣ ، ١١٥ ،  
١١٦ .  
أبو يزيد البسطامى : ١٠٥ .  
يزيدك بهلوان ، الرسول : ١٦٨ .  
يغان سنقر : ٣٥٢ .  
يغان طايسى : ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ،  
١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٩٠ ، ١٩٣ ،  
١٩٤ ، ١٩٨ ، ٢٣٧ .

## ٢ - أسماء المدن ، والاقاليم ، والأنهار ، والبحار .

٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ،  
 ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٤ ، ٣٨١ ،  
 إربيل : ١٠ ، ١٨ ، ٢٠٣ ، ٢٠٧ ،  
 ٣٠٤ ، ٣٧٩ ، ٣٨١ ،  
 أرجيش ، من مدن أرمينية الكبرى :  
 ٢٧٨ ، ٣٢٥ ،  
 أربيل : ٦٠ ، ٦١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ،  
 ٢٣٠ ، ٢٧٧ ، ٣٥٢ ،  
 أردهن ، قلعة : ١٠٥ ، ٣١٢ ،  
 أرزن ديار بكر : ٣٢٣ ، ٣٢٤ ،  
 أرزن الروم : ٢١٧ ، ٢٧٨ ،  
 ٢٨٧ ، ٣٠١ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣٢٩ ،  
 ٣٣٠ ، ٣٣٢ ،  
 أرزنجان ، أرزنكان : ٣١٧ ، ٣١٨ ،  
 ٣٣٠ ، ٣٧٣ ،  
 أرغون : ٣٩ ،  
 أرمينية : ٦ ، ١٠ ، ١٩٧ ، ٢٠٥ ،  
 ٢٥٨ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ،  
 ٢٨٩ ، ٣٠٢ ، ٣١٣ ، ٣١٧ ، ٣٢٥ ،  
 ٣٥٤ ، ٣٨٣ ،  
 أرميتان : ٣٥١ ،  
 أرمينية الصغرى : ٦٦ ،  
 أرمية : ٢٠٧ ،  
 أسترا آباد : ١٠٧ ، ١٣٨ ، ١٩٠ ،  
 ٢١٧ ،

(١)

أبجاز : ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢١١ ، ٢١٣ ،  
 ٢٤٣ ، ٢٩٥ ،  
 الأبوية : ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٣٦ ، ٣٣٨ ،  
 أهر : ٣٥٠ ، ٣٥١ ،  
 أيبورد : ١٣٧ ، ١٨١ ،  
 أترار : ١٤ ، ٦٦ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٦ ،  
 ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ١٠٠ ،  
 أذربيجان : ١٠ ، ١٤ ، ١٥٠ ، ١٨ ،  
 ١٩ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ،  
 ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦١ ، ١١٩ ، ١٤٧ ،  
 ١٤٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ،  
 ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ،  
 ٢٠٨ ، ٢١٧ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ،  
 ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٦ ، ٢٤٦ ، ٢٥٥ ،  
 ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ،  
 ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ ،  
 ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ،  
 ٢٧٧ ، ٢٧٩ ، ٢٨١ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ،  
 ٣٠٤ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢٨ ، ٣٣٢ ،  
 ٣٣٣ ، ٣٣٥ ، ٣٤٥ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ،  
 ٣٥٠ ، ٣٥٢ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٩ ،  
 ٣٨١ ، ٣٨٣ ،  
 أران : ١٥ ، ٣٦ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٥٨ ،  
 ١٣١ ، ٢٠٥ ، ٢٤٦ ، ٢٥٧ ،  
 ٢٦٣ ، ٢٦٧ ، ٢٧٢ ، ٢٨٩ ، ٣٠٤ ،

- آنى : انظر حانى .  
 أهر : ٦٠ ، ٦١ .  
 أوجا : ١٦٧ .  
 أوجان : ١٤٧ ، ١٩٥ ، ٢٢٠ ، ٢٧٦ ،  
 ٣٥٦ ، ٣٦٣ .  
 أوجاهى : ١٦٣ .  
 أوربا : ١٥ .  
 إيلال ، قلعة : ٩٥ .
- (ب)
- باب الأبواب : انظر الدرر بند .  
 ياخرز ، من أعمال نيسابور : ١٨٠ ،  
 ٢٣٩ ، ٢٥٨ .  
 باريس : ٢٦ .  
 باكور : ١٠٢ .  
 باميان : ٣٦ ، ٦٥ ، ٧١ ، ٩٤ ، ١١٩ .  
 بجنى ، قلعة : ٢٩٢ ، ٢٩٧ ، ٣٧١ .  
 البحر الأبيض : ٨٤ .  
 البحر الأسود : ١٥ ، ٢٨٤ .  
 بحر قزوين ، بحر قلزم : ١٥ ، ٩٩ ،  
 ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٧ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ،  
 ١٥١ ، ٢٤٦ ، ٢٦٨ ، ٢٨٥ ، ٢٨٧ .  
 بحر مرمرة : ٦ ، ٢٨٩ .  
 بحيرة بتاخ : ٢٩١ .  
 بحيرة بيكال : ١١ ، ٣٩ .  
 بحيرة نازوك : ٣٠٢ .  
 بخارى : ٦ ، ١٤ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٦٩ ،  
 ٧٠ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ٩٠ ، ١٠٠ ، ١٠١ ،  
 ١٣٥ ، ١٣٨ ، ١٨٥ ، ٢٨٩ .  
 بدليس ، من نواحي أرمينية : ٣١٣ ،  
 ٣٢٢ .

- استناباذ ، الاستنداد : ١٠٦ .  
 استوا ، من نواحي نيسابور : ١١٧ .  
 أستون آوند ، قلعة : ١٤١ ، ١٤٤ .  
 اسفراين : ١٨٠ ، ٣٤٨ .  
 اسكناباد ، قلعة : ٦٢ .  
 آسيا : ٣ ، ٨ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٦ ،  
 ٢٧ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٨٥ ، ١٩٧ ،  
 ٣٣٤ .  
 اصطخر ، قلعة : ٦٢ ، ١٤٩ .  
 أصفهان : ٢٠ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ١٤١ ،  
 ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ،  
 ١٧٦ ، ١٩٠ ، ٢٢٠ ، ٢٢٥ ، ٢٢٨ ،  
 ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ،  
 ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ،  
 ٢٦٥ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٨ ،  
 ٢٧٩ ، ٢٨٤ ، ٣٠٤ ، ٣١١ ، ٣١٢ ،  
 ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٤٥ ، ٣٤٩ ، ٣٧٣ ،  
 ٣٧٧ .  
 إجمام ، من أعمال نيسابور : ١٨٠ ،  
 ٢٣٩ .  
 المائق ، إحدى مدن تركستان : ٤٣ .  
 ألمات : ٨ ، ٢٤ ، ٢٢٤ ، ٢٢٩ ،  
 ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ،  
 ٢٤٦ ، ٢٦٦ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨ ، ٣١٧ ،  
 ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤١ ،  
 ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٦ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ .  
 آمد : ٢٠ ، ٢٢٣ ، ٣١٠ ، ٣١٢ ،  
 ٣٧٣ ، ٣٧٣ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ،  
 ٣٨٠ ، ٣٨١ .  
 أمهر : ١٥٠ .  
 أندخود : ٦٧ .

٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ،  
 ٢١٤ ، ٢١٨ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ،  
 ٢٤٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٢٦٣ ،  
 ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٣١٧ ،  
 ٣٢٧ ، ٣٣٢ ، ٣٣٤ ، ٣٤٤ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ،  
 ٣٥١ ، ٣٥٥ ، ٣٥٩ ،  
 ترشيش ، من نواحى نيسابور: ٢٤٧-  
 التركستان : ٣٦ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٥ ،  
 ٦٦ ، ٩٠ ،  
 ترمذ : ٦٦ ، ٩٠ ، ٩٤ ،  
 تستر : ١٩٠ ،  
 نفرش ، من نواحى قاشان: ٢١٣-  
 ٢٢٥ ،  
 تفليس : ١٩ ، ١٠٢ ، ١٩٥ ، ٢٠١ ،  
 ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ،  
 ٢٤٧ ، ٢٨٥ ،  
 تکریت : ٣٣٤ ،  
 تکیا باز : ٧١ ،  
 تون ، من نواحى قوهستان: ٢٢٨-

(ج)

جاريرد ، قلعة : ٣٦٤ ،  
 جاريزد ، قلعة : ٢٦٣ ،  
 جرجان : ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٨ ،  
 ١٨٩ ، ١٩١ ، ٢١٧ ،  
 جردين ، بين غزنة وكابل : ١٥٧ ،  
 جرمانى ، ضيعة : ١٧٩ ،  
 جره ، قلعة : ١٥٠ ،  
 الجزيرة : ٦ ، ١٠ ، ٢٠٩ ، ٢٨٩ ،  
 ٢٩٩ ، ٣٧٨ ،

برذعة : ٢٠٥ ، ٢٣١ ،  
 برزك ، جبل : ٥٤ ،  
 بركرى ، مدينة فى نواحى خلاط :  
 ٢٧٥ ، ٣٢٢ ، ٣٣٠ ، ٣٧٣ ، ٣٧٦ ،  
 برنوزج ، قلعة : ١٦٥ ،  
 بزشاوور : ١٥٢ ،  
 بست : ٧١ ، ١٣٣ ،  
 بسطام : ١٠٥ ، ١٨١ ، ١٩٠ ،  
 بغداد : ٤ ، ٦ ، ٢١ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ،  
 ٦٢ ، ٦٤ ، ٧٦ ، ١٠٦ ، ١٥٠ ، ١٩٢ ،  
 ٢٠٣ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٥٣ ، ٢٦٥ ، ٢٨٠ ،  
 ٢٨٩ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ،  
 بلاساغون : ٤٢ ، ٤٦ ،  
 بلخ : ٣٦ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٩٠ ، ١٠٠ ،  
 ١٠١ ، ١٠٥ ، ١٥٤ ،  
 بلخشان : ٢٥٠ ،  
 بلك ، قلعة : ٢٧٧ ، ٣٥١ ،  
 البندقية : ٨٤ ،  
 بندوار : ١٨٠ ،  
 بنسكت : ١٤ ،  
 بيت المقدس : ٢٠٩ ، ٢٩٩ ،

بيروان : ١٦ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ،  
 ١٧٧ ،  
 بيلقان : ٢٠٥ ، ٢٢٢ ، ٢٢٩ ، ٢٦٧ ،  
 ٣٥٤ ، ٣٦٣ ، ٣٦٧ ،  
 بيهق ، من نواحى نيسابور : ١٨٠ ،

(ت)

تيريز : ١٨ ، ٥٦ ، ٦٠ ، ٦١ ، ١٤٩ ،  
 ١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ،





الری: ۲۰، ۵۳، ۵۵، ۷۴، ۱۰۵،  
 ۱۰۶، ۱۴۱، ۱۴۵، ۱۷۷، ۱۸۹،  
 ۱۹۰، ۲۲۹، ۲۳۲، ۲۳۸، ۲۴۳،  
 ۲۴۴، ۲۴۶، ۲۴۸، ۲۴۹، ۳۱۲،  
 ۳۲۲، ۳۳۵، ۳۴۸.

(ز)

زاریس، قلعة: ۳۶۱.  
 زبطرة، قلعة: ۳۶۱.  
 زمین داور: ۷۲.  
 زنجان: ۵۰، ۱۴۸، ۱۴۹، ۲۷۷،  
 ۲۷۹، ۳۴۴، ۳۴۵، ۳۵۰، ۳۵۱.  
 زوزان، من اقالیم آرمینیة: ۱۹۷،  
 ۲۰۰، ۲۰۱.  
 زوزن: ۷۴، ۷۵، ۱۲۲.

(س)

ساریة، من أعمال مازندران: ۳۱۲.  
 سامرا: ۴، ۳۸۳.  
 ساوه: ۱۴۵، ۳۱۷، ۳۲۲.  
 سبزوار: ۱۳۸.  
 سجستان: ۳۶، ۷۲، ۹۰، ۱۱۹،  
 ۱۳۳.  
 سد آباد: ۶۴.  
 سراو: ۶۱، ۲۲۰، ۲۳۲.  
 سرجهان، قلعة: ۱۴۴، ۱۴۵.  
 سرخس: ۱۳۷.  
 سرماری: ۲۰۰، ۲۰۲، ۲۱۱،  
 ۲۱۳، ۲۱۴، ۲۷۰، ۲۹۵، ۲۹۸،  
 ۳۲۵، ۳۲۶، ۳۲۷، ۳۳۵.

خوی، إحدى مدن آذربيجان:  
 ۱۹۵، ۱۹۶، ۲۰۷، ۲۱۸، ۲۵۸،  
 ۲۵۹، ۲۶۱، ۲۷۱، ۲۷۴، ۲۷۶،  
 ۲۸۱، ۳۳۰، ۳۳۲.  
 خیوق: ۲۲، ۱۰۹.  
 خیوة: انظر خیوق.

(د)

دامغان: ۵۳، ۲۲۹، ۲۳۲.  
 درادز، قلعة: ۲۶۳.  
 دربند: ۳۶، ۱۰۲، ۲۸۴، ۲۸۵،  
 ۲۹۲.  
 دربند شروان: ۵۸.  
 درکجین، قرية بجوار همدان: ۲۵۹.  
 دروده، قلعة: ۱۰۹.  
 دروند: انظر دربند.  
 دزمار، قلعة قرب تبریز: ۲۶۳، ۳۱۷،  
 دقوفا: ۱۹۳.  
 دمشق: ۱۰، ۳۸، ۲۰۹، ۲۲۰،  
 ۲۹۹، ۳۷۱.  
 دهخوارقان، من نواحی مراغة: ۲۵۶.  
 دهستان: ۷۱.  
 دهلی: ۱۶۵، ۳۴۶.  
 دولت آباد: ۱۰۵.  
 دیاربکر: ۱۰، ۱۵۱، ۳۷۴، ۳۷۷،  
 ۳۷۸.

(ر)

روسیا: ۱۵.  
 رویین دز، قلعة: ۲۲۳، ۲۶۴.

- شهرستانه : ۱۲۶ .
- شهر کنت : ۹۰ .
- شیراز : ۱۸۰ ، ۱۷۶ ، ۱۵۰ ، ۶۲ ، ۲۷۷ .
- شیرکبوت : ۳۵۴ ، ۳۵۳ .
- شینز : ۲۰۵ .

### (ص)

- صلول ، قلعة : ۱۸۰ .
- صوفیان ، قرية : ۲۷۱ .
- الصين : ۱۱ ، ۱۲ ، ۱۳ ، ۳۶ ، ۳۵ ، ۳۸ ، ۳۹ ، ۴۰ ، ۶۶ ، ۸۳ ، ۸۴ .

### (ط)

- طارم ، من أقاليم قزوین : ۱۴۹ .
- الطالقان : ۱۸۵ ، ۱۳۳ ، ۹۶ .
- طبرستان : ۱۳۸ ، ۱۰۷ ، ۹۰ ، ۵۳ ، ۳۴۱ .
- طبرية : ۲۹۹ ، ۲۰۹ .
- طلا ، قلعة : ۲۶۰ ، ۲۵۸ .
- طمغاج : ۸۴ ، ۴۰ ، ۳۹ .
- طوغتاب : ۳۴۵ ، ۲۷۹ ، ۲۷۸ .

### (ع)

- العراق : ۵۰ ، ۴۹ ، ۳۵ ، ۲۲ ، ۷ ، ۵ .
- ۵۲ ، ۵۴ ، ۵۷ ، ۵۹ ، ۶۰ ، ۶۴ ، ۶۵ .
- ۶۶ ، ۶۷ ، ۷۲ ، ۷۳ ، ۷۴ ، ۷۵ ، ۷۶ ، ۷۷ .
- ۸۳ ، ۱۰۴ ، ۱۰۵ ، ۱۱۹ ، ۱۴۰ ، ۱۴۲ .
- ۱۴۴ ، ۱۴۵ ، ۱۴۷ ، ۱۴۸ ، ۱۵۰ ، ۱۶۹ .

- سقتاق ، من بلاد الترك : ۹۴ .
- سکمانا باذ : ۲۶۰ ، ۳۳۳ ، ۳۴۷ .
- سکور ، انظر شمکور .
- سلباس : ۲۰۷ ، ۲۵۸ ، ۲۶۰ ، ۳۲۰ .
- سلوقان ، قلعة : ۱۷۸ .
- سهرقند : ۶ ، ۱۴ ، ۵۳ ، ۶۶ ، ۷۰ ، ۸۹ .
- ۹۰ ، ۹۱ ، ۹۶ ، ۹۷ ، ۱۲۶ ، ۲۸۹ .
- سمنان : ۱۴۵ ، ۵۳ .
- سیسماط : ۲۶۱ .
- سنجار : ۱۰ .
- سندسوارخ ، قلعة : ۳۵۷ .
- سهرورد : ۵۰ .
- سوریا : ۶ ، ۳۸۹ ، ۳۴۰ .
- سیستان : ۱۳۳ ، ۱۵۲ ، ۱۶۷ .
- سین ، قرية : ۲۳۳ ، ۳۲۷ .
- سیواس : ۳۱۷ .

### (ش)

- الشام : ۷ ، ۳۵ ، ۸۴ ، ۱۹۴ ، ۲۰۴ .
- ۲۱۱ ، ۲۶۵ ، ۲۷۰ ، ۲۷۲ ، ۳۲۹ ، ۳۸۴ .
- شاهق ، قلعة : ۲۶۴ ، ۳۵۶ .
- شتر ، کورة : ۳۶۹ .
- شروان : ۳۷ ، ۲۰۵ ، ۲۴۷ ، ۲۸۷ .
- ۳۵۰ ، ۳۵۱ ، ۳۵۴ .
- شعب سلیمان : ۱۳۵ ، ۱۳۹ ، ۱۵۰ .
- شکان ، قلعة : ۲۹۳ .
- شکی ، من نواحی شروان : ۲۴۷ ، ۲۸۹ .
- شمکور : ۲۰۵ .
- شیران : ۲۶۹ .

- فراوة، كورة: ١٢٦.  
 فيروز آباد، قلعة: ٣٥٢، ٣٤٥، ٧٧.  
 فيروزكوه، قلعة: ٣٤١.

### (ق)

- قارون، قلعة: ١٤٤.  
 قاشان: ١٤٥، ٢١٣، ٢٣٥، ٢٢٧.  
 القاقزان: ٣٩٧.  
 قاقزوان: ٢٩٧.  
 القاهرة: ٣٠، ٨.  
 قاين، بلد بين نيسابور وأصبهان:  
 ٢٢٨.  
 قبان، من مدن أذربيجان: ٢٧٣.  
 قبلة، من نواحي شروان: ٢٤٧.

٢٨٩

- قوقاز، وادي: ٣٦٣.  
 قره قورم، حاضرة المغول: ١١،  
 ١٥٠.  
 قزوين، مدينة: ٥٣، ١٤٠، ١٤٤،  
 ١٤٩، ٢٩٧، ٣١٧، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٤٣،  
 ٣٤٦، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٦٨.  
 قزوين، قلعة: ٥٦، ٥٨، ٩٥.  
 قسطانة: ٣٢٢.  
 قشمير: ٣٩، ٣٤٦.  
 قم: ١٩٩، ٢٠٥، ٣٠٥.  
 قنبدز: ١٠١، ٩٠.  
 قندهار: ١٣٣، ١٥٤.  
 قوطور، قلعة: ٢٧٣، ٢٧٦،  
 قومس: ٥٣، ١٠٥.  
 قوهستان: ٨، ٢٢٨، ٣٤٠، ٣٤١.

- ١٧٥، ١٧٨، ١٨٠، ١٨١، ١٨٥، ١٩١،  
 ١٩٣، ١٩٤، ١٩٧، ٢٠٤، ٢١٣،  
 ٢٢١، ٢٢٥، ٢٢٨، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٤٢،  
 ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٨، ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٥٨،  
 ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٧٠، ٢٧٤، ٢٧٧،  
 ٢٧٨، ٢٨٢، ٢٨٤، ٢٩١، ٢٩٤، ٢٩٧،  
 ٣١١، ٣١٦، ٣١٧، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨،  
 ٣٣٠، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩،  
 ٣٤٢، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩،  
 ٣٥٠، ٣٦٨، ٣٨٣.

- العراق العجمي: ١٤، ١٥، ٧٣، ٩٥،  
 ١٠٥، ١٩٩، ٢٤٦، ٣٠٥، ٣١٢، ٣٣٥.  
 عليا ياذ، قلعة: ٣٩٢.  
 عين الخابور: ٧٩.

### (غ)

- غزنة: ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨،  
 ٣٣، ٦٥، ٧١، ١٠٤، ١٠٥، ١١٠،  
 ١١٩، ١٣٢، ١٣٢، ١٣٤، ١٥٣، ١٥٣،  
 ١٥٤، ١٥٥، ١٥٧، ١٦٢، ١٦٩،  
 ٢٥١، ٣١٢، ٣٤١.  
 الغور: ٣٦، ٦٥، ٧١، ٧٢، ٧٣،  
 ٩٠، ١١٩، ١٥٢، ١٦٩، ٢٣٩.  
 غنيق، إقطاع: ٣٢٦.

### (ف)

- فارس: ٧، ٨، ١٠، ١٠، ١٨، ٣٢، ٣٤،  
 ٣٦، ٣٧، ٤٣، ٥٣، ٥٦، ٦٢، ٩٠،  
 ١٣٩، ١٤١، ١٤٨، ١٤٩، ١٧٦،  
 ١٨٠، ١٨٣، ١٩٩، ٢١٢، ٢٢٤، ٢٢٨،  
 ٢٢٩، ٢٤٦، ٢٧٦، ٣٠٤، ٣١٢، ٣٤٠،  
 ٣٧٩.

كوزكنان ، من أعمال تبريز : ٢٨١ .  
كيش : ٣٦ ، ٧٢ ، ٧٤ .  
كيلسكون : ٢١٣ ، ٢١٦ ، ٣٧١ .

### (ل)

لاهور : ١٦٧ ، ٣١٣ ، ٣٤٦ .  
لورستان ، اللور : ١٠ ، ١٩٠ .  
لورى ، من بلاد الكرج : ٢٩١ ،  
٢٩٢ ، ٢٩٧ .

### (م)

مايين النهرين : ٣٥٢ ، ٣٧٢ .  
ماردين : ٣١٠ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ .  
مازندران : ١٥ ، ١٨ ، ٣٥ ، ٥٦ ،  
٧١ ، ٧٤ ، ٨١ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ١٠٦ ،  
١٠٧ ، ١١٩ ، ١٤٧ ، ١٥١ ، ١٥٩ ،  
١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٩٥ ،  
٢٩٧ ، ٣١٢ ، ٣٢٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٢ .  
ماهان : ٣٥٦ ، ٣٦١ .  
ماوراءالنهر : ١٤ ، ٢٠ ، ٣٦ ، ٤٩ ،  
٥٣ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٨٠ ، ٨١ ،  
٨٣ ، ٩٠ ، ٩١ ، ١٠١ ، ١٠٤ ، ١٢٢ ، ١٢٦ ،  
١٧١ ، ٢٣٨ ، ٣٤٠ .  
مراغة : ٨٥ ، ١٤٧ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ،  
٢٠٣ ، ٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ .  
مرج سائغ : ٧٩ ، ١٢٩ .  
مردانقيم ، قلعة : ٢٧٢ .  
مرغة ، قلعة : ١٨١ .  
مرند : ٢٧١ ، ٢٧٤ ، ٢٧٦ .

قيالق ، من مدن تركستان : ٤٣ ، ٤٤ ،  
قيمر ، قلعة : ٣٢٠ .

### (ك)

كاشغر : ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٥ .  
كالك ، قلعة : ٢٩٣ .  
كاهجة ، من قرى نيسابور : ١١٧ .  
كبودجامة ، من نواحي مازندران : ٥٦ .  
كشلف ، من بلاد خراسان : ١٠٠ .  
كرني : ١٩٧ ، ١٩٨ .  
كرخ : ١٤٥ .  
کردستان : ٢٠ .  
كرمان : ١٠ ، ١٨ ، ٣٥ ، ٧٢ ، ٨٤ ،  
١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٣٢ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٦ ،  
١٧٤ ، ٢٣٩ ، ٢٣٦ ، ٣١٥ ، ٢١٤ ، ٢١٣ ،  
٢٤٤ ، ٢٣٨ ، ٣٥٦ .  
كشتاسفي ، من نواحي شروان :  
٢٨٧ ، ٢٨٨ .  
كلاباذ : ٨٢ .  
كلور ، من مدن البنجاب : ١٦٤ .  
كليجرد ، قرية : ٢٤٧ .  
كنجان ، جبال : ١١ .  
كنجة : ١٣١ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ،  
٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٦ ، ٢٤٦ ،  
٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٦٣ ، ٢٧٦ ، ٢٨٢ ، ٣٥٤ ،  
٣٥٦ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ .  
كنعين ، من أعمال خرتبرت : ٣٢٩ .  
كنك : انظر نهر الكنج .  
كهرام ، قلعة : ٢٦٣ .  
كوارين ، قلعة : ٢٩٣ .  
كواشر : ١٧٥ .

نسا : ٢٣ ، ٣٣ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٧٠ ،  
 ١٠٩ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ،  
 ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ،  
 ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٨١ ،  
 ١٨٧ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ٢٥١ .  
 نشجوان ، قرية : ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ،  
 النجعة ، قلعة : ٢٠٧ .  
 نهاوور : انظر لاهور .  
 نهر أراس ، أرس ، الرس : ١٩٧ ،  
 ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٧ ، ٢٨٨ ، ٢١٤ ، ٢٦٧ ،  
 ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٦ ،  
 نهر أمور : ٣٨ .  
 نهر جيحون : ١٤ ، ١٥ ، ٥٩ ، ٧٥ ،  
 ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ١٠١ ، ١٠٢ ،  
 ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٣٨ ، ١٤٩ ، ١٧١ ،  
 ١٧٣ ، ٢٣٨ ، ٣٠١ ، ٣١٣ ،  
 نهر دجلة : ٢٠ ، ٣٠٦ ، ٣٣٤ ،  
 نهر السند : ١٦ ، ١٧ ، ١٣٣ ، ١٣٨ ،  
 ١٥٢ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٨٥ ، ٢٤٧ ،  
 ٢٩٤ ، ٣٤١ ،  
 نهر سيحون ، ١٤ ، ٦٦ ، ٧٧ ، ٩٠ ،  
 ١٤٦ ، ١٧١ .  
 نهر السكر ، السكر : ١٩٧ ، ٢٦٨ ،  
 ٢٨٧ .  
 نهر الكنج : ٣٩ ، ٤١ ،  
 نوشجان ، قرية : ١١٨ .  
 نيسابور : ١٥ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ،  
 ٧٧ ، ٧٩ ، ٨٢ ، ١٠٥ ، ١١١ ، ١١٧ ،  
 ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ،  
 ١٣٢ ، ١٣٨ ، ١٦٠ ، ١٨٠ ، ٢٢٨ ،  
 ٢٢٩ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٧ ، ٢٧٥ ،  
 نيسنج ، كورة في أذربيجان : ٥٧ .

مرو : ٦٥ ، ٦٧ ، ١٠٠ ، ١٢٦ ،  
 ١٣٨ ، ١٨١ .  
 مصر : ٧ ، ٥٤ ، ٢٠٩ ، ٢٣٣ ،  
 ٢٩٩ ، ٣٠٦ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ،  
 ٣٧٤ ، ٣٨٤ .  
 مكران : ٣٦ ، ٧٢ ، ٧٤ ،  
 مكة : ٥١ ، ١٦٦ .  
 ملاز كرد : ٢٨٩ ، ٣٠٢ ، ٣٢٢ ،  
 ٣٢٨ ، ٣٣٠ ، ٣٣٣ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ،  
 ملطية : ٢٧٩ ، ٣٦١ ، ٣٧٣ ،  
 منازجرد : انظر ملازجرد .  
 منشوريا : ١١ ، ٣٩ ،  
 منغوليا : ١١ ، ١٢ ، ١٧ ، ٣٩ ، ٤٣ ،  
 ١٤٩ ، ١٧٣ ، ٢٢٨ .  
 الموصل : ١٠ ، ١٨ ، ٢٢١ ، ٣٠٤ ،  
 ٣٢٠ ، ٣٨٥ .  
 موقان : ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٧٧ ، ٢٨١ ،  
 ٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٢٨٧ ، ٢٩١ ، ٣٤٤ ، ٣٥٠ ،  
 ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ،  
 ٣٥٧ ، ٣٦٠ .  
 مولتان : ٣١٢ .  
 ميسافارقين : ٢٠٩ ، ٢٩٩ ، ٣٧٢ ،  
 ٣٧٤ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ .  
 ميانج ، ميانه : ٢٢١ .  
 ميل جفته ، مزار بمدينة نساء : ١١٥ .

(ن)

نشجوان : ١٤٧ ، ١٩٥ ، ٢٠٧ ، ٢١٦ ،  
 ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ ، ٢٧٦ ، ٢٩٢ ، ٢٩٧ ،  
 ٢٩٨ ، ٢٩٩ .

٢٤٠ ، ٢٤٢ ، ٢٤٧ ، ٢٨٠ ، ٢٩٤ ،  
٣١٢ ، ٣٣٦ ، ٣٤١ ، ٣٤٦ ، ٣٥٢ ،  
٣٥٧ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ .

(و)

وان ، مدينة قرب خلاط : ٣٢٢ .  
وخش ، من نواحي بلخ : ٩٠ ، ٩٤ .  
وراوی : ٦١ .  
ورزقان ، كورة : ٢٠٧ .  
وشت ، قرية : ١٣٠ .  
ولاشجرد : ٣٢٢ ، ٣٧١ .  
ولج ، ولج : ٩١ ، ١٥٥ .

(ی)

يازر : ٩٥ .  
يزد : ١٧٦ ، ٢٣٦ ، ٣٣٨ .  
ين كنج : ٣٩ .

(ه)

هراة : ١٥ ، ٣٦ ، ٧٤ ، ٨٥ ، ١٣٣ ،  
١٥٥ ، ١٨٠ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٣٤١ .  
هزل ، قلعة : ٢٦٣ .  
همايون ، قلعة : ١٣٩ .  
همدان : ٢٣ ، ٣٧ ، ٥١ ، ٥٤ ، ٥٥ ،  
٦٤ ، ١٠٥ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ،  
١٤٧ ، ١٦٧ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٣ ،  
٢٤٣ ، ٢٥٥ ، ٢٥٩ ، ٣٠٤ ، ٣٣٥ ،  
٣٥٠ ، ٣٨٠ .  
الهند : ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٣ ،  
٣٥ ، ٣٦ ، ٣٩ ، ٤٣ ، ٦٥ ، ٧٢ ، ٧٤ ،  
١٠٨ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ،  
١٣٨ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٦٢ ، ١٦٥ ،  
١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٤ ، ١٨٠ ،  
١٨٢ ، ١٨٥ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ،  
٢١٢ ، ٢٢٠ ، ٢٢٥ ، ٢٢٨ ، ٢٣٩ .

### ٣- الوظائف والدواوين وألفاظ لها أهمية خاصة.

- بيت الفراش : ١٠٨ ، ٣١١ .
- بيت المال : ٤٩ .

#### (ت)

- الترس : ٣٠٣ .

#### (ج)

- الجاششكير : ١٦٠ ، ٢٨١ ، ٣١٧ .
- الجامكيات : ٢٩٤ .
- الجاندار : ٢٦٥ .
- الجاويش : ١٠٨ ، ٢١٤ .
- الجتر : ٥٤ ، ٣٠٢ .
- الجريدة : ٨٠ ، ٢١٣ .
- الجشار : انظر الدشار .
- الجلاب : ٣٧٩ .
- الجمدار : ٢٦٥ .
- الجمدار : ٣٦٥ .
- الجنوية : ٣٠٣ .
- الجوانية : ٣٤٣ .

#### (ح)

- الحجابة : ٦٢ ، ١٨٦ .
- الحراقة : ٣٠٦ .

#### (١)

- الأتابكة : ٥٢ ، ١٠٩ ، ٧ .
- أستاذ الدار : ١٦١ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ .
- ٢٩٦ :
- الأكره ، لعبة : ١١٩ ، ٦٠ ، ٥٤ .
- أمير آخور : ١٠٧ ، ١٠٠ ، ٩٠ .
- ١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٧٦ ، ٢٣٦ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ .
- ٣٨٢ ، ٣٧٩ ، ٣٢٨ .
- أمير جاندار : ٣٢٢ .
- أمير شكار : ٣٧٩ ، ٣١٩ .
- أمير علم : ١٤١ .
- إيلخان : ٥٦ ، ٣٤ .

#### (ب)

- البخت : ٣٤٣ .
- البقجة : ٣٠٨ .
- البلخش ، معدن : ٢٥٠ .
- البولو ، لعبة : انظر الأكره .
- بيت الثياب : ٣١١ .
- بيت الركاب : ٣١١ .
- بيت السلاح : ١٦٤ ، ٥٦ .
- بيت الطبل : ٥٧ .
- بيت الطشت : ٣١١ ، ٦٨ .



الركاب خاناه : انظر بيت الركاب .

( ز )

الزردخاناه : ١٦١ ، ٢٩٤ .

( س )

الساخت : ٧٧ ، ٢٦٢ ، ٢٧٤ ، ٢٩٦ ،

٣٠٣ ، ٣٠٨ ، ٣١٢ ، ٣٤٢ .

الساقى : ٣٤ ، ١٦٠ .

السراخور : ٩٠ .

السرفسار : ٧٧ ، ٢٦٢ ، ٢٧٤ ، ٢٩٦ ،

٣٠٣ ، ٣٠٨ ، ٣١٢ ، ٣٤٢ .

السلاح دار : ٥٦ ، ١٦٤ ، ٢٤٤ ،

٣٦٤ .

سرهنك ، رتبة عسكرية : ٩٧ ،

١٠٧ ، ١١٧ ، ٢٤١ ، ٣١٤ .

( ش )

شاه ، لقب : ٣٩ .

شاهنشاه ، لقب : ٣٩ .

الشاويش : انظر الجاويش .

الشحنة : ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٦٦ .

الشراخاناه : ١٦٠ ، ١٦١ .

الشربدار : ١٦٠ .

( ط )

الطباخاناه : انظر بيت الطبل .

الطشت خاناه : انظر بيت الطشت .

الطشت دار : ٦٨ ، ٢٤٣ ، ٣١٩ .

( خ )

الخازن ، الخازندار : ٥٨ ، ١٤٠ ،

٢٤٩ ، ٣١٦ .

الخاصكية : ٢٦٥ ، ٣٤٣ .

خاقان ، لقب : ٣٩ ، ٤٠ .

خان ، لقب : ٣٩ .

الخانقاه : ٣٤٣ .

الخركاه : ١١٤ ، ١٩٨ ، ٢٨٤ ،

٣٦١ ، ٣٧٩ .

خواجه\* برزك ، لقب : ٨٢ .

خواجه\* جهان ، لقب : ٨٢ .

( د )

دار السلاح : ١٦١ .

الدبابة : ١١٤ ، ١١٨ ، ١٧١ ، ١٩٥ .

الدمشار : ١٠٧ .

الدويدار : ٢١٨ ، ٢٥٥ ، ٢٢٢ .

الديوان : ٤٩ ، ١٨٦ ، ٢٢٦ ، ٢٩٥ .

ديوان الإنشاء : ٥٧ ، ٥٨ ، ٢٥١ .

ديوان الجند : ٤٩ ، ٥٦ .

ديوان الجيش : ١٦٤ .

ديوان الخراج : ٤٩ .

ديوان الرسائل : ٥٨ .

ديوان العرض : ٢٥١ .

ديوان المال : ٢٤٩ .

ديوان المظالم : ٢٧٦ .

( ر )

الرختوانية : ٦٨ .

- مفصل الظلامات: ١٨٤ ، ٣٦٤ .
- مقدم الجاويشية : ٢٣١ .
- مقدم الخيالة : ٣٠٠ .
- مقدم الفراشية : ١٠٨ ، ٣١١ .
- المنجنيق : ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ،
- ١٧١ ، ١٩٥ ، ٢٩٩ ، ٣٠٣ ، ٣٢٠ ،
- ٣٢٣ ، ٣٢٥ .
- المكوك : ٢٢٢ .
- المندفاكية : ٣١٤ .

### ( ن )

- ناظر الجيش : ٢٩٤ .
- ناظر الخاص : ٢٩٤ .
- ناظر الدولة : ٢٩٤ .
- النظام القضائي : ٧٧ .
- التقارير : ٢٧٠ .
- النوبة : ٦٥ .
- النوروز ، من أعياد الفرس : ٢٣٣ .
- نوين ، لقب : ٤٦ .

### ( و )

- الوزارة : ٨١ .

### ( ي )

- اليك : ١٦٢ ، ١٦٨ ، ١٩٢ ، ١٩٧ ،
- ٢٣٢ ، ٢٧١ ، ٢٩١ ، ٣٣٠ ، ٣٢٣ ،
- ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ .
- اليساق : ١٢ .
- اليواق ، ديوان المظالم : ٢٧٦ ، ٢٨٢ .

- الطغراء : ٥٧ ، ٢٤٧ ، ٣٢٤ .
- الطوق : ٧٧ ، ٢٦٢ ، ٢٧٤ ، ٢٩٦ ،
- ٣٠٣ ، ٣٠٧ ، ٣١٢ ، ٣٤٣ .

### ( ع )

- العارض : ٢٩٤ ، ٣٠٩ .

### ( ف )

- الفراش خاناه : انظر بيت الفرش .

### ( ق )

- القراقجية ، المستحفظون : ٨٥ .
- القصة دار : ١٨٣ .

### ( ك )

- كاتب الإنشاء : ٢٣ ، ٢٤ ، ٥٦ ،
- ٨٢ ، ٩٩ .
- كاتب السر : ٣٢٢ .
- الكوسات : ٢٧٠ .

### ( م )

- المتصرف : ٨٠ .
- متولى الديوان : ٣٠٩ .
- المحتسب : ١٧٢ .
- المستوفي : ١٨٣ ، ٢٠٨ ، ٢٤٧ ،
- ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٣٠٩ .
- المشرف : ٢٩٤ ، ٣٠٩ ، ٣١٦ .
- مشرف الماليك : ٣٤٣ ، ٣٦١ .

## فهرس

صفحة	
١	مقدمة . . . . .
٣٣	٢ - بسملة . . . . .
٣٨	٣ - ذكر التاتار الملاعين ومبدأ أمرهم ومنشئهم . . . . .
٤١	٤ - ذكر ما آل إليه أمر جنكز خان وصاحبيه بعد الاستيحاء . . . . .
٤٣	٥ - ذكر ما آل إليه أمر كشلو خان بعد مفارقتة جنكز خان . . . . .
٤٦	٦ - ذكر هلاك كشلو خان على يد دوشى خان بن جنكز خان . . . . .
٤٩	٧ - ذكر قصد السلطان بلاد العراق . . . . .
٥٣	٨ - ذكر مسير السلطان إلى العراق وما جرى له بها . . . . .
	٩ - ذكر حال الأتابك أزبك وخروجه من أصفهان وإفلاته من حباله القبض بعد أن قارنها . . . . .
٥٥	١٠ - ذكر ما آل إليه أمر نصره الدين محمد بن بيشتكين بعد الأسر . . . . .
٦٠	١١ - ذكر عاقبة الأتابك سعد بن زندكى صاحب فارس . . . . .
٦٢	١٢ - ذكر قصد السلطان محمد بغداد وعوده عنها . . . . .
٦٤	١٣ - ذكر ما قدم السلطان من أمور يقتضيها الحزم والناموس قبل قصده العراق . . . . .
٦٥	١٤ - ذكر الحوادث بعد عود السلطان من العراق . . . . .
٧٤	١٥ - ذكر حال نظام الملك بعد العزل . . . . .
٧٩	١٦ - ذكر الحوادث بما وراء النهر بعد عود السلطان عنها . . . . .
٨٣	١٧ - ذكر ورود رسل جنكز خان على السلطان بعد قتل التجار . . . . .
٨٧	١٨ - ذكر ما اعتمده السلطان من التدبير الخطأ لما بلغه مسير جنكز خان نحوه في عساكره . . . . .
٨٩	

صفحة	
١٨	— ذكر حيلة تمت لجنكزخان على السلطان حتى توهم من أمراته
٩٢	وحرص على مفارقتهم ففرّ قههم . . . . .
٩٤	١٩ — ذكر خروج ترکان خاتون عن خوارزم . . . . .
٩٩	٢٠ — ذكر نبذ من أحوال ترکان خاتون وسيرتها . . . . .
	٢١ — ذكر رحيل السلطان من كمتلف بعد استيلاء جنكزخان
١٠٠	على بخارا . . . . .
	٢٢ — ذكر ما قامى السلطان من الشدائد والجفلات إلى أن مات
١٠٤	بالجزيرة ببهر قلزم . . . . .
	٢٣ — ذكر وصول شهاب الدين الخيوقى من خوارزم إلى نساء
١٠٩	وحصار التاتار نساء وإهلاكه وإهلاك العامة بها . . . . .
	٢٤ — ذكر نبذ مما جرى بخراسان بعد السلطان بجحلا ولا حاجة إلى
	التفصيل إذ الأحوال تشبه بعضها بعضا وليس إلا عموم
١١٦	القتل وشمول التخريب . . . . .
	٢٥ — ذكر تولية السلطان ولاية العهد ولده جلال الدين منكبرتى
١٢٠	وخلع ولده قطب الدين أزلاغ شاه . . . . .
١٢١	٢٦ — ذكر حال خوارزم بعد جلاء ترکان خاتون عنها . . . . .
	٢٧ — ذكر عود جلال الدين وأخويه أزلاغ شاه وأق شاه إلى
١٢٢	خوارزم . . . . .
	٢٨ — ذكر نظام الدين السمعاني وإقامته عندى بقلعتى خرنندز مدة،
١٢٣	وخروجه عنها فى غير الوقت انزاعا . . . . .
١٢٦	٢٩ — ذكر رحيل جلال الدين من خوارزم وسببه . . . . .
	٣٠ — ذكر خروج قطب الدين وأخيه أق شاه من خوارزم بعد
١٢٩	رحيل جلال الدين عنها وسببه، وما آل إليه أمرهما . . . . .
١٣٢	٣١ — ذكر وصول جلال الدين إلى نيسابور ورحيله عنها صوب غزنة

- ٣٢ - ذكر حال بدر الدين أبنانج وما جرى له بخراسان وغيرها بعد  
 خلاصه من بخارا إلى أن توفي بشعب أسلمان . . . . . ١٣٥
- ٣٣ - ذكر حال ولد السلطان ركن الدين غورشايحي صاحب العراق  
 وما آل أمره . . . . . ١٤٠
- ٣٤ - ذكر حال غياث الدين ومسيره إلى كرمان . . . . . ١٤٤
- ٣٥ - ذكر مسير غياث الدين إلى فارس وشنه الغارات في نواحيها  
 وفساد عسكره فيها . . . . . ١٤٨
- ٣٦ - ذكر الحوادث بغزنة قبل وصول جلال الدين إليها . . . . . ١٥٢
- ٣٧ - ذكر الحوادث بغزنة بعد عود جلال الدين إليها . . . . . ١٥٤
- ٣٨ - ذكر المصاف بين جلال الدين وبين جنكز خان على حافة ماء السند ١٥٨
- ٣٩ - ذكر عبور جلال الدين ماء السند . . . . . ١٦٠
- ٤٠ - ذكر ما كان بين جلال الدين وقباجة من وفاق تارة وخلاف  
 أخرى . . . . . ١٦٣
- ٤١ - ذكر الحوادث بعد كسر جلال الدين قباجة وما جرى بينه وبين  
 شمس الدين إيلتمش إلى أن خرج من الهند . . . . . ١٦٧
- ٤٢ - ذكر حصار التاتار خوارزم واستيلائهم عليها . . . . . ١٧٠
- ٤٣ - ذكر طلوع جلال الدين من الهند ووصوله إلى كرمان وما  
 جرى من الحوادث إلى أن ملك العراق . . . . . ١٧٤
- ٤٤ - ذكر نبت من سيرة غياث الدين في الملك . . . . . ١٨٠
- ٤٥ - ذكر نغر الدين علي بن أبي القاسم الجندي إلى أن تقلد الوزارة ١٨٣
- ٤٦ - ذكر سبب وصوله إلى أبواب السلطان واستمراره في الخدمة ١٨٧
- ٤٧ - ذكر مسير السلطان صوب خوزستان بعد تمكنه من أخيه ١٩٢
- ٤٨ - ذكر ملك السلطان أذربيجان . . . . . ١٩٤
- ٤٩ - ذكر كسر السلطان الكرج . . . . . ١٩٧

- ٥٠ - ذكر عود السلطان من زون إلى تبريز وتخليف الميمنة  
ببلاد الكرج . . . . . ٢٠١
- ٥١ - ذكر ملك السلطان كنجة وسائر بلاد أران . . . . . ٢٠٥
- ٥٢ - ذكر نكاح السلطان بنت طغرل بن أرسلان . . . . . ٢٠٧
- ٥٣ - ذكر قضاء عز الدين القزويني بتبريز وسببه وعزل قوام  
الدين الجداري . . . . . ٢٠٨
- ٥٤ - ذكر عود السلطان إلى بلد التكرج وفتحته تفليس . . . . . ٢١١
- ٥٥ - ذكر قصد السلطان كبسة براق الحاجب بكرمان ورجوعه  
عنها قبل وصوله إليها . . . . . ٢١٣
- ٥٦ - ذكر ماجرى للعساكر المذكورة في بلاد الكرج في غيبة السلطان  
٢١٦
- ٥٧ - ذكر وصول شمس الدين رسول المغرب . . . . . ٢٢٠
- ٥٨ - ذكر تملك السلطان مدينتي بيلقان وأردويل بأعمالها شرف الملك  
٢٢٢
- ٥٩ - ذكر الملك خاموش بن الأتابك أذربك ووصوله إلى خدمة السلطان  
٢٢٣
- ٦٠ - ذكر رفع صدور العراق على شرف الدين على التفرشى وزير  
السلطان بالعراق . . . . . ٢٢٥
- ٦١ - ذكر قتل الاسماعيلية أورخان بك كنجة . . . . . ٢٢٨
- ٦٢ - ذكر مسير السلطان إلى العراق، والتقاءه التانار بظاهر أصفهان  
٢٣٢
- ٦٣ - ذكر الوحشة بين السلطان وأخيه غياث الدين بيرشاه وما آل  
أمره بعد مفارقة السلطان . . . . . ٢٣٩
- ٦٤ - ذكر الفدائية الذين سيرهم علام الدين صاحب الموت إلى  
السلطان إظهاراً للموالاة . . . . . ٢٤٦
- ٦٥ - ذكر عزل صفى الدين محمد الطغراني عن وزارة خراسان  
وإقامة تاج الدين محمد البلخي المستوفى مقامه بها . . . . . ٢٤٧
- ٦٦ - ذكر تقليدي وزارة نسام وما جرى بين وبين ضياء الملك بسببها  
٢٥١

- ٦٧- ذكر بعث السلطان القاضي مجير الدين إلى بغداد في استخراج  
٢٥٣ . . . . . ما دفن بها من السحر
- ٦٨- ذكر الحوادث بأران وأذربيجان . . . . . ٢٥٥
- ٦٩- ذكر حال الملكة بنت طغرل وعاقبة أمرها . . . . . ٢٥٨
- ٧٠- ذكر عماد الدين الرسول الواصل من الروم . . . . . ٢٦١
- ٧١- ذكر فتح شرف الملك أذربيجان وأران والسلطان بالعراق ٢٦٣
- ٧٢- ذكر قتل شرف الملك تجار الاسماعيلية بأذربيجان  
والسلطان بالعراق . . . . . ٢٦٥
- ٧٣- ذكر كبسة الحاجب على الأشرفي . شرف الملك بجورش . ٢٦٧
- ٧٤- ذكر ملك الحاجب على الأشرفي لبعض بلاد أذربيجان وما  
جرى بينه وبين شرف الملك بعد الكبسة . . . . . ٢٧١
- ٧٥- ذكر عز الدين بلبان الخانقالي وما ختم به أجله . . . . . ٢٧٧
- ٧٦- ذكر ورود نجم الدين الرازي وركن الدين بن عطف رسولين  
عن الإمام الظاهر بأمر الله . . . . . ٢٨٠
- ٧٧- ذكر إقامة السلطان بأذربيجان مشتيا وعشوره على عشرات  
لشرف الملك غيرت رأية عليه . . . . . ٢٨١
- ٧٨- ذكر وصول كوركا إلى خدمة السلطان . . . . . ٢٨٤
- ٧٩- ذكر ما صدر من شرف الملك بموقان حين بلغه تغير رأى  
السلطان عليه وعشوره على عشراته . . . . . ٢٨٧
- ٨٠- ذكر قدوم شروانشاه أفريدون بن فريبرز . . . . . ٢٨٩
- ٨١- ذكر مسير السلطان صوب مدينة لوري من بلاد الكرج . ٢٩١
- ٨٢- ذكر حصار السلطان قلاع بهرام السكرجي . . . . . ٢٩٣
- ٨٣- ذكر قبض السلطان على اختيار الدين أستاذ الدار . . . . . ٢٩٤
- ٨٤- ذكر مسير السلطان إلى نخجوان وتسمير الأثقال بمعظم العسكر

- صفحة  
 ٢٩٧ . . . . . صوب خلاط على طريق قاقزوان  
 ٢٩٩ . . . . . ٨٥- ذكر مسير السلطان إلى خلاط وحصارها واستيلائه عليها  
 ٣٠٠ . . . . . ٨٦- ذكر الحوادث مدة حصار خلاط  
 ٣٢٠ . . . . . ٨٧- ذكر ملك السلطان خلاط  
 ٣٢٥ . . . . . ٨٨- ذكر سيرة السلطان بخلاط بعد أخذها ونهبها وإقطاعه نواحيها  
 ٣٢٨ . . . . . ٨٩- ذكر ورود رسل الديوان العزيز بعد ملك خلاط  
 ٩٠- ذكر مسير السلطان إلى الروم ومصافه بها ، وانضمامه من عسكري  
 الشام والروم . . . . . ٣٢٩  
 ٩١- ذكر مسير الملك الأشرف إلى خلاط ومراسلته للسلطان في  
 أمر الصلح . . . . . ٣٣٣  
 ٩٢- ذكر مهمات بعثت فيها إلى العراق . . . . . ٣٣٦  
 ٩٣- ذكر مسيرى إلى الموت وكيفية الرسالة . . . . . ٣٣٩  
 ٩٤- ذكر عز الدين بلبان الخالجي ومقتله . . . . . ٣٤٥  
 ٩٥- ذكر جهان بهلوان أزبك باين ووصوله من الهند إلى العراق . . . . . ٣٤٦  
 ٩٦- ذكر مفارقتى شرف الدين نائب العراق بقزوين وتوجهى إلى  
 أذربيجان حين لم أمملك عنان الاختيار . . . . . ٣٤٨  
 ٩٧- ذكر وصول مقدمة التاتار إلى تخوم أذربيجان ورحيل السلطان  
 من تبريز إلى موقان . . . . . ٣٥٠  
 ٩٨- ذكر كبسة السلطان بحد شيركبوت ، كبسه التاتار . . . . . ٣٥٣  
 ٩٩- ذكر تسيير السلطان مجير الدين يعقوب إلى أخيه الملك  
 الأشرف موسى . . . . . ٣٥٥  
 ١٠٠- ذكر حال السلطان بعد أن كبسه التاتار بموقان . . . . . ٣٥٦  
 ١٠١- ذكر سيرة شمس الدين الطغرأتى بتبريز في هذه المدة . . . . . ٣٥٩  
 ١٠٢- ذكر عودى إلى خدمة السلطان وخروجى من كنجية . . . . . ٣٦٠



- صفحة
- ١٠٣ - ذكر حبس السلطان شرف الملك بقلعة جاريبرد وقتله بعد شهر أو أكثر . . . . . ٣٦٤
- ١٠٤ - ذكر نبذة من سيرة شرف الملك . . . . . ٣٦٧
- ١٠٥ - ذكر رحيل السلطان صوب كنجة وتمسكها باينا . . . . . ٣٦٩
- ١٠٦ - ذكر وقوع البطاقة من خلاط إلى ميفارقين مخبرة بأن التاتار قد عبروا على بركرى طالبين للسلطان وانفصالي عن الملك المظفر عائدا . . . . . ٣٧٤
- ١٠٧ - ذكر نزول السلطان بيلد آمد وعزمه على المسير إلى أصفهان ورجوعه عن ذلك الرأي بعد ورود رسول الملك المسعود صاحب آمد وكبس التاتار إياه صباح ثاني يوم نزوله بها . . . . . ٣٧٧
- ١٠٨ - ذكر ما آل إليه عاقبة أمر السلطان . . . . . ٣٨١
- ١٠٩ - ذكر نبذة من سيرة السلطان وصفته وتواقيعه وما خاطب به وخوطب من ذكر الخلافة وسائر الملوك . . . . . ٣٨٤

#### المصادر

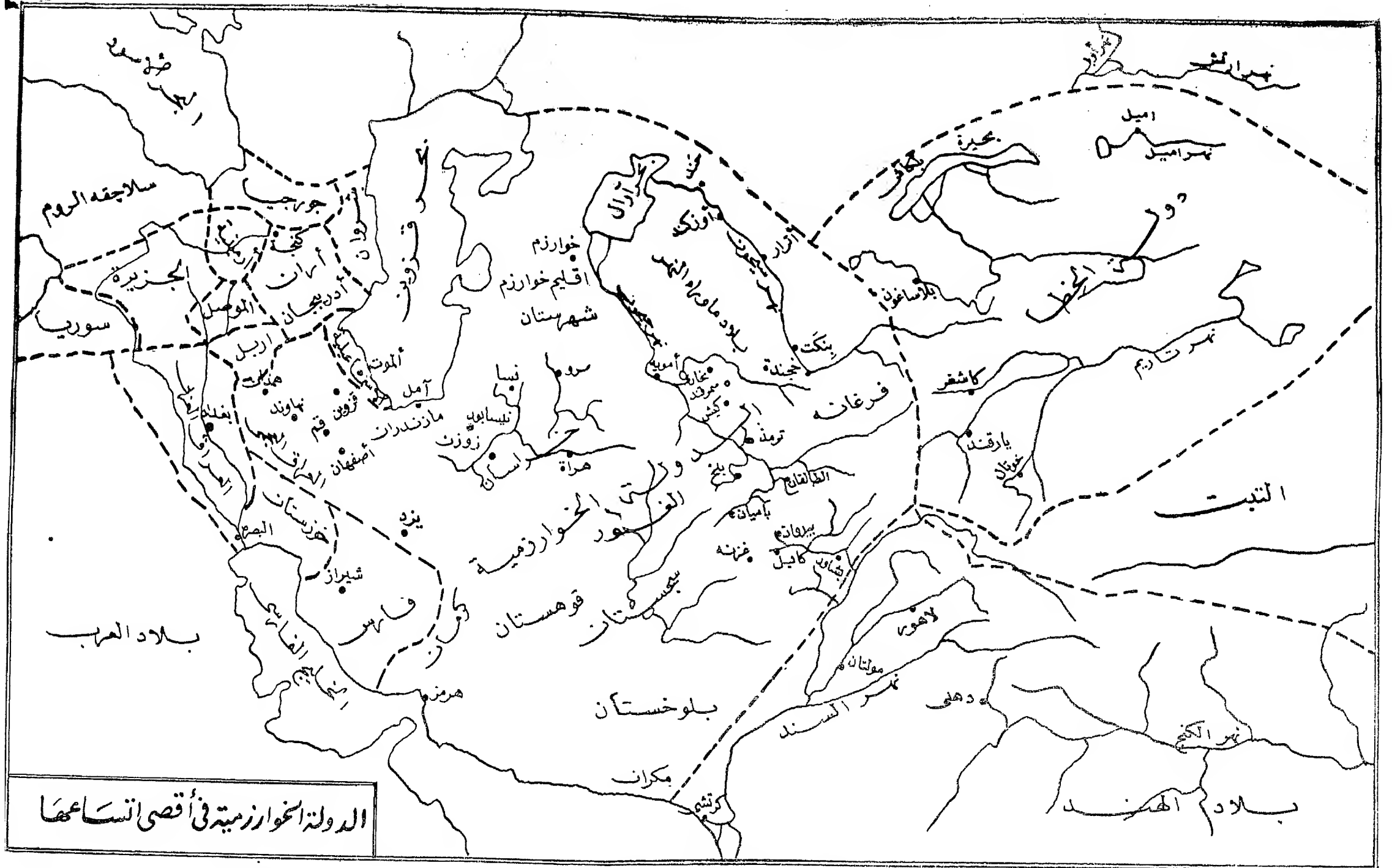
- ١ - المصادر العربية . . . . . ٣٨٩
- ٢ - المصادر الأجنبية . . . . . ٣٩٣

#### الكشاف

- ١ - أسماء الرجال والنساء ، والقبائل والشعوب ، والفرق الدينية ٣٩٩
- ٢ - أسماء المدن ، والأقاليم ، والأنهار ، والبحار . . . . . ٤١٦
- ٣ - الوظائف والدواوين وألفاظ لها أهمية خاصة . . . . . ٤٢٦
- الفهرس . . . . . ٤٢٩
- تصويب . . . . . ٤٣٦

## تصويب

صواب	خطأ	سطر	صفحة
وامتد	وامتدت	٢	٤٣
أباهم	أبيهم	١٧	٤٦
وملحاً	وملحة	٥	٥١
القضاة	القضاة	٢٢	٧٧
وسؤالك	وسؤالك	١٩	٩٢
Tchébe	Tchéb	١١	١٠٢
خراسان	خرسان	٨	١٨١
شرسو	شرسوا	١٨	٢٢٢
عيدا	عيدا	٢٣	٢٣٧
نقاراتهم	نقاراتهم	٨	٢٧٥
نجم الدين الرازي	نجم الرازي	١	٢٨٠
(٥)	(٤)	١٨	٢٩٤
J. Asiat.	J. Asist	٢٠	٣٣٠
حتى مات ضرب	حتى مضرب	١٥	٣٨٥
الفرزدق	الفرذق	١٢	٤١٤



عن كتاب D'ohsson : Histoire Des Mongols





5

6

7

HISTORY OF  
**DJALĀL EL-DIN MANKOBIRTI**  
SHĀH OF KHWĀRAZM

*By*  
**MOHAMMED EL-NESAWI**

*Edit. By*  
**HAFEZ A. HAMDI**  
B.A., M.A. "Hons.", Dip. in Ed.

*Published By*  
*Dar El-Fikr El-Arabi*  
*Cairo, 1953.*









